

أمير المؤمنين
الحسن بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

شخصيته وعصره

د. علي محمد الصلابي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للنشر

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع: ٢٠٠٤/٩٨٣٤

الترقيم الدولي: I.S.B.N

977-265-527-6

دار التوزيع والنشر الإسلامية



مصر - القاهرة - السيدة زينب ص. ب ١٦٣٦

٢٥١ ش بورسعيد ت: ٢٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٢٩٣١٤٧٥

مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٢٩١١٩٦١

www.eldaawa.com

email:info@eldaawa.com

الإهداء

إلى كل مسلم حريص على إعزاز دين الله تعالى
ونصرته والدعوة إليه أهدى هذا الكتاب سائلاً المولى عز
وجل بأسمائه الحسنی وصفاته العلا أن يكون خالصاً
لوجهه الكريم.

قال تعالى: ﴿... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا
صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

يا رب لك الحمد كما يتبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

أما بعد:

هذا الكتاب امتداد لدراسة عهد النبوة والخلافة الراشدة، لقد صدرت مجموعة من الكتب في هذا الشأن، وهى: السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبى بكر الصديق، وفصل الخطاب فى سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وتيسير الكريم المنان فى سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وأسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب، لقد سميت هذا الكتاب، أمير المؤمنين الحسن بن على بن أبى طالب، شخصيته وعصره، ويتحدث هذا الكتاب عن أمير المؤمنين الحسن من مولده حتى استشهاده، فيبدأ بالحديث عن اسمه ونسبه وكنيته وصفته ولقبه، وتسمية رسول الله له، وتأذين رسول الله فى أذنيه وحلق شعر رأسه، وعقيقته، ومرضعته أم الفضل رضى الله عنها وعن زواجه

وزوجاته والروايات التى حولهنَّ، وبيان حقيقة الروايات التى تزعم بأن الحسن رضى الله عنه كان مزواجاً مطلقاً، كما يتحدث الكتاب عن أولاده، وإخوانه وأخواته، وأعمامه وعماته، وأحواله وخالاته، وعن والدته السيدة فاطمة رضى الله عنها، عن مهرها وجهازها وزفافها، ووليمة عرسها، ومعيشتها وزهدها وصبرها، ومحبة رسول الله لها وغيرته عليها، وصدق لهجتها وسيادتها فى الدنيا والآخرة، وبين الكتاب العلاقة بين الصديق والسيدة فاطمة، وميراث النبى ﷺ، وتسامح السيدة فاطمة مع أبى بكر رضى الله عنه، وعن وفاة السيدة فاطمة رضى الله عنها، وفصل الكتاب مكانة الحسن عند جده الحبيب المصطفى ﷺ، فأشار إلى محبة رسول الله ورحمته بالحسن وملاعبته والدروس المستفادة من هدى النبى ﷺ فى التعامل مع الأطفال، كتقبيلهم والرأفة والرحمة بهم ومداعتهم وممازحتهم وأهمية الهدايا والعطايا التى تقدم لهم، وحسن استقبالهم وتفقد أحوالهم والسؤال عنهم واللعب معهم، وتكلم الكتاب عن الأحاديث التى أشارت إلى شبه الحسن ابن على رضى الله عنه بالنبى ﷺ، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وقوله ﷺ: «هما ريحانئى من الدنيا» وعن إعلان رسول الله ﷺ على الملأ عن كون الحسن السيد ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين، وذكرت الأحاديث التى رواها الحسن بن على عن جده رسول الله ﷺ، ونقلت وصف رسول الله، كما رواه الحسن، وذكرت ما جاء فى فضائله، كآية التطهير وحديث الكساء، وناقشت آية التطهير ومناطق الاختلاف بين أهل السنة والشيعة فى هذه الآية، وبينت التفسير الصحيح للآية على منهج علماء خير القرون ومن سار على هديهم، وذكرت آية المباهلة ووفد نصارى نجران وبينت علاقة ذلك بالحسن، وأشارت إلى أثر التربية الأسرية على الحسن بن على رضى الله عنه وأثر الواقع الاجتماعى على تربيته. وأفردت مبحثاً مستقلاً عن حياة الحسن فى عهد الخلفاء الراشدين، فتكلمت عن مكانة الحسن فى عهد الصديق وأهم الأحداث التى أثرت فى ثقافته فى عصر أبى بكر وماذا استفاد من ذلك العهد الزاهر، وكذلك فى عهد عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم جميعاً، وتحدثت عن استيعاب الحسن للفقه الراشدى فى نظام الحكم ومفاهيم الإسلام وعلاقته الحميمة بالخلفاء الراشدين،

وتعرضت لمعركة الجمل وصفين وموقف الحسن منها، وتحدثت عن استشهاد أمير المؤمنين على رضى الله عنه ووصية أمير المؤمنين على للحسن والحسين رضى الله عنهما، ونهى أمير المؤمنين على عن المثلة بقاتله، وخطبة الحسن بعد استشهاد أبيه، وعن استقبال معاوية رضى الله عنه خبر مقتل على رضى الله عنه، وعنبيعة الحسن وشرطه فى البيعة وبطلان قضية النص على خلافته، وإنما اختارته الأمة وفق نظام الشورى المعروف، وتكلمت عن مدة خلافة أمير المؤمنين الحسن ومعتقد أهل السنة فى خلافته، وأثبت بأن خلافته كانت خلافة راشدة حقة لأن مدته فى الحكم كانت تنتمى لمدة الخلافة الراشدة التى أخبر النبى ﷺ أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً، فقد روى الترمذى بإسناده إلى مولى رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك»^(١)، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية فى ربيع الأول فى سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفى فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً^(٢)، وبذلك يكون الحسن خامس الخلفاء الراشدين^(٣)، وعند الإمام أحمد من حديث سفينة أيضاً بلفظ: «الخلافة ثلاثون سنة ثم يكون بعد ذلك الملك»^(٤)، وعند أبى داود بلفظ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك من يشاء أو ملكه من يشاء»^(٥)، ولم يكن فى الثلاثين بعده ﷺ إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن، وقد قرر جمع من أهل العلم عند شرحهم لقوله ﷺ: «الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة»، أن الأشهر التى تولى فيها الحسن بعد موت أبيه كانت داخلة فى خلافة النبوة ومكملة لها، وهذه بعض أقوال أهل العلم:

(١) سنن الترمذى مع شرحها، تحفة الأحوذى (٦/ ٣٩٥ - ٣٩٧) حديث حسن.

(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).

(٣) مآثر الأناقة (١/ ١٠٥)، مرويات خلافة معاوية، خالد الغيث، ص (١٥٥).

(٤) فضائل الصحابة (٢/ ٧٤٤) إسناده حسن.

(٥) صحيح سنن أبى داود (٣/ ٧٧٩)، سنن أبى داود (٢/ ٥١٥).

١- قال القاضي عياض رحمه الله: لم يكن في الثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة، والأشهر التي بويع فيها الحسن بن علي والمراد في حديث: «الخلافة ثلاثون سنة»: خلافة النبوة فقد جاء مفسراً في بعض الروايات: «خلافة النبوة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً»^(١).

٢- وقال أبو العز الحنفى فى شرح الطحاوية: وكانت خلافة أبى بكر الصديق ستين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة وخلافة على أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر^(٢).

٣- وقال ابن كثير: والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذى أوردناه فى دلائل النبوة^(٣) من طريق سفينة مولى رسول الله قال: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة»، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على^(٤).

٤- وقال ابن حجر الهيتمى: هو آخر الخلفاء الراشدين بنص جده ﷺ، ولى الخلافة بعد مقتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة فأقام بها ستة أشهر وأياماً، خليفة حق وإمام عدل وصدق تحقيقاً لما أخبر به جده الصادق المصدوق بقوله: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة»^(٥)، فإن تلك الستة أشهر هى المكملة لتلك الثلاثين^(٦)، فهذه بعض أقوال أهل العلم فى كون الحسن أحد الخلفاء الراشدين، فأهل السنة يعتقدون أن خلافة الحسن، كانت خلافة حقّة وأنها جزء مكمل لخلافة النبوة التى أخبر النبى ﷺ أن مدتها ثلاثون سنة^(٧).

هذا وقد بينت بأن هناك خطباً نسبت للحسن لا تصلح، وذكرت أقوال أهل العلم فى بعض الكتب، ككتاب الأغانى لأبى فرج الأصفهاني، والذى يعتبر من الكتب التى شوّهت تاريخ صدر الإسلام، وهذا الكتاب، كتاب أدب وسمير وغناء ومجون وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، وله طنين ورنين فى آذان أهل الأدب

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٢٠١).

(٢) شرح الطحاوية، ص (٥٤٥).

(٣)، (٤) البداية والنهاية (١١/١٣٤).

(٥) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/٣٩٧).

(٦)، (٧) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/٧٤٨).

والتاريخ، وقد نقلت أقوال أهل العلم فى الأصفهانى، وعدم ثقتهم فيه وتضعيفه واتهامه فى نقله، وأثبت بالحجج والبراهين والدراسة العلمية أن هذا الكتاب لا يصلح أساساً كمصدر للعلم أو مرجعاً للبحث فى الأدب والتاريخ، ولقد كان لهذا الكتاب أثر كبير فى تشويه تاريخنا ولذلك وجب التحذير منه، ومن الكتب التى ساهمت فى تشويه تاريخ الصحابة بالباطل، كتاب نهج البلاغة، فهذا الكتاب مطعون فى سنده ومتمته، فقد جُمع بعد أمير المؤمنين على رضى الله عنه بثلاثة قرون ونصف بلا سند، وقد نسبت الشيعة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضى وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند خصوصاً فيما يوافق بدعته فكيف إذا لم يسند كما فعل فى النهج؟ وأما المتهم بوضع النهج فهو أخوه على، وقد بينت أقوال العلماء فى نهج البلاغة.

إن كتاب نهج البلاغة يجب الحذر منه فى الحديث عن الصحابة ومن أراد الاستفادة منه فعليه أن يعرض المسائل العقائدية والأحكام الشرعية، وما يتعلق بالصحابة الكرام على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما وافق الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة عند علماء المسلمين، فلا مانع من الاستئناس به، وما خالف فلا يلتفت إليه، فكتاب الأغاني ونهج البلاغة وغيرهما من الكتب الواهية لا يمكن لطالب علم يحترم الحقيقة العلمية والموضوعية والحيادية أن يعتمد عليها فى البحث التاريخى الجاد الذى يراد به وجه الله تعالى.

هذا وقد تتبعت أهم صفات الحسن وحياته فى المجتمع وأثبت أن شخصيته تعتبر شخصية قيادية فذة، وأنه رضى الله عنه اتصف بصفات القائد الربانى، فمن أهم الصفات التى أشرت إليها بعد نظره، واستيعابه للأحداث الجارية حوله، وقدرته على قيادة الجماهير، وعزمته القوية فى تنفيذ الأهداف المرسومة. وقد اتضحت هذه الصفات عند حديثنا عن مشروعه الإصلاحى العظيم بالإضافة إلى بعض الصفات الأخرى؛ كالعلم بالكتاب والسنة، والعبادة الخاشعة، وزهده الكبير فى السلطة وأمور الدنيا، وإنفاقه وكرمه وجوده وسخاؤه الذى لا يميز بين غنى وفقير، أو صغير وكبير، وقريب أو بعيد، فقد كانت نفسه مجبولة على البذل

والعطاء والكرم والسخاء فى مرضاة الله تعالى ، وكأن هذه الشخصية العظيمة مراد الشاعر :

إنى لتُطربنى الخلال كريمة طرب الغريب بأوبة وتلاق
ويهزُننى ذكرُ المروءة والندى بين الشمائل هزة المشتاق
فإذا رُزِقَ خليفة محمودة فقد اصطفاك مقسم الأرزاق
فالناس هذا حظهم مال ، وذا علم وذاك مكارم الأخلاق

ومن صفاته التى تحدثت عنها حلمه ، وتواضعه ، وسيادته ، وشرحت مفهوم صفة السيادة من خلال سيرة الحسن ، وبأن السيادة لا تكون بالقهر وسفك الدماء ، أو إهدار الأموال والحرمات ، بل السيادة بصيانتها وإزالة البغضاء والشحناء ، فصلحه وحققه لدماء المسلمين بلغ فيه رضى الله عنه ذروة السيادة .

وعشت مع الحسن فى حياته مع المجتمع ، وكيف كان يرد على المعتقدات الفاسدة ، ويهتم بقضاء حوائج الناس ، ويغار على نسله النبوى الشريف ، ومعاملته لمن يسئ إليه ، وحسن خلقه بين الناس ، وبعده عن فضول الكلام ، وتحدثت عن ثناء سادة المجتمع الإسلامى عليه ، وجمعت جملة من أقواله وخطبه ومواظمه ، وشرحتها لكى نستفيد منها فى حياتنا المعاصرة وأفردت مبحثاً عن أهم الشخصيات التى كانت حوله واخترت قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى ، فهو أول من بايع الحسن وهو من دهاة عصره ، ومن أهم القيادات فى جيش الحسن ، وعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب فهو من قادة جيوشه وولاة أبيه ، وقد تعرض فى بعض كتب التاريخ للتشويه بالزور والبهتان ، ولذلك اخترته وبينت حقيقة مواقفه ، ومن الشخصيات التى كانت حول الحسن ويعتبر من مستشاريه الكبار عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب ، فقد استشاره الحسن فى الصلح مع معاوية ، فشجعه ودفعه إلى ذلك ، فقد رأيت أن أترجم لهذه الشخصيات المهمة ، وهذا ينسجم مع منهجى فى الدراسة الذى يهتم بسيرة الحسن وعصره والشخصيات المؤثرة فيه ، ومن خلال دراسة هذه الشخصيات ، يمكننا الوصول إلى بعض معالم روح ذلك العصر .

ووقفت مع صلح الحسن واعتبرته مشروعاً إصلاحياً عظيماً ولذلك قمت بطرحه وفق هذه الرؤية التي وضعها الحسن وقام بتنفيذها، فذكرت أهم المراحل التي مرّ بها الصلح وماذا حدث في كل مرحلة، وتأملت في أهم أسباب الصلح ودوافعه، كـرغبة الحسن فيما عند الله، وحرصه على حقن دماء المسلمين ووحدّة الأمة، وتحقيق نبؤة رسول الله ﷺ وغيرها من الدوافع والأسباب، وقد قمت بتوضيح أقوال الحسن التي كانت سبباً ودافعاً له على الصلح والتي تدل على فهمه العميق لمقاصد الشريعة الغراء.

وتحدثت عن شروط الصلح التي تمت بين الحسن ومعاوية، والنتائج التي ترتبت عليه، وبرهنت بالأدلة التاريخية أن الحسن رضى الله عنه تنازل عن الخلافة لمعاوية من موقف قوة، وليس كما يزعم بعض المؤرخين. وتظهر عظمة الحسن بن علي من خلال تصرفاته ومواقفه في حياته والتي من أهمها تصوره للمشروع الإصلاحي وقدرته الفذة على التنفيذ، فكم من الناس يملكون تصورات ونظريات إصلاحية ولكنهم يعجزون عن إسقاطها في دنيا الناس.

وقد ناقشت بعض الأكاذيب التاريخية في هذا الكتاب مثل زعم بعض المؤرخين أن الدولة الأموية في عهد معاوية عممت على منابرها شتم أمير المؤمنين على رضى الله عنه، فأثبتت بالبراهين والأدلة، والشواهد الصحيحة على بطلان هذه الفرية والتي التقطها بعض كتاب التاريخ دون إخضاعها للنقد والتحليل حتى صارت عند بعض المتأخرين من المسلمّات التي لا مجال لمناقشتها، وهى دعوة مفتقرة إلى صحة النقل وسلامة السند من الجرح والتمن من الاعتراض، ومعلوم وزن مثل هذه الدعوى عند المحققين والباحثين الجادين، علماً بأن التاريخ الصحيح يثبت احترام وتقدير معاوية لأمر المؤمنين على وأهل بيته الأطهار، كما بينت حقيقة التهم التي ألصقتها بعض كتب التاريخ بمعاوية واتهامه وابنه بدس السم للحسن وأثبت بأن ذلك لا يثبت من حيث السند والتمن معاً، ومضيت مع الحسن بعد استقراره في المدينة وبعدما أصبح إمام ألفة الأمة، وقطب دائرتها وزعيم وحدتها بدون منافس قال الشاعر:

فى روض فاطمة نما غصنان لم لم ينجبهما فى النيران سواها
فأمير قافلة الجهاد وقطب دائرة الوئام والاتحاد ابنها

حسن الذى صان الجماعة بعدما أمس تفرقها يحلُّ عراها
 ترك الإمامة ثم أصبح فى الديار إمام ألفتها وحسن علاها
 وأشرت إلى صلة الحسن بمعاوية رضى الله عنهما، بعد الصلح، والأيام الأخيرة
 من حياته ووصيته للحسين رضى الله عنهما، وتفكره فى ملكوت الله، واحتسابه
 نفسه عند الله ثم استشهاده ودفنه فى البقيع بالمدينة رضى الله عنه .

إن سيرة الحسن بن على رضى الله عنه توضح لنا أهمية امتلاك القائد لرؤية
 مستقبلية يسير على هداها مستعيناً بالله، فالحسن ملك الرؤية الإصلاحية والقدرة
 على التنفيذ، مع وضوح المراحل، والأسباب والشروط والنتائج ومعرفة العوائق
 وكيفية التعامل معها، وترك لنا معالم نيرة فى فقه الخلاف، والمصالح والمفاسد،
 ومقاصد الشريعة، والمفاوضات، والتغلب على أهواء النفوس وأمراضها ابتغاء ما
 عند الله، فالأسر الحاكمة، والأحزاب الناشطة، والمؤسسات القائمة، والحركات
 الإسلامية والجمعيات الهادفة فى عالمنا الإسلامى الكبير فى أشد الحاجة لفقه
 مدرسة الحسن فى رأب الصدع، وتوحيد الصف، وحقن الدماء وجمع الكلمة،
 فالحسن خليفة راشد والافتداء به والاهتمام بفقهه أرشدنا إليه رسول الله ﷺ حيث
 قال: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى»^(١).

إن الباحث ليستغرب من ضعف وجود فقه الحسن فى ذاكرة الأمة، كما أنه
 يتعجب من اختزال فقهه ومشروعه الإصلاحى العظيم فى ثقافتنا، فنهضة الشعوب
 من عوامل نجاحها الالتفاف إلى ماضيها لخدمة حاضرها واستشراف مستقبلها.
 فالتاريخ - كما هو معروف - ذاكرة الأمة، ومستودع تجاربها ومعارفها، وهو
 عقلها الظاهر والباطن وخزانة قيمها ومآثرها وأساس شخصيتها الغائرة فى القدم
 والممتدة مع الزمن، وله ﷺ سيرة لما تستكشف أعماقها، ولخلفائه الراشدين تاريخ
 حافل عظيم، ولأمته تاريخ يزهو على تاريخ الأمم والشعوب والدول، فعلينا أن
 نستفيد من هذا التاريخ العريق ونستخرج منه الدروس والعبر والمواظ والسُنن،
 ونستوعب فقه الحضارات، ونستلهم من القصص القرآنى، والهدى النبوى والبعد

(١) سنن أبى داود (٢٠١/٤)، سنن الترمذى (٤٤/٥) حسن صحيح.

التاريخي، رؤية شاملة لنهضة أمتنا بما يتلاءم مع حاضرتنا كي تقوم بدورها الحضارى المنشود فى هداية الناس، ويتأكد للقرون الباقية من عمر الدنيا أن رسالة الإسلام الخالدة التى بعث بها نبينا محمد ﷺ لم تفن، ولن تفنى، وإن القرآن الكريم هو كلمة الحق الباقية إلى يوم الدين، وعلينا أن ننظر بعيوننا فى أمورنا قبل أن نحتاج إليها لكي نبكى بها طويلاً.

هذا وقد حرصت بقدر الاستطاعة على تناول شخصية أمير المؤمنين الحسن من جوانبها المتنوعة، فحياته صفحة مشرقة فى تاريخ الأمة، وهو من الأئمة الذين يتأسى الناس بهديهم وبأقوالهم وأفعالهم فى هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان والعاطفة الإسلامية الصحيحة والفهم السليم لهذا الدين، فتتلم من سيرته فقه الخلاف، والمصالح والمفاسد ومقاصد الشريعة، والاستعلاء على حظوظ النفوس، وكيف نعيش مع القرآن الكريم، ونهتدى بهديه ونقتدى برسول الله ﷺ، ويعمق فى قلوبنا فقه القدوم على الله من خلال أقواله وأفعاله، وأثر هذه العلوم فى حياة الأمة، ونهوضها وقيامها بدورها الحضارى المنشود، فلذلك اجتهدت فى دراسة شخصيته وعصره حسب وسعى وطاقتى، غير مدع عصمة، ولا متبرئ من زلة، ووجه الله الكريم لا غيره قصدت، وثوابه أردت، وهو المسئول فى المعونة عليه، والانتفاع به، إنه طيب الأسماء وسميع الدعاء.

هذا وقد انتهيت من سلسلة تاريخ عصر الخلفاء الراشدين فى ٢١/ صفر/ ١٤٢٥ هـ الموافق ١١/ ٤/ ٢٠٠٤م الساعة العاشرة إلا ربعاً ليلاً، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله البركة والقبول، وأن يكرمنا برفقة النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

وبهذا الكتاب أضع سلسلة عصر الخلفاء الراشدين بين يدى قارئها، ولا أدعى الكمال فيها، قال الناظم:

وما بها من خطأ ومن خلل أذنت فى إصلاحه لمن فعل
لكن بشرط العلم والإنصاف فذا وذا من أجمل الأوصاف

والله يهْدِي سُبُلَ السَّلام سُبْحَانَهُ بِحَبْلِهِ اعْتَصِمَا مِي

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيَّ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَا أَنْ يَجْعَلَ هَذِهِ السَّلْسَلَةَ التَّارِيخِيَّةَ لَوَجْهِهِ خَالِصَةً، وَلِعِبَادِهِ نَافِعَةً، وَأَنْ يَثْبِيْنِي عَلَى كُلِّ حَرْفٍ كَتَبْتَهُ وَيَجْعَلَهُ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِي، وَأَنْ يَثْبِيْبَ إِخْوَانِي الَّذِينَ أَعَانُونِي بِكَافَّةٍ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ أَجْلِ إِتْمَامِ هَذَا الْجُهْدِ الْمُتَوَاضِعِ، وَنَرْجُو مِنَ الْقَارِئِ الْكَرِيمِ أَنْ لَا يَنْسِيَ الْعَبْدَ الْفَقِيرَ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ فِي صَالِحِ دَعَائِهِ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الْفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ

عَلَى مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ الصَّالِحِي

٢١/صفر/١٤٢٥هـ

الأخوة القراء الكرام:

يسر المؤلف أن تصله ملاحظاتكم حول هذا الكتاب وغيره من كتبه من خلال دور النشر، ويطلب من إخوانه الدعاء في ظهر الغيب بالإخلاص والصواب، ومواصلة المسيرة في خدمة تاريخ أمتنا.

الفصل الأول

الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
منذ ولادته حتى خلافته

المبحث الأول

اسمه ونسبه وكنيته وصفته وأسرته فى عهد النبوة

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته:

هو أبو محمد الحسن بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمى القرشى^(١)، المدنى الشهيد^(٢)، فهو سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا، وهو سيد شباب أهل الجنة، فهو ابن السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأبوه أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وحفيد أم المؤمنين خديجة وخامس الخلفاء الراشدين.

ثانياً: مولده وتسميته ولقبه وفقه النبى فى تسمية المواليد:

ولد رضى الله عنه وأرضاه فى رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية على الصحيح، وقيل: ولد فى شعبان، وقيل: ولد بعد ذلك، قال الليث بن سعد: ولدت فاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن على فى شهر رمضان من ثلاث، وولدت الحسين فى ليال خلون من شعبان سنة أربع^(٣)، وقال البرقى أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم: ولد الحسن فى النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية^(٤)، ومثله قاله ابن سعد فى طبقاته^(٥)، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه، لما ولد الحسن سميته حرباً فجاء النبى ﷺ فقال: أرونى ابنى ما سميتموه؟ قلنا: حرباً، قال: لا، بل هو حسن، فلما ولد الحسين سميته حرباً، فجاء النبى ﷺ فقال: أرونى ابنى ما سميتموه؟ قلنا: حرباً، قال: بل هو حسين. فلما ولد الثالث سميته حرباً، فقال: بل هو محسن، ثم قال: إنى سميتهم بولد هارون: شبر وشبير ومشبر^(٦)، وقد فرح رسول الله بهذا المولود الجديد وسارع الناس بتهنئة

(١)، (٢) سير أعلام النبلاء (٢٤٦/٣).

(٣) نسب قريش (٢٣/١) الدوحة النبوية، ص (٧١).

(٤) الذرية الطاهرة للدولابى، ص (٦٩).

(٥) الطبقات (١/٢٢٦).

(٦) مسند أحمد (٩٨/١، ١١٨) صحيح ابن حبان (٤١٠/١٥) إسناده الحديث صحيح.

الأبوين بهذا السبط المبارك، وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم يسرعون فى زف البشرى لأهل المولود الجديد، وقد ثبت عن الحسن البصرى تهنئة لطيفة يقول فيها: بورك لك فى الموهوب وشكرت الواهب ورزقت برّه وبلغ أشده، ونلاحظ أن رسول الله ﷺ عندما سُمى الحسن والحسين رضى الله عنهما عدل بهما عن مسميات قبل الإسلام وما تدل عليه أسماؤهما من القتال وسفك الدماء فاختر لهما أكرم الأسماء وأجل المعانى^(١)، وقد وصف الحسن رضى الله عنه بالسيد ولقبه بهذا اللقب جده الرسول الكريم محمد ﷺ كما جاء فى الحديث الصحيح: «إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»^(٢).

ونتعلم من هدى النبى ﷺ قيمة مهمة فى حياتنا وهى الحرص على اختيار أجمل وأحسن الأسماء لأبنائنا، وهذا توجيه للأباء والأمهات على اختيار الاسم الحسن فى اللفظ والمعنى فى قالب النظر الشرعى واللسان العربى، فيكون: حسناً، عذباً على اللسان، مقبولاً للأسماع، يحمل معنى شريفاً كريماً، ووصفاً صادقاً، خالياً مما دلت عليه الشريعة على تحريمه أو كراهته، مثل: شوائب التشبه والمعانى الرخوة ومعنى هذا أن لا يختار الأب المسلم اسماً إلا وقد قلب النظر فى سلامة لفظه ومعناه على علم ووعى وإدراك، وأن يستشير بصيراً فى سلامته مما يحذر، فهو أسلم وأحكم، ومن الجارى قولهم: حق الولد على والده أن يختار له أمّاً كريمة وأن يسميه اسماً حسناً. وأن يورثه أدباً حسناً. وقد بين العلماء أن للأسماء المشروعة رتباً ومنازل وهى مستحبة وجائزة وهى على الترتيب كالاتى:

١- استحباب التسمية بهذين الاسمين: عبد الله وعبد الرحمن وهما أحب الأسماء إلى الله تعالى، كما ثبت الحديث بذلك عن النبى ﷺ من الأسماء المتضمنة العبودية لله فى معانيها، وميزة هذه الأسماء أنها أصدق تعبير على حقيقة عبودية الإنسان لربه وفقره وذله له، من حديث ابن عمر رضى الله عنهما، حيث قال: إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن^(٣)، وذلك لاشتغالهما

(١) الحسن بن على ودوره السياسى، فيتخان كردى، ص (١٦).

(٢) البخارى (٣٠٦/٢).

(٣) مسلم رقم (٢١٣٢).

على وصف العبودية . وقد خصّها الله فى القرآن ، بإضافة العبودية إليها دون سائر أسمائه الحسنى ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن : ١٩] وقوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ [الفرقان : ٦٣] ، وجمع بينهما فى قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء : ١١٠] . وقد سمى النبى ﷺ ابن عمّه العباس : عبد الله رضى الله عنهما ، وفى الصحابة رضى الله عنهم نحو ثلاثمائة رجل كل منهم اسمه عبد الله ، وبه سُمى أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة إلى المدينة ، عبد الله ابن الزبير (١) .

٢- التسمية بأسماء أنبياء الله ورسله : لأنهم سادات بنى آدم وأخلاقهم أشرف الأخلاق ، وأعمالهم أزكى الأعمال ، فالتسمية بأسمائهم تذكر بهم وبأوصافهم وأحوالهم ، وقد أجمع العلماء على جواز التسمية بهم ، ولنا فى رسول الله أسوة حسنة حيث سُمى ابنه إبراهيم ، وأفضل أسماء الأنبياء : اسم نبينا ورسولنا محمد ابن عبد الله ﷺ وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين أجمعين (٢) .

٣- التسمية بأسماء الصالحين من المسلمين : وصحابة رسول الله إلى يوم الدين ، وقد كان لصحابة رسول الله نظر لطيف فى ذلك ، فهذا الصحابى ، الزبير بن العوام رضى الله عنه يسمى أولاده - وهم تسعة - بأسماء بعض شهداء بدر رضى الله عنهم ، وهم : عبد الله ، المنذر ، عروة ، حمزة ، جعفر ، مصعب ، عبيدة ، وخالد .

٤- ثم يأتى من الأسماء ما كان وصفًا صادقًا للإنسان : بشروطه وآدابه واسم المولود يكتسب الصفة الشرعية متى توافرت فيه ، وهذه شروط منه : أن يكون حسن المبنى والمعنى لغة وشرعًا ، ويخرج بهذا كل اسم محرم أو مكروه إما فى لفظه أو معناه أو فيهما كليهما وإن كان جاريًا فى نظام العربية ، كالتسمى بما معناه التزكية ، أم المذمة أو السب ، بل يسمى بما كان صدقًا وحقًا (٣) وقد قام رسول الله ﷺ بذلك .

(١) تسمية المولود ، بكر عبد الله أبو زيد ، ص (٣٣) .

(٢) المصدر نفسه ، ص (٣٥ ، ٣٦) .

(٣) المصدر السابق نفسه ، ص (٣٩) .

وقد دلت الشريعة على تحريم تسمية المولود في واحد من الوجوه الآتية:

١- اتفق المسلمون على أنه يحرم كل اسم معبد لغير الله مثل عبد الرسول، عبد النبي، عبد علي، عبد الحسين، عبد الأمير - يعنى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه - عبد الصاحب، فالخلق كلهم مهما علوا فهم عباد خاضعون ذليلون فقراء لله، والله تعالى هو المستحق وحده للعبادة، فلا ينبغي التسمية بالتعبد لغير الله من خلقه.

٢- التسمية بالأسماء الأعجمية المولدة للكافرين الخاصة بهم، والمسلم المطمئن بدينه يتعد عنها وينفر منها ولا يحوم حولها، وقد عظمت الفتنة بها فى زماننا، فيلتقط اسم الكافر من أوروبا، وأمريكا وغيرها، وهذا من أشد مواطن الإثم وأسباب الخذلان، ومنها: بطرس، جرجس، جورج، ديانا.. وغيرها. وهذا التقليد للكافرين فى التسمي بأسمائهم، إن كان مجرد هوى وبلادة ذهن، فهو معصية كبيرة وإثم^(١)، وقد فصل الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد فى كتابه تسمية المولود فمن أراد الزيادة والتوسع فليراجعه^(٢).

ثالثاً: تأذين رسول الله فى أذن الحسن:

لما ولد الحسن أذن رسول الله ﷺ فى أذنيه بالصلاة كما روى ذلك عن أبى رافع^(٣)، والسر فى ذلك وحكمته كما قال الدهلوى: - رحمه الله -:

١- الأذان من شعائر الإسلام.

٢- إعلام الدين الإسلامى.

٣- ثم لا بد من تخصيص المولود بذلك الأذان بأن يؤذن فى أذنه.

٤- علمت أن من خاصية الأذان أن يفر منه الشيطان، والشيطان يؤذى الولد فى أول نشأته، فقد ثبت أن النبى ﷺ قال: ما من مولد يولد إلا والشيطان يمسه.

(١)، (٢) تسمية المولود، بكر بن عبد الله بن زيد، ص (٤٧).

(٣) سنن أبى داود (٥١٠٥) إسناده ضعيف فيه عاصم بن عبيد الله، ضعفه ابن معين وقال البخارى: منكر الحديث كما فى الكاشف (٢٥٣٠).

فينستهل صارخاً من مس الشيطان^(١) إلا مريم وابنها^(٢)، وثبت قوله ﷺ: إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين^(٣).

وأضاف ابن القيم - رحمه الله - أسراراً أخرى للتأذين فقال:

٥- أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله الدنيا، كما يلحق التوحيد عند خروجه منها.

٦- وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثيره به، وإن لم يشعر مع ما في ذلك من فائدة أخرى وهي:

٧- هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به.

٨- وفيه معنى آخر وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته، سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر عليها على تغيير الشيطان لها ونقله عنها، ولغير ذلك من الحكم^(٤)، وهكذا نتعلم من هدى النبي ﷺ، استحباب الأذان في أذن المولود اليمنى ثم تقام الصلاة في الأذن اليسرى، وبذلك يكون أول ما يلامس أذنيه الدعوة إلى الركن الركين في هذا الدين بعد توحيد رب العالمين^(٥).

رابعاً: تحنيك المولود:

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يؤتى بالصبيان، فيبرك عليهم ويحنكهم^(٦)، فمن باب أولى أن يكون ﷺ برك على الحسن وحنكه، يقول

(١) حجة الله البالغة (٢/ ٣٨٥).

(٢) البخارى (١٩٦/٥) رقم (٤٥٤٨).

(٣) البخارى (١/ ١٧٠) رقم (٦٠٨).

(٤) منهج التربية النبوية للطفل، محمد سويد نقلاً عن تحفة المودود لابن القيم، ص (٥٤) تحقيق فواز أحمد زمرلى.

(٥) موسوعة تربية الأجيال المسلمة، نصر العنقري، ص (٦٦).

(٦) مسلم (٢٣٧/١) رقم (٢٨٦).

النوى - رحمه الله - معلقاً على قول عائشة رضى الله عنها: فيبرك عليهم أى يدعو لهم ويمسح عليهم، وأصل البركة ثبوت الخير وكثرته، وقولها: فيحنكهم، قال أهل اللغة التحنك أن يمسح التمر أو نحوه ثم يدلك به حنك الصغير^(١). والحنك يكون عقب التأذين إن أمكن ذلك، ويفضل إن أمكن أن يقوم بالحنك رجل صالح، وفى ذلك تأسى بالصحابة الكرام حيث حرصوا على إرسال أبنائهم إلى النبى ﷺ ليحنكهم، ويستخدم فى التحنك التمر، فإن لم يوجد فشئ حلو، وسبب ذلك:

١- لأن التمر مثل حليب الأم، يحمل جميع الفيتامينات التى يحتاجها جسم الغلام.

٢- الغلام الصغير يولد بحاسة التذوق، فإذا استخدمت معه التمر تنبهت هذه الحاسة وحرك لسانه وفمه، فكان بذلك أقدر على التقاط ثدى أمه عند الرضاع.

٣- المعدة تمتص السكريات بسرعة فائقة، وبذلك لا يشكل التحنك أى معاناة معوية للغلام^(٢).

يقول الدكتور فاروق مساهل - مجلة الأمة القطرية عدد (٥٠) فى مقالته تحت عنوان - اهتمام الإسلام بتغذية الطفل معلقاً على حديث التحنك ما نصه - : والحنك بكل المقاييس معجزة نبوية طبية مكثت البشرية أربعة عشر قرناً من الزمان لكى تعرف الهدف والحكمة من ورائها، فلقد تبين للأطباء أن كل الأطفال الصغار وخاصة حديثى الولادة والرضع معرضون للموت لو حدث أحد أمرين:

- إذا نقصت كمية السكر فى الدم بالجوع.

- إذا انخفضت درجة حرارة أجسامهم عند التعرض للجو البارد المحيط بهم^(٣).

(١) شرح النوى على صحيح مسلم.

(٢) موسوعة تربية الأجيال المسلمة، ص (٦٨).

(٣) منهج التربية النبوية، ص (٦٤).

خامساً: حلق شعر رأس الحسن رضى الله عنه:

عن جعفر بن محمد، عن أبيه: أن فاطمة حلقت حسناً وحسيناً يوم سابعهما فوزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضة^(١)، والأحاديث في هذا الباب صحيحة بمجموع طرقها^(٢). وقال الشيخ الدهلوى - رحمه الله - معلقاً على الحديث: السبب في التصديق بالفضة، أن الولد لما انتقل من الجنينة إلى الطفولية كان ذلك نعمة يجب شكرها وأحسن ما يقع به الشكر ما يؤذن^(٣) أنه عوضه... وأما تخصيص الفضة فلأن الذهب أغلى ولا يجده إلا غنى وسائر المتاع ليس له بال بزنة شعر المولود^(٤).

سادساً: العقيقة:

عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ عَقَّ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً^(٥)، وفي رواية: كبشين كبشين^(٦)، وعن أبي رافع: أن الحسن بن عليّ لما ولد أرادت أمه أن تعق عنه بكبشين، فقال رسول الله ﷺ: لا تعق عنه، ولكن أحلقتى شعر رأسه فتصدقتى بوزنه من الورق، ثم ولد الحسين، فصنعت مثل ذلك^(٧). وإنما صرفها ﷺ عن العقيقة لتحمله عنها ذلك لا تركاً بالأصالة. يدل عليه حديث عليّ رضى الله عنه: عَقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن (بشاة) وقال: «يا فاطمة أحلقتى رأسه وتصدقتى بزنة شعره فضة»، فوزنائه فكان وزنه درهماً أو بعض درهم. خرّجه الترمذى^(٨)، وقد روى عن فاطمة أنها عَقَّت عنهما وأعطت القابلة^(٩) فخذ شاة وديناراً واحداً^(١٠)، ولعل فاطمة باشرت الإعطاء، وكان مما عَقَّ

(١) الطبقات، الطبقة الخامسة (٢٣١/١) إسناده مرسل.

(٢) موسوعة تربية الأجيال، ص (٧٢).

(٣) يؤذن: يشعر.

(٤) حجة الله البالغة (٣٨٥/٢).

(٥) سنن أبي داود في الأضاحى رقم (٢٨٤١) فى إسناده ضعف.

(٦) سنن النسائى (١٦٦/٧) باب كم يعق عن الجارية، إسناده صحيح.

(٧) مسند أحمد (٣٩٢/٦) فى إسناده ضعف.

(٨) سنن الترمذى رقم (١٥١٩) حسن غريب إسناده ليس متصلاً.

(٩) القابلة: الداية أو المولدة.

(١٠) تحفة المودود، ص (٥٥) لابن القيم.

به ﷺ عن الحسن يوم سابعه بكبشين أُمْلَحَيْن، وأعطى القابلة الفخذ، وحلق رأسه وتصدَّق بزنة الشعر، ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخلُّوق^(١) ثم قال: يا أسماء، الدم من فعل الجاهلية. فلما كان بعد حول ولد الحسين^(٢).

إن للعقيقة فوائد جمة منها، أنها قربان عن المولود يقدم إلى الله مع خروج الغلام إلى الدنيا، وبذلك تقدم الشكر على ما أنعم الله عليك وغير ذلك من الفوائد. وقد قال الشيخ الدهلوى - رحمه الله - : يستحب لمن وجد الشاتين أن ينسك بهما عن الغلام وذلك لما عندهم أن الذكران أنفع لهم من الإناث فتناسب زيادة الشكر وزيادة التنويه. أما سبب الأمر بالعقيقة فهو أن العرب كانوا يعقون عن أولادهم، وكانت العقيقة أمراً لازماً عندهم وسنة مؤكدة، وكان فيها مصالح كثيرة راجعة إليه المصلحة المالية والمدنية والنفسية فأبقاها الرسول ﷺ وعمل بها ورغب الناس فيها إلا أن رسول الله ﷺ غيّر في تقاليدها، فعن بريدة رضى الله عنه قال: كنا في الجاهلية إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة ولطخنا رأسه بدمها، فلما كان الإسلام كنا إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة وحلقنا رأسه، ولطخنا رأسه بزعفران^(٣). وهذا من الفقه النبوى فإنه لما رأى عادة فيها منفعة للناس مشوبة ببعض الانحراف - تلطيخ رأس المولود بالدم - فلم يبحها مطلقاً بدعوى حاجة الناس إليها، وفي نفس الوقت لم يمنعها مطلقاً بسبب ما فيها من انحراف، وإنما حافظ على ما يحقق الناس في هذه العادة وأكدته ونهى عن العادة الجاهلية وحرّمها وهذه حكمة نبوية جديرة بالاهتمام والتأمل.

سابعاً: ختان^(٤) الحسن بن على رضى الله عنه:

عن جابر رضى الله عنه: أن النبى ﷺ عَقَّ عن الحسن والحسين، وختنهما لسبعة أيام^(٥)، وعن محمد بن المنكدر أن النبى ﷺ ختن الحسين لسبعة أيام^(٦)،

(١) الخلق: ضرب من الطيب.

(٢) ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى، لأبى العباس الطبرى، ص (٢٠٧).

(٣) المستدرک للحاکم (٢٣٨/٤) صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى.

(٤) الختان: لغة قطع القلفة أى الجلدة التى على رأس الذكر.

(٥) سنن البيهقى (٣٢٤/٨) إسناده ضعيف.

(٦) البخارى (١٨٤/٧) رقم (٦٢٩٧).

والختان من أمور الفطرة، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الفطرة خمس: الختان، والاستحدا، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط» (١).

والختان صبغة الحنيفة، فهو للحنفاء بمنزلة الصبغ والتعميد عند عباد الصليب، فهم يطهرون أولادهم بزعمهم حين يصبغونهم فى ماء المعمودية، ويقولون: الآن صار نصرانياً، فشرع الله سبحانه للحنفاء صبغة الحنيفة، وجعل ميسمها الختام (٢)، فقال عز من قائل: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، والمقصود أن صبغة الله هى الحنيفة التى صبغت القلوب بمعرفته ومحبه والإخلاص له وعبادته وحده لا شريك له، وصبغة الأبدان بخصال الفطرة من الختان والاستحدا وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط والمضمضة والاستنشاق والسواك والاستنجاء، فظهرت فطرة الله على قلوب الحنفاء وأبدانهم (٣)، ومن اللطائف الفقهية فى أمر الختان ما ذكره الخطابى: أما الختان فإنه وإن كان مذكوراً فى جملة السنن فإنه عند كثير من العلماء على الوجوب، وذلك أنه شعار الدين، وبه يعرف المسلم من الكافر إذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين صلى عليه ودفن فى مقابر المسلمين (٤).

ثامناً: مرضعة الحسن بن على أم الفضل رضى الله عنهما:

عن أم الفضل قالت: قلت: يا رسول الله رأيت فى المنام كأن عضواً من أعضائك فى بيتى أو قالت: فى حجرتى فقال: تلد فاطمة غلاماً إن شاء الله فتكفلينه، قالت: فجئت به يوماً إلى النبى ﷺ، فبال على ظهره فدحيت (٥) فى ظهره، فقال النبى ﷺ: «مهلاً يرحمك الله أوجعت ابنى». فقلت: ادفع إلى إزارك فأغسله فقال: لا، صبى عليه الماء فإنه يصب على بول الغلام ويغسل بول الجارية (٦).

(١) مسلم رقم (٢٥٧).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٥٣).

(٣) موسوعة تربية الأجيال، ص (٧٥).

(٤) منهج التربية النبوية للطفل، ص (٦٩).

(٥) لطمته بيدها فى رواية أخرى.

(٦) المستدرك (١/١٦٦) وصححه ووافقه الذهبى، وهناك من ضعفه.

وأم الفضل هي امرأة العباس بن عبد المطلب اسمها لبابة بنت الحارث الهلالية وهي لبابة الكبرى، أسلمت قبل الهجرة^(١)، وقال ابن سعد: أم الفضل أول امرأة آمنت بعد خديجة^(٢). وروى عن النبي ﷺ، وروى عنها ابنها عبد الله وتام، وعمير بن الحارث مولاهما وكُربى مولى ابنها وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الحارث بن نوفل وآخرون.

وأخرج الزبير بن بكار وغيره، عن ابن عباس عن النبي ﷺ: الأخوات الأربع مؤمنات: أم الفضل، وميمونة، وهي شقيقة أم الفضل، وأما أسماء وسلمى فأختاهما من أبيهما وهما بنتا عُميس الخثعمية^(٣) وأم الفضل خالة خالد بن الوليد رضى الله عنه^(٤)، فأم خالد هي لبابة الصغرى بنت الحارث الهلالية^(٥). وكان يقال عن والدته أم الفضل بأنها أكرم الناس أصهار ميمونة زوج النبي ﷺ، والعباس تزوج أختها شقيقته لبابة أم الفضل، وحمزة تزوج أختها سلمى، وجعفر بن أبى طالب شقيقته أسماء، ثم تزوجها بعده أبو بكر الصديق ثم تزوجها بعده على بن أبى طالب^(٦) رضى الله عنهم جميعاً. وقد قال ابن عمر: كانت من المنجيات وكان النبي ﷺ يزورها^(٧)، وفى الصحيح: أن الناس شكوا فى صيام النبي ﷺ يوم عرفة، فأرسلت إليه أم الفضل بقدر لبن فشرب وهو بالموقف فعرفوا أنه لم يكن صائماً^(٨)، وتحكى لنا أم الفضل رضى الله عنها عن آخر ما سمعت من رسول الله ﷺ - قرأ فى المغرب بسورة ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١]. فقالت: يا بنى لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها فى المغرب^(٩)، وعاشت أم الفضل إلى خلافة أبى بكر الصديق وخلافة

(١)، (٢) الطبقات لابن سعد (٢٧٧/٨) ..

(٣) موسوعة عظماء حول الرسول، خالد العك (٢١٦٢/٣).

(٤) سيرة آل بيت النبی الأطهار، مجدى فتحى، ص (٣١).

(٥) الاستيعاب رقم الترجمة، ص (٦١٠).

(٦) الإصابة فى تمييز الصحابة (٨/ ٤٥٠).

(٧) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (١٩٠٨/٤).

(٨) البخارى، ك الحج رقم (١٦٦١).

(٩) البخارى رقم (٧٦٣).

الفاروق من بعده وفى أثناء خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنهم جميعاً، توفيت قبل زوجها العباس^(١) رضى الله عنهما، وقد ولدت للعباس ستة رجال لم تلد امرأة مثلهم وهم: الفضل وبه كانت تُكنى ويكنى زوجها العباس أيضاً -أبو الفضل- وعبد الله الفقيه، وعبيد الله الفقيه، ومعبد، وقُثم، وعبد الرحمن وأم حبيبة سابعة - وفى أم الفضل هذه يقول عبد الله بن يزيد الهلالي:

ما ولدت نجيبة من فحل بَجَلٍ نعلمه وسَهْلٍ
كسنة من بطن أم الفضل أكرم بها من كهلة وكَهْلٍ
عم النبي المصطفى ذى الفضل وخاتم الرسل وخير الرسل^(٢)

تاسعاً: زواج الحسن وزوجاته والروايات التى حولهن:

وقد ذكر المؤرخون أن من زوجاته، خولة الفزازية، وجعدة بنت الأشعث، وعائشة الخثعمية، وأم إسحاق بنت طلحة بنت عبيد الله التميمي، وأم بشير بنت أبى مسعود الأنصارى، وهند بنت عبد الرحمن بن أبى بكر، وأم عبد الله وهى بنت الشليل بن عبد الله أخى جرير البجلي، وامرأة من بنى ثقيف وامرأة من بنى عمرو بن أهيم المنقرى، وامرأة من بنى شيان من آل همام بن مرة وربما تجاوز هذا العدد بقليل، وهو كما ترى لا يمت إلى الكثرة المزعومة بصلة بعرف ذلك العصر، وأما ما رواه رواة الأثر، فى كونه تزوج سبعين وفى بعض الروايات تسعين والبعض الآخر مائتين وخمسين والبعض الآخر ثلاثمائة وروى غير هذا إلا أنه من الشذوذ بمكان وهذه الكثرة المزعومة موضوعة.

وأما الروايات فهى كالتالى:

١- الرواية الأولى: فقد ذكرها ابن أبى الحديد وغيره^(٣)، وقد أخذوها عن على ابن عبد الله البصرى الشهير بالمداين المتوفى سنة ٢٢٥هـ وهو من الضعفاء الذين لا يعول على أحاديثهم، فقد امتنع مسلم من الرواية عنه فى صحيحه^(٤)، وضعفه

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة (٨/٤٥١).

(٢) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (٤/١٩٠٨).

(٣) حياة الإمام الحسن بن على (٢/٤٤٥ - ٤٦٠).

(٤) ميزان الاعتدال (٣/١٣٨).

ابن عدى فى الكامل فقال فيه : ليس بالقوى الحديث وهو صاحب الأخبار قل ما له من الروايات المسندة^(١) .

٢- الرواية الثانية فهى مرسله : والمرسل من أنواع الضعيف .

٣- وأما الرواية الثالثة والرابعة: فقد ذكرها صاحب قوت القلوب لأبى طالب المكى وهو لا يعول على مؤلفه، وعلى كل حال فالرقم القياسى لكثرة أزواج أمير المؤمنين الحسن مستندة إليه ومأخوذة عنه، وقد اشتهر أبو طالب المكى بالزهد والوعظ وذكر فى القوت أشياء منكورة^(٢)، وذكر فى كتابه أحاديث لا أصل لها^(٣)، فقد جاء فى كتابه قوت القلوب: وتزوج الحسن بن على مائتين وخمسين، وقيل: ثلاثمائة، وكان على يضجر من ذلك ويكره حياءً من أهلهم إذا طلقهن، وكان يقول: إن حسناً مطلق فلا تنكحوه، فقال له رجل من همدان: والله يا أمير المؤمنين لننكحته ما شاء، فمن أحب أمسك، ومن كره فارق فسرّ على بذلك وأنشأ يقول:

لو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام
... وكان الحسن ربما عقد له أربعة وربما طلق أربعة^(٤)، فهذه روايات لا تصح ولا تثبت وبالتالي لا يعول عليها.

وقد جاءت قصص فى أسانيدھا ضعف شديد تتعلق بزواج الحسن منها:

١- عن الهذلى، عن ابن سيرين قال: كانت هند بنت سهيل بن عمرو^(٥) عند عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد^(٦) وكان أبا عذرتها^(٧)، فطلقها فتزوجها عبد الله

(١) لسان الميزان (٢٥٢/٤).

(٢) المصدر نفسه (٣٣٩/٥).

(٣) البداية والنهاية (٣٤١/١١).

(٤) قوت القلوب (٢٤٦/١).

(٥) هند بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس أسلم أبوها عام الفتح وكانت عند حفص بن عبد زمعة وولدت له ثم خلف عليها عبد الرحمن بن عتاب ثم عبد الله بن عامر ثم خلف عليها حسين بن على، هكذا فى نسب قريش، ص (٤٢٠).

(٦) عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد كان والده والى مكة لرسول الله ﷺ وكان عبد الرحمن مع على يوم الجمل وقتل فى المعركة، انظر أنساب قريش، ص (١٩٣).

(٧) العذرة: البكارة، وقال ابن الأثير: العذرة: ما للبكر من الالتحام قبل الاقتضاى وجارية عذراء بكر لم =

ابن عامر بن كريز^(١)، ثم طلقها، فكتب معاوية إلى أبي هريرة أن يخطبها على زيد بن معاوية، فلقبه الحسن بن علي فقال: أين تريد؟ قال: أخطب هند بنت سهيل بن عمرو على يزيد بن معاوية، قال: أذكرني لها، فأتاها أبو هريرة، فأخبرها الخبر فقالت: خر لي، قال: أختار لك الحسن، فتزوجها، فقدم عبد الله ابن عامر المدينة، فقال للحسن: إن لي عندها وديعة فدخل إليها والحسن معه وجلس بين يديه فرَّق ابن عامر فقال الحسن: ألا أنزل لك عنها، فلا أراك تجد محللاً^(٢) خيراً لكما مني فقال: وديعتي، فأخرجت سفتين فيهما جواهر ففتحهما، فأخذ من واحد قبضة وترك الباقي فكانت تقول: سيدهم جميعاً الحسن وأسخاهم ابن عامر، وأحبهم إلى عبد الرحمن بن عتاب^(٣)، وهذه القصة في إسنادهما الهذلي وهو إخباري متروك الحديث وقال الذهبي: مجمع على ضعفه^(٤).

٢- عن سحيم بن حفص الأنصاري، عن عيسى بن أبي هارون المزني، قال: تزوج الحسن بن علي حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر^(٥)، وكان المنذر بن الزبير هوَيهَا، فأبلغ الحسن عنها فطلقها الحسن فخطبها المنذر فأبت أن تزوجه وقالت: شهرني، فخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب^(٦) فتزوجها، فرقى إليه المنذر أيضاً شيئاً فطلقها، ثم خطبها المنذر فقبل لها: تزوجيه، فيعلم الناس أنه كان يعصمك^(٧)، فتزوجته فعلم الناس أنه كذب عليها، فقال الحسن لعاصم بن عمر: انطلق بنا حتى نستأذن المنذر فندخل عليها، فدخل فكانت إلى عاصم أكثر نظراً

= بمسها رجل، ويقال: فلان أبو عذرتها إذا كان أول من اقترعها وافترضها، لسان العرب مادة عذر (٥٥١/٤).

(١) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة من بنى عبد شمس ابن خال عثمان بن عفان ولد على عهد النبي ﷺ، وجزم ابن حبان أن له رؤية للنبي ﷺ وقد ذكرت سيرته في كتابي عثمان بن عفان، ص (٣١٩).

(٢) للمحلل هو: الذي يتزوج امرأة قد بانت من زوجها الأول بقصد تحليلها للزوج الأول وقد جاء النهي عن ذلك كما في الحديث: لعن الله المحلل والمحلل له، انظر: الإرواء رقم (١٨٩٧).

(٣) الطبقات الكبرى، الطبعة الخامسة من الصحابة (٣٠٣/١).

(٤) ديوان المتروكين والضعفاء، ص (٣٥٢).

(٥) حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر روت عن عمتها عائشة وخالتها أم سلمة.

(٦) عاصم بن عمر بن الخطاب من تابعي أهل المدينة توفي سنة ٧٠ هـ، تقريب التهذيب (٣٨٥/١).

(٧) العَصَّة والعِصَّة والعِصِيَّة: البهينة وهي: الإفك والبهتان.

منها إلى الحسن وكانت إليه أبسط في الحديث، فقال الحسن للمنذر: خذ بيدها فأخذ بيدها، وقام الحسن وعاصم فخرجا وكان الحسن يهواها وإنما طلقها لما رقا إليه المنذر، فقال الحسن يوماً لابن أبي عتيق وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، وحفصة عمته: هل لك في العقيق^(١)؟ قال: نعم، فخرجا فمرا على منزل حفصة، فدخل إليها الحسن فتحدثا طويلاً ثم خرج، ثم قال الحسن مرة أخرى لابن أبي عتيق: هل لك في العقيق؟ فقال: يا ابن أم ألا تقول: هل لك في حفصة^(٢)؟ وفي إسناد هذا الحديث رجال لا توجد لهم ترجمة في كتب الجرح والتعديل ويكفى في ضعفه نكارة منته^(٣).

٣- حدثنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قال علي: ما زال الحسن يتزوج ويطلق حتى خشيت أن يورثنا عداوة القبائل^(٤)، وهذا الأثر مرسل ضعيف^(٥).

إن الروايات التاريخية التي تشير إلى الأعداد الخيالية في زواج الحسن بن علي رضي الله عنه لا تثبت من حيث الإسناد، وبالتالي لا تصلح للاعتماد عليها نظراً للشبه والطعون التي حامت حولها، ويؤيد افتعال تلك الكثرة أمور منها:

١- إنها لو صحت لكان للحسن بن علي رضي الله عنه من الأولاد جمع غفير يتناسب معها والحال الذي ذكر لها اثنان وعشرون ولداً ما بين ذكر وأنثى، وهذا العدد يعتبر طبيعياً بالنسبة لذلك العصر ويتناقض كلياً مع تلك الكثرة ولا يلتقى معها بصلة.

٢- ومما يدل على وضع ذلك وعدم صحته ما روى أن أمير المؤمنين رضي الله عنه كان يصعد المنبر ويقول: لا تزوجوا الحسن فإنه مطلق، كما ذكر ذلك صاحب قوت القلوب^(٦)، فنهى أمير المؤمنين الناس عن تزويج ولده على المنبر لا يخلو إما

(١) العقيق: واد بناحية المدينة فيه مزارع وبساتين.

(٢) الطبقات الكبرى الطبقة الخامسة من الصحابة (٣٠٧/١).

(٣) المصدر نفسه (٣٠٥/١).

(٤)، (٥) المصدر نفسه (٣٠١/١).

(٦) قوت القلوب (٢٤٦/٢).

أن يكون قد نهى ولده عن ذلك فلم يستجب له حتى اضطر إلى الجهر به وإلى نهى الناس عن تزويجه، وإما أن يكون ذلك النهى ابتداء من دون أن يعرف ولده الحسن بغض والده وكرهية أبيه لذلك، وكلا الأمرين بعيدان كل البعد. أما الأول، فهو بعيد لأن الحسن رضى الله عنه كان باراً بأبيه ولا يخالفه ولا يعصى أمره، وأما الثانى، فبعيد أيضاً لأن الأولى بأمر المؤمنين أن يعرف ولده ببغضه وكرهته لذلك ولا يعلن ذلك على المنبر أمام الجماهير الحاشدة، مما يسبب اضطراباً فى العلاقات الأسرية بين الوالد وولده. ومضافاً إلى ذلك أن الأمر إما أن يكون سائغاً شرعاً أو ليس بسائغ، فإن كان سائغاً فما معنى نهى أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وإن لم يكن سائغاً، فكيف يرتكبه الحسن؟ إنا لا نشك فى افتعال هذا الحديث ووضعه من خصوم الحسن بن على رضى الله عنه ليشوهوا بذلك سيرته العطرة^(١)، والتى توجت بمساعيه فى وحدة الأمة، وهذه عادة الرواة الكذبة فى تشويه سيرة المصلحين وتاريخ الأمة، ومن هنا تتضح أهمية علم الجرح والتعديل والحكم على الروايات والدور العظيم الذى قام به علماء الحديث فى بيان زيف مثل هذه الأخبار. ولذلك ننصح الباحثين فى تاريخ صدر الإسلام الاهتمام بنقد مثل هذه الروايات حتى يميزوا صحيحها من سقيمها؛ فيقدموا للأمة خدمة جليلة ولا يتورطوا مثل ما تورط فيه بعض السادة الذين لا نشك فى نواياهم بسبب اعتمادهم فى بحوثهم على الروايات الضعيفة والموضوعة.

٣- وما يؤيد افتعال تلك الكثرة لأزواجه ما روى أن الحسن بن على رضى الله عنه لما وافاه الأجل المحتوم خرج جمهرة من النسوة حافيات حاسرات خلف جنازته وهن يقلن: نحن أزواج الإمام الحسن. إن افتعال ذلك صريح واضح، فإنا لا نتصور ما يبرر خروج تلك الكوكبة من النسوة حافيات حاسرات، وهن يهتفن أمام الجماهير بأنهن زوجات الحسن، فإن كان الموجب لخروجهن إظهار الأسى والحزن، فما الموجب لهذا التعريف والسير فى الموكب المزدحم بالرجال مع أنهن قد أمرن بالتستر وعدم الخروج من بيوتهن، إن هذا الأثر وأمثاله لا يصح ولا يثبت من حيث الإسناد.

(١) حياة الإمام الحسن (٢/٤٥١).

ومن الأخبار الموضوعة التى تشابه تلك الأخبار ما رواه محمد بن سيرين، أن الحسن رضى الله عنه تزوج بامرأة فبعث لها صداقاً مائة جارية مع كل جارية ألف درهم^(١). ويستبعد أن يعطى الحسن بن على رضى الله عنه هذه الأموال الضخمة مهراً لإحدى زوجاته، فإن ذلك لون من ألوان الإسراف والتبذير وهو منهى عنه فى الإسلام، فقد أمر بالاعتصار على مهر السنة، وسبب ذلك تسهيل أمر الزواج لئلا يكون فيه إرهاق وعسر على الناس، ومن المؤكد أن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه لا يخالف سنة جده عليه السلام، ولا يسلك أى مسلك يتنافى مع شريعته، إن هذا الحديث وأمثاله من الموضوعات تؤيد وضع كثرة الأزواج، وتزيد فى الافتعال وضوحاً وجلاءً. وعلى أى حال، فليس هناك دليل يثبت كثرة أزواج الحسن بن على رضى الله عنه سوى تلكم الروايات، ونظراً لما ورد عليها من الطعون فلا تصلح دليلاً للإثبات^(٢)، ولمعرفة كيف يستفيد الأعداء من الروايات الضعيفة والباطلة ننقل ما قاله المستشرق لامنس عن زواج الحسن بن على رضى الله عنه، وألصق به التهم وطعن برجاله وحماته، وقد كتب عن أزواج الحسن بن على رضى الله عنه ما نصه: ولما تجاوز - يعنى الحسن - الشباب، وقد أنفق خير سنى شبابه فى الزواج والطلاق فأحصى له حوالى المائة زوجة، وألصقت به هذه الأخلاق السائبة لقب المطلاق، وأوقعت علياً فى خصومات عنيفة وأثبت الحسن كذلك أنه مبذر كثير السرف، وقد خصص لكل من زوجاته مسكناً ذا خدم وحشم، وهكذا نرى كيف يبعثر المال أيام خلافة على التى اشتد عليها الفقر^(٣).

لقد اعتمد المستشرق الإنجليزى لامنس فى قوله: إن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه كان كثير الزواج والطلاق على روايات موضوعة وآثار واهية وزاد عليها لامنس، فذكر من البهتان والأكاذيب بما لم يقل به أحد غيره فقد قال:

١- إنه ألقى أباه فى خصومات عنيفة بسبب كثرة زواجه وطلاقه، ولم يشر أحد ممن ترجم لأمر المؤمنين على أو الحسن رضى الله عنهما إلى تلك الخصومات العنيفة التى زعمها المستشرق لامنس.

(١) البداية والنهاية (١١/١٩٧).

(٢) حياة الإمام الحسن بن على (٢/٤٥٢).

(٣) دائرة المعارف (٧/٤٠٠).

٢- وذكر أن أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه خصص لكل من زوجاته مسكنًا ذا خدم وحشم، مع أن جميع المؤرخين الذين اطلعت عليهم لم ينقلوا ذلك، وهذا من الكذب السافر والافتراء المحض.

إن لجان التنصير المسيحي التي حاربت الإسلام وبغت عليه هي التي تدفع هذه الأقلام المأجورة وتزج بها للنيل من الإسلام، وإلى تشويه واقعه والخط من قيم رجاله وأعلامه الذين أناروا الطريق للركب الإنساني، ورفعوا منار الحضارة في العالم^(١).

عاشراً: أولاده:

وأما ذريته الشريفة، فهم: الحسن، وزيد، وطلحة، والقاسم، وأبو بكر، وعبد الله، وقد قتل هؤلاء مع عمهم الحسين الشهيد بكريلاء، وعمرو، وعبد الرحمن، والحسين، ومحمد، ويعقوب، وإسماعيل، وحمزة، وجعفر، وعقيل، وأم الحسين، ولم يعقب من ذريته إلا الحسن، وزيد، فللحسن اثنتي عشرة أولاد أعقبوا وفيه العدد والبیت، وأمه خولة بنت منظور الفزارية، ولزيد ابن هو الحسن ابن زيد، فلا عقب له إلا أمته، وأم زيد أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري البدری. وقد ولي إمرة المدينة لأبي جعفر المنصور وهو والد السيدة نفيسة، وله: القاسم، وإسماعيل، وعبد الله، وإبراهيم، وزيد، وإسحاق، وعلي - رضي الله عنهم أجمعين^(٢)، وهذه سيرة مختصرة لبعض أولاد الحسن.

١- زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أمه أم بشير بنت أبي مسعود وهو عقبه بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية فولد زيد بن حسن محمداً هلك لا بقية له وأمه أم ولد، وحسن بن زيد ولي المدينة لأبي جعفر المنصور وأمه أم ولد، ونفيسة بنت زيد تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان فتوفيت عنده وأمها لبابة بنت عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم.

(١) حياة الإمام الحسن بن علي (٢/٤٥٥).

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص (٩٣، ٩٨)، وسير أعلام النبلاء (٣/٢٧٩) الدوحة النبوية الشريفة ص (١٠٠).

وأخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الموالي قال: رأيت الناس ينظرون إليه ويعجبون من عظم خلقه ويقولون: جده رسول الله ﷺ.

وأخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرني عبد الله بن أبي عبيدة قال: ردف أبي يوم مات زيد بن حسن ومات ببطحاء ابن أزهر على أميال من المدينة فحمل إلى المدينة، فما أوفينا على رأس الثنية بين المنارتين طلع يزيد بن حسن في قبة على بعير ميتاً وعبد الله بن حسن يمشي أمامه قد حزم وسطه بردائه ليس على ظهره شيء فقال لي أبي: يا بني أنزل وأمسك بالركاب، فوالله لئن ركبت وعبد الله يمشي لا تبُلني عنده بالة أبداً، فركبت الحمار ونزل أبي فمشى فما زال يمشي حتى أدخل زيداً داره ببني حذيلة، فغسل ثم أخرج به على السرير إلى البقيع^(١).

٢- الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: وأمه خولة بنت منظور الفزارية، وولد الحسن بن الحسن محمداً وأمه رملة بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، وعبد الله بن الحسن مات في سجن أبي جعفر، وإبراهيم بن الحسن مات في السجن أيضاً مع أخيه، وزينب بنت الحسن تزوجها الوليد بن عبد الملك ابن مروان ثم فارقتها، وأم كلثوم بنت الحسن وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي ابن أبي طالب، وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله بن تيم، وجعفر بن الحسن وداود وفاطمة وأم القاسم وهي قسيمة، ومليكة وأمهم أم ولد تُدعى حبيبة فارسية كانت لآل أبي أبس من جديلة، وأم كلثوم بنت الحسن لأم ولد^(٢).

ومن مواقف الحسن بن الحسن قوله لرجل ممن غلوا في أهل البيت: ويحكم أحبونا لله فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا. قال فقال له رجل: إنكم قرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته. فقال: ويحك لو كان الله مانعاً بقرابة من رسول الله أحداً بغير طاعة الله لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباً وأماً، والله إنني لأخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين وإني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين. ويلكم اتقوا الله وقولوا فينا الحق؛ فإنه أبلغ فيما تريدون ونحن

(١) طبقات ابن سعد (٣١٨/٥، ٣١٩).

(٢) سيرة آل بيت النبي الأطهار، مجدى فتحى السيد، ص (٣١٢).

نرضى به منكم. ثم قال: لقد أساء بنا آبائنا إن كان هذا الذى تقولون من دين الله ثم لم يُطلعونا عليه ولم يُرغبونا فيه. قال: فقال له الرافضى: ألم يقل رسول الله عليه السلام لعلّى: من كنتُ مولاه فعلىّ مولاه؟ فقال: أما والله أن لو يعنى بذلك الإمرة والسلطان لأفصح لهم بذلك كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت ولقال للناس هذا وليكم من بعدى، فإن أنصح الناس كان للناس رسول الله ﷺ ولو كان الأمر كما تقولون: إن الله ورسوله اختارا علياً لهذا الأمر والقيام به بعد النبى عليه السلام إن كان لأعظم الناس فى ذلك خطأ وجُرمًا إذ ترك ما أمره به رسول الله ﷺ أن يقوم فيه كما أمره أو يعذر فيه إلى الناس^(١). وهكذا يتبين موقف أهل البيت فى محاربتهم للغلو.

حادى عشر: إخوانه وأخواته:

ونتحدث عن ترجمة مختصرة عن أشقائه من أولاد السيدة فاطمة رضى الله عنها:

١- الحسين بن على رضى الله عنه:

هو أبو عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب، سبط رسول الله ﷺ، وريحانته ومحبوبه، وابن بنت رسول الله، فاطمة رضى الله عنها، كان مولده سنة ٤ هـ، وقيل غير ذلك، ومات رضى الله عنه قتيلاً شهيداً، فى يوم عاشوراء من شهر المحرم سنة إحدى وستين هجرية بكرىلاء من أرض العراق، فرضى الله عنه وأرضاه^(٢)، وقد وردت فى مناقبه وفضائله أحاديث كثيرة منها:

أ- ما رواه أحمد بإسناده إلى يعلى العامرى رضى الله عنه أنه خرج مع رسول الله ﷺ يعنى إلى طعام دعوا له قال: فاستمثل رسول الله ﷺ أمام القوم، والحسين مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق الصبى يفر هنا مرة وها هنا مرة، فجعل النبى ﷺ يضاحكه حتى أخذه قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه ووضع فاه وقبله وقال: الحسين منى وأنا من

(١) طبقات ابن سعد (٣١٩/٥، ٣٢٠).

(٢) البداية والنهاية (١٥٢/٨) الإصابة (١/٣٣١ - ٣٣٤).

الحسين، اللهم أحب من أحب حسينًا، الحسين سبط من الأسباط^(١). وفي ذلك منقبة ظاهرة للحسين رضى الله عنه إذ حث على محبته وكأنه ﷺ بنور الوحي رأى ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر وأكد على وجوب المحبة وحرمة التعرض له ومحاربتة، وأكد ذلك بقوله: أحب الله من أحب حسينًا، فإن محبته تؤدى لمحبة رسول الله ومحبة الرسول تؤدى إلى محبة الله^(٢).

ب- ومنها ما رواه البخارى بإسناده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه قال: أتى عبيد الله بن زياد^(٣) برأس الحسين عليه السلام فجعل فى طست فجعل ينكت وقال فى حسنه شيئًا، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوبًا بالوسمة^(٤).

ج- وفى رواية أخرى عن أنس أيضًا قال: لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه يقول: لقد كان أحسبه قال جميلًا فقلت: والله لأسوءنك إني رأيت رسول الله يلثم حيث يقع قضيبك قال: فانقبض^(٥).

٢- مُحَسَّن بن على بن أبى طالب:

لا نعرفه إلا فى الحديث الذى يرويه هانى بن هانى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: لما ولد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال: أرونى ابنى ما سميتموه؟ قلت: سميتُه حربًا، قال: بل هو الحسن، فلما ولد الحسين قال: أرونى ابنى ما سميتموه؟ قلت: سميتُه حربًا، قال: بل هو الحسين. فلما ولد الثالث جاء النبى ﷺ فقال: أرونى ابنى ما سميتموه؟ قلت: حربًا، قال: بل هو محسن ثم قال: إني سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر^(٦). والظاهر أنه مات طفلًا^(٧)، ويتبين لنا من هذه الرواية الصحيحة أن محسن مات فى عهد النبى ﷺ.

(١) فضائل الصحابة رقم (١٣٦١) إسناده حسن.

(٢) تحفة الأحوذى (٢٧٩/١٠).

(٣) قتل عبيد الله عام ٧٦هـ، الإعلام (١٩٣/٤).

(٤) الوسمة: شجر باليمن يخضب بورقه الشجر، البخارى رقم (٣٧٤٨).

(٥) فضائل الصحابة (٩٨٥/٢) رقم (١١٩٧) إسناده حسن.

(٦) مسند أحمد (٩٨/١) إسناده صحيح.

(٧) التبيين فى أنساب القرشيين لابن قدامة المقدسى، ص (١٣٣).

وهذا يبطل مزاعم الغلاة والكذابين فى رواياتهم الكاذبة الذين يزعمون أن عمر ضرب فاطمة وأسقط ابنها.

٣- أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضى الله عنها:

زوج على بن أبى طالب رضى الله عنه ابنته من فاطمة بنت النبى ﷺ من الفاروق حينما سأله زوجها منه رضى الله عنه بما يطلب، وثقة فيه وإقراراً لفضله ومناقبه، واعترافاً بمحاسنه وجمال سيرته وإظهاراً بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم^(١)، وقد ولدت أم كلثوم بنت على من عمر رضى الله عنه ابنة سميت «رقية» وولداً سمته زيدا، وقد روى أن زيد بن عمر حضر مشاجرة فى قوم من بنى عدى بن كعب ليلاً فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم فأصابته ضربة شجت رأسه ومات من فوره، وحزنت أمه لقتله ووقعت مغشياً عليها من الحزن فماتت من ساعتها، ودفنت أم كلثوم وابنها زيد بن عمر فى وقت واحد، وصلى عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، قدمه الحسن بن على بن أبى طالب وصلى خلفه^(٢)، وقد فصلت سيرتها فى كتابى عن عمر بن الخطاب.

٤- زينب بنت على بن أبى طالب رضى الله عنها:

ولدت فى حياة النبى ﷺ وكانت عاقلة ليبة جزلة زوجها أبوها ابن أخيه عبد الله بن جعفر، فولدت له أولاداً، وكانت مع أخيها لما قتل، فحملت إلى دمشق^(٣).

ومن أشهر إخوانه من أبيه:

٥- محمد بن الحنفية:

وكانت أمه من سبى بنى حنفية، اسمها خولة بنت جعفر، وكان فاضلاً عالماً ذا علم ودين وعبادة، وكان حامل راية أبيه يوم الجمل، وكان قوياً، وحكيماً، ومما روى

(١) الشيعة وأهل البيت، ص (١٠٥).

(٢) أسد الغابة (٤٢٥/٧) ونساء أهل البيت، منصور عبد الحكيم، ص (١٨٥).

(٣) الإصابة فى تمييز الصحابة (١٦٧/٨).

من كلامه أنه قال: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُدًا حتى يجعل الله له فرجًا ومخرجًا. وقال: إن الله تعالى جعل الجنة ثمنًا لأنفسكم، فلا تتبعوها بغيرها. وقال: من كرمته عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر. وقال: كل ما لا يتبغى به وجه الله يضمحل. توفي سنة ثلاث وتسعين هجرية^(١).

ثاني عشر: أعمامه وعماته:

وهذه نبذة مختصرة عن أعمامه وعماته:

١- طالب بن أبي طالب: هلك مشرکًا بعد غزوة بدر، وقيل: إنه ذهب فلم يرجع، ولم يدر له موضع ولا خبر، وهو أحد الذين تاهوا في الأرض، وكان محبًا لرسول الله ﷺ، وله فيه مدائح وكان خرج إلى بدر كرهًا، وجرت بينه وبين قريش حين خرجوا إلى بدر محاورة فقالوا: والله يا بنى هاشم لقد عرفنا - وإن خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع، وقال شعراً وقصيدة ثناء على النبي ﷺ وبكى فيها أصحاب قليب بدر^(٢).

٢- عقيل بن أبي طالب: فكان يكنى أبا يزيد، تأخر إسلامه إلى عام الفتح، وقيل: أسلم بعد الحديبية، وهاجر في أول سنة ثمان، وكان أسير يوم بدر ففداه عمه العباس، ووقع ذكره في الصحيح في مواضع كثيرة، وشهد غزوة مؤتة ولم يسمع له ذكر في الفتح وحنين، كأنه كان مريضاً، أشار إلى ذلك ابن سعد لكن روى الزبير بن بكار بسنده إلى الحسين بن علي، أن عقيلًا كان ممن ثبت يوم حنين ومات في خلافة معاوية، وفي تاريخ البخاري الأصغر بسند صحيح أنه مات في أول خلافة يزيد قبل الحرة^(٣)، وعمره ست وتسعون سنة^(٤).

٣- جعفر بن أبي طالب: فهو أحد السابقين إلى الإسلام، وكان يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمونه ويحدثهم ويحدثونه، وهاجر إلى الحبشة، فأسلم

(١) التبيين في أنساب القرشيين، ص (١٣٦).

(٢) الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه من المرتضى للندوي، ص (٢٣).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٩٤).

(٤) المرتضى للندوي، ص (٢٤).

النجاشي ومن تبعه على يديه - ولقد تحدثت عنه في كتابي السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - واستشهد بمؤنة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر^(١).

٤- أم هانئ بنت أبي طالب: ابنة عم النبي ﷺ فقيل: اسمها فاختة، وقيل: اسمها فاطمة وقيل: هند، والأول أشهر وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي وكان له منها عمرو، وبه كان يكنى وفي فتح مكة أجارت أم هانئ رجلين من بنى مخزوم، وقال لها رسول الله ﷺ: أجزنا من أجزت يا أم هانئ، وروت أم هانئ عن النبي ﷺ في الكتب الستة وغيرها^(٢)، قال الترمذي وغيره: عاشت بعد علي رضي الله عنه^(٣).

٥- جُمَانَةُ بنت أبي طالب: هي أم عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ذكرها ابن سعد في ترجمة أمها فاطمة بنت أسد وأفردها في باب بنات عم النبي ﷺ وقال: ولدت لأبي سفيان بن الحارث ابنه جعفر بن أبي سفيان بن أبي طالب، وأطعمها رسول الله ﷺ من خبير ثلاثين وسقاً^(٤).

ثالث عشر: أخواله وخالاته:

أما أخواله فقد ماتوا وهم صغار ولم يبلغ أحد منهم إلى سن البلوغ، وهم القاسم، وإبراهيم، وزاد الزبير بن بكار عبد الله - وسمى بالطيب والطاهر - لأنه ولد بعد النبوة^(٥) وعليه أكثر علماء النسب، وقيل: إن الطيب، والطاهر ولدان آخران. ولكن عبد الله والطيب والطاهر قد ماتوا بمكة بإجماع العلماء^(٦)، وجميع أولاده صلوات الله وسلامه عليه من خديجة بنت خويلد، إلا إبراهيم فإنه من مارياء القبطية التي أهداها له مقوقس مصر، عندما أرسل له الدعوة إلى الإسلام في السنة السادسة من الهجرة، وكان ﷺ يكنى عليه الصلاة والسلام بأبي القاسم،

(١) المرتضى، ص (٢٤).

(٢) المصدر نفسه، ص (٢٥).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٣١٧/٩، ٣١٨).

(٤) الإصابة (٢٥٩/٤، ٢٦٠)، المرتضى، ص (٢٧).

(٥) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٣١).

(٦) الاستيعاب (٢٨١/٤).

وقد قيل: أنه أكبر أولاده وأول من مات منهم، ولد بمكة قبل النبوة، ومات صغيراً، وقيل: بل عاش حتى بلغ سن التمييز، فقيل: إنه بلغ المشي^(١)، وقيل: بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجبية^(٢)، وأما خالاته فزينب، ورقية، وأم كلثوم رضى الله عنهن.

١- زينب بنت رسول الله ﷺ:

أكبر خالات الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه زينب وأدركت الإسلام، وهاجرت، وكان رسول الله ﷺ محباً لها، وقد كانت أول بناته زواجاً، فعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان أبو العاص بن الربيع من رجال مكة المعدودين - مالاً وتجارة وأمانة - وهو ابن أخت خديجة، أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة لأُمها وأبيها، فقالت خديجة لرسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ لا يخالفها وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي، وكانت خديجة تعدّه بمنزلة ولدها، فلما أكرم الله تعالى نبيه بنبوته آمنت خديجة وبناتها رضى الله عنهن، فلما بادر رسول الله ﷺ قريشاً بأمر الله تعالى، أتوا بالعاص بن الربيع، فقالوا: إنكم قد فرغتم محمداً من همّه، فردّوا عليه بناته، فاشغلوه بهنّ، وقالوا لأبى العاص بن الربيع: فارق صاحبك، ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت، فقال: لاها الله إذاً، لا أفارق صاحبتى، ولا أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش. وكان رسول الله ﷺ يثنى على صهره خيراً^(٣). وجاء عنه أنه تذكر زينب وهو فى تجارتها فى الشام فقال^(٤):

ذكرت زينب لما وركت^(٥) إرماً^(٦) فقلت: سقياً لشخص يسكن الحرما وكلُّ بعلٍ سيئُنى بالذى علماً^(٧) بنت الأمين جزاها الله صالحة

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٣١)، الذرية الطاهرة للدواليبي، ص (٤٢).

(٢) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٣١).

(٣) سيرة ابن هشام (٢/٢٩٦).

(٤) طبقات ابن سعد (٨/٣٢)، مستدرك الحاكم (٤/٤٤).

(٥) وركت: أى اضطجعت، يقال: ورك يرك وروكاً: إذا اضطجع، أى كانه وضع وركه فى الأرض.

(٦) الإزم: الأحجار التى تنصب علامات فى الطرق والمفاوز والجمع أزم وإزم.

(٧) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٣١).

أ- وفاء زينب لزوجها:

وكما كان أبو العاص بن الربيع وفيًا لزوجته زينب، كانت هذه كذلك له، فقد أبى أبو العاص أن يسلم بمكة، وأقامت زوجته معه على إسلامها، حتى كانت معركة بدر، فحضرها أبو العاص في صف كفار قريش، فأسر فيمن أسر منهم، فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال، وكانت فيه قلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها، قالت عائشة أم المؤمنين: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقعة شديدة، وقال للمسلمين: إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها، وتردّوا عليها مالها، فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردّوا عليه الذي له^(١).

ويجدر بنا أن نفق وقفة تأمل في خطابه لأصحابه وما تضمنه من سمو العبارة والأدب الرفيع مما ينبغي أن نتحلى به في حياتنا. وكان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه عهداً، بأن يخلي زينب لتلحق به، وكانت من المستضعفين بمكة من النساء، واستكتمه رسول الله ﷺ ذلك وصدق في عهده وأرسل زينب وتعرضت لابتلاء شديد في طريقها إلى المدينة^(٢).

ب- إسلام زوجها وأمانته:

وأقام أبو العاص بن الربيع بمكة، وأقامت زينب عند رسول الله ﷺ بالمدينة حين فرق بينهما الإسلام، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام، وكان رجلاً مأموناً، بمال له، وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً، لقيته سرية لرسول الله ﷺ، فأصابوا ما معه، وأعجزهم هارباً، فلما قدمت السرية بماله، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ، فاستجار بها فأجارته، وجاء في طلب ماله، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح، فكبر الناس وراءه صرخت زينب من صفّة النساء: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله

(١) سير أعلام النبلاء (٤٧٢).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي، ص (٦٩).

ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال: أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم: قال: أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أذناهم. ثم انصرف، فدخل على ابنته، فقال: أى بنية أكرمى مثواه ولا يخلص إليك، فإنك لا تحلين له. وبعث رسول الله ﷺ إلى السرية الذين أصابوا المال، فقال: إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه ماله الذى له فإننا نحب ذلك، وإن أبيت فهو فى الله الذى أفاء عليكم، فأنتم أحق به، قالوا: يا رسول الله بل نرده عليه فردّوه، حتى إن الرجل ليأتى بالدلو، والرجل يأتى بالشنة^(١) والإداوة^(٢) حتى إن أحدهم ليأتى بالشطاط، ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذى مال من قريش ماله، ومن كان أبضع معه. ثم قال: يا معشر قريش، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه؟ قالوا: كلا، فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً، قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنى إنما أردت أن أكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم، وفرغت منها أسلمت، ثم خرج فقدم على رسول الله ﷺ^(٣)، وجاء عن عامر الشعبى وغيره، أن أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين، قيل له: هل لك أن تُسلم وتأخذ هذه الأموال، فإنها أموال المشركين؟ فقال أبو العاص: بأس ما أبدأ به إسلامى أن أخون أمانتى^(٤). ومن أقوال أبى العاص رضى الله عنه: نتعلم قيمة عظيمة وهى الأمانة والتحلى بمكارم الأخلاق حتى مع غير المسلمين، فلا ينبغى للمسلم أن يخون أمانته لأى سبب كان.

ولما قدم أبو العاص بن الربيع على رسول الله ﷺ مسلماً ردّ عليه زوجته زينب بالنكاح الأول، ولم يحدث نكاحاً جديداً^(٥)، وقد جاء فى التحاقهما بالنبي ﷺ

(١) الشنة هى: السقاء البالى.

(٢) الإداوة: مطهرة يتوضأ منها.

(٣) التاريخ الإسلامى للذهبي، المغازى، ص (٧٠).

(٤) دلائل النبوة للبيهقى (١/١٥٤).

(٥) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤١).

بالمدينة روايات أخرى إلا أنها تتفق على وفاء أبي العاص بن الربيع لرسول الله ﷺ، وتتفق على إيذاء المشركين لزينب في خروجها من مكة^(١).

ج- وفاتها وذريتها:

فقد جاء عن عروة بن الزبير: أن رجلاً أقبل بزینب بنت رسول الله ﷺ فلحقه رجلان من قريش، فقاتلاه حتى غلباه عليها، فدفعها حتى وقعت على صخرة، فأسقطت وأهريقَت دمًا، وذهبوا بها إلى أبي سفيان، فجاءته نساء بنى هاشم فدفعها إليهن ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة، فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع، فكانوا يرون أنها شهيدة، وكانت وفاتها في أول سنة ثمان من الهجرة النبوية^(٢).

ووقف رسول الله ﷺ على تجهيزها، فعن أم عطية رضي الله عنها قالت: لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال لنا: اغسلنها وترًا، ثلاثًا أو خمسًا، واجعلن في الخامسة كافورًا، أو شيئًا من كافور، فإذا غسلتها فأعلمنني، قالت: فأعطانا حقوة، وقال: أشعرنها إياه^(٣). وهكذا نرى حجم المصائب التي تحملها الرسول ﷺ حتى وصلت إلى بناته، وقد استمر على طريق الدعوة صابرًا محتسبًا، ومنه نتعلم أن طريق إعزاز الإسلام يحتاج إلى صبر واستعداد للتضحية.

وقد أنجبت زينب رضي الله عنها من أبي العاص بن الربيع، أمانة، وعليًا، أما على فقد مات وهو صغير، وقيل: مات في حياة الرسول ﷺ، وقد ناهز الحلم ودخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وهو مردفه على ناقته. وكانت أمانة عند رسول الله ﷺ بالموقع الكريم، والمحل العظيم، فقد كان يحملها على عاتقه وهو يؤم الناس في الصلاة، فعن أبي قتادة الأنصاري قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي وهو يحمل أمانة بنت أبي العاص ابنة ابنته على عاتقه، فإذا ركع وضعها وإذا قام حملها^(٤)، وعن عائشة رضي الله عنها أن النجاشي أهدى للنبي ﷺ حلية فيها

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤١).

(٢) مجمع الزوائد للهيتمي (٢١٦/٩).

(٣) مسلم، ك الجنائز (٦٤٨/٣)، طبقات ابن سعد (٣٤/٨).

(٤) مسلم، رقم (٥٤٣).

خاتم من ذهب فصه حبشى فأخذه وإنه لمعرض عنه، فأرسله إلى ابنة ابنته زينب، وقال: تحلى بهذا يا بنية^(١)، وفي رواية: أن رسول الله ﷺ دخل على أهله ومعه قلادة جزع^(٢)، فقال: لأعطينها إلى أحبكن إليّ، فقلن: يدفعها إلى ابنة أبى بكر، فدعا بابنة أبى العاص من زينب فعلقها بيده^(٣)، وكان على عيناها رمص، فمسحه بيده ﷺ. وأما أمامة فقد عاشت، وتزوجها على بن أبى طالب بعد وفاة خالتها فاطمة الزهراء، وكان أبو العاص بن الربيع قد أوصى بابنته أمامة إلى الزبير بن العوام، فزوجها من على بن أبى طالب، واستشهد على رضى الله عنه وهى عنده، ثم تزوجت بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وماتت عنده، ولم تنجب أمامة لعلى بن أبى طالب، ولا للمغيرة بن نوفل، وقيل: ولدت للمغيرة ولدًا سماه يحيى ومات، فانقطع بذلك نسل السيدة زينب عليها السلام.

٢- رقية بنت رسول الله ﷺ:

وقد ولدت على الأصح بعد زينب سنة ثلاث وثلاثين من عمر النبى ﷺ، وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة وبايعت حين بايعه الناس، وكانت قد خطبها عتبة بن أبى لهب، فلما نزلت: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قال له أبوه: رأسى من رأسك حرام إن تطلق ابنة محمد، وسأل رسول الله ﷺ عتبة طلاقها وسألته هى ذلك. ولم يكن قد دخل بها - فقالت له أمه أم جميل - وهى حمالة الحطب: - طلقها يا بئى، فإنها قد صبات ففارقها، فأخرجها الله من يده كرامة لها، وهوانًا له، فتزوجت عثمان بن عفان بمكة، وهاجر بها إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنورة فهى ممن هاجر الهجرتين^(٤).

هذا وقد توفيت بالمدينة بعد انتهاء غزوة بدر، فعن ابن شهاب الزهري قال: تخلف عثمان بن عفان عن غزوة بدر على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وكانت قد أصابها الحصبة، وجاء زيد بن حارثة بشيراً بوقعة بدر، وعثمان على

(١) مسند أحمد (١٠١/٦، ٢٦١) سنده ضعيف، الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٣).

(٢) الجزع: هو الحز الزيماني، واحده جزعة.

(٣) طبقات ابن سعد (٨/٤٠)، الاستيعاب لابن عبد البر (٤/٢٤٥)، الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٣).

(٤) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٤)، تفسير القرطبي (٤/٢٤٢).

قبر رقية، قال أبو عمر بن عبد البر: لا خلاف بين أهل السير أن عثمان بن عفان رضى الله عنه إنما تخلّف عن بدر على امرأته رقية بأمر رسول الله ﷺ، وأنه ضرب له بسهمه وأجره^(١)، وقد ولدت رقية رضى الله عنها لعثمان بالحبشة ولدًا سمّاه عبد الله، وكان يُكنّى به بلغ ستين، وقيل: ست سنين، فنقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات، وقيل: أسقطت من عثمان سقطًا، ثم ولدت عبد الله، فمات، ولم تلد له غيره حتى توفيت رضى الله عنها وأرضاها^(٢)، قال ابن سعد فى الطبقات: وهاجرت معه - أى عثمان - إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعًا. . وكانت فى الهجرة الأولى قد أسقطت من عثمان سقطًا ثم ولدت له بعد ذلك ولدًا فسماه عبد الله وكان عثمان يكنى به فى الإسلام^(٣) وبهذا يكون نسبها قد انقطع^(٤).

٣- أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ:

وأما خالة الحسن رضى الله عنه الثالثة فهى أم كلثوم، فقد عرفت بكنيتها، ولا يعرف لها اسم إلا ما ذكره الحاكم عن مصعب الزبيرى أن اسمها أمية وهى أكبر سنًا من فاطمة رضى الله عنهما^(٥)، وكانت قد تزوجها عتيبة بن أبى لهب، أخو عتبة الذى تزوج أختها رقية - ولم يدخلها بهما - فأمره أبوه وأمه أن يفارقها كما أمرأ أخاه أن يفارق أختها. وجاء إلى النبى ﷺ فقال له: كفرت بدينك، وفارقتُ ابنتك لا تحبنى ولا أحبك، ثم سطا عليه فشق قميص النبى ﷺ، وكان خارجًا إلى الشام، فقال النبى ﷺ: أما إنى أسأل الله أن يسلط عليك كلبًا من كلابه فخرج فى تجر قريش - أى جماعة التجار - نحو الشام حتى نزلوا بمكان يقال له: الزرقاء فأطاف بهم الأسد فى تلك الليلة، فجعل عتيبة يقول: أيا ويل أمى هو والله أكلى كما دعا علىّ محمد، أقاتلى ابن أبى كبشة وهو بمكة وأنا بالشام، فعدا عليه الأسد من بين القوم، فأخذ برأسه فضغمه ضغمة فقتله^(٦)، ولما فارقها عتيبة

(١) الاستيعاب (٤/١٩٥٢).

(٢) الذرية الطاهرة للدوايبى، ص (٥٣) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٥).

(٣) الطبقات (٨/٣٦).

(٤) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٥).

(٥) المصدر نفسه، ص (٤٦).

(٦) المعجم الكبير للطبرانى (٢٢/٤٣٥، ٤٣٦) وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف، الذرية الطاهرة للدوايبى رقم (٧٦).

ابن أبى لهب لم تنزل بمكة مع رسول الله ﷺ وهاجرت إلى المدينة حين هاجر رسول الله ﷺ، وخرجت إليها مع عياله^(١).

أ- زواجها:

عن سعيد بن المسيب قال: أيمت حفصة بنت عمر بن الخطاب من زوجها عثمان من رقية فمرَّ عمر بعثمان فقال: هل لك في حفصة؟ فأعرض عني ولم يحر إلى شيئاً فأتى عمر النبي ﷺ فشكاه فقال النبي ﷺ: «فخير من ذلك أتزوج أنا حفصة وأزوج عثمان أم كلثوم». فتزوج النبي ﷺ حفصة، وزوج عثمان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ^(٢)، وكان زواج أم كلثوم من عثمان بن عفان رضى الله عنهما سنة ثلاث من الهجرة النبوية، في ربيع الأول، وبنى بها في جمادى الآخرة^(٣). وجاء أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته وهى تغسل برأس عثمان رضى الله عنه، فقال: يا بنية أحسنى إلى أبى عبد الله، فإنه أشبه أصحابى خلقاً^(٤).

وفاتها:

ولم تنزل أم كلثوم عند عثمان رضى الله عنهما إلى أن توفيت في شعبان سنة تسع من الهجرة وصلى عليها رسول الله ﷺ، وجلس على شفير قبرها، فعن أنس بن مالك أنه رأى النبي ﷺ جالساً على قبر أم كلثوم، قال: فرأيت عينيه تدمعان، فقال: هل منكم رجل لم يقارف الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا، قال: فانزل في قبرها^(٥). وقد غسلتها أسماء بنت عميس، وصفية بنت عبد المطلب وهى التى شهدت أم عطية غسلها، وحكت قول رسول الله ﷺ: «أغسلنها ثلاثاً، أو خمساً، أو أكثر من ذلك»^(٦).

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٦).

(٢) مستدرک الحاكم (٤٩/٤) صحيح.

(٣) سنن ابن ماجه رقم (١١٠) فيه ضعف، الدوحة النبوية، ص (٤٧).

(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨١/٩) قال الهاشمي: فيه محمد بن عبد الله يروى عن المطلب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٥) البخارى، ك الجنائز (٢٠٨/٣) رقم (١٢٨٥).

(٦) البخارى رقم (١٢٥٣) الاستيعاب رقم (٣٠٦٣).

وجاء عند ابن سعد أن علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأسامة بن زيد، قد نزلوا في حفرتها مع أبي طلحة، وأن التي غسلتها هي أسماء بنت عميس، وصفية بنت عبد المطلب^(١).

ذريتها:

اتفق العلماء على أن أم كلثوم، لم تلد ولم تعقب^(٢). ومن الغريب أن بعض الشيعة الروافض يطعنون بصحة نسب بنات النبي ﷺ ومع ذلك يزعمون بأنهم يحبون النبي ﷺ مخالفين بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتاريخ، ويكفي في الرد عليهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩] فذكر بناته بالجمع.

(١) الطبقات (٣٨/٨، ٣٩)، الاستيعاب رقم (٣٥٦٣).

(٢) طبقات ابن سعد (٣٨/٨) الاستيعاب لابن عبد البر (٤/٤٨٧)، الإصابة (٤/٤٨٩)، مجمع الزوائد

(٩/٢١٧)، عيون الأثر لابن سيد الناس (٢/٣٨٠) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٩).

المبحث الثانى

أم الحسن بن على بن أبى طالب

السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنهم

هى فاطمة بنت إمام المتقين سيد ولد آدم رسول الله ﷺ وأُمها خديجة بنت خويلد، كانت تكنى بأم أبيها^(١)، ولدت رضى الله عنها قبل البعثة سنة خمس وثلاثين من مولد النبي ﷺ^(٢)، زوجها النبي ﷺ على بن أبى طالب سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم، وزينب ومحسن، وكانت وفاتها بعد وفاة النبي ﷺ بستة أشهر فرضى الله عنها وأرضاها^(٣).

أولاً: مهرها وجهازها:

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: خُطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لى: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك. فقلت: وعندى شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ فزوجك. قال: فوالله ما زالت ترجينى حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبه. فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فقلت: نعم، فقال: وهل عندك من شيء تستحلها؟ فقلت: لا والله يا رسول الله. فقال: ما فعلت درع سلحتكها؟ فوالذى نفس على بيده إنها الحُطْمِيَّةُ ما قيمتها أربعمائة درهم، فقلت: عندى، فقال: قد زوجتكها، فابعث إليها بها فاستحلها بها، فإنها كانت لصدّاق فاطمة بنت رسول الله ﷺ^(٤). وقد جهز رسول الله ﷺ فاطمة فى خميل^(٥)، وقربة ووسادة آدم^(٦) حشوها إذخر^(٧)، وقد

(١) أسد الغابة (٥/ ٥٢٠)، الإصابة (٤/ ٣٦٥).

(٢) الطبقات لابن سعد (٨/ ٢٦).

(٣) حلية الأولياء (٢/ ٣٩، ٤٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨).

(٤) دلائل النبوة للبيهقى (٣/ ١٦٠) إسناده حسن.

(٥) خميل: القطيفة.

(٦) الأدم: الجلد.

(٧) إذخر: نبات، صحيح السيرة النبوية، ص (٦٦٧) مسند فاطمة الزهراء وما ورد فى فضلها، تحقيق: فؤاد

أحمد زمزلى، ص (١٨٩).

جاء فى روايات الشيعة مساهمة لعثمان بن عفان رضى الله عنه فى الزواج الميمون حيث قال على رضى الله عنه: فأخذت درعى فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربع مائة درهم من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع منى قال: يا أبا الحسن، ألت أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدراهم منى؟ فقلت: نعم، قال: فإن هذا الدرع هدية منى إليك، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله ﷺ، فطرح الدرع والدراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان فدعا له النبى ﷺ بخير^(١).

ثانيًا: زفافها:

قالت أسماء بنت عميس: كنت فى زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبى ﷺ إلى الباب فقال: يا أم أيمن ادعى لى أخى، فقلت: هو أخوك وتنكحه؟ قال: نعم يا أم أيمن، قالت: فجاء على فنضح النبى ﷺ من الماء ودعا له ثم قال: أدع إلى فاطمة قالت: فجاءت تعثر من الحياء فقال لها رسول الله ﷺ: اسكتى فقد أنكحتك أحب أهل بيتى إلى، قالت: ونضح النبى ﷺ عليها من الماء ودعا لها، قالت: ثم رجع رسول الله ﷺ فرأى سواداً بين يده، فقال: من هذا؟ فقلت: أنا، قال: أسماء؟ قلت: نعم، قال: أسماء بنت عميس؟ قلت: نعم، قال: جئت فى زفاف بنت رسول الله ﷺ تكرمة له؟ قلت: نعم، قالت: فدعا لى^(٢)، وفى هذه القصة قيمة اجتماعية رفيعة وهى التعاون بين أفراد المجتمع فى المناسبات الاجتماعية المختلفة.

ثالثًا: وليمة العرس:

عن بريدة قال: لما خطب على فاطمة، قال رسول الله ﷺ: إنه لا بد للعرس^(٣) من وليمة، قال: فقال سعد: على كبش، وجمع له رهط من الأنصار أصعاً من ذرة، فلما كان ليلة البناء، قال: يا على لا تحدث شيئاً حتى تلقانى..

(١) كشف الغمة للأربلى (٣٥٩/١) نقلاً عن الشيعة وأهل البيت، ص (١٣٧، ١٣٨).

(٢) فضائل الصحابة (٩٥٥/٢) رقم (٣٤٢) إسناده صحيح.

(٣) للعرس: أى للعروس.

فدعا النبي ﷺ بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على عليّ، فقال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما، وبارك في شبلهما» (١).

رابعاً: معيشة علي وفاطمة رضى الله عنهما:

كانت معيشة علي وفاطمة رضى الله عنهما وهما من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، معيشة زهد وتقشف، وصبر وجهد، فقد أخرج هناد عن عطاء، قال: نبئت أن علياً رضى الله عنه قال: مكثنا أياماً ليس عندنا شيء، ولا عند نبي الله ﷺ، فخرجت، فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق فمكثت هنيهة أوامر نفسي في أخذه أو تركه، ثم أخذته لما بنا من الجهد، فأعطيت به الضفاطين (٢) فاشتريت به دقيقاً، ثم أتيت به فاطمة فقلت: أعجنى واخبزى، فجعلت تعجن وإن قصتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذى بها - ثم خبزت، فأتيت نبي الله ﷺ، فأخبرته، فقال: كلوا فإنه رزق رزقكموه الله عز وجل (٣).

وعن الشعبي، قال: قال علي رضى الله عنه: تزوجت فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ وما لى ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، وما لى خادم غيرها (٤)، وعن مجاهد قال علي: جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً، فخرجت أطلب العمل فى عوالى المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدرّاً، فظننتها تريد بله (٥)، فأتيته فقاطعتها (٦) كلّ ذنوب (٧)، على تمرّة، فمددت ستة عشرة ذنوباً، حتى مجلت يداى (٨)، ثم أتيت الماء فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت: يكفى هذا بين يديها (٩)، فعدت لى ست عشرة تمرّة، فأتيت النبي ﷺ، فأخبرته، فأكل معى منها (١٠).

(١) المعجم الكبير للطبرانى، ص (١٥٣)، فضائل الصحابة (٨٥٨/٢) إسناده صحيح.

(٢) الضفاطون: الحمالون والمكارون الذين يجلبون الدقيق من الخارج.

(٣) كنز العمال (٣٢٨/٧)، المرتضى للندوى، ص (٤١).

(٤) كنز العمال (١٣٣/٧) المرتضى للندوى، ص (٤١).

(٥) المدر، يعنى الطين اليابس، تريد له يعنى الماء.

(٦) فقاطعتها: أى اتفقت معها على أجرة.

(٧) ذنوب: دلو. (٨) مجلت: تورمت من العمل.

(٩) يعنى بسطهما وضمهما.

(١٠) صفة الصفوة (٣٢٠/١)، الموسوعة الحديثية، مسند أحمد (١١٣٥) إسناده ضعيف لانقطاعه.

فى هذا الخبر بيان لشدة الحال التى مر بها والد الحسن فى المدينة، ونأخذ منها صورة من السلوك المشروع فى مواجهة الشدائد حيث خرج على العمل بيديه للكسب المشروع، ولم يجلس منتظراً ما تجود به أيدى المحسنين، وصورة أخرى من قوة التحمل حيث قام بذلك العمل الشاق وهو يعانى من شدة الجوع ما يضعف قوته، وصورة أخرى من إثارة الأجابة والوفاء لهم، فهم على ما به من شدة الجوع وبالرغم مما قام به من ذلك العمل الشاق قد احتفظ بأجرته من التمر حتى لقى النبى ﷺ فأكل معه^(١)، إن من أهم الدروس فى هذه القصة هو أن فقر الإنسان أو غناه المادى لا يعبر بالضرورة على حب الله للعبد من عدمه للعبد، وإنما المعيار الحقيقى هو تقوى الله عز وجل وينبغى أن يكون تقيمينا للناس على هذا الأساس.

خامساً: زهد السيدة فاطمة وصبرها:

كانت حياة والد الحسن رضى الله عنهما فى غاية البساطة بعيدة عن التعقيد، وهى إلى شظف العيش أقرب منها إلى رغبة^(٢)، وهذه القصة تصور لنا حال السيدة فاطمة من التعب وموقف رسول الله ﷺ منها عندما طلبت منه أن يعطيها خادماً من السبى، قال على لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت^(٣)، حتى لقد اشتكيت صدرى، قال: وجاء الله أباك بسبى فاذهبى، فاستخدميه^(٤)، فقالت: أنا والله قد طحنت حتى مجلت يداى، فأتيت النبى ﷺ فقال: ما جاء بك أى بنية. قالت: جئت لأسلم عليك واستحييت أن تسأله ورجعت، فقال على: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله، فأتينا جميعاً، فقال على: يا رسول الله، والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداى^(٥)، وقد جاءك الله بسبى وسعة فأخذنا، فقال رسول الله ﷺ: والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى^(٦) بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكنى أبيعهم وأنفق عليهم

(١) التاريخ الإسلامى للحميدى (١٩/٤٩، ٥٠).

(٢) انظر: معين السيرة، ص (٢٥٥) للشامى.

(٣) سنوت: استقيت.

(٤) أى أسأله خادماً.

(٥) مسلم رقم (٢٧٢٧)، السيرة النبوية للصلاى (٢/٩٩).

(٦) تطوى: طوى من الجوع، فهو خالى البطن جائع لم يأكل.

أثمانهم، فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا فى قطيفتهما إذ غطت رؤوسهما تكشف أقدامهما، وإذا غطيت أقدامهما تكشف رؤوسهما، فثارا، فقال: مكانكما، ثم قال: ألا أخبركما بخير مما سألتمانى؟ قالا: بلى. فقال: كلمات علمنهن جبريل عليه السلام، فقال: تسبحان فى دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين^(١).

وفى هذه القصة السالفة بعض القيم منها، إن هذه الحادثة تبين لنا كيف أدار النبي ﷺ الأزمة الاقتصادية التى مرت بدولة الرسول ﷺ فى المدينة، وذلك من خلال ترتيبه للأولويات، فسد جوع أهل الصفة ضرورة ملحة وأما حاجة على وفاطمة للخادم، فليست بمرتبة احتياج أهل الصفة، فقدم رسول الله ﷺ أهل الصفة عليهم، وكانت وسائل رسول الله ﷺ فى حل الأزمة الاقتصادية كثيرة، ولقد تأثر والد الحسن بن على رضى الله عنهما بهذه التربية النبوية، ويمر الزمن بأمر المؤمنين على فيصبح خليفة المسلمين، فإذا به من آثار هذه التربية يترفع عن الدنيا وزخارفها ويبدد كنوز الأرض وخيراتها، لأن ذكر الله يملأ قلبه ويغمر وجوده، ولقد حافظ على وصية رسول الله ﷺ له، وقد حدثنا عن ذلك فقال: فوالله ما تركتهن منذ علمنهن، فسأله أحد أصحابه: ولا ليلة صفين؟ فقال: ولا ليلة صفين^(٢).

سادساً: محبة رسول الله ﷺ للسيدة فاطمة وغيرته عليها:

عن ثوبان رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر آخر عهده بالمدينة إتيان فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم من سفره فاطمة^(٣)، وفى رواية عن أبى ثعلبة الخشنى قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من غزو أو سافر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يأتى فاطمة، ثم يأتى أزواجه^(٤)، وعن عائشة رضى الله عنها قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمّاً ولا دلاً برسول الله ﷺ فى قيامه وقعوده

(١) البخارى رقم (٣٧٠٥) مسلم رقم (٢٧٢٧).

(٢) مسلم (٢٠٩٢/٤).

(٣) مسند أحمد (٢٧٥/٥)، الدوحة النبوية، ص (٥٦).

(٤) الاستيعاب (٣٧٦/٤) فى سنده أبو فروة الرهاوى مضعف، الدوحة النبوية، ص (٥٦).

من فاطمة بنت رسول الله ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه ، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها^(١) ، وفي رواية: أنها كانت تقبل يديه^(٢) ، وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب أهل بيتي إلى فاطمة»^(٣) .

وقد أراد على رضى الله عنه أن يتزوج بنت أبى جهل على فاطمة ، فخطب رسول الله ﷺ الناس ، وإن فى رواية السيدة عائشة للحديث دليلاً على حقيقة المحبة بين السيدتين وليست كما يدعى المغرضون^(٤) ، فقال: «فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبني»^(٥) ، وعن المسور بن مخرمة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «إن بنى هاشم بن المغيرة استأذنونى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب، فلا أذن لهم ثم لا أذن لهم، ثم لا أذن لهم، إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم، فإنما ابنتى بضعة منى يربنى ما رابها ويؤذنى ما آذاها»^(٦) ، وروى الترمذى بسنده إلى عبد الله بن الزبير رضى الله عنه أن علياً ذكر بنت أبى جهل فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: «إنما فاطمة بضعة منى يؤذنى ما آذاها ويتعبنى ما أتعبها»^(٧) .

ومن مناقب السيدة فاطمة ما رواه الحاكم أيضاً بإسناده إلى بريدة رضى الله عنه قال: كان أحب النساء إلى رسول الله ﷺ فاطمة ومن الرجال على^(٨) ، ولا يفهم من هذا الحديث معارضته لما ثبت فى الصحيح من حديث عمرو بن العاص ، أنه سئل النبى ﷺ: أى الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قال: من الرجال؟ قال: أبوها^(٩) . فالمراد من هذا الحديث والله أعلم أن فاطمة أحب النساء إليه من أهله

(١) مسلم رقم (٣٤٥٠) ، صحيح سنن أبى داود رقم (٥٢١٧) .

(٢) سنن أبى داود رقم (٥٢١٧) وصححه الألبانى صحيح سنن أبى داود (٩٧٩/٣) .

(٣) مسند الطيالسى (٢٥/٢) حسن صحيح .

(٤) أسمى الطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب (١/١٣٦) .

(٥) البخارى رقم (٤١٧٣) .

(٦) البخارى رقم (٥٢٣٠) .

(٧) فضائل الصحابة (٧٥٦/٢) رقم (١٣٢٧) إسناده صحيح .

(٨) المستدرک، ك معرفة الصحابة (١٥٥/٣) صحيح الإسناد ووافقه الذهبى .

(٩) البخارى رقم (٤٣٥٨) .

وعلى من رجالهم، وفي ذلك يقول ابن العربي عند هذا الحديث: كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ أبو بكر وأحب أزواجه إليه عائشة، وأحب أهله إليه فاطمة وعلى من رجالهم، وبهذا الترتيب تأتلف الأحاديث ويرتفع عنها التعارض^(١).

سابعاً: صدق لهجتها:

روى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضى الله عنها أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي ﷺ قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها ألا أن يكون الذى ولدها^(٢).

وفى ذلك منقبة ظاهرة لها رضى الله عنها فقد وصفها أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بأنها كانت تشبه النبي ﷺ هيئة وطريقة وحسن حال كما كان التزامها للصدق أشبه له، فرضى الله عنها وأرضاها^(٣).

ثامناً: سيادتها فى الدنيا والآخرة:

جاءت الأحاديث الصحيحة عن الصادق المصدوق التى دلت على سيادتها فى الدنيا والآخرة، روى الترمذى بإسناده إلى أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسيا امرأة فرعون»^(٤)، وروى الحاكم بإسناده إلى أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا من كان من مريم بنت عمران»^(٥). وقال البخارى: باب مناقب فاطمة رضى الله عنها، وقال النبي ﷺ: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»^(٦).

(١) عارضة الأحوذى (١٣/٢٤٧، ٢٤٨)، العقيدة فى أهل البيت، ص (١٣٧).

(٢) المستدرک (٣/١٦٠، ١٦١) صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

(٣) العقيدة فى أهل البيت، ص (١٣٦).

(٤) فضائل الصحابة (٢/٢٥٥) رقم (١٣٢٥)، صحيحه الألبانى المشكاة (٣/٧٤٥).

(٥) فضائل الصحابة رقم (١٣٣٢) إسناده حسن لغيره.

(٦) البخارى، لك فضل الصحابة (٤/٢٥٢).

تاسعاً: الصديق والسيدة فاطمة وميراث النبي ﷺ:

قالت عائشة رضي الله عنها: إن فاطمة والعباس رضي الله عنهما أتيا أبو بكر رضي الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فذك وسهمه من خير، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله يقول: «لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال»^(١)، وفي رواية قال أبو بكر رضي الله عنه: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ»^(٢)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أزواج النبي ﷺ، حيث توفي رسول الله، أردن أن يبعثن عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أبي بكر، ليسألنه ميراثهن من النبي ﷺ، فقالت عائشة رضي الله عنها لهن: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهي صدقة»^(٤)، وهذا ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها امتثالاً لقوله ﷺ، لذلك قال الصديق: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله يعمل به إلا عملت به^(٥)، وقال: والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يضعه فيه إلا صنعته^(٦)، وقد تركت أم الحسن رضي الله عنها منازعته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها، وفيه دليل على قبولها الحق وإذعانها لقوله ﷺ، وقد غلا الشيعة في قصة ميراث النبي ﷺ غلواً مفرطاً مُجانبين الحق والصواب، وقد ناقشتهم في كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(٧)، وبينت فيه حقيقة ما وقع بين الصديق والسيدة فاطمة في قضية الميراث.

(١) البخارى رقم (٦٧٢٦).

(٢) مسلم رقم (١٧٥٩).

(٣) البخارى رقم (٦٧٣٠)، مسلم رقم (١٧٥٨).

(٤) البخارى رقم (٦٧٢٩).

(٥) مسلم رقم (١٧٥٨).

(٦) البخارى رقم (٦٧٢٦).

(٧) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (١/١٩٩).

عاشراً: تسامح السيدة فاطمة مع أبي بكر رضى الله عنه:

وقد ثبت عن فاطمة - رضى الله عنها - أنها رضيت عن أبي بكر بعد ذلك، وماتت وهى راضية عنه، على ما روى البيهقى بسنده عن الشعبي أنه قال: لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق، فاستأذن عليها، فقال على: يا فاطمة هذا أبو بكر الصديق يستأذن عليك؟ فقالت: أتحب أن أذن له؟ قال: نعم، فأذنت له فدخل عليها يترضاها، فقال: والله ما تركت الدار والمال، والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضاها حتى رضيت^(١)، قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوى، والظاهر أن عامر الشعبي سمعه من على أو ممن سمعه من على^(٢). وبهذا تندحض مطاعن الشيعة على أبي بكر التى يعلقونها على غضب فاطمة عليه، فلئن كانت غضبت فى بداية الأمر فقد رضيت بعد ذلك وماتت وهى راضية عنه، ولا يسع أحداً صادقاً فى محبته لها، إلا أن يرضى عن رضيت عنه^(٣).

ولا يعارض هذا ما ثبت فى حديث عائشة: إنما يأكل آل محمد ﷺ هذا المال، وأنى والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع لفاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر فى ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت^(٤)، فإن هذا بحسب علم عائشة - رضى الله عنها - رواية الحديث، وفى حديث الشعبي زيادة علم، وثبوت زيارة أبي بكر لها وكلامها له ورضاها عنه، فعائشة - رضى الله عنها - نفت والشعبي أثبت، ومعلوم لدى العلماء أن قول المثبت مقدم على قول النافى، لأن احتمال الثبوت حصل بغير علم النافى، خصوصاً فى مثل هذه المسألة، فإن عيادة أبي بكر لفاطمة - رضى الله عنها - ليست من الأحداث الكبيرة التى تشيع فى الناس، ويطلع عليها الجميع، وإنما هى

(١) السنن الكبرى للبيهقى (٣٠١/٦).

(٢) البداية والنهاية (٢٥٣/٥).

(٣) الانتصار للصحب والآل، ص (٤٣٤).

(٤) البخارى رقم (٤٢٤٠)، رقم (١٧٥).

من الأمور العادية التي قد تخفى على من لم يشهدها، والتي لا يعبأ بنقلها لعدم الحاجة لذكرها. على أن الذي ذكره العلماء أن فاطمة - رضى الله عنها - لم تعتمد هجر أبى بكر - رضى الله عنه - تلك الفترة أصلاً، ومثلها ينزه عن ذلك لنهى النبى ﷺ عن الهجر فوق ثلاث، وإنما لم تكلمه لعدم الحاجة لذلك^(١)، قال القرطبى صاحب المفهم فى سياق شرحه لحديث عائشة المتقدم: ثم أنها (أى فاطمة) لم تلتق بأبى بكر لشغلها بمصبيتها برسول الله ﷺ ولملازمتها بيتها، فعبر الراوى عن ذلك بالهجران، وإلا فقد قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»^(٢)، وهى أعلم الناس بما يحل من ذلك ويحرم، وأبعد الناس عن مخالفة رسول الله ﷺ، كيف لا يكون كذلك وهى بضعة من رسول الله ﷺ، وسيدة نساء أهل الجنة^(٣).

لقد انشغلت فاطمة رضى الله عنها عن كل شىء بحزنها لفقدانها أكرم الخلق، وهى مصيبة ترمى بكل المصائب، كما أنها انشغلت بمرضها الذى ألزمها الفراش عن أية مشاركة فى أى شأن من الشؤون فضلاً عن لقاء خليفة المسلمين المشغول بكل لحظة من لحظاته، بشئون الأمة، وحروب الردة وغيرها، كما أنها كانت تعلم بقرب حقوقها بأبيها، فقد أخبرها رسول الله ﷺ بأنها أول من يلحق به من أهله^(٤)، ومن كان فى مثل علمها لا يخطر بباله أمور الدنيا، وما أحسن قول المهلب الذى نقله العيني، ولم يرو أحد أنهما التقيا وامتنعا عن التسليم وإنما لازمت بيتها، فعبر الراوى عن ذلك بالهجران^(٥)، وقد دل على ذلك زيارة أبى بكر لها وترضيته لها كما مر معنا.

حادى عشر: وفاة السيدة فاطمة رضى الله عنها:

وما يدل على أن العلاقة كانت وطيدة بين الصديق والسيدة فاطمة إلى حد أن زوجة أبى بكر أسماء بنت عميس هى التى كانت تمريض فاطمة بنت النبى ﷺ

(١) الانتصار للصحب والآل، ص (٤٣٤).

(٢) البخارى، رقم (٦٠٧٧).

(٣) المفهم (٧٣/١٢).

(٤) مسلم، رقم (٢٤٥٠).

(٥) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص (١٠٨).

ورضى الله عنها فى مرض موتها، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة وشاركت فى غسلها وترحيلها إلى مثاها الأخير، وكان على رضى الله عنه يرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس رضى الله عنها، وقد وصتها بوصايا فى كفنها ودفنها وتشييع جنازتها، فعملت أسماء بها^(١)، فقد قالت السيدة فاطمة لأسماء: إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ﷺ، ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله، به تعرف المرأة من الرجال^(٢)، وعن ابن عبد البر: فاطمة رضى الله عنها أول من غطى نعشها فى الإسلام، ثم زينب بنت جحش، وكان الصديق دائم الاتصال بعلى من ناحية ليسأله عن أحوال بنت النبى ﷺ خلاف ما يزعمه القوم، فمرضت، أى فاطمة رضى الله عنها، وكان على يصلى فى المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ ومن ناحية أخرى كان الصديق يسأل زوجته أسماء بنت عميس حيث كانت هى المشرفة والمرضة الحقيقية لها، ولما قبضت فاطمة من يومها، فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان علياً ويقولان: يا أبا الحسن، لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله^(٣)، وقد توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، عن مالك بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده على بن الحسين، قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم، فلما وضعت ليصلى عليها، قال على: تقدم يا أبا بكر، قال أبو بكر رضى الله عنه: وأنت يا أبا الحسن؟ قال: نعم فوالله لا يصلى عليها غيرك، فصلى عليها أبو بكر رضى الله عنه ودفنت ليلاً. وجاء فى رواية: صلى أبو بكر الصديق رضى الله عنه على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكبّر عليها أربعاً^(٤)،

(١) الشيعة وأهل البيت، ص (٧٧).

(٢) الاستيعاب (٣٧٨/٤).

(٣) الشيعة وأهل البيت، ص (٧٧)، كتاب سليم بن قيس، ص (٢٥٥).

(٤) المختصر من كتاب الموافقة، ص (٦٨) فى سنده ضعف.

وفى رواية مسلم صلى عليها على بن أبى طالب وهى الرواية الراجحة^(١)، وأما ما يوجد فى بعض الكتب الشيعة من كون السيدة فاطمة أوصت علياً رضى الله عنهما، بأن لا يقوم على قبرها أحد من الذين ظلموها وجحدوا حقها لأنهم أعداؤها وأعداء أبيها، فهذا من الأباطيل، ولا تصح رواياته، بل هى موضوعة، مثل التى ذكرها صاحب كتاب حياة الإمام الحسن بن على^(٢).

وهذه أبيات رقيقة وعذبة قالها محمد إقبال فى قصيدته العصماء فى السيدة فاطمة رضى الله عنها:

نسب المسيح بنى لمريم سيرة	بقيت على طول المدى ذكرها
والمجد يشرف فى ثلاث مطالع	فى مهد فاطمة فما أعلاها
هى بنت من هى زوج من هى أم من	من ذا يدانى فى الفخار أباه
هى ومضة من نور عين المصطفى	هادى الشعوب إذا تروم هداها
من أيقظ الفطر النيام بروحه	وكأنه بعد البلى أحياها
وأعاد تاريخ الحياة جديدة	مثل العرائس فى جديد حلاها
هى أسوة للأمهات وقودة	يترسم القمر المنير خطاها
جعلت من الصبر الجميل غذاءها	ورأت رضا الزوج الكريم رضاها
إلى أن قال:	

لولا وقوفى عند شرع المصطفى	وحدود شرعته ونحن فداها
لمضيت للتطواف حول ضريحها	وغمرت بالقبلات طيب ثراها

وقال فى قصيدة فى بيان أن السيدة فاطمة أسوة للنساء المسلمات:

وهى أم السَّيِّدِينَ الأَكْرَمِينَ	حسنٍ خيرٍ حلِيمٍ وحسِينٍ
ذا سراج فى ظلام الحَرَمِ	حافظٍ وحدةٍ خير الأُمَمِ

(١) مسلم، رقم (١٧٥٩).

(٢) حياة الإمام الحسن بن على، باقر القرشى (١/١٦٤).

ازدری الملک ابتغاء الألفة
ذاك فى الأبرار ربُّ العَلَمِ
سيرةُ الأولاد صنعُ الأمّهات
زهرةُ فى روضة الصدق البتول
نُشِئت ما بين صبر ورضا
دمعها من خشية الله جرى

أطفأ النيران بين الإخوة
أسوةُ الأحرار فى الخطب العمى
وخلالُ الخير طبعُ الأمّهات
أسوةُ النسوة فى الحق البتول
فى القمّ القرآنُ والكفّ الرّحى
فى مصلّاها يفوق الجوهرا^(١)

(١) ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة، سيد عبد الماجد غورى (١/ ٢٣٥، ٢٣٦).

المبحث الثالث

مكانة الحسن عند جده الحبيب المصطفى ﷺ

كانت بشرى رسول الله ﷺ بمولد الحسن عظيمة، وكان ﷺ يحمله ويداعبه، ويدعوه ليتسلق صدره ويلعب معه، وترعرع الحسن رضى الله عنه فى حجر النبوة، ولاحظته عين الرعاية النبوية، والعناية المصطفوية، من ولادته حتى يفاعته، لا سيما شبهه بالنبي ﷺ ظاهر فى محيائه وأساريه، وقد تمتع الحسن رضى الله عنه بمكانة كبيرة وتقدير عال من جده الرسول الكريم ﷺ، وهذا ليس لكونه سبطه فحسب، بل لما تحمله نفس الحسن - رضى الله عنه - من صفات طيبة وخلق عال وتواضع كريم^(١)، وهذه بعض الأحاديث والمواقف التى تبين مكانة الحسن عند جده ﷺ.

أولاً: محبة رسول الله ﷺ ورحمته بالحسن وملاعبته له:

١- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب الحسن والحسين فقد أحببني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»^(٢).

٢- وعن عبد الله بن مسعود قال: كان النبي ﷺ يصلى والحسن والحسين يثبان على ظهره، فيباعدهما الناس فقال: «دعوهما، بأبى هما وأمى، من أحبني فليحب هذين»^(٣).

٣- وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال للحسن: «اللهم إني أحبه، فأحبه، وأحب من يحبه»^(٤). قال أبو هريرة: فما رأيته إلا دمت عيناى^(٥).

(١) الحسن بن على سيرته ودوره السياسى والإدارى، فتىخان كردى، ص (٤٥)، الدوحة النبوية الشريفة، ص (٧٢).

(٢) سنن النسائي رقم (٨١٦٨) قام الشيخ عثمان الخميس بتخريج الحديث وحكم على درجته بأنه حسن لذاته فى رسالته: أحاديث بشأن السبطين، ص (٣١٢).

(٣) أحاديث بشأن السبطين، ص (٢٩٣) عثمان الخميس، حديث حسن.

(٤) مسند أحمد (٢/٢٤٩، ٣٣١) سنده صحيح.

(٥) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٧٤).

٤- وعن البراء بن عازب قال: رأيت الحسن بن عليّ على عاتق النبي ﷺ وهو يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه»^(١).

٥- وعن عليّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين وقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة». أخرجه أحمد والترمذي وقال: «وكان معي في الجنة». وقال: حديث غريب^(٢).

٦- وعن يعلى بن مرة قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى رسول الله ﷺ فجاء أحدهما قبل الآخر، فجعل يده في عنقه فضمه إلى بطنه وقبل هذا ثم قبل هذا ثم قال: «إني أحبهما، فأحبوهما. أيها الناس: الولد مبخله مجبنة»^(٣).

٧- عن زهير بن الأقرم قال: قال رجل من الأزد: سمعت رسول الله ﷺ يقول للحسن بن علي: «من أحبني فليحبه، فليبلغ الشاهد منكم الغائب». ولولا عزمة رسول الله ﷺ ما حدثتكم^(٤).

٨- وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدهني على فخذه، ويقعد الحسن علي فخذه الأخرى ويقول: اللهم إني أرحمهما فأرحمهما^(٥).

٩- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: دخل الأقرع بن حابس على النبي ﷺ فراه يقبل إما حسناً وإما حسيناً فقال: تقبله، ولي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم. فقال رسول الله ﷺ: «إنه من لا يرحم لا يرحم»^(٦).

(١) مسلم، رقم (٢٤٢٢).

(٢) مسند أحمد (١/٧٧)، سنن الترمذي، رقم (٣٧٣٤)، سير أعلام النبلاء (٣/٢٥٤) ثم قال: إسناده ضعيف، والمتن منكرو وأورده في الميزان (٣/١١٧).

(٣) مسند أحمد (٤/١٧٢)، سنن ابن ماجه، رقم (٣٦٦) في الأدب، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات: انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٢٥٥).

(٤) مستدرک (٣/١٧٣، ١٧٤)، سير أعلام النبلاء (٣/٢٥٣، ٢٥٤)، إسناده صحيح.

(٥) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٥/٤١٥) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، ص (٢١٦).

(٦) مسلم، رقم (٢٣١٨).

١٠- عن معاوية بن أبي سفيان - رضى الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يمسُّ لسان الحسن أو شفته، وإنه لن يُعَذَّبَ لسانٌ أو شفتان مصَّهما رسول الله ﷺ (١).
ورواية معاوية للحديث تدل على محبته للحسن.

١١- عن أبي هريرة رضى الله عنه: أنه لقي الحسن بن عليٍّ فى بعض طرق المدينة فقال له: اكشف لى عن بطنك - فذاك أبى - حتى أقبل حيث رأيت رسول الله ﷺ وسلم يقبله. قال: فكشف عن بطنه، فقبل سرته (٢).

١٢- عن عكرمة عن أبى عباس قال: كان النبى ﷺ حاملاً الحسن بن على رضى الله عنهما على عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبى ﷺ: «ونعم الراكب هو» (٣).

١٣- وعن أبى الزبير، عن جابر قال: دخلت على النبى ﷺ، فإذا هو على أربع والحسن والحسين رضى الله عنهما على ظهره يحبو بهما فى البيت وهو يقول: «نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما» (٤).

١٤- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كنا نصلى مع النبى ﷺ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين رضى الله عنهما على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا حتى يقضى صلاته (٥).

١٥- حدثنا ابن بريدة عن أبيه قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب إذ أقبل الحسن والحسين رضى الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويتعثران إذ نزل

(١) مسند أحمد (٩٣/٤)، إسناده صحيح، سير أعلام (٢٥٩/٣).

(٢) المستدرک (١٦٣/٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٣) الشريعة للأجرى (٥٢١٦٠) إسناده ضعيف.

(٤) الشريعة للأجرى (٥٢١٦٠) إسناده ضعيف فيه مسروح أبو شهاب: تكلم فيه، قال العقيلي: لا يتابع عليه - أى هذا الحديث وقال ابن أبى حاتم: سألت أبى عن مسروح وعرضت عليه بعض حديثه فقال: يحتاج إلى التوبة من حديث باطل رواه عن الثورى. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بخبره لمخالفته الإثبات فى كل ما يروى. المجروحين (١٩/٣)، الميزان (٩٧/٤).

(٥) الشريعة (٢١٦١/٥) إسناده ضعيف فيه محمد بن عيسى بن حيان المدائنى. قال الدارقطنى: ضعيف متروك.

رسول الله ﷺ عن المنبر فرفعهما إليه وقال: صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] نظرت إلى هذين الصبيين يَمِضيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما^(١).

١٦- وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ فى طائفة من النهار لا يكلمنى ولا أكلمه حتى جاء سوق بنى قينقاع ثم انصرف حتى أتى خباء^(٢) فاطمة فقال: أثم لكع^(٣) أثم لكع يعنى «حسناً»، فظننا أنه إنما تحبسه أمه لأن تغسله وتلبسه سخاباً^(٤)، فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه^(٥).

١٧- وعن سلمة بن الأكوع قال: لقد قُدت بنى الله ﷺ والحسن والحسين بغلته الشهباء حتى أدخلتهم حجرة النبى ﷺ هذا قدامه، وهذا خلفه^(٦).

فمن هذا المعين فليتعلم الآباء المحبة وليغترفوا العطف والحنان على الأبناء، وفيها الشئ الكثير من هدى النبى ﷺ لمحبه للحسن ورحمته به وملاعبته، وفيها إرشاد نبوى للمسلمين فى كيفية بناء نفس الطفل وتكوينه، وفيها إجابة لهذا السؤال المهم كيف نبني عاطفة الطفل؟ ونؤدى له حقه ليكون إنساناً سويّاً فى مستقبله؟ فقد أشارت الأحاديث النبوية إلى مجموعة من الأسس التى بتطبيقها نسير على هدى ونور بين.

أ- الأساس العاطفى الأول: القُبلة والرأفة والرحمة للأطفال:

إن للقُبلة دوراً فعالاً فى تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، كما أن لها دوراً كبيراً فى تسكين ثورانه وغضبه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق فى تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير، وهى دليل رحمة القلب والفؤاد لهذا الطفل الناشئ،

(١) الشريعة للأجرى (٥/٢١٦٢).

(٢) خباء فاطمة: أى بيتها.

(٣) لكع: يريد به الصغير، وإذا قيل للكبير، فمعناه قليل العلم.

(٤) السخاب: القلادة، وجمعه سَخَب، ويصنع من القرنفل والعود والمسك وغير ذلك، وقيل: خيط فيه خرز.

(٥) مسلم (٤/١٨٨٢، ١٨٨٣).

(٦) مسلم، رقم (٢٤٢٣).

وهى برهان على تواضع الكبير للصغير، وهى النور الساطع الذى يبهر فؤاد الطفل، ويشرح نفسه ويزيد من تفاعله مع من حوله، ثم هى أولاً وأخيراً السنة الثابتة فى المصطفى ﷺ مع الأطفال^(١)، وإن الرحمة بالأطفال والشفقة عليهم صفة من صفات النبوة المحمدية وهى طريق لدخول الجنة والفوز برضوان الله تعالى.

ب- الأساس الثانى: المداعبة والممازحة مع الأطفال:

وقد بينا بعض الأحاديث النبوية التى تدل على ذلك وفيها دروس وعبر من هدى النبى ﷺ فى مداعبة الأطفال، تارة بالحمل وأخرى بالمضاحكة.. وإلى غير ذلك وقد اقتدى الصحابة رضوان الله عليهم برسول الله ﷺ، فسارعوا إلى ممازحة ومداعبة أطفالهم وينزلون منازلهم، ويتصابون لهم ويلاعبونهم، وقد قال عمر رضى الله عنه: ينبغى للرجل أن يكون فى أهله كالصبي - أى فى الأئس والبشر وسهولة الخلق والمداعبة مع أولاده. وكان رسول الله ﷺ يلعب الحسن والحسين رضى الله عنهما.

وبهذه المداعبة والملاعبة، كان تعامل رسول الله ﷺ مع الأطفال وهو يغذى نفوسهم بهذه العاطفة الصادقة، بعيداً عن الجفاء والقسوة وعدم إعطاء الطفل حقه^(٢).

ج- الأساس العاطفى الثالث: الهدايا والعطايا:

للهدايا أثر طيب فى النفس البشرية عامة، وفى نفوس الأطفال أكثر تأثيراً وأكبر وقعاً، والرسول ﷺ بين لنا عملية هذا الركن القوى فى بناء عاطفة الطفل وتحريكها وتوجيهها وتهذيبها، وقد بينا ما فعله رسول الله ﷺ مع ابنة خالة الحسن بن على، أمامة بنت أبى العاص من بنت رسول الله زينب، فعن عائشة رضى الله عنها أن النجاشى أهدى للنبي ﷺ حلية فيها خاتم من ذهب فصّه حبشى، فأخذه، وإنه لمعرض عنه، فأرسله إلى ابنة ابنته زينب، وقال: تحلّى بهذا يا بنية^(٣).

(١) منهج التربية الإسلامية للطفل، ص (١٧٩).

(٢) منهج التربية النبوية، ص (١٨٤).

(٣) سنن ابن ماجه، رقم (٣٦٤٤)، الدوحة النبوية الشريفة، ص (٤٣).

د- الأساس الرابع: مسح رأس الطفل:

وكان رسول الله ﷺ، يداعب عواطف الأطفال بمسح رؤوسهم فيشعرون بلذة الرحمة والحنان والحب والعطف، الأمر الذى يشعر الطفل بوجوده وحب الكبار له، واهتمامهم به. عن مصعب بن عبد الله قال: عبد الله بن ثعلبة ولد قبل الهجرة بأربع سنين وحمل إلى رسول الله ﷺ فمسح وجهه وبرك عليه عام الفتح، وتوفى رسول الله ﷺ وهو ابن أربع عشرة^(١).

هـ- الأساس الخامس: حسن استقبال الطفل:

إن اللقاء مع الطفل لا بد منه وأهم ما فى اللقاء اللحظات الأولى، فإذا كان اللقاء طيباً استطاع الطفل متابعة الحديث وفتح الحوار والتجاوب مع المتكلم، فيفتح قلبه وما يدور فى خاطره ويعرض مشاكله ويتحدث عن أمانيه، كل ذلك يحصل إذا أحسن استقبال الطفل بفرح وحب ومداعبة^(٢)، وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته، وأنه جاء من سفر، فسبق بى إليه، فحملنى بين يديه ثم جئ بأحد ابنى فاطمة الحسن والحسين رضى الله عنهما فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة^(٣).

و- الأساس السادس: تفقد حال الطفل والسؤال عنه:

كثيراً ما يمشى الطفل وحده فيضل الطريق ويتهى فى الشارع، فإذا كان الوالدان مهتمين بحال الطفل تنبهاً سريعاً لشروده، وتم تتبع أثر الطفل والعثور عليه بأسرع ما يمكن، والعكس بالعكس، وهذه السرعة تلعب دوراً كبيراً فى نفس الطفل فالتأخير عليه يزيد من مخاوفه وآلامه وبكائه ويشدد عذابه النفسى كلما زادت فترة تأخر وصول أحد والديه إليه، لهذا سارع رسول الله ﷺ وأمر أصحابه بمساعدته والانتشار فى الطرقات حتى يتم العثور على الحسن والحسين^(٤)، فقد روى

(١) مستدرك الحاكم (٣/٣٧٩).

(٢) منهج التربية النبوية للطفل، ص (١٨٥).

(٣) مسلم، رقم (٢٣٢٨)، سير أعلام النبلاء (٣/٤٥٨).

(٤) منهج التربية النبوية للطفل، ص (١٨٦).

الطبراني عن سلمان رضى الله عنه قال: كنا حول رسول الله ﷺ فجاءت أم أيمن رضى الله عنهما فقالت: يا رسول الله لقد ضل الحسن والحسين رضى الله عنهما، قال: وذلك وأد النهار - يقول ارتفاع النهار - فقال النبي ﷺ: قوموا فاطلبوا ابني وأخذ كل رجل وجهة وأخذت نحو النبي ﷺ فلم يزل حتى سفح جبل وإذا الحسن والحسين رضى الله عنهما ملتزق كل واحد منهما صاحبه. وإذا شجاع - أى حية الذكر وقيل الحية مطلقاً - قائم على ذنبه يخرج من فيه شرار النار، فأسرع إليه رسول الله ﷺ فالتفت مخاطباً لرسول الله ﷺ ثم انساب - أى جرى - فدخل بعض الأحجار ثم أتاهما، فأفرق بينهما ثم مسح وجوههما وقال: بأبى وأمى أئتما ما أكرمكما على الله ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على عاتقه الأيسر، فقلت: طوبى لكما نعم المطية مطيتكما، فقال رسول الله ﷺ: ونعم الراكبان هما، وأبوهما خير^(١) منهما. فأنت تلاحظ الخوف الذى حصل للحسن والحسين حيث التزق كل واحد بالآخر خائفاً من الحية، ومسارعة الرسول ﷺ لفك هذا الخوف ثم التفريق بينهما.. ثم مسح وجهيهما - ثم دعا لهما ثم أكرمهما بحملهما على عاتقه ثم مدحهما، بقوله: ونعم الراكبان هما، وما ذلك إلا من شدة حبه وحرصه واهتمامه بالحسن والحسين^(٢).

ز- الأساس السابع: لعب الكبار مع الصغار والأطفال:

كان النبي ﷺ - وهو الرسول القائد - يلعب مع الحسن والحسين - كما مر معنا - وما هذا إلا ليربى الوالدين والكبار، وليقتدوا به ويلعبوا مع أطفالهم، وقد روى أن رسول الله ﷺ كان يشجع الحسن على الحسين فعن أبى عباس قال: اتحد الحسن والحسين عند رسول الله ﷺ، فجعل يقول: هى يا حسن، خذ يا حسين، فقالت عائشة: تعين الكبير؟ قال إن جبريل يقول: خذ يا حسين^(٣)، وجاء فى رواية ضعيفة عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قعد رسول الله ﷺ موضع

(١) معجم الطبرانى (٣/٦٥)، رقم (٢٦٧٧) وفى المجمع (٩/١٨٢) وفيه أحمد بن راشد الهلالي وهو ضعيف، ضعفه الذهبى فى المغنى (١/٣٩).

(٢) منهج التربية النبوية للطفل، ص (١٨٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/٢٦٦) إسناده حسن.

الجنائز، فطلع الحسن والحسين فاعتركا، فقال النبي ﷺ: إيهما حسن. فقال عليٌّ: يا رسول الله: أعلى حسين تواليه؟ فقال: هذا جبريل يقول: إيهما حسين^(١)، فأنت شاهدت أنواعاً مختلفة من لعبه ﷺ مع الحسن والحسين وما ذاك إلا ليدلك النبي ﷺ إلى فكرة التنوع في اللعب مع الأطفال، وأنت لاحظت أيضاً ثناءه ومدحه لهما في اللعب، وذلك ليزيد من نشاطهما النفسي في اللعب فيستمران بلا كلل ولا تعب ويتابعان اللعب بحب وشغف، وذلك ليكون غذاء جسمياً ونفسياً في آن واحد^(٢)، كما أن اللعب للأطفال فيه مجموعة من الفوائد والقيم منها جسدية، وتربوية، واجتماعية، وخلقية، وذاتية، وعلاجية^(٣)... إلخ.

ثانياً: شبه الحسن بن علي رضي الله عنه بالنبي ﷺ:

١- عن أبي خالد، قال: قلت لأبي جُحَيْفَةَ: رأيت النبي ﷺ؟ قال: نعم: كان أشبه الناس به الحسن بن علي^(٤).

٢- عن عقبة بن الحارث، قال: إنني لمع أبي بكر إذ مرَّ علي الحسن بن علي فوضعه على عنقه ثم قال: بأبي شبه النبي لا شبيهاً بعليّ، قال: وعليّ معه فجعل عليّ يضحك^(٥)، وفي رواية أخرى عن عقبة بن الحارث، قال: خرجت مع أبي بكر من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ ليلال وعليّ يمشي إلى جنبه فمر بحسن ابن عليّ وهو يلعب مع غلمان فاحتمله على رقبته وهو يقول: وبأبي شبه النبي ليس بشبه بعليّ وعليّ يضحك^(٦)، ونرى حقيقة المحبة والانسجام بين أبي بكر وعليّ وهذا ما تؤكد هذه الرواية الصحيحة ليس كما يدعى بعض الناس.

٣- عن هانئ بن هانئ، عن عليّ قال: الحسن أشبه رسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه النبي ﷺ ما كان أسفل ذلك^(٧).

(١) سير أعلام النبلاء فيه انقطاع ضعيف جداً وقوله: أيها معناه التحريض والتشجيع والاستحسان، والأصل

فيها أنها للكف انظر سير أعلام النبلاء (٣/٢٨٤).

(٢) منهج التربية النبوية للطفل، ص (٢٠٩ - ٢١٦).

(٣) المصدر نفسه، ص (٢١٦).

(٤) الطبقات الكبرى، الطبقة الخامسة من الصحابة (١/٢٤٥) أخرجه البخاري، رقم (٣٥٤٤) إسناده صحيح.

(٥) البخاري، رقم (٣٧٥٠).

(٦) الطبقات، الطبقة الخامسة من الصحابة (١/٢٤٧) إسناده صحيح.

(٧) الطبقات، الطبقة الخامسة (١/٢٤٧) إسناده ضعيف.

٤- عن عاصم بن كليب، قال: حدثني أبي، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في النوم فقد رآني، فإن الشيطان لا يتحلني». قال أبي: فحدثته ابن عباس وأخبرته أنني قد رأيته^(١)، قال: رأيته؟ قلت: أرى والله لقد رأيته، قال: فذكرت الحسن بن علي؟ قال: إني والله، لقد ذكرته وتفيته^(٢) في مشيته^(٣). قال ابن عباس: إنه كان يُشبهه^(٤).

٥- عن البهي مولى الزبير قال: تذاكرنا من أشبه النبي ﷺ من أهل بيته؟ فدخل علينا عبد الله بن الزبير فقال: أنا أحدثكم بأشبه أهله به، أحبهم إليه، الحسن بن علي، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته، أو قال: ظهره، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته يجيء وهو راکع فيفرج له بين رجله حتى يخرج من الجانب الآخر^(٥).

٦- قال: قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري أخبرني أنس قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي^(٦)، وعنه قال: كان الحسن بن علي من أشبههم وجهًا بالنبي ﷺ^(٧).

٧- عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أنها أتت بالحسن والحسين إلى رسول الله ﷺ في شكواه الذي توفي فيه، فقالت: يا رسول الله هذان ابناك، فورثهما شيئًا. فقال: «أما الحسن فله هيبتي وسؤددى، وأما حسين فله جرأتي وجودى»^(٨).

٨- وعن أبي مليكة قال: كانت فاطمة رضى الله عنها تنقر الحسن وتقول: بنى شبيه رسول الله ﷺ ليس بشييه على^(٩) رضى الله عنهما.

(١) أى رأى النبي ﷺ فى المنام.

(٢) تفيته: أى تحريكه يمينًا وشمالاً انظر: لسان العرب (١/١٢٥).

(٣) الطبقات، الطبقة الخامسة (١/٢٤٨).

(٤) المصدر نفسه (١/٢٤٨) إسناده حسن.

(٥) المصدر نفسه (١/٢٤٩) إسناده ضعيف.

(٦) الصحيح المسند من فضائل الصحابة للعدوى، ص (٢٦٣).

(٧) ذخائر ذوى القربى، ص (٢٢١).

(٨) الأحاديث الواردة بشأن السبطين، ص (٢٨٧) قال الشيخ عثمان الخميس: فى ضوء دراسة إسناد الحديث تبين أنه ضعيف جدًا لمكان محمد بن حميد وإبراهيم بن على، ص (٢٨٩).

(٩) مجمع الزوائد (٩/١٧٦) مرسل وفيه زعمة بن صالح وهو لين.

٩- ومن يشبه برسول الله ﷺ: جعفر بن أبي طالب، والحسن بن علي، وأبو سفيان بن الحارث، وقثم بن العباس، والسائب بين عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب^(١).

١٠- عن أبي إسحاق أنه سمع هبيرة بن يريم أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول: من سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين عنقه إلى وجهه وشعره فلينظر إلى الحسن بن علي، ومن سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين عنقه إلى كعبه خلقاً فلينظر إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما^(٢).

ثالثاً: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة:

١- عن حذيفة قال: سألتني أُمِّي: منذ متى عهدك بالنبى ﷺ؟ قال: فقلت لها: منذ كذا وكذا. قال: فتالت مني وسبّتنى. قال: فقلت لها: دَعِنِي فَإِنِّي آتَى النَّبَى ﷺ فَأُصَلِّيَ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ لَا أَدْعُهُ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكَ، قال: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، فَصَلَّى النَّبِيُّ الْعِشَاءَ ثُمَّ انْقَلَبَ فَتَبِعْتُهُ فَعَرَضَ لِي عَارِضٌ فَتَنَاهَا ثُمَّ ذَهَبَ، فَاتَّبَعْتُهُ فَسَمِعْتُ صَوْتِي فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فقلت: حذيفة. قال: مَا لَكَ؟ فَحَدَّثْتُهُ بِالْأَمْرِ، فَقَالَ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلِأُمَّكَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا رَأَيْتِ الْعَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي قُبَيْلَ؟ قال: قلت: بلى. قال: فَهُوَ مَلِكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَهْطِ الْأَرْضُ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَاسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلَّمَ عَلَيَّ وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ^(٣).

٢- عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة^(٤).

٣- عن الحكم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى ويحيى.

(١) التبيين في أنساب القرشيين، ص (١٠٢).

(٢) الشريعة للأجري (٢١٤٦/٥).

(٣) مسند أحمد (٣٩١/٥) الحديث فيه المنهال بن عمرو تكلم فيه بعضهم لترك شعبة له ولكنه مقبول الحديث على الصحيح، ثم هو قد توبع من قبل عدى بن ثابت وعاصم وهما وإن كانا في الطريقتين عنهما كلام إلا أنه يمكن أن يقوى بعضهما انظر: الأحاديث الواردة بشأن السطين، ص (١٧٦).

(٤) الأحاديث الواردة بشأن السطين، ص (١٨٢) حسن لغیره.

ابن زكريا عليهما السلام^(١)، وقد قام الشيخ عثمان الخميس بدراسة طرق هذا الحديث وبين أنه روى عن ستة عشر صحابياً^(٢)، وقال: والحديث سئل عنه أحمد ابن حنبل، فقال: صحيح^(٣)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وقال: في أسانيده كلها ضعف^(٤)، وقال الذهبي: روى من وجوه يُقوَّى بعضها بعضاً^(٥). ثم قال عثمان الخميس: والذي يظهر لي أنه يمكن الجمع بين أقوال هؤلاء الأئمة، فهو كما قال الحافظ ابن كثير: في أسانيده كلها ضعف. انتهى، وبعضها حسن وبعضها حسن لغيره، فيقوَّى بعضها بعضاً، كما قال الحافظ الذهبي، وبالتالي فهو صحيح كما قال الإمام أحمد ولكن لغيره^(٦) والله أعلم.

رابعاً: هما ريحانتاي من الدنيا:

عن أبي نعيم، قال: سمعت عبد الله بن عمر وسأله عن المحرم - قال شعبة أحسبه يقتل الذباب - فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقال النبي ﷺ: هما ريحانتاي من الدنيا^(٧)، وعن الحسن، عن أبي بكرة قال: رأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما يثبان على ظهر رسول الله ﷺ وهو يصلي فيمسكهما بيده حتى إذا استقر على الأرض تركهما، فلما صلى أجلسهما في حجره ثم مسح رؤوسهما، ثم قال: إن ابني هذين ريحانتاي من الدنيا ثم أقبل على الناس فقال: إن ابني هذا سيد، وأرجو أن يصلح الله عز وجل به بين فئتين عظيمتين في آخر الزمان^(٨)، قال محمد بن الحسين الآجري: يعني به الحسن رضي الله عنه^(٩)، وعن أبي بكرة قال: كان النبي ﷺ إذا رفع رأسه أخذه فوضعه على الأرض الحسن فركب ظهره، فكان النبي ﷺ إذا رفع رأسه أخذه فوضعه على الأرض

(١) الشريعة للأجري (٢١٤٤/٥) إسناده حسن.

(٢) الأحاديث الواردة بشأن الشيطان، ص (٢١١).

(٣) السؤال، رقم (١٢٤) المنتخب من العلل للخلال، لابن المقدسي.

(٤) البداية والنهاية (٢٠٨/٨).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢٨٣/٣).

(٦) الأحاديث الواردة بشأن الشيطان، ص (٢١٢).

(٧) البخاري، رقم (٣٧٥٣).

(٨) صحيح ابن حبان، رقم (٦٩٦٤).

(٩) الشريعة للأجري، ص (٢١٥٧).

وضعاً رفيقاً، فإذا سجد ركب ظهره، فلما صلى أخذه فوضعه فى حجره، فجعل يقبله، فقال له رجل: أتفعل بهذا الصبي هكذا؟ فقال: إنهما ريحانتاي، وعسى الله عز وجل أن يصلح به بين فئتين من المسلمين^(١).

خامساً: سيادته فى الدنيا والآخرة:

أعلن رسول الله ﷺ مكانة الحسن بن على رضى الله عنه وبين جلاله قدره، على مرأى ومسمع من الناس فى غير ما مرة، وقد تواترت الروايات بقوله ﷺ عن الحسن: «وإن ابني هذا سيد».

قال ابن عبد البر: وتواترت الآثار الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال فى الحسن بن على: إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين^(٢)، وزواه جماعة من الصحابة، وفى حديث أبى بكره فى ذلك: وأنه ريحانتى من الدنيا، ولا أسود ممن سماه رسول الله ﷺ سيداً^(٣). وعن أبى بكره قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر، والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين^(٤)، فهذا الحديث فيه منقبة للحسن رضى الله عنه فقد أخبر النبي ﷺ بأنه سيد. قال ابن الأثير: قيل: أراد به الحليم لأنه قال فى تمامة: وإن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين^(٥). وجاء فى تحفة الأحوذى «فيه أن السيادة لا تختص بالأفضل بل هو الرئيس على القوم والجمع سادة وهو مشتق من السؤدد وقيل من السواد لكونه يرأس على السواد العظيم من الناس: أى الأشخاص الكثيرة، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين تشبه فئة وهى الفرقة^(٦)، ووصفه عليه الصلاة والسلام للفئتين بالعظيمتين، كما فى رواية عند البخارى^(٧)، لأن المسلمين كانوا يومئذ

(١) الشريعة للأجرى، ص (٢١٥٧) إسناده حسن.

(٢) مسند أحمد (٥١/٥) والبخارى بنحوه (٣/٢٤٤).

(٣) الاستيعاب (١/٤٣٧).

(٤) البخارى، فضائل الصحابة، رقم (٣٧٤٦).

(٥) النهاية فى غريب الحديث (٣/٤١٧).

(٦) تحفة الأحوذى (١/٢٧٧).

(٧) البخارى، فضائل الصحابة، رقم (٣٧٤٦).

فرفقتين فرقة مع الحسن رضى الله عنه وفرقة مع معاوية، وهذه معجزة عظيمة من النبى ﷺ حيث أخبر بهذا فوق مثل ما أخبر، وأصل القضية أن على بن أبى طالب لما ضربه عبد الرحمن بن ملجم الماردى يوم الجمعة وليلة السبت وتوفى ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين من الهجرة وبويع لابنه الحسن بالخلافة فى شهر رمضان من هذه السنة، وأقام الحسن أياماً مفكراً فى أمره، ثم رأى اختلاف الناس فرقة من جهته وفرقة من جهة معاوية ولا يستقيم الأمر، ورأى النظر فى إصلاح المسلمين وحقن دمائهم أولى من النظر فى حقه سلم الخلافة لمعاوية فى الخامس من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وقيل: فى ربيع الآخر وقيل: فى غرة جمادى الأولى، وكانت خلافته ستة أشهر إلا أياماً وسمى هذا العام عام الجماعة وهذا الذى أخبر به النبى ﷺ: «لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين»^(١). فالحديث فيه علم من أعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن على فإنه ترك الملك لا قلة ولا ذلة بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة.

عن سعيد بن أبى سعيد قال: كنا مع أبى هريرة جلوساً، فجاء الحسن بن على ابن أبى طالب، فسلم علينا، فرددنا عليه، وأبو هريرة لا يعلم فمضى، فقلنا: يا أبا هريرة هذا الحسن بن على قد سلم علينا، فقام فلققه، فقال: يا سيدى، فقلت له: تقول يا سيدى؟ قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه لسيد^(٢). وعن جابر بن عبد الله أنه قال: من سره أن ينظر إلى سيد شباب الجنة، فلينظر إلى الحسن بن على^(٣). وقد نقل إلينا خبر سيادة الحسن والحسين فى الجنة جمع غفير من الصحابة، وما ذلك إلا لإعلان رسول الله ﷺ بذلك مرة بعد مرة، أو فى محافل جامعة، ومن جاء عنهم، عبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله، وعمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وأسامة بن زيد، وقرة بن إياس، ومالك بن الحويرث، والبراء بن عازب، وأبو هريرة رضى الله عنهم وغيرهم^(٤).

(١) فتح البارى (١٣/٦٦).

(٢) مستدرک الحاكم (٣/١٦٩) وقال: صحيح، وأقره الذهبى والطبرانى، رقم (٢٥٩٦) وقال الهيثمى فى المجمع (٩/١٧٨): رجاله ثقات.

(٣) صحيح ابن حبان (١٥/٤٢١، ٤٢٢) مناقب الحسن، وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية وذكر إسناده وقال: لا بأس به.

(٤) روايات هذه الأحاديث فى مجمع الزوائد (٩/١٨٣) والمعجم الكبير (٣/٢٤) والدوحة النبوية الشريفة، ص (٨١).

سادساً: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة:

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يُعوذُ الحسن والحسين ويقول: إن أباكما - أى إبراهيم عليه السلام - كان يُعوذُ بها إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة^(١) ومن كل عين لامة^(٢)، وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ يُعوذُ الحسن والحسين يقول: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، ويقول: وهكذا كان إبراهيم يُعوذُ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام^(٣).

وهذا علاج يتفرد به الطب النبوى للأطفال، وهو ركن من أركان المحافظة على صحة الطفل عند رسول الله ﷺ، وهذا ما فعله - ﷺ - مع الحسن والحسين^(٤)، وفى هذا الحديث قيمة رفيعة حيث بين رسول الله ﷺ أهمية دعاء الوالدين لأبنائهم وما فيها من فوائد عظيمة منها، جلب الراحة والطمأنينة والحفظ والبركة للأبناء والآباء من جهة، ومن جانب آخر صرف الشر عنهم بإذن الله من الحسد والشيطان وهوام الأرض وفوق هذا كله، فإن الدعاء هو مخ العبادة كما قال رسول الله ﷺ، وفيه شعور بالفقر والالتجاء إلى الله وحده وهذا من أهم مقاصد الإسلام.

سابعاً: الأحاديث التى رواها الحسن بن على عن رسول الله ﷺ:

إن مما اتفق عليه المسلمون أن أصول العلم والمعرفة التى توصل إلى مرضاة الحق سبحانه وتعالى القرآن الكريم، وما ثبت من أقوال وأفعال وتقريرات الحبيب المصطفى ﷺ وهذا ما يعرف بالسنة النبوية، وهى لا تُعرفُ عبر الحقب والأجيال إلا بالنقل والرواية والأخبار، وقد اتجه أهل العلم والمعرفة إلى ضبط أسماء الرواة ومعرفتهم، ثم البحث عن سيرهم وأحوالهم، ليخلصوا إلى التأكد من أمرين اثنين وإعطاء كل راوٍ قدره فى ميزانهم:

(١) هامة: كل ذات سم يقتل كالحية وغيرها.

(٢) لامة: هى التى تصيب ما نظرت إليه بسوء، البخارى، رقم (٣٣٧١).

(٣) سنن الترمذى، رقم (٢٠٦٠) حديث حسن صحيح.

(٤) منهج التربية النبوية للطفل، ص (٢٤٨).

١- العدالة: وهى استقامة السيرة، وصلاح الحال، والتقضى عن المحرمات بعد القيام بالواجبات، والتحلى بالمروءة وارتداء لبوسها السابغ.

٢- الضبط والاتقان للحديث المروى والنص المنقول، والوعى والاستيعاب له، حفظاً أو كتابة أو هما معاً، وهذا الذى تقدم حكم عام شامل لجميع الرواة ونقله السنة النبوية، خلا الصحابة، رضوان الله عليهم لأنهم حملة الرسالة عن رسول الله ﷺ، وقد رباهم على عينه ونشأهم بكريم رعايته وعميق عنايته.

ولقد كان الأئمة من أهل البيت الكرام، رضوان الله عليهم محل تقدير علماء الحديث والرواية، فى الأخذ عنهم ما روه عن رسول الله ﷺ، لما تمتعوا به من عدالة وإتقان، وأمير المؤمنين على رضوان الله عنه وابناه الحسن والحسين من جلّة الصحابة فهم فوق التعديل والسؤال لكونهم من سادات الصحابة رضى الله عنهم. وأبو الحسن، أمير المؤمنين على رضى الله عنه روى له بقى بن مخلد الأندلسى المتوفى ٢٧٦هـ فى مسنده - وهو أوسع المسانيد فى الإسلام - خمسمائة وستة وثمانين حديثاً (٥٨٦) (١). وروى له أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ فى مسنده المتداول بين أيدينا ثمانمائة وتسعة عشر حديثاً بتكرار الطرق (٨١٩) (٢)، وأخرج له أصحاب الكتب الستة: البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه، ثلاثمائة واثنين وعشرين حديثاً (٣٢٢) (٣)، اتفق البخارى ومسلم على عشرين حديثاً منها (٢٠) وانفرد البخارى بتسعة (٩)، ومسلم بخمسة عشر حديثاً (١٥) وفى الأحاديث من المضامين والمعانى ما يتعلق بجميع وسائل الحياة: العقائد والأحكام والتفسير وغيرها (٤).

ويعتبر أمير المؤمنين على أكثر الخلفاء الراشدين رواية لأحاديث رسول الله ﷺ، وهذا راجع إلى تأخر وفاته عن بقية الخلفاء، وكثرة الرواة عنه، وانتشار طلبه العلم من التابعين الذين كانوا يكثرون السؤال، ووقوع الأحاديث التى تقتضى البلاغ

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص (١٣٩) مقدمة مسند بقى بن مخلد، ص (٨٠).

(٢) مسند أحمد (١/١٦٤).

(٣) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزى (٧/٣٤٦).

(٤) الدوحة النبوية الشريفة، ص (١٤٠).

والرواية فى أمور كثيرة فنقلوا عنه ما بلغهم بأمانة ونزاهة^(١)، وقد استفاد ابنه الحسن منه استفادة عظيمة، أما من جده ﷺ فقد توفى ﷺ والحسن صغير كما هو معلوم، فعقل عن رسول الله ﷺ أحاديث وأموراً ذكرها منسوبة لرسول الله ﷺ كصغار الصحابة الآخرين، ابن عباس ومحمود بن الربيع، فقد حفظ الحسن عن جده وعن أبيه وأمه وحدث عنه ابنه الحسن بن الحسن، وسويد بن غفلة، وأبو الحوراء السعدى، والشعبى، وهبيرة بن برّيم، وأصبع بن نباته والمسيب بن نجبة^(٢)، وقد روى له بقى بن مخلد فى مسنده عن رسول الله ﷺ ثلاثة عشر حديثاً (١٣)^(٣)، وروى له أحمد فى مسنده عشرة أحاديث (١٠)، وله فى السنن الأربعة ستة أحاديث^(٤) وهذه الأحاديث منها:

١- عن أبى الحوراء عن الحسن بن على قال: علمنى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن فى قنوت الوتر: «اللهم أهلى فىمّن هدى، وعافى فىمّن عافيت، وتولنى فىمّن توليت، وبارك لى فيما أعطيت وقنى شر ما قضيت، فإنك تقضى ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت»^(٥). ونرى هنا كيف حرص سيد البشر على تعليم الحسن محبة الله سبحانه وتعالى وعبوديته والتعلق بالله وحده لا شريك له، وهذه هى حقيقة التوحيد الخالص الذى يجب أن يحققه المسلم فى حياته ويربى عليه أبنائه.

٢- عن هبيرة قال: خطبنا الحسن بن على، فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلم، ولا يدرکه الآخرون، كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية، جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله، لا ينصرف حتى يفتح له^(٦).

(١) الدوحة النبوية الشريفة ص (١٤٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٢٤٦).

(٣) تلقيح أهل الأثر فى عيون التاريخ والسير لابن الجوزى، ص (٣٦٩).

(٤) مسند أحمد (٣/١٦٧) تحقيق أحمد شاكر، مسند أهل البيت تحقيق عبد الله الليثى الأنصارى، ص (٢٥)، الدوحة النبوية، ص (١٤٢).

(٥) مسند أحمد (٣/١٦٨) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٦) مسند أحمد (٣/١٦٧، ١٦٨) إسناده صحيح.

٣- عن عمرو بن حبشي قال: خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس، ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه ويعطيه الراية، فلا ينصرف حتى يفتح له، وما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه، كان يرصدها لخدام أهله^(١).

٤- عن محمد بن علي عن الحسن بن علي: أنه مرّ بهم جنازة، فقام القوم ولم يَقم، فقال الحسن: ما صنعتم؟ إنما قام رسول الله ﷺ تأذياً بريح اليهودي^(٢).

٥- عن أبي الحوراء السعدى قال: قلت للحسن بن علي: ما تذكر من رسول الله ﷺ؟ قال: أذكر إنى أخذت ثمرة من تمر الصدقة، فألقيتها فى فمى، فانتزعها رسول الله ﷺ بلعابها فألقاها فى التمر، فقال له رجل: ما عليك لو أكل هذه الثمرة؟ قال: إنا لا نأكل الصدقة، قال: وكان يقول: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة، قال: وكان يعلمنا هذا الدعاء: اللهم اهدنى فيمن هديت، وعافنى فيمن عافيت، وتولنى فيمن توليت، وبارك لى فيما أعطيت، وقنى شر ما قضيت، إنه لا يذل من واليت، وربما قال: تباركت ربنا وتعاليت^(٣).

ومن خلال حديث رسول الله ﷺ يتضح أن آل بيت رسول الله ﷺ لا تحل لهم الصدقة، والصدقة نوعان، صدقة الفرض، وهى الزكاة، وصدقة التطوع، يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. قال المفسرون: هى الزكاة أى الصدقة المفروضة، وليس هناك خلاف فى أن الصدقة بنوعيها لا تحل لرسول الله ﷺ، وصدقة الفرض، كما تحرم عليه ﷺ، تحرم على آل رضوان الله عليهم، ولكن فى حرمة صدقة التطوع على آل البيت خلاف، فللشافعى رضى الله عنه فيها قولان، أصحهما بالحرمة، وسبب حرمة الصدقة أو الزكاة على آل البيت الطاهرين أو ضحه الحبيب المصطفى ﷺ، فى حديث شريف طويل، نأخذ منه قوله ﷺ: «إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد، إنما هى أوساخ الناس»^(٤)، قال الإمام النووى فى شرحه لهذا الحديث فى صحيح

(١) مسند أحمد (١٦٧/٣، ١٦٨) إسناده صحيح.

(٢) مسند أحمد (١٦٧/٣، ١٦٩) إسناده ضعيف لانقطاعه.

(٣) مسند أحمد (١٦٧/٣، ١٦٩) إسناده صحيح.

(٤) مسلم رقم (١٠٧٢).

مسلم: ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم، كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. فهي كغسالة الأوساخ، وفي هذا تنزيه لهم، وإعلاء لمكانتهم، والتنويه بطهارتهم^(١)، رضى الله عنهم، ولهذا لم يكونوا يأخذون شيئاً من الصدقات فى عهد رسول الله ﷺ، ولا بعد ذلك، وكانوا يأخذون نصيبهم من خمس الغنائم، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١]. قال المفسرون قوله تعالى: ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾، أى سهم من الخمس يعطى لرسول الله ﷺ، ولذى القربى، وقد اختلف العلماء فى المراد بالآل فى الزكاة وفى تحديددهم إلى قولين:

أ- ذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد فى رواية إلى أنهم بنو هاشم فقط وهم آل على، وآل العباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل الحارث بن عبد المطلب، ولم يدخل فيهم أبو لهب فيجوز الدفع إلى بنيه، لأن حرمة الصدقة لبنى هاشم كرامة من الله تعالى لهم ولذريتهم حيث نصرُوا النبي ﷺ فى جاهليتهم وإسلامهم، أما أبو لهب فكان حريصاً على أذى رسول الله ﷺ فلم يستحقها بنوه^(٢)، وقال بعض علماء الحنابلة: ويدخل فيهم آل أبى لهب لأنهم من سلالة هاشم^(٣)، وكيف لا يدخلون وقد أسلم من أبناء أبى لهب عتبة ومعتب يوم الفتح، وسر النبي ﷺ بإسلامهما ودعا لهما وشهدا معه حينئذ والطائف ولهم عقب عند أهل النسب^(٤).

ب- ويرى الشافعى أنهم بنو هاشم وبنو المطلب: واستدل على ذلك بما يلى:

* أن النبي ﷺ أعطى سهم ذوى القربى من الخمس لبنى هاشم وبنى المطلب ولم يعط أحداً من قبائل قريش غيرهم، كما أخرج البخارى من حديث جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله أعطيت بنى عبد المطلب من خمس خيبر وتركنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال النبي ﷺ:

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (١٨٣/٧ - ١٨٧).

(٢) شرح فتح القدير لابن الهمام (٢٧٢/٢ - ٢٧٤)، المنتقى للبايى (١٥٣/٢)، نيل الأوطار (١٧٢/٤).

(٣) الإنصاف للمرداوى (٢٥٥/٣، ٢٥٦).

(٤) التبيين فى أنساب القرشيين، ص (١٤٣).

إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد^(١). ووجه الدلالة من الحديث أن بنى المطلب مع بنى هاشم فى سهم ذوى القربى، وهم آله، فدل على أن بنى المطلب آل النبى ﷺ أيضاً، وعلى أن الزكاة تحرم عليهم وأن هذه العطية إنما هى عوض عما حرموه من الصدقة، وبالتالي فإن هذا الحكم (منع الزكاة) يتعلق بذوى القربى، كاستحقاق الخمس فوجب أن يستوى فيه الهاشمى والمطلبى^(٢)، وعن الإمام أحمد فى بنى المطلب روايتان:

إحدهما: تحرم عليهم الزكاة لقول النبى ﷺ: إنا وبنو المطلب لم نفترق فى جاهلية ولا إسلام إنما نحن شيء واحد^(٣). وفى لفظ رواه الشافعى فى مسنده: «إنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه»^(٤)، ولأنهم يستحقون من خمس الخمس فلم يكن لهم الأخذ من الزكاة كبنى هاشم.

ثانيتها: لهم الأخذ منها وفقاً لمذهب أبى حنيفة ومالك لدخولهم فى عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]. لكن خرج بنو هاشم لقوله ﷺ: إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد^(٥)، فيختص المنع بهم^(٦)، وقالوا: إن قياس بنى المطلب على بنى هاشم غير صحيح لأن بنى هاشم أقرب إلى النبى ﷺ وأشرف، وأما مشاركتهم لهم فى خمس الخمس فلم يستحقوا ذلك بمجرد القرابة، بل لنصرتهم لرسول الله ﷺ والنصرة لا تقتضى المنع^(٧).

وقد تحدث الفقهاء عن حكم دفع الزكاة إليهم فى حال منعهم من خمس الخمس، فإذا لم يعطوا حقهم من خمس الخمس لخلو بيت المال من الفئ أو الغنيمة، أو لاستيلاء الظلمة واستبدادهم بهما، فقد قال بعض العلماء من المتقدمين

(١) البخارى ك فرض الخمس، رقم (٣١٤٠).

(٢) معالم السنن للخطابى (٧١/٢)، الأم للشافعى (٦٩/٢)، المجموع للنووى (٢٤٤/٦)، العقيدة فى أهل البيت، ص (١٨١).

(٣) سنن أبى داود، الإمارة، رقم (٢٩٨٠).

(٤) سنن النسائى، رقم (٤١٣٧).

(٥) مسلم، رقم (١٠٧٢).

(٦) العقيدة فى أهل البيت، ص (١٨١).

(٧) المغنى لابن قدامة (٤/١١١، ١١٢).

والتأخرين أنهم يعطون من الزكاة، فقد روى عن الإمام أبي حنيفة أنه يجوز الدفع إلى بني هاشم في زمانه، لأن عوضهما وهو الخمس لم يصل إليهم، وإذا لم يصل إليهم العوض (الخمس) عادوا إلى المعوض (الزكاة^(١))، وقال بعض المالكية: إذا حرموا حقهم من بيت المال وصاروا فقراء جاز أخذهم وإعطاؤهم من الزكاة^(٢)، وفي ذلك يقول أبو بكر الأبهري^(٣): قد حلت لهم الصدقات فرضها ونقلها^(٤)، وقال أبو سعيد الاصطخرى من الشافعية: إن منعوا حقهم من الخمس جاز الدفع إليهم، إنما حرموا الزكاة لحقهم في خمس الخمس، فإذا منعوا منه وجب أن يدفع إليهم^(٥)، وذلك لحديث: إن لكم في خمس الخمس ما يكفيكم، أو يغنيكم^(٦)، فجعلوا الغنى عن الزكاة بخمس الخمس، فإذا عدم زال الغنى، فخمس الخمس علة لاستغنائهم وشرط لمنعهم، فإذا زال الشرط انتفى المانع، وقال بعض علماء الحنابلة: يجوز الأخذ من الزكاة إذا منعوا من خمس الخمس لأنه محل حاجة وضرورة^(٧)، واختاره ابن تيمية^(٨).

٦- حدثنا ربيعة بن شيبان أنه قال للحسن بن علي: ما تذكر من رسول الله ﷺ؟ قال: «أدخلني غرفة الصدقة، فأخذت منها تمره فألقيتها في فمي، فقال رسول الله ﷺ: ألقها فإنها لا تحل لرسول الله ولا لأحد من أهل بيته»^(٩).

٧- حدثنا بريدة بن أبي مریم عن أبي الحوراء قال: كنا عند الحسن بن علي، فسئل: ما عقلت من رسول الله ﷺ؟ أو عن رسول الله ﷺ؟ قال: كنت أمشي

(١) حاشية ابن عابدين (٩١/٢).

(٢) بلغة السالك (٢٣٢/١) حاشية الدسوقي (٤٥٢/١، ٤٥٣).

(٣) هو: محمد بن عبد الله بن محمد صالح أبو بكر التيمسي شيخ المالكية في العراق توفي ٣٧٥هـ: انظر شذرات الذهب (٨٥/٣، ٨٦).

(٤) المنتقى للباي (١٥٣/٢).

(٥) المجموع للنووي (٢٤٤/٦ - ٢٤٦).

(٦) تفسير ابن كثير (٣١٣/٢) قال ابن كثير: حديث حسن الإسناد.

(٧) الإنصاف للمرداوي (٢٥٥/٣) وكشاف القناع للبهوني (٢٩١/٢).

(٨) الاختيارات (١٠٤)، العقيدة في أهل البيت، ص (١٨٦).

(٩) مسند أحمد (١٧٠/٣) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

معه فمر على جرّين من تمر الصدقة، فأخذت تمرة فألقيتها فى فمى، فأخذها بلعابى، فقال بعض القوم: وما عليك لو تركتها؟ قال: إنا آل محمد لا تحلُّ لنا الصدقة، وعقلت منه الصلوات الخمس^(١).

٨- عن أيوب بن محمد: أن الحسن بن على وابن عباس رأيا جنازة، فقام أحدهما وقعد الآخر، فقال الذى قام: ألم يَقم رسول الله ﷺ؟ وقال الذى قعد: بلى وقعد^(٢).

هذه بعض الأحاديث التى رواها الحسن بن على رضى الله عنهما عن جده ﷺ ويعتبر الحسن بن على رضى الله عنه من علماء الصحابة المفتين، وهو من ضمن الطبقة الثالثة، فقد قسم المحدثون علماء الصحابة إلى ثلاث طبقات، وذلك نظراً إلى قلة أو كثرة فتاواهم، قال ابن القيم رحمه الله: كانوا بين مكثر منها ومقل ومتوسط.

أ- المكثرون من الفتيا: والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مئة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة: عمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم؛ قال أبو محمد بن حزم: ويمكن أن يجمع فى فتوى كل واحد منهم سفر ضخمة، قال: وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمون فتيا ابن عباس رضى الله عنه فى عشرين كتاباً، وأبو بكر محمد المذكور أحد أئمة الإسلام فى العلم والحديث.

ب- المتوسطون فى الفتيا: قال أبو محمد: والمتوسطون منهم فيما روى عنهم من الفتيا أبو بكر الصديق، وأم سلمة، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدرى، وأبو هريرة، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهم. . إلخ.

(١) مسند أحمد (٣/ ١٧٠) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

(٢) مسند أحمد (٣/ ١٧١) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

ج- المقلّون في الفتيا: والباقون منهم مقلّون في الفتيا، ولا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألان والزيادة اليسيرة على ذلك. . وهم أبو الدرداء، وأبو اليسر، وأبو سلمة المخزومي، وأبو عبيدة بن الجراح، والحسن والحسين ابنا علي ابن أبي طالب، والنعمان بن بشير، وأبي بن كعب، وأبو أيوب، وأبو طلحة، وأبو ذر، وأم عطية، وصفية أم المؤمنين، وحفصة، وأم حبيبة رضى الله عنهم أجمعين^(١).

ثامناً: صفة رسول الله ﷺ، كما يرويهما الحسن بن علي:

١- عن الحسن بن علي عن خاله هند بن أبي هالة قال: كان رسول الله ﷺ متواصل^(٢) الأحزان، دائم الفكرة ليست له راحة، طويل السكت لا يتكلم من غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه^(٣)، ويتكلم بجوامع الكلم^(٤)، كلامه فصل^(٥)، لا فضول ولا تقصير، ليس بالجافى^(٦) والمهيمن^(٧)، يعظم النعمة وإن دقت^(٨)، لا يذم منها شيئاً، غير أنه لم يكن يذم ذواً^(٩)، ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا ولا مكان لها^(١٠)، فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح^(١١)، وإذا فرح غص طرفه، جل^(١٢) ضحكته التبسم،

(١) إعلام الموقعين (١/١٢، ١٣)، سيرة عائشة، سليمان الندوي، ص (٣٢٧).

(٢) أى لا ينفك حزن عن حزن يعقبه.

(٣) جمع شدة بالكسر طرف الفم أى أنه يستعمل جميع فمه للتكلم ولا يقتصر على تحريك الشفتين كفعل المتكبرين.

(٤) أى بكلمات قليلة الحروف جامعة لمعان كثيرة وقيل: الجوامع القواعد الكلية المحتوية على الفروع المتكررة.

(٥) الفاصل بين الحق والباطل.

(٦) الجافى: الغليظ الطبع السيئ الخلق العديم البر.

(٧) المهيمن: لم يكن غليظ الخلق ولا ضعيفه بل كان معتدلاً، من أنواع المهابة والوقار والجلالة.

(٨) صغرت وقلت.

(٩) المأكول والمشروب فعال بمعنى المفعول من الذوق.

(١٠) أى ولا يغضبه أيضاً ما كان له علاقة بالدنيا.

(١١) جد فى الإعراض وبالغ فيه.

(١٢) معظمه أو أكثره.

(١٣) من افتر ضحك ضحكاً حسناً حتى بدت أنسانه من غير قهقهة.

يفتر^(١٣) عن مثل حب الغمام^(١)، وكان فخمًا^(٢) مفخمًا^(٣) يتلألا^(٤) وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، مسيح^(٥) القدمين ينبو^(٦) عنهما الماء، إذا زال^(٧) زال قلعا يخطو تكفيا^(٨)، ويمشى هونا ذريع المشية^(٩)، إذا مشى كأنما ينحط من صيب^(١٠)، وإذا التفت التفت جميعا^(١١)، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة^(١٢)، يسوق أصحابه، يبدأ من لقي بالسلام^(١٣).

٢- وعن الحسن بن على عن الحسين بن على عن أبى طالب رضى الله عنهم جاء وصف النبى كالتالى: لم يكن فاحشا ولا متفحشا^(١٤) ولا صاخبا^(١٥) فى الأسواق، ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح^(١٦). ما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله ولا ضرب خادما، ولا امرأة، ما رأيته منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم يتتهك من محارم الله تعالى شىء، فإذا انتهك من محارم الله تعالى كان من أشدهم غضبا، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وإذا دخل بيته كان بشرا من البشر يلقى^(١٧) ثوبه، ويحلب شاته،

(١) أى البرد.

(٢) أى عظيما فى نفسه.

(٣) أى المعظم فى الصدور والعيون.

(٤) يتلألا: أى يستنير.

(٥) مسيح: أملسهما.

(٦) ينبو: يتباعد ويتجافى.

(٧) أى رفع رجله عن الأرض رفعا باثنا بقوة لا كمن يمشى ويقارب خطاه تبخرا.

(٨) جملة مؤكدة لما قبلها وهو بكسر الفاء المشددة بعدها ياء أى يمشى مائلا إلى سنن المشى لا إلى طرفيه،

يقال يتكفا أى يتمايل إلى قدام.

(٩) أى سريعا.

(١٠) أى محل منحدر.

(١١) أى لا يسارق النظر.

(١٢) وهى مفاعلة من اللحظ وهو النظر باللاحظ يقال: لحظه ولحظ إليه.

(١٣) مختارات من أدب العرب لأبى الحسن الندوى، ص (١٣).

(١٤) أى ولا المتكلف به أى لم يكن الفحش له خلقيا ولا كسبيا.

(١٥) صاخبا: صياحا.

(١٦) صفح عنه: أعرض عنه وتركه، بابه فتح.

(١٧) فلا يلقى فليا رأسه أو ثوبه: نقاهما من القمل.

ويخدم نفسه، كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفهم، ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى على أحد منهم بشره^(١)، ولا خلقه، ويتفقد^(٢) أصحابه ويسأل عما فى الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه^(٣)، معتدل الأمر غير مختلف، ولا يغفل مخافة أن يغفلوا ويملوا، لكل حال عنده عتاد^(٤)، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة^(٥) ومؤازرة^(٦)، لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك، يعطى كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو فاضله^(٧) فى حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سألته حاجته لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقهم فصار لهم أباً، وصاروا عنده فى الحق سواء، مجلسه علم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤين^(٨) فيه الحرم ولا تنشئ^(٩) فلتاته^(١٠)، معادلين^(١١) يتفاضلون فيها بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب^(١٢).

٣- عن الحسن بن على عن الحسين بن على عن على رضى الله عنهم ملتقطاً من جزء الشمائل للترمذى: كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب^(١٣)، ليس بفظ^(١٤)،

(١) بشره: بالكسر طلاقة الوجه وبشاشته.

(٢) يتفقد: يتعرف ويطلب من غاب منهم.

(٣) يوهيه: يضعفه.

(٤) العتاد: هو العدة والتأهب مما يصلح لكل ما يقع أعدت وأعدت وأعدت.

(٥) هى إصلاح أحوال الناس بالمال والنفس.

(٦) مؤازرة: المعاونة.

(٧) فاضله: عامله فى حاجة أو خالطه.

(٨) ولا تؤين: هو العيب والتهمة أى لا تقذف ولا تعاب.

(٩) ولا تنشئ: لا تشاع ولا تذاع.

(١٠) فلتاته: زلاته ومعائبه على تقدير وجود وقوعها جمع فلتة.

(١١) متعادلين: متساوين.

(١٢) مختارات من أدب العرب لأبى الحسن الندوى ص ١٥.

(١٣) أى سريع العطف كثير اللطف، جميل الصفح، وقيل: قليل الخلاف وقيل: كناية عن السكون والوقار والخشوع والخضوع.

(١٤) الغليظ السئ الخلق الخشن الكلام.

ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مشاح^(١)، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه ولا يجيب^(٢) فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء^(٣)، والإكبار وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق^(٤) جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم^(٥)، يضحك مما يضحكون، ويتعجب مما يتعجبون، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقة ومسألته حتى إن كان أصحابه يستجلبونهم ويقول إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرشدوه^(٦)، ولا يقبل الشاء إلا من مكافئ^(٧)، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهى أو قيام، أجود الناس صدراً وأصدق الناس لهجة^(٨)، وألينهم عريكة^(٩)، وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه ويقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ (١٠).

تاسعاً: آية التطهير وحديث الكساء:

آية التطهير هي قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وأما حديث الكساء، فقد روت عائشة رضي الله عنها، فقالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل^(١١)، فأدخل علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

(١) اسم فاعل من باب المفاعلة من الشح وهو البخل وقيل: أشده.

(٢) أي لا يجيب أحداً فيما لا يشتهي بل يسكت عنه عفواً وتكرماً.

(٣) الجدل.

(٤) أمالوا رأسهم وأقبلوا ببصرهم إلى صدورهم.

(٥) أي حديث أفضلهم أو كأول تكلمهم أي لا عن ملالة وسامة.

(٦) الإرفاد: الإعطاء والإعانة.

(٧) أي من مقارب في منحه غير مجاوز به عن حد مثله ولا مقصر به عما رفعه الله إليه من علو مقامه.

(٨) اللسان. (٩) الطبيعة.

(١٠) مختارات من أدب العرب لأبي الحسن الندوي، ص (١٦) نقلاً عن السمائل للترمذي.

(١١) كساء من خز أو صوف أو كتان لسان، العرب (٧/٤٠١) والمرحل: نقش فيه تصوير الرجال.

الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿[الأحزاب: ٣٣]﴾، وإن رواية عائشة للحديث تبين لنا كذب من يقول إن الصحابة يكتمون فضائل على، فهذه عائشة التي يدعون أنها تبغض علياً هي التي تروى هذا الفضل لعلي وفاطمة^(١) والحسن والحسين رضى الله عنهم.

إن الخطاب فى الآيات الكريمة كله لأزواج النبى ﷺ حيث بدأ بهن وختم بهن قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿[الأحزاب: ٢٨-٣١] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿[الأحزاب: ٣٣، ٣٤].

فالخطاب كله لأزواج النبى ﷺ ومعهن الأمر والنهى والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما فى هذا من المنفعة التى تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبى ﷺ بالدعاء لهم، كما أن أهل بيت النبى ﷺ يتعدى علياً والحسن والحسين وفاطمة إلى غيرهم كما فى حديث زيد بن أرقم وأنه لما قيل له: نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه ولكن أهل بيته الذين حرموا الصدقة وهم آل على وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس^(٢).

وقد تعتمد علماء الشيعة الإثنى عشرية اقتطاع آية التطهير من السياق القرآنى الذى جاءت فيه والذى خاطب الله به نساء النبى ﷺ إغفالاً لنساء النبى ﷺ من الخطاب، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أم

(١) حقة من التاريخ، ص (١٨٧).

(٢) مسلم، رقم (١٠٧).

المؤمنين عائشة، قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه المرط^(١) المرحل^(٢) من شعر أسود فجاء الحسن بن علي، فأدخله ثم جاء الحسين، فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وحديث أم المؤمنين أم سلمة لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير^(٣)، لتثبت المعنى الذي يريدونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة^(٤)، ويرى علماء الشيعة أن في آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء على وفاطمة والحسن والحسين، من الخطايا والذنوب صغيرها وكبيرها بل ومن الخطأ والسهو البشري^(٥)، ويعتقدون أن الحسن بن علي هو الإمام الثاني المعصوم عندهم.

إن عصمة الإمامة عند الشيعة الإمامية شرط من شروط الإمامة وهي من المبادئ الأولية في كيانهم العقدي ولها أهمية كبرى عندهم ونتيجة لما أضفاه الشيعة الراضية على أئمتهم من صفات وقدرات ومواهب علمية غير محدودة، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسئولاً أمام أحد من الناس ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتى من أفعال، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله من خير لا شر فيه لأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته، ومن هنا قرر الشيعة الراضية للإمام ضمن ما قرروا العصمة، فذهبوا إلى أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ولا يصدر عنهم أي معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان^(٦)، وقد نقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد، فقال: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرع وتأديب الأئام معصومون، كعصمة الأنبياء، وأنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة وأنه لا يجوز

(١) مرط: يعني كساء.

(٢) وهو الموشى المنقوش عليه صور رجال الإبل.

(٣) سنن الترمذی، ك المناقب رقم: (٣٧٨٨).

(٤)، (٥) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٧٦).

(٦) دراسات عن الفرق د. أحمد جلي، ص (٢٠٣).

منهم سوء فى شىء من الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب^(١)، وقد تحدثت عن هذه العقيدة بنوع من التفصيل فى كتابى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب^(٢)، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

وأما حجة الشيعة الإمامية فى آية التطهير فنقدتها من وجوه:

أ- حديث أم سلمة السابق، فقد ورد بعدة صيغ:

فروى عن أم سلمة أنها قالت: كان النبى ﷺ عندى وعلى وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وفى رواية أخرى: أنه ﷺ أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم، وأوماً بيده اليمنى إلى ربه، فقال: هؤلاء أهل بيتى، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وفى رواية أخرى: أنه ﷺ أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم وأوماً بيده اليمنى إلى ربه، فقال: هؤلاء أهل بيتى، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة فى دخول الخمسة الآية، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم^(٣)، وقد وردت روايات عن أم سلمة فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أحاديث الكساء، لا يخلو أكثرها من الضعف لكن صح منها من جملتها هذه الرواية: لما نزلت هذه الآية على النبى ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فى بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً، فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبى الله؟ قال:

(١) أوائل المقالات للمفيد، ص (٣٥).

(٢) أسمى المطالب سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب (٢/ ٣٠٢).

(٣) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٧٧).

أنت على مكانك وأنت على خير^(١)، وهناك رواية هامة جداً رويت بإسناد حسن تشير إلى أن أم سلمة قد دخلت في الكساء بعد خروج أهل الكساء منه^(٢)، ولعل التعليل في ذلك أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع علي بن أبي طالب تحت كساء واحد فلذلك أدخلها رسول الله ﷺ بعد خروج أهل الكساء منه، فعن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج النبي ﷺ حين جاء نعي الحسين بن علي، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قتلهم الله، غروه وذلوه لعنهم الله، فإني رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غدية ببرمة قد وضعت فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: أين ابن عمك؟ قالت: هو في البيت، قال: اذهبي فادعيه وائتني بابنيه، قال: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد، وعليّ يمشي في إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله ﷺ، فأجلسهما في حجرة وجلس عليّ على يمينه وجلست فاطمة على يساره، قالت أم سلمة: فاجتذ كساء خيرياً كان بساطاً لنا على المنامة، فلفه رسول الله ﷺ فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل، قال: اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قلت: يا رسول الله ألسنت من أهلك؟ قال: بلى فادخلي في الكساء، فدخلت في الكساء بعدما قضى دعاءه لابن عمه عليّ وابنيه وابنته فاطمة^(٣)، فشهد رسول الله ﷺ لأم سلمة أنها من أهل بيته وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم^(٤).

ب- وما يدل على أن الآية ليست دالة على العصمة والإمامة أن الخطاب في الآيات لأزواج النبي ﷺ حيث بدأ بهن وختم بهن:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ

(١) فضائل الصحابة (٧٢٧/٢) رقم (١٩٩٤) إسناده فيه ضعف وله طرق قوية.

(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٧٧).

(٣) فضائل الصحابة (٨٥٢/٢) رقم (١١٧٠) إسناده حسن.

(٤) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٧٨).

لَهَا الْعَذَابُ ضَعِيفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُزِّلَتْهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿[الأحزاب: ٢٨-٣٤].

فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر، لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم، كما أن زوج الرجل من أهل بيته، وهذا شائع في اللغة كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أى امرأتك ونساؤك، فيقول: هم بخير، وقد قال تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣] والمخاطب بهذه الآية بالإجماع هى سارة زوجة إبراهيم عليه السلام، وهذا دليل على أن زوجة الرجل من أهل البيت^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩].

والمخاطب هنا أيضاً زوجة موسى عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥] فمن أهله الذين كان يأمرهم بالصلاة؟ وهذا كقوله تعالى مخاطباً النبي ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] ولا شك في دخول زوجته أو خديجة

(١) الإمامة والنص، فيصل نور، ص (٣٨٦).

رضى الله عنها على أقل تقدير فى الأهل، باعتبار أن السورة مكية^(١)، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥]، فالمخاطب هنا عزيز مصر، وقولها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً؟ أى زوجتك، وهذا بين^(٢).

ج- إذهاب الرجس لا يعنى فى لغة القرآن معنى العصمة:

يقول الراغب الأصفهاني فى مفردات ألفاظ القرآن مادة رجس، الرجس: الشئ القذر، قال: رجل رجسى، ورجال أرجاس، قال تعالى: ﴿رَجَسَ مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانَ﴾ [المائدة: ٩٠].. والرجس من جهة الشرع: الخمر والميسر.. وجعل الكافرين رجساً من حيث إن الشرك بالعقل أقبح الأشياء، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]. وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠].

قيل: الرجل النتن، وقيل: العذاب، وذلكم كقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] وقال: ﴿أَوْ لَحْمٌ خَنِزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وبالجملة لفظ (الرجس) أصله القذر يطلق ويراد به الشرك كما فى قوله تعالى: ﴿فَاجْتَبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، ويطلق ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات ونحو قوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنِزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠]، ولم يثبت أن استخدام القرآن لفظ (الرجس) بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون فى إذهاب الرجس عن أحد إثبات لعصمته^(٣).

د- التطهير من الرجس لا يعنى إثبات العصمة لأحد:

فكما أن كلمة (الرجس) لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطاؤه فى الاجتهاد وإنما يراد بها القذر والنتن والنجاسات المعنوية والحسية فإن كلمة التطهير لا تعنى

(٢) المصدر نفسه، ص (٣٩٣).

(١) الإمامة والنص، ص (٣٩١).

(٣) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٨١).

العصمة، فإن الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير، فقد قال الله تعالى عن صحابة رسوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وقال عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فكما أخبر الله عز وجل بأنه يريد تطهير أهل البيت أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين فإن كان فى إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة، ولعموم المؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله عز وجل تطهيرهم، وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق، وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال: ١١] ولم يكن فى هذا إثبات لعصمته مع أنه لا فرق يذكر فى الألفاظ بين قول الله تعالى عن أهل البيت ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً وبين قوله فى أهل بدر: ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ فالرجس والرجس متقاربان، ويطهركم فى الآيتين واحد، لكن الهوى هو الذى جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى.

والعجب فى علماء الشيعة الرافضة إنهم يتمسكون بالآية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء، ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء ثم يتناسون فى الوقت نفسه آيات أخرى نزلت فى إرادة الله عز وجل لتطهير الصحابة، بل هم بالمقابل يقدحون فيهم، ويقولون بانقلابهم على أعقابهم مع أن الله عز وجل نص على إرادته تطهيرهم بنص الآية^(١)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾. [النور: ٤٠].

-الإرادة فى الآية إرادة شرعية، وهى غير الإرادة القدريّة:

يعنى يجب الله أن يذهب عنكم الرجس، وقد تحدث علماء أهل السنة عن الإرادتين الشرعية الدينية، والإرادة القدريّة الكونية، فقالوا:

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٨٢).

- إرادة شرعية دينية: وهى تتضمن معنى المحبة والرضا، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٧، ٢٨].

- إرادة قدرية خلقية: وهى بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، وذلك مثل الإرادة فى قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، فالمعاصى إرادة كونية قدرية فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها، ويكرهها ونهى عنها، هذا قول السلف والأئمة قاطبة، فيفرون بين إرادته التى تتضمن محبته ورضاه وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية التى لا يلزم منها المحبة والرضا^(١)، ولا شك أن الله عز وجل أذهب الرجس عن فاطمة والحسن والحسين وعلى زوجات النبى ﷺ، ولكن الإرادة فى هذه الآية، إرادة شرعية ولذلك جاء فى الحديث أن النبى ﷺ لما جللهم بالكساء قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى اللهم أذهب عنهم الرجس»^(٢).

هـ- دعاء النبى ﷺ يحسم القضية:

آية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء لما قام رسول الله ﷺ بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله: «اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس»^(٣)، بل فى هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت فى نساء النبى ﷺ، وأن رسول الله ﷺ أراد أن ينال أصحاب الكساء هذا الإخبار الربانى عن التطهير، فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاءهم^(٤)، فطهرهم كما طهر الله نساء النبى بنص الآية^(٥).

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باعبد الله، ص (٣٨٧).

(٢) سنن الترمذى، ك مناقب أهل البيت، رقم (٣٧٨٧).

(٣) سنن الترمذى، ك مناقب أهل البيت، رقم (٣٧٨٧)، صححه الألبانى.

(٤) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٨٢).

(٥) أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على (٢/ ٣١٤).

و- من الردود الدالة على عدم دلالة الآية الإمامة والعصمة:

ومنها: أن ما اختص به أمير المؤمنين على والحسن والحسين رضى الله عنهم من الآية بزعم القوم ثبت للسيدة فاطمة رضى الله عنها، وخصائص الإمامة لا تثبت للنساء، فلو كان هذا دليلاً لكان من يتصف بما فى الآية يستحق العصمة والإمامة، وفاطمة رضى الله عنها كذلك وبذات الاعتبار، فدل على أن الآية لا يراد بها الإمامة ولا العصمة، ومنها خروج تسعة من الأئمة المزعومين لعدم شمول الآية لهم، حيث اختصت الآية بثلاثة منهم^(١) وهم:

- على بن أبى طالب رضى الله عنه.

- والحسن بن على رضى الله عنه.

- والحسين بن على رضى الله عنه.

عاشراً: آية المباهلة ووفد نصارى نجران:

جاء وفد نجران إلى رسول الله ﷺ . فقالوا لرسول الله ﷺ: كنا مسلمين قبلكم، فقال النبى ﷺ: يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أن لله ولداً^(٢)، وكثر الجدل والحجاج بينه وبينهم، والنبى يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجة، وكان مما قالوه لرسول الله ﷺ: مالك تشتم صاحبنا، وتقول: إنه عبد الله، فقال: أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب، فإن كنت صادقاً فأرنا مثله؟ فأنزل الله الرد عليهم قوله سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَرَبِّينَ ﴿[آل عمران: ٥٩، ٦٠]. فكانت حجة دامغة شبه فيها الغريب بما هو أغرب منه^(٣)، فلما لم تجد معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى

(١) الإمامة والنص، ص (٣٨٧).

(٢) زاد المعاد (٦٣٣/٣) سنده فيه ضعف.

(٣) زاد المعاد (٦٢٩/٣ - ٦٣٨).

المباهلة^(١)، امثالاً لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. وخرج النبي ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة وقال: وإذا أنا دعوت فأمنوا^(٢)، فائتمروا فيما بينهم، فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبي حقاً، وأنه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنوه وقالوا: احكم علينا بما أحببت، فصالحهم على ألفى حلة، ألف فى رجب، وألف فى صفر^(٣). وهكذا يتضح المقصد الحقيقى لنزول الآية ومناسبتها وأنه ليس لها علاقة لا من قريب ولا من بعيد على ما ادعاه الشيعة على إمامة على بن أبى طالب رضى الله عنه بالنص، وقد رددت على زعمهم فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه^(٤)، فمن أراد التوسع فليرجع إليه.

حادى عشر: أثر التربية الأسرية على الحسن بن على رضى الله عنه:

نشأ الحسن بن على رضى الله عنه فى بيت النبوة وتربى على يدى جده ووالده على وأمه فاطمة رضى الله عنهما، فأخذ عن جده ووالديه مفاهيم الإسلام، ولهذه النشأة تأثير كبير فى بناء وتكوين شخصيته القوية التى التزمت بأوامر الإسلام واستقامت على تعاليمه، فالرسول ﷺ يقول: الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام^(٥)، فمعدن الحسن بن على نادر الوجود، لم ينشأ فى الجاهلية وإنما نشأ فى بيت النبوة، مما جعله يكون سيداً بما تعنى هذه الكلمة من معنى، وقد اجتمع للحسن بن على من أصالة النسب والتربية الأسرية ما لم يجتمع لغيره من الناس.

فجده الحبيب المصطفى - ﷺ - .

وأبوه على بن أبى طالب رضى الله عنه.

وأمه فاطمة الزهراء رضى الله عنها.

(١) السيرة النبوية لأبى شهبه (٥٤٧/٢).

(٢)، (٣) السيرة النبوية لأبى شهبه (٥٤٧/٢).

(٤) أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على (٢/٣٣٤ - ٣٣٦).

(٥) البخارى، رقم (٣٣٨٣).

وجدته لأمه السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها.

وبعد وفاة رسول الله ﷺ تولى أمير المؤمنين على تربية الحسن والحسين وأشرف عليهما إشرافاً مباشراً، وكانت شخصية أمير المؤمنين تتوافر فيها شروط الأب المربي ولا شك أنه فهم واستوعب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. ومن الشروط الواجب توافرها في الأب المربي المسئول هي:

١- الإخلاص والشعور بأهمية القضية والاهتمام بها:

فقد اهتم أمير المؤمنين على بتربية وتعليم الحسن والحسين وشمر عن ساعد الجذ، وتعهدهم بالرعاية والاهتمام، ويكون هدفه من ذلك رضا الله وثوابه والتقرب إليه بتربية على أولاده على طاعة الله وهدى نبيه ﷺ.

٢- إعطاء القدوة الحسنة للأبناء:

تعتبر من أهم وسائل التربية إن لم تكن هي أهمها على الإطلاق، وذلك لوجود تلك الغريزة الفطرية الملحة في كيان الإنسان التي تدفعه نحو التقليد والمحاكاة، خاصة الأطفال الصغار^(١)، يقول ابن خلدون: ويبدأ التقليد غايته في سن الخامسة أو السادسة ويستمر معتدلاً حتى الطفولة المتأخرة^(٢)، وكان أمير المؤمنين على قدوة عظيمة لابنه الحسن فهو من سادات الصحابة ومن الخلفاء الراشدين، وكان الحسن بن على يقلد أباه وأمه عن حب عميق.

٣- كان أمير المؤمنين على رحيماً رقيقاً ليناً في تربيته:

فقد كان أمير المؤمنين متحلياً بالرحمة والحلم، وكان رقيقاً وليناً بالحسن والحسين في تربيتهما ويعرف لهما فضلهما ومكانتهما من رسول الله ﷺ والسيدة فاطمة رضى الله عنها.

(١) مسئولية الأب، عدنان باحارث. ص (٦٥).

(٢) مقدمة ابن خلدون نقلاً عن موسوعة تربية الأجيال المسلمة، لنصر بن محمد العنقري، ص (٨٦).

٤- التوسط فى المعاملة والعدل بين الأبناء:

ويظهر هذا الخلق جلياً فى وصيته للحسن والحسين عندما أصبح من الدنيا راحلاً ولأصحابه مفارقاً ولكأس المنية شارباً، وقد اتبع أمير المؤمنين على رضى الله عنه التوجيهات القرآنية فى تربيته وتعليمه وتوجيهه لأبنائه مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لِقْمَانَ لِبْنِهِ وَهُوَ يَعْطَلُهُ يَا بَنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٣، ١٤].

والمقصود أن الهدى القرآنى اهتم بتذكير الأنبياء بتربية الأبناء، وحياة أمير المؤمنين على تطبيق لأوامر الله عز وجل، وابتعاد عن نواهيه، هذه بعض الصفات المهمة فى شخصية أمير المؤمنين على والتى ساعدته فى تربية ابنه الحسن والحسين. ثانى عشر: أثر الواقع الاجتماعى على تربية الحسن:

إن البيئة الاجتماعية المحيطة لها دور فعال ومهم فى صناعة الرجال وبناء شخصيتهم، فالحسن بن على رضى الله عنه عاش فى زمن ساد فيه الصحابة، والرعيلى الأول الذى تربى على يدى رسول الله ﷺ، فهيمت الفضيلة والتقوى والصلاح على ذلك المجتمع الفريد، وكثر الإقبال على طلب العلم والعمل بالكتاب والسنة، فهذه الحالة دفعت الحسن بن على إلى الاستفادة والاقتداء بالمجتمع الذى يعيش فيه، فكان عدد الصحابة الذين استوطنوا المدينة فى حياة الرسول كمًا كبيراً، واستمر عدد كبير فى المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وإن مجتمعاً عاش فيه الرسول ﷺ وتربى فيه على يديه النواة الأولى لخير أمة أخرجت للناس، لهو مجتمع لا يدانيه أى مجتمع آخر، فقد شاهد هذا المجتمع الوحي وصاحب الدعوة، ولازم رسول الله ﷺ، فكان لهذه الملازمة والصحبة آثار نفسية ومعان إيمانية وتعلق روحى^(١)، فكان هذا المجتمع محل جذب الناس والتأثير فيهم بالسلوك والقول، وأن هذا المجتمع له قوة التأثير فى صياغة شخصية الحسن بن على التربوية والعلمية.

(١) الإمام الزهرى، شرآب، ص (٢٦).

المبحث الرابع

الحسن بن علي في عهد الخلفاء الراشدين

أولاً: مكانة الحسن بن علي في عهد الصديق رضي الله عنه:

كان للحسن والحسين بن علي رضي الله عنهما مكانة مرموقة لدى الصديق وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعاً، فقد كانوا يحبونهما، ويتعاملون معهما، بشكل خاص، فبينما كان أبو بكر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يمضيان بعد صلاة العصر فرأى أبو بكر رضي الله عنه الحسن يلعب مع الغلمان، فأخذه أبو بكر فحمله على عنقه وقال:

بأبي شبيهه النبي ليس شبيهاً بعليّ

وعليّ يتسم^(١). وقد تأثر الحسن بن علي بسيرة الصديق حتى أنه سمى أحد أبنائه علي أبي بكر، ولا يسمّى أحد من الناس أسماء علي شخص معين إلا نتيجة حب ومعرفة مفصلة بسيرته، وقد تعلم الحسن بن علي من عهد الصديق سواء في حياته أو بعد وفاة أبي بكر أموراً منها:

١ - هول فاجعة وفاة الرسول ﷺ وموقف أبي بكر منها:

قال ابن رجب: لما توفى رسول الله ﷺ اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهِش فحولط، ومنهم من أقعد فلم يُطق القيام، ومن اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية^(٢)، وقال ابن إسحاق: ولما توفى رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين فكانت عاثشة فيما بلغني تقول لما توفى النبي ﷺ: ارتدت العرب، واشربأت اليهودية، والنصرانية ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم^(٣)، وقال القاضي أبو بكر بن العربي: .. واضطربت الحال .. فكان موت النبي ﷺ قاصمة الظهر، ومصيبة العمر، فأما

(١) نسب قریش (٢٣/١)، البخاری (٩٣/٥).

(٢) لطائف المعارف ص ١١٤.

(٣) سيرة ابن هشام (٣٢٣/٤).

على فاستخفى فى بيت فاطمة، وأما عثمان فسكت، وأما عمر فأهجر، وقال: ما مات رسول الله وإنما وعده ربه كما وعده موسى، وليرجعن رسول الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم^(١)، ولما سمع أبو بكر الخبر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنح، حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة فتيمن رسول الله ﷺ وهو مُغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبى أنت وأمى والله لا يجمع الله عليك موتتين، أم الموتة التى عليك فقد متها^(٢)، وخرج أبو بكر وعمر يتكلم فقال: اجلس يا عمر، وهو ماض فى كلامه، وفى ثورة غضبه، فقام أبو بكر فى الناس خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه، فقال: أما بعد فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ فشج الناس بيبكون.

وبهذه الكلمات القلائل، واستشهاد الصديق بالقرآن الكريم خرج الناس من ذهولهم وحيرتهم ورجعوا إلى الفهم الصحيح رجوعاً جميلاً، فالله هو الحى الذى لا يموت، وأنه وحده الذى يستحق العبادة، وأن الإسلام باق بعد موت محمد ﷺ، كما جاء فى رواية من قول الصديق: إن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه، وإن كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء وبه هدى الله محمداً ﷺ، وفيه حلال الله وحرامه، والله لا نبألى من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد، ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله فلا يبغي أحد إلا على نفسه^(٤).

كان موت محمد ﷺ مصيبة عظيمة، وابتلاء شديداً، ومن خلالها وبعدها ظهرت شخصية الصديق كقائد للأمة فذ لا نظير له ولا مثيل^(٥)، فقد أشرق اليقين

(١) العواصم من القواصم ص (٣٨).

(٢) البخارى، ك المغازى - رقم (٤٤٥٢).

(٣) استخلاف أبى بكر الصديق - جمال عبد الهادى، ص (١٦٠).

(٤) دلائل النبوة للبيهقى (٢١٧/٧).

(٥) دولة - مجدى حمدى، ص (٢٥، ٢٦).

فى قلبه وتجلى ذلك فى رسوخ الحقائق فيه، فعرف حقيقة العبودية، والنبوة، والموت، وفى ذلك الموقف العصيب ظهرت حكمته رضى الله عنه، فانهاز بالناس إلى التوحيد (من كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت) وما زال التوحيد فى قلوبهم غضاً طرياً، فما إن سمعوا تذكير الصديق لهم حتى رجعوا إلى الحق^(١)، تقول عائشة رضى الله عنها: فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر رضى الله عنه فتلقاها منه الناس، فما يسمع بشر إلا يتلوها^(٢).

ولا شك أن هذه الحادثة أخذت مكانها الطبيعي فى ذاكرة الحسن بن على وأصبحت من ضمن ثقافته ومعرفته، فقد كان عمر الحسن عندما مضى رسول الله إلى الرفيق الأعلى سبع أو ثمانى سنين وهو طور تنمو فيه مدارك الطفولة، وتتكون فيه فكرة الطفل كالعنسة اللاقطة تنقل إلى ذاكرته كثيراً من المشاهدات والصور، والحسن من الأطفال الأذكياء وله من الاستعداد لأن يستوعب مجريات ذلك العهد ويفهم الغايات السامية والأعمال العظيمة، والمواقف المشهودة والقيم الكبرى التى قام بها الصديق، ولقد أثرت تلك الأعمال والمواقف على نفسية الحسن وتملك قلبه حب الصديق وسمى أحد أبنائه عليه.

ومن أهم الدروس التى تعلمها الحسن من وفاة النبى ﷺ هى أن البقاء للمبادئ وليس للأشخاص، وأهمية التعلق بالله وحده فهو الباقي وهو النافع والضار وهو على كل شىء قدير.

٢- سقيفة بنى ساعدة:

لما علم الصحابة رضى الله عنهم بوفاة رسول الله ﷺ، اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة فى اليوم نفسه وهو يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، وتداولوا الأمر بينهم فى اختيار من يلى الخلافة من بعده^(٣)، والتف الأنصار حول زعيم الخزرج سعد بن عبادة رضى الله عنه، ولما بلغ خبر اجتماع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة إلى المهاجرين وهم مجتمعون مع أبى بكر لترشيح من يتولى الخلافة^(٤)، قال المهاجرون لبعضهم: انطلقوا بنا إلى

(١) استخلاف أبى بكر الصديق ص، (١٦٠).

(٢) البخارى، رقم (١٢٤١، ١٢٤٢).

(٣) التاريخ الإسلامى (٢١/٩).

(٤) عصر الخلافة الراشدة للعمري، ص (٤٠).

إخواننا من الأنصار، فإن لهم في هذا الحق نصيباً^(١)، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمل بين ظهرائهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عباد، فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك، فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم فأتنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافة من قومكم^(٢)، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر^(٣)، فلما سكت أردت أن أتكلم - وكنت قد زورت مقالتي أعجبتني أريد أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الجدة، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال بديته مثلها أو أفضل منها حتى سكت، فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم - فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا - فلم أكره مما قال غيرها، والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسوّل إلى نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرحب^(٤)، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار^(٥). وفي رواية أحمد... فتكلم أبو بكر رضى الله عنه فلم يترك شيئاً في الأنصار ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم وإلا ذكره، وقال: ولقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: لو سلك الناس وادياً وسلك الأنصار وادياً سلكت

(١) عصر الخلافة الراشدة للعمرى، ص (٤٠).

(٢) أى عدد قليل.

(٣) أى يخرجوننا من أمر الخلافة.

(٤) الجذيل: عود ينصب للإبل الجربى لتحك به، والمحكك: الذى يحكك به كثيراً، أراد أن يستشفى برأيه، والعذيق: النخلة: أى الذى يعتمد عليه.

(٥) البخارى، ك الحدود - رقم (٦٨٣٠).

وادی الأنصار، ولقد علمت يا سعد^(١)، أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر فبرّ الناس تبع لبرهم، وفاجر الناس تبع لفاجرهم، قال: فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء^(٢).

وكان أبو بكر الصديق زاهداً في الإمارة وظهر زهده في خطبته التي اعتذر فيها من قبول الخلافة حيث قال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط ولا كنت فيها راغباً ولا سألتها الله عز وجل في سر وعلانية، ولكنني أشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمراً عظيماً ما لى به طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني^(٣)، وقد قام باستبراء نفوس المسلمين من أى معارضة لخلافته واستحلفهم على ذلك فقال: أيها الناس أذكر الله أيما رجل ندم على بيعتي لما قام على رجليه، فقال على بن أبى طالب، رضى الله عنه، ومعه السيف، فدنا منه حتى وضع رجلاً على عتبة المنبر، والأخرى على الحصى وقال: والله لا نقيلك ولا نستقيلك قدّمك رسول الله فمن ذا يؤخر^(٤).

هذه هي الحقائق التي عرفها وتعلمها الحسن بن على عن حادثة السقيفة لا كما يدعى مزورو التاريخ، ولم يكن أبو بكر وحده الزاهد في أمر الخلافة والمسئولية، بل أنها روح العصر - ويمكن الرجوع إلى النصوص التي تم ذكرها بتوسع في كتابي الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبى بكر الصديق^(٥)، ويمكن القول: إن الحوار الذى دار فى سقيفة بنى ساعدة لا يخرج عن هذا الاتجاه، بل يؤكد حرص الأنصار على مستقبل الدعوة الإسلامية واستعدادهم المستمر للتضحية فى سبيلها، فما أن أطمأنوا على ذلك حتى استجابوا سراعاً لبيعة أبى بكر الذى قبل البيعة لهذه الأسباب، وإلا فإن نظرة الصحابة مخالفة لرؤية الكثير مما جاء بعدهم ممن خالفوا المنهج العلمى، والدراسة الموضوعية، بل كانت دراستهم متناقضة مع روح ذلك

(١) يعنى سعد بن عبادة الخزرجى رضى الله عنه.

(٢) مسند أحمد (٥/١)، صحيح لغيره.

(٣) المستدرك (٦٦/٣) قال الحاكم: حديث صحيح وأقره الذهبى.

(٤) الأنصار فى العصر الراشدى، ص (١٠٨)، الرياض النضرة (٢١٦/١).

(٥) الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبى بكر الصديق، ص (١٣٦ - ١٨٧).

العصر، وآمال وتطلعات أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار وغيرهم، وإذا كان اجتماع السقيفة أدى إلى انشقاق بين المهاجرين والأنصار كما زعمه بعضهم^(١)، فكيف قبل الأنصار بتلك النتيجة وهم أهل الديار وأهل العدد والعدة؟ وكيف انقادوا لخلافة أبي بكر ونفروا في جيوش الخلافة شرقاً وغرباً مجاهدين لتثبيت أركانها لو لم يكونوا متحمسين لنصرتها؟ فالصواب اتضح من حرص الأنصار على تنفيذ سياسة الخلافة والاندفاع لمواجهة المرتدين، وأنه لم يتخلف أحد من الأنصار عن بيعة أبي بكر فضلاً عن غيرهم من المسلمين، وأن أخوة المهاجرين والأنصار أكثر من تخيلات الذين سطوروا الخلاف بينهم في رواياتهم المغرضة^(٢) والتي زعموا أن حادثة السقيفة أثرت في نفسية الحسن بن علي لما رأى من التأمر والمكر والخديعة كما زعم صاحب كتاب حياة الإمام الحسن بن علي^(٣).

فالحقيقة التي يعرفها الحسن بن علي رضي الله عنه أنه لم يحدث أزمات لا بسيطة ولا خطيرة، ولم يثبت أي انقسام، أو فرق لكل منها مرشح يطمع في الخلافة كما زعم بعض كتّاب التاريخ الذين اعتمدوا على روايات الروافض، وكتب الأدب، وأكاذيب التاريخ، ولم يثبت النقل الصحيح تأمراً حدث بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة لاحتكار الحكم بعد وفاة رسول الله ﷺ^(٤)، فهم كانوا أخشى لله وأتقى من أن يفعلوا ذلك.

إن الحسن رضي الله عنه حدثنا بأنه عقل الصلوات الخمس في عهد الرسول ﷺ، وكان يتردد على مسجد رسول الله ﷺ. ولا شك في أنه رأى رسول الله ﷺ يقدم أبا بكر على غيره أثناء مرضه ﷺ، وقد علم ببيعة المسلمين لأبي بكر بعد جده، فمعتقد الحسن بن علي رضي الله عنه في خلافة أبي بكر، معتقد أهل السنة والجماعة القائل بصحة وشرعية خلافة أبي بكر الصديق بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته وتقدير النبي ﷺ إياه في الصلوات على جميع الصحابة، وقد فهم

(١) انظر: الإسلام وأصول الحكم، محمد عمارة، ص (٧١ - ٧٤).

(٢) الأنصار في العصر الراشدي.

(٣) انظر: حياة الحسن بن علي، باقر شريف القرشي (١٢٣/١ - ١٣٩).

(٤) استخلاف أبي بكر، جمال عبد الهادي، ص (٥٠، ٥١، ٥٣).

أصحاب النبي ﷺ مراد المصطفى من تقديمه فى الصلاة، فأجمعوا على تقديمه فى الخلافة ومتابعته ولم يختلف منهم أحد ولم يكن الرب جل وعلا ليجمعهم على ضلالة؛ فبايعوه طائعين وكانوا لأوامره ممتثلين ولم يعارض أحد فى تقديمه^(١)، فعندما سئل سعيد بن زيد: متى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ، كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا فى جماعة^(٢)، وقد نقل جماعة من أهل العلم المعتبرين إجماع الصحابة ومن جاء بعدهم من أهل السنة والجماعة على أن أبا بكر رضى الله عنه أولى بالخلافة من كل واحد^(٣)، كالخطيب البغدادي^(٤) وأبى الحسن الأشعري^(٥)، وعبد الملك الجويني^(٦)، وأبى بكر الباقلاني^(٧). وقد استوعب الحسن بن على رضى الله عنه أسس الخلافة الإسلامية الراشدة وبأنها تقوم على الشورى، والبيعة، وقد أجمع المسلمون على وجوب الخلافة، وأن تعيين الخليفة فرض على المسلمين يرعى شؤون الأمة ويقيم الحدود ويعمل على نشر الدعوة الإسلامية وعلى حماية الدين والأمة بالجهاد وعلى تطبيق الشريعة وحماية حقوق الناس ورفع المظالم وتوفير الحاجات الضرورية لكل فرد^(٨).

هذا وقد قام أهل الحل والعقد فى سقيفة بنى ساعدة ببيعة الصديق خاصة ثم رشحوه للناس فى اليوم الثانى وبايعته الأمة فى المسجد البيعة العامة^(٩).

وقد تعلم الحسن رضى الله عنه مما دار فى سقيفة بنى ساعدة مجموعة من المبادئ منها: أن قيادة الأمة لا تقام إلا بالاختيار، وأن البيعة هى أصل من أصول الاختيار وشرعية القيادة، وأن الخلافة لا يتولاها إلا الأصيلب ديناً والأكفأ إدارة، فاختيار الخليفة يكون وفق مقومات إسلامية، وشخصية، وأخلاقية، وأن الحوار

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة (٢/ ٥٥٠).

(٢) تاريخ الطبرى (٣/ ٢٠٧).

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة (٢/ ٥٥٠).

(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ١٣٠، ١٣١).

(٥) الإبانة عن أصول الديانة، ص (٦٦).

(٦) كتاب الإرشاد، ص (٣٦١).

(٧) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص (٦٥).

(٨) الخلافة والخلفاء الراشدون، ص (١٦٣).

(٩) المصدر نفسه، ص (٦٦، ٦٧).

الذى دار فى سقيفة بنى ساعدة قام على قاعدة الأمن النفسى السائد بين المسلمين حيث لا هرج ولا مرج، ولا تكذيب ولا مؤامرات، ولا نقض للاتفاق، ولكن تسليم للنصوص التى تحكمهم حيث المرجعية فى الحوار إلى النصوص الشرعية^(١).
٣- بعض ملامح الحكم فى عهد الصديق:

إن الحسن بن على رضى الله عنه قد استوعب هدى النبى ﷺ وهدى الخلفاء الراشدين، ولذلك نجده عندما تنازل لمعاوية شرط عليه الالتزام بالكتاب والسنة ومنهج الخلفاء الراشدين، وهذا يدلنا على أنه على علم ودراية بعهد الصديق رضى الله عنهما، وخطبة الصديق عندما تولى القيادة تعتبر من عيون الخطب الإسلامية على إيجازها؛ وقد قرر فيها قواعد العدل والرحمة فى التعامل بين الحاكم والمحكوم وركز على أن طاعة ولى الأمر مرتبة على طاعة الله ورسوله، ونص على الجهاد فى سبيل الله لأهميته فى إعزاز الأمة، وعلى اجتناب الفاحشة لأهمية ذلك فى حماية المجتمع من الانهيار والفساد^(٢)، ومن خلال الخطبة، والأحداث التى تمت بعد وفاة الرسول، تعلم الحسن بن على ملامح نظام الحكم فى بداية عهد الخلافة الراشدة والتى من أهمها:

أ- القرآن الكريم والسنة النبوية المرجعية العليا فى دولة الصديق رضى الله عنه: قال أبو بكر رضى الله عنه فى خطبته: أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم^(٣).

ب- حق الأمة فى مراقبة الحاكم ومحاسبته:

وجاء فى خطبته: فإن أحسنت فأعينونى وإن أساءت فقومونى^(٤).

ج- إقرار مبدأ العدل والمساواة بين الناس:

وجاء فى خطبته أيضاً: الضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله^(٥).

(١) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، للشجاع، ص (٢٥٦).

(٢) التاريخ الإسلامى (٢٨/٩).

(٣) البداية والنهاية (٦/٣٠٦).

(٤)، (٥) المصدر نفسه (٦/٣٠٥).

د- الصدق أساس التعامل بين الحاكم والمحكوم:

وجاء فى خطبته أيضاً: الصدق أمانة والكذب خيانة^(١). إن الصدق بين الحاكم والأمة هو أساس التعامل، وفى العهد الراشدى.

هـ- إعلان التمسك بالجهاد وإعداد الأمة لذلك:

قال أبو بكر رضى الله عنه: وما ترك قوم الجهاد فى سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل^(٢)، وهذا ما فهمه الصديق من قول رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه، حتى ترجعوا إلى دينكم»^(٣).

و- تطهير المجتمع من الفواحش:

قال أبو بكر رضى الله عنه: ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء^(٤)، والصديق هنا يذكر الأمة بقول النبى ﷺ: «لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا»^(٥).

هذه بعض الأهداف التى بينها الصديق فى خطابه للأمة بعد البيعة العامة والذى رسم فيه سياسة الدولة؛ فحدد مسئولية الحاكم ومدى العلاقة بينه وبين المحكومين، وغير ذلك من القواعد المهمة فى بناء الدولة وتربية الشعوب^(٦).

٤- مبايعة والد الحسن للصديق رضى الله عنهما:

جاءت روايات صحيحة السند تفيد بأن علياً والزيير رضى الله عنهما بايعا للصديق فى أول الأمر وقد ذكرت تفاصيلها فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب^(٧)، وقد رأى الحسن والده فى مواقفه الداعمة للصديق، فقد كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه لا يفارق الصديق فى وقت

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥).

(٢) المصدر نفسه (٦/ ٣٠٥).

(٣) سنن أبى داود، رقم (٣٤٦٢) صحيحه الألبانى.

(٤) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥).

(٥) صحيح ابن ماجة للألبانى، رقم (٤٠١٩).

(٦) الانشراح ورفع الضيق فى سيرة أبى بكر الصديق، ص (١٨٣).

(٧) أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب (١/ ١٨٧).

من الأوقات، ولم ينقطع عنه فى جماعة من الجماعات، وكان يشاركه فى المشورة، وفى تدبير أمور المسلمين، وكان رضى الله عنه لأبى بكر عيية نصح^(١) له، مرجحاً لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أى شىء آخر.

ومن الدلائل الساطعة على إخلاصه لأبى بكر ونصحه للإسلام والمسلمين وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة واجتماع شمل المسلمين ما جاء فى موقفه من توجه أبى بكر رضى الله عنه بنفسه إلى ذى القصة، وعزمه على محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه، وما كان فى ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامى^(٢)، فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: لما برز أبو بكر إلى ذى القصة واستوى على راحلته أخذ على بن أبى طالب رضى الله عنه بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً، فرجع^(٣)، فلو كان على رضى الله عنه - أعاده الله من ذلك - لم ينشرح صدره لأبى بكر، وقد بايعه على رغم من نفسه، فقد كانت هذه فرصة ذهبية يتنزهها على، فيترك أبا بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو له الجو، وإذا كان فوق ذلك - حاشاه الله - من كراهته له، وحرصه على التخلص منه، أغرى به أحداً يغتاله، كما يفعل السياسيون الانتهازيون بمنافسيهم، وأعدائهم^(٤)، وقد كان رأى على رضى الله عنه مقاتلة المرتدين وقال لأبى بكر لما قال له: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال أقول: إنك إن تركت شيئاً مما كان أخذه منهم رسول الله، فأنت على خلاف سنة الرسول، فقال: أما لئن قلت ذاك لأقاتلنهم وإن منعونى عقلاً^(٥).

ولا شك أن الحسن بن على سمع والده فى مدحه لأبى بكر وعمر مثل قوله: لا يفضلنى أحد على أبى بكر وعمر إلا جلده حد المفتى^(٦)، وقوله: ألا أخبركم

(١) العيية: وعاء من خوص ونحوه ينقل فيه الزرع المحصود ووعاء من آدم يكون فيه المتاع.

(٢) المرتضى للندوى، ص (٩٧).

(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣١٤، ٣١٥).

(٤) المرتضى للندوى، ص (٩٧).

(٥) المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحاب للزمخشري، ص (٤٨).

(٦) فضائل الصحابة (١/ ٨٣) فى سنده ضعف.

بخير هذه الأمة بعد أبي بكر وعمر^(١)، وقد تواتر عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال: خير الأمة بعد نبينا أبو بكر وعمر. وقد روى هذا عنه من طرق كثيرة قيل إنها تبلغ ثمانين طريقاً^(٢)، وعن صلة بن زفر العبسى قال: كان أبو بكر إذا ذكر عند على قال: السبّاق تذكرون، والذي نفسى بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر^(٣)، وقد كان على رضى الله عنه يمثل لأوامر الصديق؛ فعندما جاء وفد من الكفار إلى المدينة، ورأوا بالمسلمين ضعفاً وقلة لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستئصال شأفة المرتدين والبلغاة الطغاة وأحس منهم الصديق خطراً على عاصمة الإسلام والمسلمين، أمر الصديق بحراسة المدينة. وجعل الحرس على أنقابها يبيتون بالجيش، وأمر علياً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس، وبقوا ذلك حتى أمّنوا منهم^(٤).

وللتعامل الموجود بينهم وللتعاطف والتوَادد والوثام الكامل كان علىّ وهو سيد أهل البيت ووالد سبطى الرسول ﷺ، يتقبل الهدايا والتحف دأب الأخوة المتساورين ما بينهم والمتحابين كما قبل الصهباء الجارية التى سبيت فى معركة عين التمر، وولدت له عمر ورقية^(٥)، وأيضاً منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التى أسرت مع من أسر فى حرب اليمامة وولدت له أفضل أولاده بعد الحسن والحسين وهو محمد بن الحنفية، وكانت خولة من سبى أهل الردة وبها يعرف ابنها ونسب إليها محمد بن الحنفية^(٦)، يقول الإمام الجوينى عن بيعة الصحابة لأبى بكر: وقد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبى بكر - رضى الله عنه - وكان على رضى الله عنه سائغاً لأمره، وبائع أبا بكر على ملاء من الأشهاد، ونهض إلى غزو بنى حنيفة^(٧)، ووردت روايات عديدة فى قبوله هو وأولاده الهدايا المالية والخمس من الغنائم وأموال الفئ من الصديق رضى الله عنهم أجمعين، وكان علىّ

(١) مسند أحمد (١/ ١٠٦، ١١٠، ١٢٧) صححه أحمد شاكر.

(٢) منهاج السنة (٣/ ١٦٢).

(٣) الطبرانى فى الأوسط (٧/ ٢٠٧، ٢٠٨) إسناده ضعيف.

(٤) تاريخ الطبرى (٤/ ٦٤)، الشيعة وأهل البيت، ص (٧١).

(٥)، (٦) الطبقات (٣/ ٢٠).

(٧) الإرشاد للجوينى، ص (٤٢٨) نقلاً عن أصول مذهب الشيعة للغفارى.

هو القاسم والمتولى فى عهده على الخمس والفى وكانت هذه الأموال بيد على ، ثم كانت بيد الحسن ، ثم بيد الحسين ، ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن^(١) ، وكان على رضى الله عنه يؤدى الصلوات الخمس فى المسجد خلف الصديق ، راضياً بإمامته ، ومظهراً للناس اتفاقه ووثامه معه^(٢) .

وهذا ما عرفه الحسن بن على فى علاقة والده بالصديق ، بالإضافة إلى المصاهرات بين الصديق وأهل البيت ، وتسمية أهل البيت بعض أسمائهم باسم أبى بكر ، فقد كانت صلة أبى بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ بأعضاء أهل البيت ، صلة ودية تقديرية تليق به وبهم ، وكانت هذه المودة والثقة متبادلة ، وكانت من المتانة بحيث لا يتصور معها التباعد والاختلاف مهما نسج المسامرون الأساطير والأباطيل ، فالصديقة عائشة بنت الصديق بنت أبى بكر كانت زوجة جد الحسن بن على ﷺ ، ومن أحب الناس إليه مهما احترق الحساد ونقم المخالفون ، فإنها حقيقة ثابتة وهى طاهرة مطهرة بشهادة القرآن مهما جحدوا المبطلون وأنكرها المنكرون ، ثم أسماء بنت عميس التى كانت زوجة لجعفر بن أبى طالب شقيق على ، فمات عنها وتزوجها الصديق وولدت له ولداً سماه محمداً الذى ولاه على مصر ، ولما مات أبو بكر تزوجها على بن أبى طالب فولدت له ولداً سماه يحيى^(٣) ، وكان من حب أهل البيت للصديق والتوادم ما بينهم أنهم سموا أبناءهم بأسماء أبى بكر ، وهذا دليل على حب ومؤاخاة وإعظام على للصديق رضى الله عنهما ، والجدير بالذكر أنه ولد له هذا الولد بعد تولية الصديق الخلافة والإمامة ، بل بعد وفاته كما هو معروف بداهة ، وعلى رضى الله عنه لم يسم ابنه بأبى بكر إلا متمناً بالصديق ، وإظهاراً له المحبة والوفاء وحتى بعد وفاته وإلا فلا يوجد فى بنى هاشم رجل قبل على سعى ابنه بهذا الاسم ، ثم لم يقتصر على بهذا التيمن والتبرك وإظهار المحبة والصدقة للصديق بل بعده بنوه أيضاً مشوا مشيه ونهجوا نهجه ، فالحسن والحسين سميا كل واحد منهم أحد أولادهما بأبى بكر ، وحتى يعقوبى والمسعودى ذكرا ذلك ، وهما من مؤرخى الشيعة^(٤) ، واستمر أهل البيت

(١) ، (٢) الشيعة وأهل البيت ، ص (٧٢) .

(٣) خلافة على بن أبى طالب وترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية للسلمى ، ص (٢٢) .

(٤) تاريخ يعقوبى (٢ / ٢٢٨) .

يسمون من أسماء أولادهم بأبى بكر، ولا شك أن العلاقة المتينة بين أبى بكر وعلى رضى الله عنهما كان لها أثرها البالغ فى نفسية وقلب الحسن بن على مما ترتب عليه تقديره للصديق واحترامه ومعرفة فضله ومكانته فى الإسلام.

٥- إنفاذ الصديق جيش أسامة رضى الله عنهما:

ومن الأحداث المشهورة فى عهد الصديق والتى لها أثرها الخاص فى ثقافة الحسن وجيله إنفاذ أبى بكر لجيش أسامة بعد وفاة الرسول ﷺ وإصراره على ذلك تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ، فقد اقترح بعض الصحابة على الصديق رضى الله عنه بأن يبقى الجيش فقالوا: إن هؤلاء جل المسلمين، والعرب - كما ترى - قد انتقصت بك فليس ينبغى لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين^(١)، وأرسل أسامة من معسكره من الجرف عمر بن الخطاب رضى الله عنهما إلى أبى بكر يستأذنه أن يرجع بالناس، وقال: إن معى وجوه المسلمين وجلتهم، ولا آمن على خليفة رسول الله، وحرّم رسول الله، والمسلمين أن يتخطفهم المشركون^(٢). وبعد مناقشات ومداومات أمر الصديق بفض الاجتماع الأول ثم دعاهم إلى اجتماع عام آخر فى المسجد، وفى هذا الاجتماع طلب من الصحابة أن ينسوا فكرة إلغاء مشروع وضعه رسول الله بنفسه، وأبلغهم أنه سينفذ هذا المشروع حتى لو تسبب تنفيذه فى احتلال المدينة من قبل الأعراب المرتدين، فقد وقف خطيباً وخاطب الصحابة^(٣) قائلاً: والذى نفس أبى بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته^(٤).

وطلبت الأنصار رجالاً أقدم سناً من أسامة يتولى أمر الجيش وأرسلوا عمر بن الخطاب ليحدث الصديق فى ذلك، فقال عمر رضى الله عنه: فإن الأنصار تطلب رجالاً أقدم سناً من أسامة رضى الله عنه، فوثب أبو بكر رضى الله عنه وكان جالساً وأخذ بلحية عمر رضى الله عنه وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب:

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٨).

(٢) الكامل لابن الأثير (٢/ ٢٢٦).

(٣) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص (٨٣).

(٤) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٥).

استعمله رسول الله ﷺ، وتأمرنى أن أعزله^(١).. ثم خرج أبو بكر الصديق حتى أتاهم، فأشخصهم، وشيعهم، وهو ماش وأسامه راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبى بكر رضى الله عنهما، فقال له أسامة رضى الله عنه: يا خليفة رسول الله: والله لتركبن أو لأنزلن. فقال: والله لا تنزل، والله لا أركب. وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله^(٢). ثم قال الصديق رضى الله عنه لأسامة رضى الله عنه: إن رأيت تعيننى بعمر رضى الله عنه فافعل، فأذن له^(٣).

ثم توجه الصديق رضى الله عنه إلى الجيش فقال: يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر، فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا^(٤)، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منه شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواماً قد فحصوا^(٥) أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فأخفقوهم^(٦) بالسيف خفقا، اندفعوا باسم الله^(٧).

وأوصى الصديق أسامة رضى الله عنهما أن يفعل ما أمر به النبى الكريم قائلاً: أصنع ما أمرك به نبى الله ﷺ، ابدأ ببلد قضاة تم ايت آبل^(٨)، ولا تقصرن فى شيء من أمر رسول الله، ولا تعجلن لما خلفت عن عهده^(٩). ومضى أسامة بجيشه وانتهى إلى ما أمر به النبى ﷺ من بث الخيول من قبائل قضاة، والغارة على آبل، فسلكم وغنم^(١٠)، وكان مسيره ذاهباً وقافلاً أربعين يوماً^(١١).

(١) تاريخ الطبرى (٤ / ٤٦).

(٢)، (٣) المصدر نفسه (٤ / ٤٦).

(٤) ولا تمثلوا: يقال: مثلت بالحيوان أمثل به مثلاً: إذا قطعت أطرافه وشوّهت به.

(٥) فحصوا: حلقوا.

(٦) فأخفقوهم: من أخفق فلاناً أى صرعه.

(٧) تاريخ الطبرى (٤ / ٤٦).

(٨) آبل: منطقة فى جنوب بلاد الأردن اليوم.

(٩)، (١٠) تاريخ الطبرى (٤ / ٤٧).

(١١) المصدر نفسه (٤ / ٤٧)، تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٠١).

وقد قدم بنعى رسول الله على هرقل وإغارة أسامة في ناحية أرضه خيراً واحداً، فقالت الروم: ما بال هؤلاء يموت صاحبهم ثم أغاروا على أرضنا^(١)، وقال العرب: لو لم يكن لهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش^(٢)، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه^(٣).

ولقد اختلق بعض الشيعة الرافضة حديثاً نسبوه لرسول الله، لا أصل له في كتب السنة فقالوا: إن رسول الله لعن من تخلف عن جيش أسامة، وهذا الحديث منكر لا أصل له، وهم ما احتجوا بهذا الحديث المختلق إلا ليجعلوا من أبى بكر وعمر أول الملعونين، فقد قالوا: وقد تخلف أبو بكر وعمر عن جيش أسامة ولم يجد الرافضة الحديث مسنداً إلا من طريق منبوذ مجهول لدى الرافضة والسنة.

لقد استفاد الحسن بن على رضى الله عنه وشباب ذلك الجيل من قصة إنفاذ جيش أسامة دروساً وعبراً منها:

أ- الأحوال تتغير وتبديل والشدائد لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين:

فقد علم الصديق الأمة إذا نزلت بها الشدة وأملت بها المصيبة أن تصبر، فالنصر مع الصبر، وأن لا تيأس ولا تقنط من رحمة الله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. وليتذكر المسلم دائماً أن الشدة مهما عظمت، والمصيبة مهما اشتدت وكبرت فإن من سنن الله الثابتة ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]. وإن المسلم لأمره عجيب في هذه الدنيا فقد بين رسول الله ﷺ في قوله: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(٤).

فالشدائد والمصائب مهما عظمت وكبرت لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين، فوفاء الرسول الكريم ﷺ لم تشغل الصديق عن أمر الدين وأمر بيعت أسامة في ظروف كالحلة مظلمة بالنسبة للمسلمين، ولكن ما تعلمه الصديق من رسول الله من

(١) عهد الخلفاء الراشدين للذهبي، ص (٢٠).

(٢) قصة بعث أبى بكر جيش أسامة د. فضل إلهي، ص (١٤).

(٣) الكامل لابن الأثير (٢/ ٢٢٧).

(٤) مسلم (٤/ ٢٢٩٥).

الاهتمام بأمر الدين مقدم على كل شيء وبقي هذا الأمر حتى ارتحل من هذه الدنيا^(١)، وقد تعلم الحسن بن علي رضي الله عنه هذا الدرس واستوعبه وعاش به في حياته.

ب- المسيرة الدعوية لا ترتبط بأحد، ووجوب اتباع النبي ﷺ:

فقد تعلم الحسن بن علي من قصة إنفاذ جيش أسامة بأن مسيرة الدعوة لم ولن تتوقف، حتى يموت سيد الخلق، وإمام الأنبياء وقائد المسلمين ﷺ، وقد كان الصديق رضي الله عنه قبل ذلك قد بين في خطبته التي ألقاها إثر بيعته عن عزمه على مواصلة بذل الجهود لخدمة هذا الدين^(٢)، وقد جاء في رواية قوله: فاتقوا الله أيها الناس، واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه، والله لا نبألى من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة، وما وضعناها بعد، ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ، فلا يبغي أحد إلا على نفسه^(٣).

ومن الدروس التي استفادها الحسن بن علي من قصة إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنهم أنه يجب على المسلمين اتباع أمر النبي ﷺ، في السراء والضراء، فقد بين الصديق من فعله أنه عاض على أوامر النبي ﷺ بالنواجذ، ومنفذها مهما كثرت المخاوف وشدت المخاطر، فمن أقوال الصديق الخالدة في تلك الحادثة: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته^(٤)، وقدم بموقفه هذا صورة تطبيقية لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وقد تعلم المسلمون أن الله تعالى ربط نصر الأمة وعزها باتباع النبي ﷺ، فمن أطاعه فله النصر والتمكين، ومن عصاه فله الذل والهوان، فسر حياة الأمة في طاعتها لربها واقتدائها بسنة نبيها ﷺ^(٥).

(١) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، ص (٢٤).

(٢) المصدر نفسه، ص (٢٧).

(٣) البداية والنهاية (٥/ ٢١٣، ٢١٤).

(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٤٥).

(٥) الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق للصلاحي، ص (٢٢٧)، قصة جيش أسامة، ص (٢٢٧).

ج- حدوث الخلاف بين المؤمنين وردة إلى الكتاب والسنة:

ومما استفاده الحسن بن علي رضي الله عنه من هذه القصة أنه قد يحدث الخلاف بين المؤمنين الصادقين حول بعض الأمور، فقد اختلفت الآراء حول إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه في تلك الظروف الصعبة، وقد تعددت الأقوال حول إمارته ولم يصر أحد على رأى بعد وضوح فساد وبطلانه، وعندما رد الصديق الخلاف إلى ما ثبت من أمر النبي ﷺ ببعث أسامة وبين رضي الله عنه أنه ما كان ليفرط فيما أمر به رسول الله ﷺ بعدما وضحه لهم الصديق، وكما أنه لا عبرة لرأى الأغلبية إذا كان مخالفاً للنص، فقد رأى عامة الصحابة حبس جيش أسامة، وقالوا للصديق: إن العرب قد انتقصت عليك وإنك لا تصنع بتفريق الناس شيئاً^(١)، فأولئك الناس لم يكونوا كعامة الناس بل كانوا من الصحابة الذين هم خير البشر وجدوا على الأرض بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام، لكن الصديق رضي الله عنه لم يستجب لهم مبيناً أن أمر الرسول ﷺ أجل وأكرم، وأوجب من رأيهم كلهم^(٢)، قال الحافظ ابن حجر تعليقاً على رأى الأكثرية، حول وفاته ﷺ: فيؤخذ منه أن الأقل عدداً في الاجتهاد قد يصيب ويخطئ الأكثرية، فلا يتعين الترجيح، بالأكثر^(٣).

فخلاصة الكلام أن مما نستفيدة من قصة تنفيذ الصديق جيش أسامة رضي الله عنهما أن تأييد الكثرة لرأى ليس دليلاً على إصابته^(٤)، ومما يستفاد من هذه القصة انقياد المؤمنين وخضوعهم للحق إذا اتضح لهم، فعندما ذكرهم الصديق أن النبي ﷺ قد أمر بتنفيذ جيش أسامة وهو الذي عين أسامة أميراً على الجيش، انقاد أولئك الأبرار للأمر النبوي الكريم^(٥).

د- جعل الدعوة مقرونة بالعمل:

فقد تعلم الحسن بن علي رضي الله عنه من قصة جيش أسامة أهمية جعل الدعوة مقرونة بالعمل، فقد علم أن الصديق لم يقتصر على الإصرار على إمارة أسامة فحسب بل قدم اعترافاً عملياً بإمارته، وقد تجلّى ذلك في أمرين:

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص (٢٢٧).

(٢) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، ص (٤٤).

(٣) فتح الباري (٨/ ١٤٦).

(٤) قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، ص (٤٦).

(٥) المصدر نفسه، ص (٥٢).

* مشى أبى بكر رضى الله عنه مع أسامة رضى الله عنه، وهو راكب وقد كان ابن عشرين سنة من عمره، وأصر على المشى مع أسامة رضى الله عنه، كما أصر على بقاء أسامة راكباً لما طلب منه أسامة رضى الله عنه إما أن يركب هو، أو يأذن له بالنزول، فلم يوافق رضى الله عنه لا على هذا ولا على ذاك، وكان الصديق بمشيئه ذلك يخاطب الجيش فيقول: انظروا أيها المسلمون أنا أبو بكر رغم كونى خليفة رسول الله ﷺ أمشى مع أسامة وهو راكب إقراراً وتقديراً لإمارته.

* كان أبو بكر الصديق يرغب فى بقاء عمر بن الخطاب نظراً لحاجته إليه، لكنه لم يأمره بذلك، بل استأذن من أسامة فى تركه إياه بالمدينة إن رأى هو ذلك مناسباً، وبهذا قدم الصديق رضى الله عنه صورة تطبيقية أخرى لاعترافه واحترامه لإمارة أسامة رضى الله عنه، وفيها بلا شك دعوة قوية للجيش إلى الإقرار والانقياد لإمارته، وهذا الذى اهتم به الصديق رضى الله عنه من جعل دعوته مقرونة بالعمل هو الذى أمر به الإسلام ووبّخ الرب عز وجل أولئك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم^(١)، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

هـ- مكانة الشباب فى الإسلام:

وما يتجلى فى هذه القصة منزلة الشباب العظيمة فى خدمة الإسلام، فقد عين رسول الله ﷺ الشاب أسامة بن زيد رضى الله عنه أميراً على الجيش المعد لقتال الروم - القوة العظمى فى زعم الناس فى ذلك الوقت - وكان عمره آنذاك عشرين سنة، أو ثمانى عشرة سنة، وأقره أبو بكر الصديق رضى الله عنه على منصبه رغم انتقاد الناس، وعاد الأمير الشاب بفضل الله من مهمته التى أسندت إليه غانماً ظافراً، وفى هذا توجيه للشباب فى معرفة مكانتهم فى خدمة الإسلام^(٢).

فعلى الدعاة والمربين إعطاء هذا الجانب حقه بالاهتمام، وفتح المجال أمام الطاقات الشابة لكى تبدع فى خدمة دينها، وهذه السنة النبوية تجدد الحيوية والنشاط فى الأمة وتساهم فى تفجير طاقات خلاقة تقوم بالدور الحضارى المنوط بالمسلمين.

(١) قصة بعث أبى بكر جيش أسامة، ص (٦٦).

(٢) المصدر نفسه، ص (٧٠).

و- صورة مشرقة من آداب الجهاد فى الإسلام:

وتعلم الحسن بن على رضى الله عنه من قصة بعث أبى بكر لجيش أسامة الصورة المشرقة للجهاد الإسلامى، وقد تجلت تلك الصورة المشرقة فى وصية أبى بكر الصديق لجيش أسامة عند توديعهم إياهم، ولم يكن أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى وصاياه للجيش إلا مستنًا بسنة المصطفى ﷺ حيث كان ﷺ يوصى الأمراء والجيش عند توديعهم^(١)، ومن خلال الوصية التى جاءت فى البحث تظهر الغاية من حروب المسلمين فهى دعوة إلى الإسلام، فإذا ما رأت الشعوب جيشًا يلتزم بهذه الوصايا لا يملك إلا الدخول فى دين الله طواعية واختياراً^(٢).

ز- أثر جيش أسامة على هبة الدولة الإسلامية:

عاد جيش أسامة ظافرًا غائمًا بعدما أُرهب الروم حتى قال لهم هرقل وهو بحمص بعد ما جمع بطارقه: هذا الذى حذرتكم، فأيتيم أن تقبلوا منى!! قد صارت العرب تأتى مسيرة شهر فتغير عليكم ثم تخرج من ساعتها ولم تكلم^(٣)، وأصاب القبائل العربية فى الشمال الرعب والفرع من سطوة الدولة الإسلامية، وكان لهذه الغزوة أثر فى حياة المسلمين وفى حياة العرب الذين فكروا فى الثورة عليهم، وفى حياة الروم الذين تمتد بلادهم على حدودهم^(٤).

فقد فعل هذا الجيش بسمعه ما لم يفعله بقوته وعدده، فأحجم من المرتدين من أقدم، وتفرق من اجتمع، وهادن المسلمين من أوشك أن ينقلب عليهم، وصنعت الهيئة صنيعها قبل أن يصنع الرجال، وقبل أن يصنع السلاح^(٥)، حقًا لقد كان إرسال هذا الجيش نعمة على المسلمين، إذ أمست جبهة الردة فى الشمال أضعف الجبهات، ولعل من آثار هذا أن الجبهة فى وقت الفتوحات كان كسرهما أهون على المسلمين من كسر جبهة العدو فى العراق، كل ذلك يؤكد أن أبا بكر رضى الله عنه

(١) قصة بعث أبى بكر لجيش أسامة، ص (٨٠).

(٢) تاريخ الدعوة إلى الإسلام، ص (٢٦٩).

(٣) ولم تكلم: ولم تُجرح.

(٤) الصديق - لهيكل باسا، ص (١٠٧).

(٥) عبقرية الصديق - للعقاد، ص (١٠٧).

كان فى الأزمات، من بين جميع الباحثين عن الحل، أنقبيهم نظراً، وأعمقهم فهماً^(١)، وقد أثبتت الأحداث تأثير الحسن بن على، بالخلفاء الراشدين فى إدارته للأزمات، فكان فى خلافته من أعمق الناس فهماً وأبعدهم نظراً وأشدهم حرصاً على وحدة المسلمين.

٦- حروب الردة:

كان رأى الصديق فى حرب المرتدين رأياً ملهماً، وهو الرأى الذى تمليه طبيعة الموقف لمصلحة الإسلام والمسلمين، وأى موقف غيره سيكون فيه الفشل والضياع والهزيمة والرجوع إلى الجاهلية، ولولا الله ثم القرار الحاسم من أبى بكر رضى الله عنه فى قتال أهل الردة لتغير وجه التاريخ وتحولت مسيرته، ورجعت عقارب الساعة إلى الوراء ولعادت الجاهلية تعيث فى الأرض فساداً^(٢)، لقد تجلّى فهمه الدقيق وشدة غيرته على هذا الدين فى قوله: قد انقطع الوحي وتم الدين، أينقص وأنا حى؟^(٣).

لقد سمع أبو بكر وجهات نظر الصحابة فى حرب المرتدين، وما عزم على خوض الحرب إلا أنه كان سريع القرار حاسم الرأى فلم يتردد لحظة واحدة بعد ظهور الصواب له. وعدم التردد كان سمة بارزة من سمات أبى بكر - هذا الخليفة العظيم - فى حياته كلها^(٤)، ولقد اقتنع المسلمون بصحة رأيه ورجعوا إلى قوله واستصوبوه، وأصبح قوله: والله لو منعونى عقلاً^(٥) كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه^(٦)، من أقواله الخالدة التى حفظها لنا التاريخ ولم تهملها الليالى، ولم تفصلها عنا حواجز الزمن ولا أسوار الزمن ولا أسوار القرون. ولقد استخدم فى جهاده للمرتدين دهاء وحنكة سياسية ورؤية استراتيجية واضحة تمثلت فى أساليب عدة منها، النفسية، والدعوية، والاستخباراتية، والإعلامية، والعلمية، وتوجها بجيوشه المظفرة التى قضت على حركة الردة فى جزيرة العرب.

(١) حركة الردة. د. على العتوم، ص (١٦٨).

(٢) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص (٨٦).

(٣) المرتضى لأبى الحسن الندوى، ص (٧٠)، مشكاة المصابيح رقم (٦٠٣٤).

(٤) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص (٨٧).

(٥) العقال: هو الحبل الذى يعقل به البعير.

(٦) البخارى رقم (٦٩٢٤).

ولقد فهم وتعلم الحسن فقه الصديق فى التعامل مع المرتدين ولمس بعض فقه التمكين فى جهاده للمرتدين والتى من أهم معالمه:

- استقرار التنظيم الإدارى فى الجزيرة^(١).

ولا شك أن حروب الردة وأسبابها، وفقه الصديق فى القضاء عليها أخذت بلباب الحسن بن على وشكلت جزءاً من ثقافته سواء عن طريق السماع أو المشاهدة.

- كما أن معالم السياسة الخارجية فى دولة الصديق كانت واضحة فى حس أبناء الجيل الذى من نوابغه الحسن بن على رضى الله عنه، فقد رسمت خلافة الصديق رضى الله عنه أهدافاً فى السياسة الخارجية، للدولة الإسلامية والتى كان من أهمها:

- بذر هبة الدولة فى نفوس الأمم الأخرى.

- العدل بين الأمم المفتوحة والرفق بأهلها.

- رفع الإكراه عن الأمم المفتوحة.

- مواصلة الجهاد الذى أمر به المولى عز وجل فى القرآن.

- كما أن معالم التخطيط الحربى عند الصديق أصبحت من ثقافة ذلك الجيل وأدبياته، خصوصاً لإطلاع القيادة الشبائية وعلى رأسهم الحسن بن على، فقد وضع الصديق مع مستشاريه من الصحابة خطوطاً رئيسية للخطة الحربية التى سار عليها، وقد كانت هذه الخطة المحكمة عاملاً من عوامل نزول النصر والتمكين من الله عز وجل للمسلمين ومن هذه الخطوط:

- عدم الإيغال فى بلاد العدو حتى تدين للمسلمين.

- التعبئة وحشد القوات.

- تنظيم عملية الإمداد للجيش.

- تحديد الهدف من الحرب.

- إعطاء الأفضلية لمسارح العمليات.

- عزل ميدان المعركة.

(١) الانشراح ورفع الضيق فى سيرة أبى بكر ص (٣٢٩ - ٣٦٥).

- التطور فى أساليب القتال .

- سلامة خطوط الاتصال مع القادة .

- ذكاء الخليفة وفطنته^(١) .

فقد امتازت الخطط الحربية الإسلامية فى بداية الفتوحات بوجود العقل المدبر، ذى الفطنة والذكاء والكياسة والفراسة، وهو الصديق وقد ساعد أبا بكر على فهمه الواسع للتخطيط الحربى طول ملازمته للنبي ﷺ، فقد تربى على تعليمه وتوجيهاته .

فكسب علومًا شتى، وخبرات متنوعة، فقام بعد رحيل رسول الله ﷺ فى مقام الخلافة خير قيام، فحمل البصيرة الواعية، وزود الجيوش بالنصائح الغالية، وأرسل الإمدادات فى أوقاتها تسعف المجاهدين، وتمدهم بالهمة والعزيمة الماضية. (٢) إن الحسن بن على رضى الله عنه تربى على كتاب الله وهدى رسوله وتشرب هدى الخلفاء الراشدين المهديين والذين فى مقدمتهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

ثانيًا: فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

كان عمر رضى الله عنه شديد الإكرام لآل رسول الله ﷺ وإيثارهم حتى على أبنائه، وأسرته، وله فى ذلك مواقف كثيرة منها:

١- أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر:

جاء فيما رواه الحسين بن على رضى الله عنه: أن عمر قال لى ذات يوم: أى بنى لو جعلت تأتينا وتغشائنا؟ فجئت يومًا وهو خال بمعاوية وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقينى بعد، فقال: يا بنى لم أرك تأتينا؟ قلت: جئت وأنت خال بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع، فرجعت فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله ابن عمر، إنما أنبت فى رؤوسنا ما ترى: الله ثم أئتم، ووضع يده على رأسه^(٣) .

٢- والله ما هنأ لى ما كسوتكم:

روى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه على بن الحسين، قال: قدم على عمر حلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا فى الحلل، وهو بين القبر والمنبر

(١) الانشراح ورفع الضيق، ص (٤٥٤، ٤٥٥) .

(٢) تاريخ الدعوى الإسلامية، ص (٣٣٦) .

(٣) المرتضى، ص (١١)، كتر العمال (٧/ ١٠٥)، الإصابة (١/ ١٣٣) .

جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضى الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صار بين عينيه ثم قال: والله ما هنا لى ما كسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء كبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلى والى اليمن أن ابعث بحلتين للحسن والحسين وعجل، فبعث إليه بحلتين فكساهما^(١).

٣- تقديم الحسن والحسين وبنى هاشم فى العطاء:

عن أبى جعفر أنه لما أراد أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه، وجمع ناس من أصحاب النبى ﷺ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله بالأقرب من رسول الله ﷺ، ومن بنى هاشم رهط رسول الله ﷺ، وفرض للعباس، ثم لعلى، حتى وإلى ما بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بنى عدى بن كعب، فكتب: من شهد بدرًا من بنى هاشم، ثم من شهد بدرًا من بنى أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب، فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم^(٢)، وألحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما مع أهل بدر لقرابتهم من رسول الله ﷺ ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم^(٣).

وفى هذه القصة تظهر حقيقة محبة عمر لآل البيت عمومًا والحسن والحسين خصوصًا، حيث خصهما بأن جعلهما مع الطبقة الأولى من سادات الصحابة فى العطاء وما ذلك إلا محض المحبة لهما وتقديرًا لهما من مكانتهما من رسول الله ﷺ.

٤- معاملة عمر بن الخطاب للسيدة فاطمة والدة الحسن رضى الله عنهما بعد وفاة رسول الله ﷺ:

عن أسلم العدوى قال: لما بويع لأبى بكر بعد النبى ﷺ كان على والزبير بن العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها، فبلغ عمر فدخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك

(١) المرتضى، ص (١١)، الإصابة (١/ ١٠٦).

(٢) الخراج لأبى يوسف، ص (٢٤، ٣٥) المرتضى، ص (١١٨).

(٣) تاريخ دمشق الكبير (١٤/ ٦).

أحب إلينا منك، وكلمها، فدخل عليّ والزبير على فاطمة فقالت: انصرفا راشدين، فما رجعا إليهما حتى بايعا^(١)، وهذا هو الثابت الصحيح والذي مع صحة سنده ينسجم مع روح ذلك الجليل وتركية الله له. وقد زاد رواية الشيعة الرافضة في هذه الرواية واختلقوا إفكاً وبهتاناً وزوراً وقالوا بأن عمر قال: إذا اجتمع عندك هؤلاء نفر أحرقت عليهم هذا البيت، لأنهم أرادوا شق عصي المسلمين بتأخيرهم عن البيعة ثم خرج عنها، فلم يلبث أن عادوا إليها، فقالت لهم: تعلمون أن عمر جاءني وحلف بالله لأن أنتم عدتم إلى هذا البيت ليحرقنه عليكم، وإيم الله أنه ليصدقن فيما حلف عليه، فانصرفوا عني فلا ترجعوا إليّ، ففعلوا ذلك، ولم يرجعوا إليها إلا بعدما بايعوا^(٢).

وهذه القصة الباطلة لم تثبت عن عمر رضي الله عنه، ودعوى أن عمر رضي الله عنه همّ بإحراق بيت فاطمة، من أكاذيب الرافضة، وقد أوردها مع أكاذيب أخرى الطبري الطبرسي في كتابه دلائل الإمامة^(٣)، عن جابر الجعفي، وهو رافضي كذاب باتفاق أئمة الحديث كما في الميزان الذهبي^(٤)، وتهذيب التهذيب^(٥)، وزعم بعض الروافض أن عمر ضرب فاطمة حتى أسقط ولدها محسنًا وهو في بطنها، وهذه من الأكاذيب الرافضية التي لا أساس لها من الصحة وما علموا إنهم يطعنون في علي رضي الله عنه وذلك باتهامه بالجن والسكوت عن عمر، وهو من أشجع أصحاب النبي ﷺ^(٦)، بل إن بعض عقلاء الشيعة أنكر صحة هذا الهذيان والزور^(٧). علما بأن محسن ولد في حياة النبي ﷺ كما ثبت ذلك بالرواية الصحيحة في مسند الإمام أحمد كما سبق.

٥- زواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب:

كان عمر يكن لأهل البيت محبة خاصة لا يكنها لغيرهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ، ولما أوصى به رسول الله ﷺ من إكرام أهل البيت ورعاية

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: المصنف (٥٦٧/١٤) إسناده صحيح.

(٢) عقائد الثلاثة والسبعين فرقة لأبي محمد اليمنى (١/ ١٤٠).

(٣) دلائل الإمامة، ص (٢٦) نقلا عن عقائد الثلاثة والسبعين (١/ ١٤٠).

(٤) الميزان الذهبي (١/ ٢٧٩).

(٥) تهذيب التهذيب (٢/ ٤٧).

(٦) حقه من التاريخ، ص (٢٢٤).

(٧) مختصر التحفة الاثني عشرية، ص (٢٥٢).

حقوقهم، فمن هذا الباعث خطب عمر أم كلثوم ابنة علي وفاطمة رضوان الله عليهم وتودد إليه في ذلك قائلاً: فوالله ما على الأرض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرصده، فقال علي: قد فعلت، فأقبل عمر إلى المهاجرين، وهو مسرور قائلاً: رفئوني.. ثم ذكر أن سبب زواجه منها ما سمعه من النبي ﷺ: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ سبب^(١)، وقد قام الأستاذ أبو معاذ الإسماعيلي في كتابه (زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب حقيقة وليس افتراء) بتتبع مراجع ومصادر الشيعة وأهل السنة فيما يتعلق بهذا الزواج الميمون، وقد ذكرت شيئاً من سيرتها ومواقفها في حياتها في عهد الفاروق في كتابي فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، شخصيته وعصره.

٦- في غنائم المدائن:

عندما فتحت المدائن^(٢)، عام ١٦ هـ، جاءت الأموال منها فقام عمر رضى الله عنه بإعطاء الحسن والحسين رضى الله عنهما ألف درهم لكل واحد منهما، وأعطى ابنه عبد الله خمسمائة^(٣)، وفي هذه الحادثة تأكيد على محبة عمر للحسن والحسين وتقديمه لهما.

* تأثر الحسن بن علي بالفقه الراشدى للفاروق:

قامت دولة الفاروق على فقه الخلافة الراشدة وكان - بعد الله وتوفيقه - لعبقرية الفاروق أثر في تطوير مؤسسات الدولة والاجتهاد في النوازل الفقهية، وإدارة الأزمات، ومما ساعد على تأثر الحسن بن علي بثقافته، وأدبيات عهد الفاروق قرب والده أمير المؤمنين على من الفاروق، فقد كان على رضى الله عنه عضواً بارزاً في مجلس شورى الدولة العمرية، بل كان هو المستشار الأول، فقد كان عمر

(١) إسناده حسن أخرجه الحاكم في المستدرک (١٤٢/٣) صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي متعقباً:

منقطع وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣/٣) وقال: أورده الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله

رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهناك من ضعفه.

(٢) المدائن: بلدة بينها وبين بغداد ستة فراسخ فتحت على يد سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه.

(٣) مقامات العلماء للغزالي، ص (١٦١).

رضى الله عنه يعرف لعلی فضله، وفقهه، وحكمته، وكان رأیه فیہ حسناً، فقد ثبت فیہ قوله فیہ: أقضانا علی^(١)، وكان لعلی اجتهادات فی الأمور القضائية، والمالية والإدارية فی عهد الفاروق أخذ بها أمير المؤمنین عمر، وكان الفاروق يستشير علیاً فی الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بیت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهانود وقاتل الفرس، وحين أراد أن یرج لقتال الروم، وفی موضع التقویم الهجری وغير ذلك من الأمور^(٢).

وكان علی رضی الله عنه طيلة حياة عمر مستشاراً ناصحاً لعمر محباً له خائفاً علیه، وكان عمر یحب علیاً وكانت بینهم مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك یأبى أعداء الإسلام إلا أن یزوروا التاريخ، ویقصوا بعض الروایات التي تناسب أمزجتهم ومشاربهم لیصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن أن كل واحد منهم كان یتربص بالآخر الدوائر لینقض علیہ، وكل أمورهم كانت تجری من وراء الكوالیس^(٣)، إن من أبرز ما یلاحظه المتأمل فی خلافة عمر تلك الخصوصية فی العلاقة وذلك التعاون المتمیز الصافی بین عمر وعلی رضی الله عنهما، فقد كان علی هو المستشار الأول لعمر فی سائر القضايا والمشكلات، وما اقترح علی علی عمر رأياً إلا واتجه عمر إلى تنفیذه عن قناعة، وكان علی رضی الله عنه یمحضه النصح فی كل شئونه وأحواله^(٤)، فلا شك أن تلك العلاقة بین علی وعمر رضی الله عنهما لها انعكاساتها الثقافية والعلمية والتربوية علی الحسن وأبناء ذلك الجيل، والمواقف التي تدل علی قوة العلاقة بین عمر وعلی كثيرة منها:

* كسانی هذا الثوب أخی وخیلی:

خرج علی وعلیه برد عدنی فقال: كسانی هذا الثوب أخی وخیلی وصفی وصدیقی أمير المؤمنین عمر^(٥)، وفی رواية عن أبی السفر قال: رئی علی علی بن

(١) الاستیعاب فی معرفة الأصحاب، ص (١١٠٢).

(٢)، (٣) علی بن أبی طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين، ص (٩٩).

(٤) فقه السيرة النبوية للبوطی، ص (٥٢٩).

(٥) المختصر من كتاب الموافقة، ص (١٤٠).

أبى طالب رضى الله عنه برد كان يكثر لبسه قال: فقيل: يا أمير المؤمنين إنك لتكثر لبس هذا البرد؟ فقال: نعم، إن هذا كسانيه خليلي وصفى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ناصح الله فنصحته، ثم بكى^(١). ومن هذه القصص وأمثالها عرف الحسن حقيقة محبة على وأهل البيت لعمر ومحبة عمر لهم.

* ما قاله على في عمر بعد استشهاده:

قال ابن عباس كما في صحيح البخارى: وُضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعنى إلا رجل أخذ منكبى، إذا على بن أبى طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك، وإيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك، وحسبت أنى كنت كثيراً ما أسمع النبی ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر^(٢).

* إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك:

لما فرغ على من وقعة الجمل، ودخل البصرة، وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة، سار من البصرة إلى الكوفة، فدخلها يوم الاثنين، لثنتى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: أنزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك، فتزل فى الرحبة وصلى فى الجامع الأعظم ركعتين^(٣).

* حب أهل البيت لعمر رضى الله عنه:

إن من دلالة محبة أهل البيت لعمر رضى الله عنه تسمية أبنائهم باسمه حباً وإعجاباً بشخصيته، وتقديراً لما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولما قدم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقراراً بالصلات الودية الوطيدة والتي تربطه بأهل بيت النبوة والرحم، الصهر القائم بينه وبينهم، فأول من سمي ابنه باسمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب سمي ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية

(١) المصنف لابن أبى شيبة (١٢ / ٢٩).

(٢) البخارى، رقم (٣٦٨٥).

(٣) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان، ص (٣٨٣).

عمر^(١)، وقد جاء في كتاب صاحب الفصول، تحت ذكر أولاد علي بن أبي طالب: وعمر من التغلبية وهي الصهباء بنت ربيعة من السبي الذي أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر، وعمر عمر هذا حتى بلغ خمساً وثمانين سنة فحاز نصف ميراث علي رضي الله عنه، وذلك أن جميع إخوته وأشقائه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين رضي الله عنهم - يعني أنه لم يقتل معهم - بالطف فورثهم^(٢).

هذا وتبعه الحسن في ذلك الحب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فسمى أحد أبنائه عمر أيضاً^(٣)، وكذلك الحسين بن علي سمي عمر، ومن بعد الحسين ابنه علي الملقب بزين العابدين سمي أحد أبنائه باسم عمر^(٤)، وكذلك موسى بن الصادق الملقب بالكاظم سمي أحد أبنائه باسم عمر^(٥)، فهؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا على هدى النبي ﷺ ومعالم منهج أهل السنة والجماعة بسيرته العطرة يظهرهم لعمر الفاروق ما يكونونه في صدورهم من حبهم وولائهم له بعد وفاته بمدة، وقد جرى هذا الاسم وكذلك أبو بكر وعثمان في ذرية أهل البيت ممن ساروا على مذهب الحق وهو منهج أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا، ونجد أسماء الصحابة وأمّهات المؤمنين في البيوت الهاشمية التي التزمت بالكتاب والسنة، فقد سموا طلحة، وعبد الرحمن وعائشة وأم سلمة. ونحن ندعو الشيعة اليوم، الاقتداء بعلي والحسن والحسين وسائر الأئمة من آل البيت فيحبون أنصار دين الله وأصحاب رسوله، فيسمون بعض أبنائهم وبناتهم بأسماء الخلفاء الراشدين، وأمّهات المؤمنين^(٦)، نرجو ذلك.

✽ قول عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في عمر:

عن حفص بن قيس، قال: سألت عبدالله بن الحسن عن المسح على الخفين، فقال، فقال: أمسح، فقد مسح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: فقلت: إنما

(١) تاريخ يعقوبى (٢/ ٢١٣)، الشيعة وأهل البيت، ص (١٣٣).

(٢) الفصول المهمة، ص (١٤٣)، الشيعة وأهل البيت، ص (١٣٣).

(٣) الشيعة وأهل البيت، ص (١٣٣).

(٤) المصدر نفسه، ص (١٣٤).

(٥) المصدر نفسه، ص (١٣٥).

(٦) اذهبوا فأنتم الطرافة، عبدالعزيز الزبيرى، ص (٢٣٠).

أسألك أنت تمسح؟ قال: ذاك أعجز لك، أخبرك عن عمر وتسالني عن رأيي، فعمر كان خيراً مني ومن ملء الأرض. فقلت: يا أبا محمد، فإن أناساً يزعمون أن هذا منكم تقية، قال: فقال لي - ونحن بين القبر والمنبر - : اللهم إن هذا قولي في السر والعلانية، فلا تسمعنّ عليّ قول أحد بعدى. ثم قال: من هذا الذي يزعم أن عليّاً رضى الله عنه كان مقهوراً، وأن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه. وكفى بإزراء عليّ وعلى ومنقصة أن يزعم أن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه^(١).

ثالثاً: في عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه:

كان ذو النورين على صلة وثيقة بالدعوة الإسلامية من سنتها الأولى، فلم يفته شيء من أخبار النبوة الخاصة، والعامّة في حياة النبي ﷺ، ولم يفته شيء بعدها من أخبار الخلافة في حياة الشيخين، ولم يفته بعبارة أخرى شيء مما نسميه اليوم بأعمال التأسيس في الدولة الإسلامية، وكان المنهج التربوي الذي تربى عليه عثمان ابن عفان، وكل الصحابة الكرام، القرآن الكريم، المنزل من عند رب العالمين، كما أن الرافد القوى الذي أثر في شخصية عثمان بن عفان، وصقل مواهبه، وفجر طاقته، وهذب نفسه هو مصاحبته لرسول الله ﷺ، وتلمذه على يديه في مدرسة النبوة، ذلك أن عثمان رضى الله عنه لازم الرسول ﷺ في مكة بعد إسلامه كما لازمه في المدينة بعد هجرته، فقد نظم عثمان نفسه، وحرص على التلمذة في حلقات مدرسة النبوة في فروع شتى من المعارف والعلوم على يد معلم البشرية، وهادياها، والذي أدبه ربّه، فأحسن تأديبه، ولم يكن عثمان بن عفان رضى الله عنه ممن تخلّفوا عن بدر لتقاعس منه، أو هروب يشده، كما يزعم أصحاب الأهواء ممن طعن عليه في تغيبه عن بدر، فهو لم يقصد مخالفة الرسول ﷺ، لأن الفضل الذي حازه أهل بدر في شهود بدر طاعة الرسول ومتابعته، وعثمان رضى الله عنه خرج فيمن خرج مع الرسول ﷺ فردّه ﷺ للقيام على ابنته رقية التي اشتد بها المرض وماتت بسبب ذلك، فكان عثمان في أجلّ فرض لطاعته لرسول الله ﷺ،

(١) النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب لمحمد عبدالواحد المقدسى، ص (٥٧).

وتخلفه، وقد ضرب له بسهمه، وأجره، وشاركهم فى الغنيمة والفضل، والأجر لطاعته المولى عز وجل ورسوله، وانقياده لهما.

وفى الحديثية ذكر المحب الطبرى اختصاص عثمان بعدة أمور، منها: اختصاصه بإقامة يد النبى ﷺ الكريمة مقام يد عثمان لما بايع الصحابة، وعثمان غائب، واختصاصه بتبليغ رسالة رسول الله ﷺ إلى من بمكة أسيراً من المسلمين، وذكر شهادة النبى فى عثمان بموافقته فى ترك الطواف لما أرسله فى تلك الرسالة^(١)، وفى فتح مكة قبل رسول الله ﷺ شفاعة عثمان بن عفان فى عبدالله بن أبى السرح فى فتح مكة^(٢). ومن حياة عثمان رضى الله عنه الاجتماعية فى المدينة، زواجه من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة رقية بنت رسول الله، ووفاة عبدالله بن عثمان، ثم وفاة أم كلثوم رضى الله عنها، ومن مساهمته الاقتصادية فى بناء الدولة، شراء بئر رومة بعشرين ألف درهم، وجعلها عثمان رضى الله عنه للغنى والفقير وابن السبيل، وتوسعة المسجد النبوى، وإنفاقه الكبير على جيش العسرة، وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضله مع غيره، ومنها ما ورد فى فضله وحده، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن الفتنة التى يقتل فيها عثمان، وكان رضى الله عنه من الصحابة وأهل الشورى الذين يؤخذ رأيهم فى أمهات المسائل فى عهد الصديق، فهو ثانى اثنين فى الخطوة عند الصديق، فعمر بن الخطاب للحزم والشدائد، وعثمان للرفق والأناة، وكان عمر وزير الخلافة الصديقية، وكان عثمان أمينها العام، وكتبها الأكبر، وكان رضى الله عنه ذا مكانة عند عمر، فكانوا إذا أرادوا أن يسألوا عمر عن شيء رموه بعثمان وبعبد الرحمن بن عوف، وكان عثمان يسمّى الرديف - والرديف بلسان العرب هو الذى يكون بعد الرجل - والعرب تقول ذلك للرجل الذى يرجونه بعد رئيس، وكانوا إذا لم يقدر هذان على عمل شيء، ثلثوا بالعبّاس^(٣).

وكان الحسن بن على رضى الله عنه فى عهد عثمان فى عز الشباب وعنفوانه، فقد كان فى سن يسمح لصاحبها أن يستوعب ما يدور حوله ويتعلم من الأحداث

(١) المناقب النضرة فى المناقب العشرة، ص (٤٩٠، ٤٩١).

(٢) أضواء البيان فى تاريخ القرآن، لصابر أبو سليمان، ص (٧٩).

(٣) تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان للصّلابى، ص (٢٧٤).

ومن سياسة الخليفة الراشد عثمان ومن حوله من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن أهم الدروس التي استوعبها الحسن بن علي هي:

١ - الفقه العمري في الاستخلاف:

استمرَّ اهتمام الفاروق رضى الله عنه بوحدة الأمة، ومستقبلها حتَّى اللحظات الأخيرة من حياته، رغم ما كان يعانيه من آلام جراحاته البالغة، وهى بلا شك لحظات خالدة، تجلَّى فيها إيمان الفاروق العميق، وإخلاصه، وإثاره^(١)، وقد استطاع الفاروق فى تلك اللحظات الحرجة أن يبتكر طريقة جديدة لم يسبق إليها فى اختيار الخليفة الجديد، وكانت دليلاً ملموساً، ومعلماً واضحاً على فقهه فى سياسة الدولة الإسلامية، لقد مضى قبله الرسول ﷺ، ولم يستخلف بعده أحداً بنصٍّ صريح، ولقد مضى أبو بكر الصديق، واستخلف الفاروق بعد مشاورة كبار الصحابة، ولمَّا طُلِب من الفاروق أن يستخلف وهو على فراش الموت، فكر فى الأمر ملياً، وقرَّر أن يسلك مسلكاً آخر يتناسب مع المقام، فرسول الله ﷺ ترك النَّاس، وكلهم مقررٌّ بأفضلية أبى بكر، وأسبقته عليهم فاحتمال الخلاف كان نادراً، وخصوصاً أن النبى ﷺ وجَّه الأمة قولاً وفِعْلاً إلى أن أبى بكر أولى بالأمر من بعده، والصديق لما استخلف عمر، كان يعلم: أنَّ عند الصحابة أجمعين قناعة بأنَّ عمر أقوى، وأفضل من يحمل المسئولية بعده، فاستخلفه بعد مشاورة كبار الصحابة، ولم يخالفه رأيه أحد منهم، وحصل الإجماع على بيعة عمر^(٢)، وأما طريقة انتخاب الخليفة الجديد، فتعتمد على جعل الشورى فى عدد محصور، وقد حصر ستَّة من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يصلحون لتولَّى الأمر، ولو أنهم يتفاوتون، ويحدِّد لهم طريقة الانتخاب، ومدَّته، وعدد الأصوات الكافية لانتخاب الخليفة، وحدِّد الحكم فى المجلس، والمرجَّح إن تعادلت الأصوات، وأمر مجموعة من جنود الله لمراقبة سير الانتخابات فى المجلس، وعقاب من يخالف أمر الجماعة، ومنع الفوضى بحيث لا يسمحون لأحد يدخل، أو يسمع ما يدور فى مجلس أهل الحلِّ والعقد^(٣)، وهذا بيان ما أجمل فى الفقرات السابقة.

(١) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعانى، ص (١٦١).

(٢) أوليات الفاروق للقرشى، ص (١٢٢).

(٣) المصدر نفسه، ص (١٢٤).

أ- العدد الذى حدده للشورى، وأسماءهم:

أمّا العدد، فهو ستة، وهم: على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم جميعاً، وترك سعيد بن زيد، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، ولعله تركه لأنه من قبيلة بنى عدى^(١)، وكان عمر رضى الله عنه حريصاً على إبعاد الإمارة عن أقاربه، مع أنّ فيهم من هو أهل لها، فهو يُبعد قريبه سعيد ابن زيد عن قائمة المرشحين للخلافة^(٢).

ب- طريقة اختيار الخليفة:

أمرهم أن يجتمعوا فى بيت أحدهم، ويتشاوروا، وفيهم عبدالله بن عمر يحضر معهم مشيراً فقط، وليس له من الأمر شيء، ويصلّى بالناس أثناء التشاور صهيّب الرومى، وقال له: أنت أمير الصلّاة فى هذه الأيام الثلاثة. حتى لا يؤلّى إمارة الصلاة أحداً من الستة، فيصبح هذا ترشيحاً من عمر له بالخلافة^(٣)، وأمر المقداد ابن الأسود، وأبا طلحة الأنصارى أن يرقبا سير الانتخابات^(٤).

ج- مدّة الانتخابات أو المشاورة:

حدّدها الفاروق رضى الله عنه بثلاثة أيام، وهى فترة كافية، وإن زادوا عليها، فمعنى ذلك أن شقّة الخلاف ستتسع، ولذلك قال لهم: لا يأتى اليوم الرابع إلا وعليكم أمير^(٥).

د- عدد الأصوات الكافية لاختيار الخليفة:

أخرج ابن سعد بإسناد رجاله ثقات: أنّ عمر رضى الله عنه قال لصهيّب: صلّ بالناس ثلاثاً، وليخل هؤلاء الرّهط فى بيت، فإذا اجتمعوا على رجل، فمن

(١) البداية والنهاية (١٤٢/٧).

(٢) الخلفاء الراشدون للخلدلى، ص (٩٨).

(٣) الخلافة والخلفاء الراشدون للبهناوى، ص (٢١٣).

(٤) أشهر مشاهير الإسلام فى الحرب والسياسة، ص (٦٤٨).

(٥) الطبقات لابن سعد (٣/٣٦٤).

خالفهم فاضربوا رأسه^(١). فعمر رضى الله عنه أمر بقتل من يريد أن يخالف هؤلاء الرهط ويشق عصا المسلمين، ويفرق بينهم، عملاً بقوله ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل منكم يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»^(٢)، وما جاء فى كتب التاريخ من أن عمر رضى الله عنه أمرهم بالاجتماع، والتشاور، وحد لهم أنه إذا اجتمع خمسة منهم على رجل، وأبى أحدهم، فليضرب رأسه بالسيف، وإن اجتمع أربعة، ورضوا رجلاً منهم، وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما^(٣)، فهذه من الروايات التى لا تصح سنداً، فهى من الغرائب، التى ساقها أبو مخنف - الرافضى الشيعى - مخالفاً فيها النصوص الصحيحة وما عرف من سير الصحابة رضى الله عنهم، فما ذكر أبو مخنف من قول عمر لصهيب: وقم على رؤوسهم - أى: أهل الشورى - فإن اجتمع خمسة، ورضوا رجلاً، وأبى واحد، فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة، فرضوا رجلاً منهم، وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما^(٤)، فهذا قول منكر، وكيف يقول عمر رضى الله عنه هذا، وهو يعلم أنهم هم الصّفة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو الذى اختارهم لهذا الأمر لعلمه بفضله وقدرهم^(٥)، وقد ورد عن ابن سعد: أن عمر قال للأنصار: «أدخلوهم بيتاً ثلاثة أيام، فإن استقاموا وإلا فادخلوا عليهم فاضربوا أعناقهم»^(٦)، وهذه الرواية منقطعة، وفى إسنادها «سماك بن حرب» وهو ضعيف، وقد تغير بآخره^(٧).

هـ- الحكم فى حال الاختلاف:

لقد أوصى بأن يحضر عبدالله بن عمر معهم فى المجلس، وأن ليس له من الأمر شىء، ولكن قال لهم: فإن رضى ثلاثة رجلاً منهم، وثلاثة رجلاً منهم، فحكموا عبدالله بن عمر، فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٦٤).

(٢) مسلم (٣/ ١٤٨٠).

(٣)، (٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٢٦).

(٥) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، د. يحيى، ص (١٧٥).

(٦) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٤٢).

(٧) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (١٧٦).

يرضوا بحكم عبدالله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف،
ووصف عبدالرحمن بن عوف بأنه مسددٌ رشيدٌ، فقال عنه: ونعم ذو الرأي عبد
الرحمن بن عوف مسددٌ رشيدٌ، له من الله حافظ، فاسمعوا منه^(١).

و- جماعة من جنود الله تراقب الاختيار، وتمنع الفوضى:

طلب عمر أبا طلحة الأنصاري، وقال له: يا أبا طلحة، إن الله - عز وجل -
أعز الإسلام بكم، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار، فاستحث هؤلاء الرهط،
حتى يختاروا رجلاً منهم^(٢)، وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتوني في
حفرتي، فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم^(٣).

ز- جواز تولية المفضل مع وجود الأفضل:

ومن فوائد الشورى: جواز تولية المفضل مع وجود الأفضل، لأن عمر جعل
الشورى في ستة أنفس مع علمه أن بعضهم كان أفضل من بعض، ويؤخذ هذا من
سيرة عمر في أمرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد، حيث كان لا يراعى الفضل في
الدين فقط، بل يضم إليه مزيد المعرفة بالسياسة مع اجتناب ما يخالف الشرع
منها، فاستخلف معاوية، والمغيرة بن شعبة، وعمر بن العاص مع وجود من هو
أفضل من كل منهم في أمر الدين، والعلم كأبي الدرداء في الشام، وابن مسعود
في الكوفة^(٤).

ح- جمع عمر بين التعيين، وعدمه:

عرف عمر أن الشورى لن تكون بين الستة فقط، وإنما ستكون في أخذ رأى
الناس في المدينة، فيمن يتولى الخلافة، حيث جعل لهم أمداً ثلاثة أيام، فيمكنهم
من المشاورة، والمناظرة لتقع ولاية من يتولى بعده عن اتفاق من معظم الموجودين
حيثئذ يبيلده التي هي دار الهجرة، وبها معظم الصحابة، وكل من كان ساكناً في

(١) تاريخ الطبري (٥ / ٣٢٥).

(٢)، (٣) المصدر نفسه (٥ / ٢٢٥).

(٤) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢ / ٩٧).

بلد غيرها كان تبعاً لهم فيما يتفقون عليه، فما زالت المدينة حتى سنة ٢٣ هـ مجمع الصحابة لأن كبار الصحابة فيها، حيث استبقاهم عمر بجانبه، ولم يأذن لهم بالهجرة إلى الأقاليم المفتوحة^(١).

ط- أهل الشورى أعلى هيئة سياسية:

إن عمر رضى الله عنه أناط بأهل الشورى وحدهم اختيار الخليفة من بينهم، ومن المهم أن نشير إلى أن أحداً من أهل الشورى لم يعارض هذا القرار الذى اتخذته عمر، كما أن أحداً من الصحابة الآخرين لم يثر أى اعتراض عليه، ذلك ما تدل عليه النصوص التى بين أيدينا، فنحن لا نعلم أن اقتراحاً آخر قد صدر عن أحد من الناس فى ذلك العصر، أو أن معارضة ثارت حول أمر عمر خلال الساعات الأخيرة من حياته، أو بعد وفاته، وإنما رضى الناس كافة عن هذا التدبير، ورأوا فيه مصلحة لجماعة المسلمين، وفى وسعنا أن نقول: إن عمر قد أحدث هيئة سياسية عليا، مهمتها انتخاب رئيس الدولة، أو الخليفة، وهذا التنظيم الدستورى الجديد، الذى أبدعته عبقرية عمر لا يتعارض مع المبادئ الأساسية التى أقرها الإسلام، ولا سيما فيما يتعلق بالشورى، وعلى هذا لا يتوجه السؤال الذى قد يرد على بعض الأذهان، وهو: من أعطى عمر هذا الحق؟ ما هو مستند عمر فى هذا التدبير؟ وبكفى أن نعلم أن جماعة من المسلمين قد أقرت هذا التدبير، ورضيت به، ولم يسمع صوت اعتراض عليه، حتى نتأكد أن الإجماع - وهو من مصادر التشريع - قد انعقد على صحته، ونفاذه^(٢)، ولا ننسى أن عمر خليفة راشد.

كما ينبغى أن نؤكد: أن أهل الشورى أعلى هيئة سياسية قد أقرها نظام الحكم فى الإسلام فى العهد الراشدى، كما أن الهيئة التى سماها عمر، تمتعت بمزايا لم يتمتع بها غيرها من جماعة المسلمين، وهذه المزايا منحت لها من الله، وبلغها الرسول، فلا يمكن عند المؤمنين أن يبلغ أحد من المسلمين مبلغ هؤلاء العشرة، من التقوى، والأمانة. هكذا ختم عمر رضى الله عنه حياته، ولم يشغله ما نزل به من البلاء، ولا سكرات الموت عن تدبير أمر المسلمين، وأرسى نظاماً صالحاً

(١) المدينة النبوية فجر الإسلام (٩٧/٢).

(٢) نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ للقاسمى (١/ ٢٢٧، ٢٥٨).

للسورى لم يسبقه عليه أحد، ولا يشك أن أصل السورى مقرّر فى القرآن الكريم، والسنة القولية، والفعلية، وقد عمل بها رسول الله ﷺ وأبو بكر، ولم يكن عمراً مبتدعاً بالنسبة للأصل، ولكن الذى عمله عمر هو تعيين الطريقة التى يختار بها الخليفة، وحصر عدد معين جعلها فيهم، وهذا لم يفعله الرسول ﷺ، ولا الصديق رضى الله عنه، بل أوّل من فعل ذلك عمر، ونعم ما فعل، فقد كان أفضل الطرق المناسبة لحال الصحابة فى ذلك الوقت^(١).

ولا شك أن هذا التطوير الرائع لفقه الخلافة والوعى السياسى وما تتطلبه المرحلة من اجتهادات عملية ساهم فى تثقيف وتعليم الحسن بن على رضى الله عنه وأعطاه فهماً واسعاً ونظراً ثاقباً، فيما بعد مما جعله يختار أسلوباً جديداً، لم يسبق إليه ساهم فى توحيد الأمة بعد الفرقة والاختلاف، فالشخصيات الفذة، والعبقريات المبدعة لا تأتى من فراغ وإنما هى حصيلة خبرة واسعة، واستفادة كبيرة من جهود من سبقها فى البناء الحضارى الربانى الراشدى.

٢- منهج عبد الرحمن بن عوف فى إدارة السورى:

ومما عاصره الحسن بن على فى أمر بيعة عثمان منهج عبد الرحمن بن عوف فى إدارة السورى والذى تمثل فى الخطوات التالية:

أ- اجتماع الرّهط للمشاورة:

لم يكد يفرغ الناس من دفن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتّى أسرع رهط السورى وأعضاء مجلس الدولة الأعلى إلى الاجتماع فى بيت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وقيل: إنهم اجتمعوا فى بيت فاطمة بنت قيس الفهرية أخت الضحّاك بن قيس، ليقضوا فى أعظم قضية عرضت فى حياة المسلمين - بعد وفاة عمر - وقد تكلم القوم، وبسطوا آراءهم، واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء، رضىها الخاصة والكافة من المسلمين^(٢).

ب- عبد الرحمن يدعو إلى التنازل:

عندما اجتمع أهل السورى قال لهم عبدالرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير: جعلت أمرى إلى على. وقال طلحة: جعلت أمرى إلى

(١) أوليات الفاروق، ص (١٢٧).

(٢) عثمان بن عفان، لصادق عرجون، ص (٦٢، ٦٣).

عثمان . وقال سعد: جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف . وأصبح المرشحون ثلاثة، علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف . فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر، فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرنَّ أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن بن عوف: أفتجعلونه إلى الله على أن لا آلو عن أفضلكما؟ قالوا: نعم^(١).

ج- تفويض ابن عوف بإدارة عملية الشورى:

بدأ عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه اتصالاته، ومشاوراته فور انتهاء اجتماع المرشحين الستة صباح يوم الأحد، واستمرت مشاوراته، واتصالاته ثلاثة أيام كاملة، حتى فجر يوم الأربعاء من المحرم، وهو موعد انتهاء المهلة التي حددها لهم عمر، وبدأ عبد الرحمن بن عوف بعلي بن أبي طالب، فقال له: إن لم أبايعك فأشعر علي، فمن ترشح للخلافة؟ فقال علي: عثمان بن عفان، وذهب عبد الرحمن إلى عثمان وقال له: إن لم أبايعك، فمن ترشح للخلافة؟ فقال عثمان: علي بن أبي طالب. . وذهب ابن عوف بعد ذلك إلى الصحابة الآخرين، واستشارهم، وكان يشاور كل من يلقاه في المدينة من كبار الصحابة، وأشrafهم، ومن أمراء الأجناد، ومن يأتي للمدينة، وشملت مشاوراته النساء في خدورهن، وقد أبدین رأيهن، كما شملت الصبيان، والعبيد في المدينة. وكان معظم المسلمين يشيرون بعثمان بن عفان، ومنهم من كان يشير بعلي بن أبي طالب رضى الله عنهما، وفي منتصف ليلة الأربعاء، ذهب عبد الرحمن بن عوف إلى بيت ابن أخته: المسور بن مخرمة، فطرق البيت، فوجد المسور نائماً، فضرب الباب حتى استيقظ، فقال: أراك نائماً، فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم، انطلق فادع الزبير، وسعداً، فدعوتهما له: فشاورهما ثم دعاني، فقال: ادع لى علياً، فدعوته، فناهجه حتى ابهار^(٢) الليل ثم قام علي من عنده. . ثم قال: ادع لى عثمان، فدعوته فناهجه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح^(٣).

(١) البخارى، ك فضائل أصحاب النبي، رقم (٢٧٠٠).

(٢) ابهار: أى: انتصف.

(٣) البخارى، ك الأحكام، رقم (٧٢٠٧).

د- الاتفاق على بيعة عثمان رضى الله عنه:

وبعد صلاة صبح يوم البيعة، اليوم الأخير من شهر ذى الحجة ٢٣ هـ / ٦ نوفمبر ٦٤٤م، وكان صهيب الرومى الإمام، إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف، وقد اعتمَّ بالعمامة التى عَمَّمه بها رسول الله ﷺ، وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين، والأنصار، وأمراء الأجناد، منهم: معاوية أمير الشام، وعمر بن سعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، وصاحبوه إلى المدينة^(١)، وجاء فى رواية البخارى.. فلَمَّا صَلَّى النَّاسُ الصُّبْحَ، واجتمع أولئك الرَّهْط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين، والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلَمَّا اجتمعوا، تشهَّد عبد الرحمن، ثم قال: أمَّا بعد: يا علىُّ: إني قد نظرت فى أمر النَّاس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل بنفسك سبيلاً. فقال عبد الرحمن مخاطباً عثمان^(٢): أبايعك على سنة الله، ورسوله، والخليفتين من بعده، فبايعه الناس: المهاجرون، والأنصار وأمراء الأجناد، والمسلمون^(٣). وجاء فى رواية صاحب التمهيد، والبيان: أن علىَّ بن أبى طالب أوَّل من بايع بعد عبد الرحمن بن عوف^(٤).

هـ- حكمة عبد الرحمن بن عوف فى تنفيذ خطة الشورى:

نقذ عبد الرحمن بن عوف خطة الشورى بما دلَّ على شرف عقله، ونبل نفسه، وإثاره مصلحة المسلمين العامة على مصلحته الخاصة ونفعه الفردى، وترك عن طواعية ورضاً أعظم منصب يطمح إليه إنسان فى الدنيا، ليجمع كلمة المسلمين، وحقق أوَّل مظهر من مظاهر الشورى المنظمة فى اختيار من يجلس على عرش الخلافة، ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الأناة، والصبر، والحزم، وحسن التدبير ما كفل له النجاح فى أداء مهمته العظمى، وقد كانت الخطوط التى اتخذها كالآتى:

(١) شهيد الدار، ص (٣٧) وهناك خلاف فى تحديد تاريخ البيعة.

(٢) فقال: أى عبد الرحمن مخاطباً عثمان.

(٣) البخارى، ك الأحكام، رقم (٧٢٠٧).

(٤) التمهيد والبيان، ص (٢٦).

* بسط برنامجه فى أول جلسة عقدها مجلس الشورى فى دائرة الزمن الذى حدّده لهم عمر، وبذلك أمكنه أن يحمل جميع أعضاء مجلس الشورى على أن يدلّوا برأيهم، فعرف مذهب كل واحد منهم، فسار فى طريقه على بينة من أمره.

* خلع نفسه وتنازل عن حقه فى الخلافة، ليدفع الظّنون ويستمسك بعروة الثّقة الوثقى.

* أخذ فى تعرّف نهاية ما يصبو إليه كل واحد من أصحابه، وشركائه فى الشورى، فلم يزل يقلّب وجوه الرأى معهم، حتى انتهى إلى شبه انتخابه جزئى، فاز فيه عثمان برأى سعد بن أبى وقاص، ورأى الزبير بن العوام، فلاحته له أغلبية آراء الأعضاء الحاضرين معه.

* عمد إلى معرفة كلّ واحد من الإمامين: عثمان، وعلىّ فى صاحبه بالنسبة إلى وزنه من سائر الرّهط الذين رشّحهم عمر، فعرف من كل واحد منهما: أنه لا يعدل صاحبه أحدًا إذا فاته الأمر.

* أخذ فى تعرّف رأى مَنْ وراء مجلس الشورى من خاصّة الأمّة، وذوى رأيها، ثمّ من عامّتها، وضعفائها، فرأى أن معظم الناس لا يعدلون أحدًا بعثمان، فبايع له، وبايعه عامّة الناس^(١).

لقد تمكّن عبد الرحمن بن عوف بكياسته، وأمانته، واستقامته، ونسيانه نفسه بالتخلّى عن الطّمع فى الخلافة، والزّهّد بأعلى منصب فى الدولة أن يجتاز هذه المحنة، وقاد ركب الشورى بمهارة، وتجرد مما يستحقّ أعظم التقدير^(٢).

قال الذّهبى: ومن أفضل أعمال عبد الرّحمن عزله نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمّة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض فى ذلك أتمّ نهوض على جمع الأمّة على عثمان، ولو كان محايياً فيها، لأخذها لنفسه، أو لولاها ابن عمّه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبى وقاص^(٣)، وبهذا تحقّقت صورة

(١) عثمان بن عفان رضى الله عنه - لصادق عرجون، ص (٧٠، ٧١).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٠) ص (٢٥٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨٦/١).

أخرى من صور الشورى فى عهد الخلفاء الراشدين: وهى الاستخلاف عن طريق مجلس الشورى، ليعيّنوا أحدهم بعد أخذ المشورة العامة، ثم البيعة العامة^(١).

فهذا هو الذى تم فى عملية الشورى وما عاصره الحسن بن على رضى الله عنه من أحداث، ولا ينظر للأباطيل الرافضية التى دست فى قصة الشورى وشوهت التاريخ الإسلامى والتى تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين، والمفكرين المحدثين ولم يمحّصوا الروايات، ويحققوا فى سندها ومنتها، فانتشرت بين المسلمين، لقد اهتم مؤرخو الشيعة الرافضة بقصة الشورى وتولية عثمان بن عفان الخلافة ودسوا فيها الأباطيل والأكاذيب، وألف جماعة منهم كتباً خاصة، فقد ألف أبو مخنف كتاب الشورى، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه^(٢)، ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواقدى فى خبر الشورى وبيعة عثمان وتاريخ تولية الخلافة^(٣)، ورواية من طريق عبد الله بن موسى تضمنت مقتل عمر، وحصره للشورى فى الستة ووصيته لكل من علىّ وعثمان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصهيب فى هذا الأمر^(٤).

وقد نقل البلاذرى خبر الشورى، وبيعة عثمان عن أبى مخنف^(٥) الرافضى، وعن هشام الكلبي، منها ما نقله عن أبى مخنف^(٦)، ونقل ابن أبى الحديد بعض أحداث قصة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهري^(٧)، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشورى) للواقدى^(٨)، وقد تضمنت الروايات الشيعية عدة أمور مدسوسة، ليس لها دليل من الصّحة، وهى:

* اتهام الصّحابة بالمحاباة فى أمر المسلمين:

اتّهمت الروايات الشّيعيّة الصّحابة بالمحاباة فى أمر المسلمين، وعدم رضا علىّ بأن يقوم عبد الرحمن بن عوف باختيار الخليفة، فقد ورد عن أبى مخنف، وهشام

(١) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص (٢٧٨).

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (١٤/٢٤٦).

(٣) الطبقات الكبرى (٣/٦٣) (٣/٦٧).

(٤) المصدر السابق نفسه (٣/٣٤٠).

(٥)، (٦) أنساب الأشراف (٥/١٨، ١٩).

(٧) شرح نهج البلاغة (٩/٤٩، ٥٠، ٥٨).

(٨) شرح نهج البلاغة (٩/١٥)، عثمان بن عفان للصلابي، ص (٧٣).

الكلبي عن أبيه، وأحمد الجوهري: أن عمر جعل ترجيح الكفتين إذا تساوتا بعبد الرحمن بن عوف، وأن علياً أحسَّ بأن الخلافة ذهبت منه، لأنَّ عبد الرحمن سيقدِّم عثمان للمصاهرة التي بينهما^(١)، وقد نفى ابن تيمية أى ارتباط فى النسب القريب بين عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، فقال: فإنَّ عبد الرحمن ليس أختا عثمان، ولا ابن عمه، ولا من قبيلته أصلاً، بل هذا من بنى زهرة وهذا من بنى أمية، وبنو زهرة إلى بنى هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بنى أمية، فإن بنى زهرة أحوال النَّبِيِّ ﷺ، ومنهم عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص الذى قال له النَّبِيُّ ﷺ: هذا خالى فليرنى امرؤ خاله^(٢)، فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يؤاخ بين مهاجرى ومهاجرى، ولا بين أنصارى وأنصارى، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار، فأخى بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع الأنصارى^(٣)، وحديثه مشهور ثابت فى الصَّحاح وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك^(٤).

وقد بنت الروايات الشيعية محابة عبد الرحمن لعثمان للمصاهرة التى كانت بينهما، متناسية أن قوة النسب أقوى من المصاهرة من جهة، ومن جهة أخرى تناسوا طبيعة العلاقة بين المؤمنين فى الجيل الأوَّل، وأنها لا تقوم على نسب ولا على مصاهرة، وأما كيفية المصاهرة التى كانت بين عبد الرحمن وعثمان، فهى أنَّ عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط أخت الوليد^(٥).

✽ حزب أموى، وحزب هاشمى:

أشارت رواية أبى مخنف الرافضى إلى وقوع مشادة بين بنى هاشم وبنى أمية أثناء المبايعة، وهذا غير صحيح، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة^(٦)، وقد انساق بعض المؤرخين خلف الروايات الشيعية الرافضية، وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الروايات، فصوروا تشاور أصحاب الرسول ﷺ فى تحديد

(١) أثر التشيع على الروايات التاريخية، ص (٣٢٢).

(٢) صحيح سنن الترمذى (٣/ ٢٢٠) رقم (٤٠١٨).

(٣) البخارى، ك مناقب الأنصار، رقم (٣٧٨٠).

(٤) منهاج السنة النبوية (٦/ ٢٧١، ٢٧٢).

(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ١٢٧).

(٦) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (١٧٧، ١٧٨).

الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائري، وأنَّ الناس قد انقسموا إلى حزبين: حزب أموى وحزب هاشمى وهو تصورٌ موهوم، واستتاج مردود ولا دليل عليه، إذ أنه ليس نابغاً من ذلك الجوِّ الذى كان يعيشه أصحاب رسول الله حينما كان يقف المهاجري مع الأنصارى ضدَّ أبيه، وأخيه، وابن عمه وبني عشيرته، وليس نابغاً من تصور هؤلاء الصَّحب وهو يضحون بكلِّ شىء من حطام الدنيا فى سبيل أن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصحيحة لهؤلاء النخبة من المبشرين بالجنة، فالأحداث الكثيرة التى رويت عن هؤلاء تثبت: أنَّ هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزاوية الضيقة فى معالجة أمورهم، فليست القضية قضية تمثيل عائلى، أو عشائري، فهم أهل شورى لمكانتهم فى الإسلام^(١).

✽ أقوال نسبت زوراً وبهتاناً لوالد الحسن رضى الله عنهما:

قال ابن كثير: وما يذكره كثير عن المؤرخين كابن جرير، وغيره عن رجال لا يعرفون: أنَّ علياً قال لعبد الرحمن بن عوف: خدعتنى، وأنتك إنما وليته لأنَّه صهرك، ويشاورك كلَّ يوم فى شأنه، وأنه تلكأ حتى قال لعبد الرحمن: ﴿إِنَّ الَّذِي يَأْيَعُونَكَ إِنَّمَا يَأْيَعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]، إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما يثبت فى الصَّحاح فهى مردودة على قائلها، وناقلها، والله أعلم، والمظنون من الصَّحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرَّافضة، وأغبياء القصاص الذين لا تميز عنهم بين صحيح الأخبار، وضعيفها، ومستقيمها، وسقيمها، و.....، وقويمها، والله الموفق للصَّواب^(٢).

من الدروس المهمة التى استفدتها من دراستى لمرحلة السيرة النبوية والخلافة الراشدة أنه بجانب الرواية الصحيحة التى تظهر حقيقة الصورة المشرقة للصَّحابة فى دينهم وصفاتهم ومحبتهم لبعضهم، هناك صورة أخرى مناقضة لها حرص أعداء الإسلام من الكذابين على نشرها حقداً على الإسلام وروَّج لها المستشرقون

(١) الخلفاء الراشدون، أمين القضاة، ص (٧٨، ٧٩).

(٢) البداية والنهاية (١٥٢/٧).

وأذنبهم، وتورط فيها بعض الفضلاء عن جهل، وهى بطبيعة الحال تساهم فى إضعاف الأمة وفقدان الأجيال التالية نموذج الاقتداء فى سلفهم الصالح، فيجب على الغيورين من الباحثين فى هذه الأمة كشف هذا الزيف والأباطيل والتحذير من الكتب التى تروج لها وتنشرها، وبيان الروايات الصحيحة والترويج للكتب التى تتبناها دفاعاً عن الصحابة الكرام وابتغاء لمرضاة الله تعالى.

٣- معتقد الحسن بن على فى خلافة عثمان رضى الله عنهم:

إن معتقد الحسن بن على فى خلافة عثمان، هو ما ذهب إليه الصحابة، حيث أجمعوا على صحة خلافته بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ولم يخالف، أو يعارض فى هذا أحد، بل الجميع سلم له بذلك، وقد قال أبو الحسن الأشعرى: وثبتت إمامة عثمان رضى الله عنه بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشورى، الذين نص عليهم عمر، فاختاروه ورضوا بإمامته، وأجمعوا على فضله وعدله^(١)، وقال عثمان الصابونى مبيناً عقيدة أهل السنة، وأصحاب الحديث فى ترتيب الخلافة بعد أن ذكر أنهم يقولون أولاً بخلافة الصديق، ثم عمر، قال: ثم خلافة عثمان رضى الله عنه بإجماع أهل الشورى، وإجماع الصحابة كافة، ورضاهم حتى جعل الأمر إليه^(٢).

٤- الحسن بن على فى فتح أفريقيا فى جيش العبدالة:

كانت خطة عثمان فى الفتوحات تتسم بالحسم والعزم وتمثلت فى الآتى: إخضاع المتمردين من الفرس، والروم وإعادة سلطان الإسلام إلى هذه البلاد، واستمرار الجهاد والفتوحات فيها وراء هذه البلاد لقطع المدد عنهم، وإقامة قواعد ثابتة يربط فيها المسلمون لحماية البلاد الإسلامية، وإنشاء قوة بحرية عسكرية لافتتار الجيش الإسلامى إلى ذلك، وكانت معسكرات الإسلام ومسالكه (ثغوره) فى عهد عثمان هى عواصم أقطاره الكبرى، فمعسكر العراق: الكوفة، والبصرة،

(١) الإبانة عن أصول الديانة، ص (٦٨).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن الرسائل المنيرية (١/١٣٩).

ومعسكر الشَّام فى دمشق بعد أن خلص الشَّام كله لمعاوية بن أبى سفيان، ومعسكر مصر، وكان مركزه القسطنطينية، وكانت هذه المعسكرات تقوم بحماية دولة الإسلام، ومواصلة الفتوحات، ونشر الإسلام، ومن أشهر قادة الفتوحات فى عهد عثمان رضى الله عنه: الأحنف بن قيس، وسليمان بن ربيعة، وعبد الرحمن بن ربيعة، وحبيب بن مسلمة.

وقد استفاد المسلمون من تلك الفتوحات العثمانية دروساً منها، تحقق وعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين والتطور فى فنون الحرب والسياسة وركوب البحر، والقتال البحرى، وجمع المعلومات عن الأعداء، والحرص على وحدة الكلمة فى مواجهة العدو.

وعندما أراد أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه أن يفتح أفريقيا استشار الأكابر من أصحاب رسول الله، فقد جاء فى رياض النفوس أن أمير المؤمنين عثمان جاءه من واليه على مصر عبدالله بن سعد، أن المسلمين يغيرون على أطراف أفريقيا فيصيبون من عدوهم وأنهم قريبون من حوز المسلمين، فأعرب عثمان بن عفان رضى الله عنه - على إثر ذلك - للمصور بن مخرمة عن رغبته فى بعث الجيوش لغزو أفريقيا. جاء فى هذا الصدد ما نصه: فما رأيك يا ابن مخرمة؟ قلت: اغزهم. قال: أجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله، وأستشيرهم، فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته. . آيت علياً، وطلحة والزبير والعباس، وذكر رجالاً، فخلا بكل واحد منهم فى المسجد، ثم دعا أبا الأعور سعيد بن زيد. فقال له عثمان: لم كرهت - يا أبا الأعور - من بعثة الجيوش إلى أفريقيا؟ فقال له: سمعت عمر يقول: لا أغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عيناى الماء. فلا أرى لك خلاف عمر. فقال له عثمان: والله ما نخافهم وإنهم لراضون أن يقرؤا فى مواضعهم، فلا يغزون، فلم يختلف عليه أحد ممن شاوره غيره، ثم خطب الناس، وندبهم إلى الغزو إلى أفريقيا، فخرج بعض الصحابة، منهم عبدالله بن الزبير وأبو ذر الغفارى^(١)، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن جعفر

(١) رياض النفوس (٨/١، ٩) الجهاد والقتال لهيكل (١/ ٥٥٦).

والحسن والحسين^(١) وغيرهم كثير، وقد قدم المسلمون الغالى والرَّخيص فى فتوحات أفريقيا، واستشهد منهم الكثير، وممن توفى منهم بأفريقيا فى خلافة عثمان أبو ذؤيب الهذلى وكان شاعراً مشهوراً، وهو الذى قال:

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع
وتجلدى للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا أتضعضع

وبعد انتصارهم الكبير على أعدائهم اتجه الحسن ومعه ثلة مباركة من المسلمين إلى عاصمة الخلافة وقلبه مفعم بالسرور والارتياح لتوسع النفوذ الإسلامى، وانتشار دين رب العالمين.

٥- موقف والد الحسن بن على والصحابة فى فتنه مقتل عثمان رضى الله عنه:

كانت هناك أسباب متنوعة ومتداخلة ساهمت فى فتنه مقتل عثمان رضى الله عنه كالرخاء وأثره فى المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعى، ومجىء عثمان بعد عمر رضى الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصبية الجاهلية، وتآمر الحاقدين، والتدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، واستخدام الوسائل والأساليب المهيجة للناس، وأثر السبئية فى أحداث الفتنة، وقد فصلت وشرحت تلك الأسباب فى كتابى «تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان شخصيته وعصره».

ولقد استخدم أعداء الإسلام فى فتنه مقتل عثمان الأساليب والوسائل المهيجة للناس، من إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيراً، والتحريض والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس والطعن فى الولاة، واستخدام تزوير الكتب واختلاقها على لسان الصحابة رضى الله عنهم، عائشة وعلى وطلحة والزبير، والإشاعة بأن على بن أبى طالب رضى الله عنه الأحق بالخلافة وأنه الوصى بعد رسول الله ﷺ، وتنظيم فرق فى كل من البصرة والكوفة ومصر، أربع فرق من كل مصر مما يدل على التدبير المسبق، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاءوا

(١) ليبيا من الفتح العربى حتى انتقال الخلافة الفاطمية للكتور صالح مصطفى، ص (٤١)، الشرف والتسامى بحركة الفتح الإسلامى للصلاى، ص (١٩).

إلا بدعوة الصحابة، وصعدوا الأحداث حتى وصلت إلى القتل^(١)، وإلى جوار هذه الوسائل، استخدموا مجموعة من الشعارات منها التكبير، ومنها أن جهادهم هذا ضد المظالم، ومنها أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا في جرأتهم وطالبوا بل سارعوا إلى مقتل الخليفة وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزادهم حماسهم المحموم لتضييق الخناق على الخليفة، والتشوق إلى قتله بأية وسيلة^(٢)، وكان التنظيم السبئي بقيادة عبد الله بن سبأ اليهودي خلف تلك الأحداث والتي بعدها كالجمل وصفين وغيرهما وقد تحدثنا عن حقيقة عبد الله بن سبأ في كتابي عثمان بن عفان، وكتابي أسمى المطالب في سيرة على بن أبي طالب رضى الله عنهم، فمن أراد المزيد فليرجع إليهما، ولقد تعرضت في كتابي عثمان بن عفان للشبهات التي ألصقت بتاريخ عثمان رضى الله عنه وبينت كذبها وبطلانها، بالأدلة الدامغة والبراهين الساطعة، فقد كان عثمان رضى الله عنه بحق الخليفة المظلوم الذي افتري عليه خصومه الأولون، ولم ينصفه المتأخرون.

* موقف على رضى الله عنه في بداية الفتنة:

استمر على رضى الله عنه في طريقته المعهودة مع الخلفاء وهى السمع والطاعة والإدلاء بالمشورة والنصح، وقد عبر بنفسه عن مدى طاعته للخليفة عثمان والتزام أمره ولو كان شاقاً بقوله: لو سيرنى عثمان إلى صرار لسمعت وأطعت^(٣)، وعندما نزل المتمردون فى ذى المروة قبل مقتل عثمان بما يقارب شهراً ونصفاً، أرسل إليهم عثمان علياً ورجلاً آخر لم تسمه الروايات والتقى بهم على رضى الله عنه فقال لهم: تعطون كتاب الله، وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك^(٤)، وفى رواية أنهم شادوه وشادهم مرتين أو ثلاثاً، ثم قالوا: ابن عم رسول الله،

(١) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص (٤٠١).

(٢) المصدر نفسه، ص (٤٠٢).

(٣) مصنف ابن أبى شيبه (٢٢٥/١٥) سنده صحيح.

(٤) تاريخ دمشق ترجمة عثمان، ص (٣٢٨)، تاريخ خليفة، ص (١٦٩).

ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا^(١)، فاصطلحوا على خمس: على أن المنفى يقلب، والمحروم يعطى، ويوفر الفىء، ويعدل فى القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا ذلك فى كتاباً، أن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبو موسى على الكوفة^(٢)، وهكذا اصطاح عثمان رضى الله عنه مع كل وفد على حدة ثم انصرفت الوفود إلى ديارها^(٣)، وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعاً راضين تبين لمشعل الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لذا خططوا تخطيطاً آخر يذكى الفتنة ويحييها يقتضى تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار، وعثمان رضى الله عنه، وبرز ذلك فيما يلى:

فى أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكباً على جمل يتعرض لهم، ويفارقهم، فكأنه يقول: خذونى فقبضوا عليه، وقالوا له: ما لك؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر ورأوا معه كتاباً ففتحوا الكتاب، فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها^(٤)، ونفى عثمان رضى الله عنه أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمين بالله الذى لا إله إلا هو ما كتبت ولا أملت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم فلم يصدقوه^(٥)، وهو الصادق البار لغاية فى نفوسهم. وهذا الكتاب الذى زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبى السرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين هو كتاب مزور مكذوب على لسان عثمان وذلك لعدة أمور منها^(٦):

كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين - الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم - مسافة شاسعة، فالعراقيون فى الشرق والمصريون

(١)، (٢) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٢٩).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٣٢٩).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٧٩).

(٥) فتنة مقتل عثمان (٥/ ١٣٢)، البداية والنهاية (٧/ ١٩١).

(٦) تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان للصلايى، ص (٤١٠).

فى الغرب؁ ومع ذلك عادوا جميعاً فى آن واحد؁ كأنما كانوا على ميعاد؟ لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوروا الكتاب واستأجروا راكباً آخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتاباً بعث فيه عثمان لقتل المنحرفين المصريين؁ وهذا ما احتج به على بن أبى طالب رضى الله عنه؁ فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر؁ وقد سرتهم مراحل ثم طويتم نحونا^(١)؁ بل أن علياً يجزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة^(٢).

إن هذا الكتاب المشؤوم ليس أول كتاب يزوره هؤلاء المجرمون؁ بل زوروا كتاباً على لسان أمهات المؤمنين؁ وكذلك على لسان على وطلحة والزبير؁ فهذه عائشة رضى الله عنها تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان؁ فتنفى وتقول: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء فى بيضاء حتى جلست مجلسى^(٣) هذا. ويعقب الأعمشى فيقول: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها^(٤)؁ ويتهم الوافدون علياً بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة؁ فينكر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتاباً^(٥)؁ كما ينسب إلى الصحابة بكتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم فدين محمد قد فسد وترك؁ والجهاد فى المدينة خير من الرباط فى الثغور البعيدة^(٦)؁ ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً: وهذا كذب على الصحابة؁ وإنما كتبت كتب مزورة عليهم؁ فقد كتب من جهة على وطلحة والزبير إلى الخوارج - قتلة عثمان - كتبٌ مزورة عليهم أنكروها؁ وكذلك زور هذا الكتاب على عثمان أيضاً؁ فإنه لم يأمر به؁ ولم يعلم به^(٧)؁ ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبرى وخليفة من استنكار كبار الصحابة - على وعائشة والزبير - أنفسهم لهذه الكتب فى أصح الروايات^(٨).

(١)؁ (٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٥٩).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٤).

(٤) تاريخ خليفة بن خياط؁ ص (١٦٩).

(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥)؁ البداية والنهاية (٧/ ١٩١).

(٦) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥)؁ البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).

(٧) البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).

(٨) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥).

إن الأيدى المجرمة التي زوّرت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هي نفسها التي أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهي التي زورت وروّجت على عثمان تلك الأباطيل، وإنه فعل وفعل ولقتها للناس، حتى قبلها الرعاع، ثم زوّرت على لسان عثمان ذلك الكتاب، ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيداً سعيداً، ولم يكن عثمان الشهيد المجنى عليه وحده في هذه المؤامرة السبئية اليهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنياً عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوّه المحرّف، والأجيال الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوّهاً هي كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودي وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحق الدفين، أما آن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأن لمن يكتب في هذا العصر من المسلمين أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره^(١).

✽ موقف الحسن بن علي ووالده أثناء الحصار:

اشتد الحصار على عثمان رضى الله عنه، حتى منع من أن يحضر للصلاة في المسجد، وكان صابراً على هذه البلوى التي أصابته كما أمره رسول الله ﷺ بذلك، وكان مع إيمانه القوى بالقضاء والقدر، يحاول أن يجد حلاً لهذه المصيبة، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم، وإنه لا يحل سفكه إلا بحقه، وتارة يتحدث في الناس ويظهر فضائله وخدماته الجليلة في الإسلام، ويستشهد على ذلك ببقية العشرة رضوان الله عليهم^(٢)، وكأنه يقول: من هذا عمله وفضله هل من الممكن أن يطمع بالدنيا ويقدمها على الآخرة؟ وهل يعقل أن يخون الأمانة ويعبث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عاقبة ذلك عند الله؟ وهو الذي تربى على عين النبي ﷺ والذي شهد له وزكاه وكذلك أفاضل الصحابة، ومتى؟ بعد ما تجاوز السبعين وقارب الثمانين من عمره أهكذا تكون معاملته؟ واشتدت سيطرة المتمردين على المدينة حتى أنهم ليصلون بالناس في أغلب الأوقات^(٣)، وحينها أدرك

(١) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، ص (٢٣٨، ٢٣٩).

(٢) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد على، ص (٨٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٥).

الصحابة أن الأمر ليس كما حسبوا، وخشوا من حدوث ما لا يحمد عقباه، وقد بلغهم أن القوم يريدون قتله، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم بسببه^(١). وأرسل كبار الصحابة أبناءهم دون استشارة عثمان رضى الله عنه، ومن هؤلاء الحسن بن على رضى الله عنهما، وعبدالله بن الزبير، فقد كان عثمان يحب الحسن ويكرمه، فعندما وقعت الفتنة وحوصر عثمان رضى الله عنه أقسم على الحسن رضى الله عنه بالرجوع إلى منزله، وذلك خشية عليه أن يصاب بمكروه^(٢)، وقد قال عثمان للحسن رضى الله عنه: ارجع يا ابن أخى حتى يأتى الله بأمره^(٣)، صحت روايات أن الحسن حمل جريحاً من الدار يوم الدار^(٤)، كما جرح غير الحسن، عبد الله بن الزبير ومحمد بن حاطب ومروان بن الحكم، كما كان معهم الحسين بن على وابن عمر رضى الله عنهما^(٥).

وقد كان على من أدفع الناس عن عثمان رضى الله عنه وشهد له بذلك مروان ابن الحكم^(٦) كما أخرج ابن عساكر عن جابر عن عبد الله رضى الله عنهما أن علياً أرسل إلى عثمان، فقال: إن معى خمسمائة دارع، فأذن لى، فأمنعك من القوم فإنك لم تحدث شيئاً يستحل به دمك، فقال: جزيت خيراً، ما أحب أن يهراق دم فى سبى^(٧)، وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان رضى الله عنهما، أثناء الحصار، فمن ذلك: أن الثائرين منعوا عن عثمان الماء حتى كاد أهله أن يموتوا عطشاً، فأرسل على رضى الله عنه إليه بثلاث قرب مملوءة ماء، فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدة من موالى بنى هاشم وبنى أمية حتى وصلت^(٨)، ولقد تسارعت الأحداث فوثب الغوغاء على عثمان وقتلوه رضى الله عنه، وأرضاه.

(١) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٧)، المسند (١/ ٣٩٦) أحمد شاكر.

(٢) تاريخ المدينة لابن شبة (٤/ ١٢٠٨).

(٣) الرياض النضرة نقلاً عن الحسن بن على ودوره السياسى، ص (٤٦).

(٤) الطبقات لابن سعد (٨/ ١٢٨) بسند صحيح.

(٥) تاريخ خليفة، ص (١٧٤).

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي، ص (٤٦٠ - ٤٦١) إسناده قوى.

(٧) تاريخ دمشق، ص (٤٠٣).

(٨) أنساب الأشراف للبلاذرى (٥/ ٧٦).

ووصل الخبر إلى الصحابة وأكثرهم في المسجد، فذهبت عقولهم، وقال على لأبنائه وأبناء أخيه: كيف قتل عثمان وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن، وكان قد جرح^(١)، وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله ويقول: تباً لكم سائر الدهر، اللهم إني أبرأ إليك من دمه أن يكون قتلت أو مالات على قتله^(٢).

وهكذا كان موقف على رضى الله عنه، نصحاً وشورى، وسمعاً وطاعة، ووقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنه، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه، لكن الأمر فوق طاقته، وخارج إرادته، إنها إرادة الله عز وجل أن يفوز المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه بالشهادة^(٣)... ويؤء المفسدون بالإثم.

أن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنكر قتل عثمان، وتبرأ من دمه، وكان يقسم على ذلك فى خطبه، وغيرها: إنه لم يقتله ولا أمر بقتله، ولا مالاً عليه، ولا رضى، وقد ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع^(٤)، خلافاً لما تزعمه الرافضة من أنه كان راضياً بقتل عثمان رضى الله عنهما^(٥)، وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة فى مقتله رضى الله عنه: فأما الذى ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، فإنه كذب، وزور، فقد تواترت الأخبار بخلافه^(٦)، وقال ابن تيمية: وهذا كله كذب على على رضى الله عنه، وافتراء عليه، فعلى رضى الله عنه لم يشارك فى دم عثمان رضى الله عنه ولا أمر ولا رضى، وقد روى عنه ذلك، وهو الصادق البار^(٧)، وقد قال على رضى الله عنه: اللهم أنى أبرأ إليك من دم عثمان^(٨).

(١) ابن أبى عاصم الأحاد والثمانى (١/ ١٢٥) نقلاً عن خلافة على، ص (٨٧).

(٢) مصنف ابن شعبة (١٥/ ٢٠٩) إسناده صحيح.

(٣) خلافة على بن أبى طالب، ص (٨٧)، على عبد الحميد.

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٢).

(٥) العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص (١٢٩)، حق اليقين، عبد الحميد شبر، ص (١٨٩).

(٦) المستدرک (٣/ ١٠٣).

(٧) منهاج السنة (٤/ ٤٠٦).

(٨) العقيدة فى أهل البيت ص، (١٣٠)، إسناده حسن، الطبقات (٣/ ٣).

وقد شوهت بعض كتب التاريخ مواقف الصحابة من فتنة مقتل عثمان، وذلك بسبب الروايات الرافضية التي ذكرها كثير من المؤرخين. والمتتبع لأحداث الفتنة في تاريخ الإمام الطبري، وكتب التاريخ الأخرى من خلال روايات أبي مخنف، والواقدي، وابن أعثم، وغيرها من الأخبار يبين ويشعر أن الصحابة هم الذين كانوا يحركون المؤامرة، ويشيرون الفتنة، فأبو مخنف ذو الميول الشيعية لا يتورع في اتهم عثمان بأنه الخليفة الذي كثرت سقطاته، فاستحق ما استحق، ويظهر طلحة في مروياته كواحد من الثائرين على عثمان، والمؤلّبين ضده، ولا تختلف روايات الواقدي عن روايات أبي مخنف، وقد كثرت الروايات الرافضية التي تتهم الصحابة بالتآمر ضد عثمان رضى الله عنه، وأنهم هم الذين حركوا الفتنة، وأثاروا الناس، وهذا كله كذب وزور^(١).

وخلافاً للروايات الرافضية والموضوعة والضعيفة فقد حفظت لنا كتب المحدثين بحمد الله الروايات الصحيحة التي يظهر فيها الصحابة من المؤازرين لعثمان، والمنافحين عنه والمتبرئين من قتله، والمطالبين بدمه بعد مقتله، وبذلك يستبعد أى اشتراك لهم فى تحريك الفتنة، أو إثارتها^(٢). إن الصحابة جميعاً رضى الله عنهم أبرياء من دم عثمان رضى الله عنه، ومن قال خلاف ذلك فكلامه باطل لا يستطيع أن يقيم عليه أى دليل ينهض إلى مرتبة الصحة، ولذلك أخرج خليفة فى تاريخه عن عبد الأعلى بن الهيثم، عن أبيه، قال: قلت للحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ قال: لا، كانوا أعلاجاً^(٣) من أهل مصر. وقال الإمام النووى: ولم يشارك فى قتله أحد من الصحابة، وإنما قتله همج، ورعاع من غوغاء القبائل سفلة الأطراف والأراذل، تحزّبوا، وقصدوه من مصر، فعجز الصحابة الحاضرون عن دفعهم، فحصره حتى قتل، رضى الله عنه^(٤)، وقد وصفهم الزبير رضى الله عنه بأنهم غوغاء الأمصار، ووصفتهم السيدة عائشة بأنهم نزاع القبائل^(٥)، ووصفهم ابن تيمية بأنهم خوارج مفسدون وضالون، باغون

(١)، (٢) تحقيق مواقف الصحابة (١٤/٢ - ١٨)

(٣) العليج: كل جاف شديد من الرجال.

(٤) شهيد الدار عثمان بن عفان، ص (١٤٨).

(٥) شرح النووى على صحيح مسلم (١٥ / ١٤٨).

معتدون^(١)، ووصفهم الذهبي بأنهم رؤوس شر، وجفاء^(٢)، ووصفهم ابن العماد الحنبلي في الشذرات بأنهم أراذل من أوباش القبائل^(٣)، ويشهد على هذا الوصف تصرف هؤلاء الرعاع منذ الحصار إلى قتل الخليفة رضى الله عنه ظلمًا، وعدوانًا، فكيف يمنع الماء عنه، والطعام، وهو الذى طالما دفع من ماله الخاص ما يروى ظمًا المسلمين بالمجان^(٤)، وهو الذى يساهم بأموال كثيرة عندما يلم بالناس مجاعة، أو مكروه، وهو الدائم العطاء عندما يصيب الناس ضائقة، أو شدة من الشدائد^(٥)، حتى أن عليًا رضى الله عنه يصف هذا الحال، وهو يؤنب المحاصرين بقوله: يا أيها الناس: إن الذى تفعلونه لا يشبه أمر المؤمنين، ولا أمر الكافرين، فلا تمنعوا عن هذا الرجل الماء، ولا المادة - الطعام - فإن الروم، وفارس لتأسر، وتطعم، وتسقى^(٦). لقد صحّت الأخبار، وأكّدت حوادث التاريخ على براءة الصحابة من التحريض على عثمان أو المشاركة فى الفتنة ضده^(٧)، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتابي «تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان»^(٨).

رابعًا: الحسن بن على فى عهد والده رضى الله عنهما:

تمت بيعة على رضى الله عنه بالخلافة بطريقة الاختيار وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه على أيدي الخارجيين المارقين الشذاذ الذين جاءوا من الآفاق، ومن أمصار مختلفة، وقبائل متباينة لا سابقة لهم، ولا أثر خير فى الدين، فبعد أن قتلوه - رضى الله عنه - ظلمًا وزورًا وعدوانًا يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين^(٩)، قام كل من بقى بالمدينة من أصحاب رسول الله بمبايعة على رضى الله عنه بالخلافة، وذلك

(١) منهاج السنة (٢/ ١٨٩ - ٢٠٦).

(٢) دول الإسلام للذهبي (١٢/١).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٤٨٢)، شذرات الذهب (١/ ٤٠).

(٤) تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان للصلايى ص، (٤٥٠).

(٥) التمهيد والبيان، ص (٤٢٤).

(٦) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٠٠).

(٧) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٨).

(٨) عثمان بن عفان للصلايى، ص (٤٥١ - ٤٦٦).

(٩) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣١).

لأنه لم يكن أحد أفضل منه على الإطلاق في ذلك الوقت، فلم يدع الإمامة لنفسه أحد بعد عثمان رضى الله عنه ولم يكن أبو السبطين رضى الله عنه حريصاً عليها، ولذلك لم يقبلها إلا بعد إلحاح شديد ممن بقى من الصحابة بالمدينة وخوفاً من ازدياد الفتن وانتشارها، ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض الجهال أثر تلك الفتن كموقعة الجمل وصفين التى أوقد نارها وأنشبهها الحاقدون على الإسلام كابن سبأ واتباعه الذين استخفهم فاطاعوه لفسقهم ولزيع قلوبهم عن الحق والهدى، وقد روى الكيفية التى تم بها اختيار على رضى الله عنه للخلافة بعض أهل العلم^(١)، وقد ذكرت تلك الروايات بالتفصيل فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه، وقد انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن علياً رضى الله عنه كان متعيناً للخلافة بعد عثمان رضى الله عنه لبيعة المهاجرين والأنصار له لما رأوا لفضله على من بقى من الصحابة، وأنه أقدمهم إسلاماً، وأوفرهم علماً، وأقربهم بالنبي ﷺ نسباً، وأشجعهم نفساً، وأحبهم إلى الله ورسوله، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأشرفهم منزلة وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وسمتاً، فكان رضى الله عنه متعيناً للخلافة دون غيره، وقد قام من بقى من أصحاب النبي ﷺ بالمدينة بعقد البيعة به بالخلافة بالإجماع فكان حينئذ إماماً حقاً وجب على سائر الناس طاعته وحرمة الخروج عليه ومخالفته، وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم منهم، ابن سعد^(٢)، وابن قدامة^(٣)، وأبو الحسن الأشعري^(٤)، وأبو نعيم الأصبهاني^(٥)، وأبو منصور البغدادى^(٦)، والزهري^(٧)، وعبد الملك الجويني^(٨)، وأبو عبد الله بن بطة^(٩)،

(١) عقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام (٢/ ٦٧٧).

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٣١).

(٣) منهاج القاصدين فى فضل الخلفاء الراشدين، ص (٧٧، ٧٨) نقلاً عن عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٦٨٩).

(٤) الإبانة عن أصول الديانة ص ٧٨، مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٦).

(٥) كتاب الإمامة والرد على الرافضة، ص (٣٦٠، ٣٦١).

(٦) كتاب أصول الدين، ص (٢٨٦، ٢٨٧).

(٧) الاعتقاد، ص (١٩٣).

(٨) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد، ص (٣٦٢، ٣٦٣).

(٩) لوامع الأنوار البهية للسفاريتي (٢/ ٢٤٦)، عقيدة أهل السنة (٢/ ٦٩٢).

والغزالي^(١)، وأبو بكر بن العربي^(٢)، وابن تيمية^(٣)، وابن حجر^(٤)، والذي نستفيدة من هذه النقول المتقدمة للإجماع أن خلافة على رضى الله عنه محل إجماع على أحقيتها وصحتها فى وقت زمانها، وذلك بعد قتل عثمان رضى الله عنه حيث لم يبق على الأرض أحق بها منه رضى الله عنه، فقد جاءت على رضى الله عنه على قدر فى وقتها ومحلها^(٥).

١ - خروج أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى الكوفة:

لم يكن بعض الصحابة رضى الله عنهم فى المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين على بن أبى طالب من المدينة، وقد تبين ذلك حينما هم على بالنهوض إلى الشام ليزور أهلها وينظر ما هو رأى معاوية فيما هو صانع^(٦)، فقد كان يرى أن المدينة لم تعد تمتلك المقومات التى تملكها بعض الأمصار فى تلك المرحلة فقال: إن الرجال والأموال بالعراق^(٧)، فلما علم أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، لو أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله ﷺ، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن ألحقت حينئذ إلى السير سرت وقد أعذرت.. فأخذ الخليفة بما أشار عليه أبو أيوب. وعزم المقامة بالمدينة وبعث العمال على الأمصار^(٨)، ولكن حصل كثير من المستجدات السياسية التى أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة، وقرّر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريباً من أهل الشام^(٩)، وأثناء استعدادة للخروج، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته وحدث تناقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود الغوغاء فى جيش على، وطريقة التعامل

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد، ص (١٥٤).

(٢) العواصم من القواصم، ص (١٤٢).

(٣) الوصية الكبرى، ص (٢٣).

(٤) فتح البارى (٧/ ٧٢).

(٥) عقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام (٢/ ٦٩٣).

(٦)، (٧)، (٨) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٣)، الأنصار فى العصر الراشدى، ص (١٦١).

(٩) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص (١٨٣).

معهم، فكثير من أهل المدينة يرون أن الفتنة لا زالت مستمرة، فلا بد من التروى حتى تتجلى الأمور أكثر، وهم يقولون: لا والله ما نرى كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضى لنا ويسفر. وروى الطبرى أن علياً رضى الله عنه خرج فى تعبته التى كانت تعباً إلى الشام وخرج معه النشطة من الكوفيين والبصريين متخفين فى سبعمئة رجل^(١)، والأدلة على تناقل الكثير من أهل المدينة على إجابة دعوة أمير المؤمنين للخروج كثيرة منها، خطب الخليفة التى شكا فيها من هذا التناقل^(٢).

٢- نصيحة الحسن بن على لوالده:

خرج أمير المؤمنين من المدينة، وعندما بلغ الربرة^(٣) عسكر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المائتين^(٤)، وفى الربرة قام إليه ابنه الحسن رضى الله عنهما وهو باك لا يخفى حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتنى، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال على: إنك لا تزال تخن خنين الجارية^(٥)، وما الذى أمرته فعصيته؟، قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضى الله عنه أن تخرج من المدينة، فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قُتل أن لا تباع حتى يأتىك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس فى بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدى غيرك، فعصيتنى فى ذلك كله. قال: أى بنى، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تباع حتى تأتى بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهوراً مذوليت، منقوصاً لا أصل إلى شىء مما ينبغى، وأما قولك: اجلس فى بيتك فكيف لى بما قد لزمى؟

(١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل (٥/ ٤٨١).

(٢) الطبقات (٢/ ٢٣٧)، الأنصار فى العصر الراشدى، ص (١٦٣).

(٣) شرق المدينة المنورة تبعد ٢٤٠ كم.

(٤) انساب الأشراف (٢/ ٤٥) خلافة على بن أبى طالب، ص (١٤٣).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٢)، خن: أخرج الصوت من خياشيمه.

أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها، ويقال: دباب دباب^(١)، ليست هاهنا حتى يحل عرقوبها ثم نخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعينني فمن ينظر فيه، فكف عنك أي بني.

من هذه الحادثة نلاحظ حسن تربية أمير المؤمنين على لابنه، وكيف أعطاه مجالاً ليعبر عما في نفسه بدون ضغوط ثم رد أمير المؤمنين على كل اعتراض، كما تبين ميل الحسن رضى الله عنه المبكر للسلم والابتعاد عن استخدام القوة مهما كلف الأمر، أما أمير المؤمنين على، فقد كان حازماً - والحق معه - في هذه المشكلة وواضحاً، ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه، وكان مترثاً في تنفيذ القصاص على قتلة عثمان فقد كان ينتظر حتى يستتب له الأمر، ثم ينظر في شأن قتلة عثمان، فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهما، بإقامة حد القصاص عليهم اعتذر لهم بأنهم كثير وأنهم قوة لا يستهان بها، وطلب منهم أن يصبروا حتى تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور، فتؤخذ الحقوق، لأن الظروف لم تكن مواتية من جلب المصالح، وقد ألح أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى اختيار أهون الشرين حين قال: هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار قتلة عثمان - وهو خير من شر منه - القتال والفرقة^(٢). لقد رأى أمير المؤمنين أن المصلحة تقتضى تأخير القصاص لا تركه، فأخر القصاص من أجل هذا، وكان رضى الله عنه ينتظر بقتلة عثمان أن يستوثق الأمن وتجتمع الكلمة ويرفع الطلب من أولياء الدم، فيحضر الطالب للدم والمطلوب، وتقع الدعوة ويكون الجواب، وتقوم البيئة ويجرى القضاء في مجلس الحكم^(٣)، ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشيت الكلمة^(٤)، وأما ما أثير عن وجود قتلة عثمان في جيش أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وكيف يرضى أن يكون هؤلاء في جيشه، فقد أجاب الإمام الطحاوى عن ذلك بقوله: وكان في عسكر على رضى الله عنه من أولئك

(١) دباب، كقطام: دعاء الضبع للضبع.

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٦٠).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥٦).

(٤) أحكام القرآن لابن العربى (٢/ ١٧١٨).

الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن فى قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله^(١)، وعلى كل حال، كان موقفه منهم موقف المحتاط منهم، المتبرئ من فعلهم، وكان راغباً فى الاستغناء عنهم بل الاقتصاص منهم، لو وجد إلى ذلك سبيلاً. وقد فصلت ذلك فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

٣- أثر الحسن بن على فى استنفار أهل الكوفة:

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يمارس صلاحياته كخليفة، وكان فيه من العزم والحزم بحيث لا يستطيع أحد أن يثنيه عن عزمه، فأرسل على رضى الله عنه من الرتبة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسولان محمد بن أبى بكر الصديق، ومحمد بن جعفر ولكنهما لم ينجحا فى مهمتهما، إذ أن أبا موسى الأشعرى وإلى الكوفة من قبل على، ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال فى الفتنة، وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك فى الفتنة^(٢)، فأرسل على بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، ففشل فى مهمته، لتأثير أبى موسى عليهم^(٣)، فبعث عبدالله بن عباس فأبطأوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن على، وعزل أبا موسى الأشعرى واستعمل قرظة بن كعب بدلا منه^(٤)، وكان للقعقاع بن عمرو دور كبير فى إقناع أهل الكوفة، قام فيهم وقال: إنى لكم ناصح وعليكم شفيق، وأحب أن ترشدوا، ولأقولن لكم قولا هو الحق.. والقول الذى هو القول إنه لا بد من إمارة تنظم الناس وترع الظالم، وتغز المظلوم، وهذا على يلى ما ولى، وقد أنصف فى الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا فى هذا الأمر بمرأى ومسمع^(٥).

(١) شرح الطحاوية، ص (٥٤٦).

(٢) تاريخ الطبرى (٥ / ٥١٤) مصنف ابن أبى شيبه (١٥ / ١٢) إسناده حسن.

(٣) خلافة على بن أبى طالب، ص (٤٤) عبدالحميد، سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٨٦).

(٤) فتح البارى (١٣ / ٢٥)، التاريخ الصغير (١ / ١٠٩).

(٥) تاريخ الطبرى (٥ / ٥١٦).

وكان للحسن بن علي أثر واضح، فقد قام خطيباً في الناس وقال: أيها الناس، أجيئوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى^(١) أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيئوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليت^(٢)، ولبي كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين ستة إلى سبعة آلاف رجل، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثني عشر ألف رجل تقريباً^(٣)، وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين على بذى قار قال لهم: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جمعهم، حتى صارت إليكم موارثهم، فأغنيتهم حوزتكم وأعنتم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذلك ما نريد وأن يلجوا داويناهم بالرفق وبايناهم حتى يبدأونا بظلم، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا أثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله^(٤).

٤- محاولات الصلح:

كان على رضى الله عنه حريصاً على أن يقضى على هذه الفرقة والفتنة بالوسائل السلمية وتجنب المسلمين شر القتال والصدام المسلح بكل ما أوتى من قوة وجهد، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير، وقد اشترك في محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التابعين، وكان من أشهرها محاولة القعقاع بن عمرو فقد حاور طلحة والزبير والسيدة عائشة، وقد تأثروا بما طرح وسألت السيدة عائشة القعقاع عن رأيه ففى أمر قتلة عثمان، فقال: هذا أمر دواؤه التسكين، ولا بد من التأنى فى الاقتصاص من قتلة عثمان، وإن أنتم بايعتم علياً^(٥) واتفقتم معه، كان هذا علامة خير، وتباشير رحمة، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان، وإن أنتم أبيتم

(١) أولو النهى: أصحاب العقول.

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٦).

(٣) مصنف عبدالرزاق (٥/ ٤٥٦، ٤٥٧) بسند صحيح إلى الزهرى.

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٩).

(٥) المقصود: الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين على فى التعامل مع قتلة عثمان.

ذلك، وأصررتهم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر، وذهاباً لهذا الملك، فآثروا العافية ترزقونها وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً، ولا تعرضونا للبلاء، فتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وأيم والله إنى لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإنى لخائف ألا يتم، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التى قل متاعها، ونزل بها ما نزل، فإن ما نزل بها أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة، فاقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص، ووافقوا على عودته إلى الصلح، وقالوا له: أحسنت وأصبت المقالة، فارجع فإن قدم على وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر إن شاء الله، وعاد القعقاع إلى على فى «ذى قار»، وقد نجح فى مهمته، وأخبر علياً بما جرى معهم، فأعجب على بذلك، وأوشك القوم على الصلح، كرهه من كرهه ورضيه من رضيه^(١).

٥- دور السبئية فى نشوب القتال فى معركة الجمل:

لما عاد القعقاع وأخبر أمير المؤمنين علياً بما فعل، أرسل علىّ رضى الله عنه رسولين^(٢) إلى عائشة والزبير ومن معه يستوثق فيه مما جاء به القعقاع بن عمرو، فجاء علياً، بأنا على ما فارقنا عليه القعقاع فأقدم، فارتحل على حتى نزل بحيالهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكون فى الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح^(٣)، وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطير: ألا وأنى راحل غداً فارتحلوا -يقصد إلى البصرة-، ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء فى شيء من أمور الناس^(٤)، وكان فى معسكر على رضى الله عنه من أولئك الطغاة والخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه ومن تنصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن فى قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره^(٥)، وحرص أتباع

(١) البداية والنهاية (٧/ ٧٣٩)، تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢١).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢٥).

(٣) المصدر نفسه (٥/ ٥٣٩).

(٤) المصدر نفسه (٥/ ٥٢٥).

(٥) المصدر نفسه (٥/ ٥٢٦).

ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القصاص^(١)، فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا خرج على وخرج طلحة والزبير، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح، وترك الحرب، حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع، فافترقوا على ذلك، ورجع على إلى عسكره، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما وأرسل على إلى رؤساء أصحابه ما عدا أولئك الذين حاصروا عثمان رضى الله عنه. فبات الناس على نية الصلح والعافية وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا ينوون إلا الصلح، وبات الذين أثاروا الفتنة بشر ليلة باتوها قط، إذ أشرفوا على الهلاك، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلهم، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما على فلم نعرف أمره حتى كان اليوم وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء، ورأى الناس فينا - والله - واحد، وأن يصطلحوا مع على فعلى دماثنا^(٢)، وتكلم ابن السوداء - عبدالله بن سبأ وهو المشير فيهم - فقال: إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، وإذا أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون، فابصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون^(٣). فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاب الحرب في السر، فغدوا في الغلس وعليهم ظلمة، وما يشعر بهم جيرانهم فخرج مضربهم إلى مضربهم وربيعيهم إلى ربيعهم، ويمانيهم إلى يمانهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه الذين باغثوهم، فخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس واندلع القتال^(٤)، وقد تحدثت عن جولات معركة الجمل بالتفصيل في كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين على بن أبي طالب، فقد كان أثر السبئية في معركة الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء، سواء من أسموهم

(١) تاريخ الطبرى (٥ / ٥٢٥)، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٢٠).

(٢) تاريخ الطبرى (٥ / ٥٢٦).

(٣) المصدر نفسه (٥ / ٥٢٧).

(٤) المصدر نفسه (٥ / ٥٤١).

بالمفسدين أو بأوباش الطائفتين أو أسماهم البعض بقتلة، أو نبذوهم بالسفهاء، أو بالغوغاء، أو أطلقوا عليهم صراحة السيئة^(١) وهذه بعض النصوص التي تؤكد ذلك.

أ- جاء في أخبار البصرة لعمر بن شبة أن الذي نسب إليهم قتل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم، فأنشبوا الحرب بينهم حتى كان ما كان^(٢).

ب- قال الإمام الطحاوي: فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من على ولا من طلحة، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين^(٣).

ج- وقال الباقلاني: . . وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم، والإحاطة بهم، فاجتمعوا، وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فرقتين ويبدأوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا، ويصيح الفريق الذي في معسكر على: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الذي في طلحة والزبير: غدر على، فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشب الحرب، فكان كل فريق منهم دافعاً لمكروه عن نفسه ومانعاً من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذا وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه ميل، وبه نقول^(٤).

د- ونقل القاضي عبد الجبار أقوال العلماء، باتفاق رأى على وطلحة والزبير وعائشة - رضوان الله عليهم - على الصلح، وترك الحرب، واستقبال النظر في الأمر، وأن من كان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم، فدبروا في إلقاء ما هو معروف، وتم ذلك^(٥).

هـ- ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: وقدم علىّ على البصرة، وتدانوا لئراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء واشتجر الحرب،

(١) عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ص (١٩٤).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٥٦).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص (٥٤٦).

(٤) التمهيد، ص (٢٣٣).

(٥) تثبيت دلائل النبوة للهمداني، ص (٢٩٩).

وكثرت الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإنّ واحداً في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف^(١).

و- ويقول ابن حزم: . . وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر عليّ، فدفع أهله عن أنفسهم، كل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بدأتها القتال، واختلط الأمر اختلاطاً، لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترّون من شنّ الحرب وإضرارها، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها، وأتى طلحة سهم غارب، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط، فصادف جرحاً في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله - ﷺ - فانصرف ومات من وقته - رضى الله عنه - وقتل الزبير بوادي السباع - بعد انسحابه من المعركة - على أقل من يوم من البصرة، فهكذا كان الأمر^(٢).

ز- ويقول الذهبي: كانت وقعة الجمل أثارها سفهاء الفريقين^(٣). ويقول: إن الفريقين اصطلحا وليس لعلی ولا لطلحة قصد القتال، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة، فترامى أوباش الطائفتين بالنبل وشبت نار الحرب، وثارَت النفوس^(٤). وفي (دول الإسلام): والتحم القتال من الغوغاء، وخرج الأمر عن علی وطلحة والزبير^(٥)، يقول الدكتور سليمان بن حمد العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبري المصححة بدور السبئية في الجمل، تفسر هذا التعميم وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتى ولو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ولم تكن لها أهداف كأهدافهم،

(١) العواصم من القواصم، ص (١٥٦، ١٥٧).

(٢) الفصل في الملل والنحل (٤ / ١٥٧، ١٥٨).

(٣) العبر (١ / ٣٧)، عبد الله بن سبأ للعودة، ص (١٩٥).

(٤) تاريخ الإسلام (١ / ١٥)، عبد الله بن سبأ للعودة، ص (١٩٥).

(٥) دول الإسلام (١ / ١٥)، عبد الله بن سبأ للعودة، ص (١٩٥).

فأى مانع يمنع القول أن هذه شكلت أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه «السبئية» كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين^(١).

وقد كان الحسن رضى الله عنه يوم الجمل على الميمنة وقيل: على الميسرة، وكان يكره القتال ويشير على أبيه بتركه^(٢).

٦- عدد القتلى في الجمل:

أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلى اختلفت في تقديره الروايات، وذكر المسعودي أن هذا الاختلاف في تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة^(٣)، وقد أورد خليفة بن خياط بياناً بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل، فكانوا قريباً من المائة^(٤)، فلو فرضنا أن عددهم كان مائتين وليس مائة، فإن هذا يعنى أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المائتين، وهذا هو الرقم، الذى ترجح لدى الدكتور خالد بن محمد الغيث في رسالته استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويّات سيف بن عمر في تاريخ الطبرى دراسة نقدية^(٥)، وأما ما ذكره أبو مخنف الرافضى الشيعى في كون القتلى يصل عددهم إلى عشرين ألفاً^(٦)، فهذا مبالغ فيه، وقد أساء هذا الكذاب من حيث يظن أنه أحسن، إذ ذكر أن العشرين ألفاً من أهل البصرة فقط^(٧)، وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب على رضى الله عنه ونصفهم من أصحاب عائشة رضى الله عنها، وفي رواية أخرى قال: وقيل: خمسة عشرة ألفاً، خمسة آلاف من أهل الكوفة، وعشرة آلاف من أهل البصرة، نصفهم قتل في المعركة الأولى ونصفهم في الجولة الثانية^(٨)، والروايتان ضعيفتان للانقطاع، وغيره، وفيها مبالغة أيضاً، ويذكر عمر

(١) عبد الله بن سبأ للعودة، ص (١٩٦).

(٢) الوافى بالوفيات للصدفى (١٠٩ / ١٢).

(٣) مروج الذهب (٣ / ٣٦٧).

(٤) تاريخ خليفة، ص (١٨٧ - ١٩٠).

(٥) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص (٢١٥).

(٦) تاريخ خليفة، ص (٨٦) بسند مرسل.

(٧) المصدر نفسه، ص (١٨٦).

(٨) تاريخ الطبرى (٥ / ٥٤٢ - ٥٥٥).

ابن شبه أن القتلى يزيدون على ستة آلاف، إلا أن الرواية ضعيفة سنداً^(١) وأما اليعقوبى، فقد جاوز هؤلاء جميعاً، إذ وضع عدد القتلى نيفاً وثلاثين ألفاً^(٢)، وهذه الأرقام مبالغ فيها جداً وقد ذكرت فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب أسباب المبالغة.

٧- نداء أمير المؤمنين بعد الحرب:

ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها، حتى نادى منادى على: أن لا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا مدبراً، ولا يدخلوا داراً، ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن، وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونادى منادى أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة من وجد شيئاً من متاعه عند أحد من جنده، فله أن يأخذه^(٣).

٨- تفقده للقتلى وترحمه عليهم:

بعد انتهاء المعركة خرج أمير المؤمنين على رضى الله عنه يتفقد القتلى فى نفر من أصحابه، فأبصر محمد بن طلحة السجاد، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله لقد كان شاباً صالحاً، ثم قعد كئيلاً حزيناً. ودعا للقتلى بالمغفرة وترحم عليهم وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح^(٤).

٩- تأثره من مقتل طلحة رضى الله عنه:

.. وإن علياً لما دار بين القتلى رأى طلحة مقتولاً فجعل يمسح عن وجهه التراب^(٥) ثم قال: عزيز علىّ أبا محمد أن أراك مُجندلاً فى الأودية، ثم قال: إلى الله أشكو عُجْرى وبُجْرى^(٦)، وترحم عليه وقال: ليتنى مت قبل هذا بعشرين سنة^(٧).

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٨٦) إسناده منقطع وهو حسن إلا قتادة.

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (٧/ ٥٤٦)، فتح البارى (١٣/ ٦٢).

(٣) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص (٢٠٢).

(٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٦١)، المستدرک (٣/ ١٠٣، ١٠٤) والإسناد حسن لغيره، خلافة على بن أبى طالب، ص، (١٦٩).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

(٦) سرائرى وأحزانى التى تموج فى جوفى.

(٧) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص (٥٢٨).

لما غدر عمرو بن جرموز بالزبير وقتله احتز رأسه وذهب به إلى علىّ ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده، فاستأذن فقال علىّ: بشرّ قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال علىّ: سمعت رسول الله يقول: لكل نبي حوارى وحوارى الزبير^(١)، ولما رأى علىّ سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله^(٢)، وفى رواية: منع أمير المؤمنين ابن جرموز من الدخول عليه، وقال للأذن: بشر قاتل ابن صفية بالنار^(٣)، ويقال: إن عمرو بن جرموز قتل نفسه فى عهد علىّ، وقيل: بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاخفى منه، فقبل لمصعب: إن عمرو بن جرموز هاهنا وهو مختف، فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد^(٤) للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير^(٥).

وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى فى مساء يوم الجمل فى موضع خاص، فلما صلى الغداة طلب موسى بن طلحة بن عبيد الله، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره وسأله عن أحواله وأحوال إخوته، ثم قال له: إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نرى أن نأخذها، إنما أخذناها مخافة أن يتتبعها الناس، ودفع له غلتها وقال: يا ابن أخى وإننا فى الحاجة إذا كانت لك، وكذلك فعل مع أخيه عمران ابن طلحة فبايعاه، فلما رأى الأسارى ذلك دخلوا علىّ علىّ رضى الله عنه يبايعونه، فبايعهم وبايع الآخرين علىّ راياتهم قبيلة قبيلة^(٦)، كما سأل عن مروان ابن الحكم وقال: يعطفنى عليه رحمه ماسة وهو مع ذلك سيد من شباب قريش، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس رضى الله عنهم ليكلموا عليا فقال علىّ: هو آمن فليتوجه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٩٢٠).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).

(٣) الطبقات (٣/ ١٠٥) إسناده حسن، خلافة علىّ، ص (١٦٤) عبد الحميد.

(٤) أقيد: قود: القتل بالقاتل.

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).

(٦) الطبقات (٣/ ٢٢٤) بسند حسن، المستدرک (٣/ ٣٧٦، ٣٧٧).

تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه^(١)، كما أن مروان بن الحكم أثنى على فعال أمير المؤمنين على وقال لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولينا يوم الجمل حتى ناد مناديه: ألا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح^(٢).

١١- أمير المؤمنين على يرد عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة:

جهز أمير المؤمنين على عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد ابن الخنفية فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس، وودعوها وودعتهم وقالت: يا بني تعبت بعضنا على بعض استبطاء واستزادة ولا يعتدن أحد منك على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين على في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه عندي على معتبتي من الأخيار، وقال على: يا أيها الناس، صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ستة وثلاثين، وشيعها على أميالا وسرح بنيه معها يوماً^(٣).

١٢- ندمهم على ما حصل منهم:

قال ابن تيمية: .. وهكذا عامة السابقين، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلى وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتال بغير اختيارهم^(٤).

أ- فأمر أمير المؤمنين على ورد عنه، عندما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال فقال: لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة^(٥).

(١) سنن سعد ابن منصور (٢/ ٣٣٧) بسند حسن.

(٢) كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير للماوردي، ص (١١).

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥٨١).

(٤) المتقى من منهاج الاعتدال، ص (٢٢٢).

(٥) الفتن، نعيم بن حماد (١/ ٨٠).

ب- وروى نعيم بن حماد، بسنده إلى الحسن بن علي، أنه قال لسليمان بن صرد: لقد رأيت علياً حين اشتد القتال وهو يلوذ بي، ويقول: يا حسن، لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة^(١).

ج- وعن حسن بن علي قال: أراد أمير المؤمنين على أمراً، فتتابعت الأمور، فلم يجد منزعاً^(٢).

د- وعن سليمان بن صرد، عن حسن بن علي سمع علياً يقول حين نظر إلى السيف قد أخذت القوم: يا حسن أكل هذا فينا؟ ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة^(٣).

هـ - قال ابن تيمية: إن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا خرجت خروجها تبكي حتى تبل خمارها، وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع القتال بغير اختيارهم^(٤).

و- قال الذهبي: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمه كلية على مسيرها إلى البصرة وحضورها يوم الجمل، وما ظنت أن الأمر يبلغ ما بلغ^(٥)، ومن أراد التوسع والمزيد من معركة الجمل التي حضرها الحسن بن علي رضى الله عنه فليراجع كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين على بن أبي طالب.

ز- وقبل أن نودع الأحداث المؤلة في الجمل نقف عند درس مهم نستخلصه منها: وهو أننا لا بد أن نعمل حساباً لكيد الأعداء ومكرهم في سبيل إفشال أى جهد مخلص لتوحيد الصف أو فيه خطر على مصالحهم، فيجب في مثل هذه

(١) الفتن، نعيم بن حماد (١/ ٨٠).

(٢) المصدر السابق (١/ ٨١).

(٣) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص (٢١٧).

(٤) المتقى من منهاج الاعتدال، ص (٢٢٢، ٢٢٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧).

الحالة إننا إذا اتفقنا على الأفكار العامة أن نرسم الخطط ونضع التدابير اللازمة، لتنفيذ ما اتفقنا عليه، وتقويت الفرصة على الأعداء في إفشاله وألا تترك الفرحة بجمع الكلمة تنسينا خطر الأعداء وما يمكن أن يقوموا به بالإضرار بالإسلام والمسلمين، وقد استفاد الحسن من هذا الدرس وطبقه في مشروعه الإصلاحى الذى سيأتى تفصيله بإذن الله.

* معركة صفين:

ومن الأحداث الكبيرة التى شاهدها الحسن بن على فى عهد والده معركة صفين، كما كان على اطلاع مفصل بالعلاقة بين أمير المؤمنين على ومعاوية رضى الله عنهم، فقد كان معاوية رضى الله عنه واليا على الشام فى عهدى عمر وعثمان رضى الله عنهما، ولما تولى على الخلافة أراد عزله وتولية عبدالله بن عمر فأبى عليه عبدالله بن عمر قبول ولاية الشام واعتذر فى ذلك، وذكر له القرابة والمصاهرة التى بينهم^(١)، ولم يلزمه أمير المؤمنين على وقبل منه طلبه بعدم الذهاب إلى الشام، وأما الروايات التى تزعم أن عليا قام بالتهجم على عبدالله بن عمر رضى الله عنه لاعتزاله وعدم الوقوف بجانبه، ففى ذلك الخبر تحريف وكذب^(٢)، وأقصى ما وصل إليه الأمر فى قضية عبدالله بن عمر وولاية الشام ما رواه الذهبى من طريق سفيان بن عيينة، عن عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال: بعث إلى على قال: يا أبا عبد الرحمن إنك رجل مطاع فى أهل الشام، فسر فقد أمرتك عليهم، فقلت: أذكر الله وقرابتى من رسول الله وصحبتى إياه إلا ما أعفيتنى، فأبى على فاستعنت بحفصة، فأبى، فخرجت ليلاً إلى مكة^(٣). وهذا دليل قاطع على مبايعة ابن عمر، ودخوله فى الطاعة، إذ كيف يوليه على وهو لم يبايع، وبعد اعتذار ابن عمر من قبول ولاية الشام أرسل أمير المؤمنين على سهل بن حنيف بدلا منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع^(٤)، وكانت بلاد الشام تغلى غضبا

(١) المصنف لابن أبى شيبة (٧/ ٤٧٢) إسناده صحيح.

(٢) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، خالد الغيث، ص (١٦٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٢٤) رجاله ثقات.

(٤) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٣٩) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص (١١٠).

على مقتل عثمان ظلما وعدوانا، فقد وصلهم قميصه مخضباً بدمائه، بأصابع نائلة زوجه التي قطعت أصابعها وهي تدافع عنه، وكانت قصة استشهاده أليمة فظيعة اهتزت لها المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها الدموع، كما وصلتهم أخبار المدينة وسيطرة الغوغاء عليها، وهروب بنى أمية إلى مكة.

كل هذه الأمور وغيرها من الأحداث والعوامل كان لها تأثير على أهل الشام وعلى رأسهم معاوية رضى الله عنه، فقد كان يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه فهو ولى دمه، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] ولذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل ظلماً وعدوانا على يد سفهاء منافقين لم يقدرُوا الدم الحرام إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستذكروا وعلت الأصوات وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقامت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم (١).

وهناك حديث آخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان وكان منشطاً ودافعاً قوياً للتصميم على تحقيق الهدف، وهو عن النعمان بن بشير عن عائشة رضى الله عنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ، فكان من آخر كلمه أن ضرب منكبه فقال: يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً فإن أراذك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاثاً، فقلت لها: يا أم المؤمنين، فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبى سفيان فلم يرض بالذى أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبى إلى به، فكتبت إليه به كتاباً (٢).

فقد كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسى فى رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبى سفيان بيعه على بن أبى طالب بالخلافة، وليست لأطماع معاوية فى ولاية الشام، أو طلبه ما ليس بحق إذ كان يدرك إدراكاً

(١) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٤).

(٢) مسند أحمد باقى مسند الأنصار، رقم (٢٤٠٤٥) حديث صحيح.

تماماً أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى وأن علياً أفضل منه وأولى بالأمر^(١). ودليل ذلك ما أخرجه يحيى بن سليمان الجعفى بسند جيد، عن أبي مسلم الخولانى أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً، أم أنت مثله؟ فقال: لا والله إني لأعلم أنه لأعلم مني، وأحق بالأمر مني، ولكن أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فأتوه، فقولوا له: فليدفع إلى قتل عثمان وأسلم لهم، وأتوا علياً فكلموه، فلم يدفعهم إليه^(٢)، وفي رواية: فأتوه فكلموه فقال: يدخل في البيعة ويحاكمهم إلى فامتنع معاوية^(٣).

١- هل خروج معاوية على علي رضي الله عنهما بسبب أطماع دنيوية؟

إن الروايات التي تصور معاوية في خروجه عن طاعة علي بسبب أطماع ذاتية وأطماع دنيوية، بسبب التنافس والعداء الجاهلى القديم بين بنى هاشم وبنى أمية، وغير ذلك من القذف والافتراءات والطعن على أصحاب رسول الله ﷺ مما اعتمد عليها الكتاب المعاصرون - كالعقاد في عبقرية علي، وعبدالعزیز الدورى في مقدمته في تاريخ صدر الإسلام- وبنوا عليها تحليلاتهم الباطلة، هي روايات متروكة مطعون في روايتها عدلاً وضبطاً^(٤)، مما قد شاع بين الناس قديماً وحديثاً أن الخلاف بين علي ومعاوية -رضى الله عنهما - كان سببه طمع معاوية في الخلافة وأن خروج هذا الأخير على علي وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام، ذكرها مؤرخو الشيعة الروافض أو كتاب الإمامة والسياسة المنسوب زوراً وبهتاً لابن قتيبة الدينورى، فهذا الكتاب لا يثبت لابن قتيبة وإنما كاتبه رافضى محترق، وهذه مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذباً وزوراً ومن هذه الأدلة:

- إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتاباً في التاريخ يدعى الإمامة والسياسة، ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب المعارف.

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد على، ص (١١٢).

(٢) فتح البارى (١٣ / ٩٢)، البداية والنهاية (٨ / ١٢٩).

(٣) فتح البارى (١٣ / ٩٢) استشهاد عثمان، ص (١٦٠).

(٤) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد على، ص (١١٢).

- إن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام فى دمشق والمغرب فى حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور.

- إن المنهج والأسلوب الذى سار عليه المؤلف «الإمامة والسياسة» يختلف تمامًا عن منهج وأسلوب ابن قتيبة فى كتبه التى بين أيدينا، إذ منهج ابن قتيبة أن يقدم مؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب الإمامة والسياسة، فمقدمته قصيرة جدًا لا تزيد عن ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف فى الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهده فى مؤلفات ابن قتيبة.

- يروى مؤلف الكتاب عن أبى ليلى بشكل يشعر بالتلقى عنه، وابن أبى ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى الفقيه: قاضى الكوفة، توفى سنة ١٤٨ هـ والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة ٢١٣ هـ أى بعد وفاة ابن أبى ليلى بخمسة وستين عامًا.

- إن قسمًا كبيرًا من رواياته جاءت بصيغة التمريض، فكثيرًا ما يجىء فيه: ذكروا عن بعض المصريين، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر، وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب، وذكروا عن بعض المشيخة، وحدثنا بعض المشيخة، ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة ولم ترد فى كتبه^(١).

- ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء، فهو عندهم من أهل السنة وثقة فى علمه ودينه، يقول السلفى: كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة، ويقول ابن حزم: كان ثقة فى دينه وعلمه، وتبعه فى ذلك الخطيب البغدادي، ويقول عنه ابن تيمية: وإن ابن قتيبة من المتسبين إلى أحمد وإسحاق والمتصرين لمذاهب أهل السنة المشهورة^(٢)، ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين هل من المعقول أن يكون

(١) عقيدة الإمام ابن قتيبة، على العليانى، ص (٩٠).

(٢) لسان الميزان (٣/٣٥٧)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٤٤).

مؤلف كتاب الإمامة والسياسة الذى شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم^(١).

إن مؤلف الإمامة والسياسة قدح فى صحابة رسول الله قدحاً عظيماً، فصور ابن عمر رضى الله عنهما جبناً، وسعد بن أبى وقاص حسوداً، وذكر محمد ابن مسلمة بأنه غضب على على بن أبى طالب لأنه قتل مرجأ اليهودى بخير، وأن عائشة رضى الله عنها أمرت بقتل عثمان^(٢)، والقدح فى الصحابة من أظهر خصائص الرافضة وإن شاركهم الخوارج إلا أن الخوارج لا يقدحون فى عموم الصحابة^(٣).

- إن مؤلف الإمامة والسياسة كتب على الخلفاء الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان خمساً وعشرين صفحة فقط، وكتب عن الفتنة التى وقعت بين الصحابة مائتى صفحة، فقام المؤلف الرافضى باختصار التاريخ الناصع المشرق وسود الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل، وهذه من أخلاق الروافض المعهودة نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

- يقول محمود شكرى الألوسى فى مختصر الاثنا عشرية: ومن مكايدهم- يعنى الرافضة- أنهم ينظرون فى أسماء الرجال الاعتبارين عند أهل السنة، فمن جدوه موافقاً لأحد منهم فى الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعى إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته كالسدى فإنهما رجلان أحدهما السدى الكبير والثانى السدى الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضى غال. وعبد الله بن قتيبة رافض غال وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة، وقد صنف كتاباً سماه بالمعارف فصنف ذلك الرافضى كتاباً سماه بالمعارف أيضاً قصداً للإضلال^(٤)، وهذا ما يرجح أن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الرافضى وليس لابن قتيبة السنى الثقة، وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء^(٥).

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٤).

(٢) الإمامة والسياسة (١/ ٥٤، ٥٥).

(٣) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص (٩١) للعليانى.

(٤) مختصر التحفة الاثنا عشرية للألوسى، ص (٣٢).

(٥) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص (٩٣).

وقد اعتمد كثير من المعاصرين على هذا الكتاب وساهموا فى تشويه كثير من الصحابة الكرام، ولذلك وجب التحذير منه بطريقة علمية تعتمد على التحقيق والتوثيق والدليل والبرهان، وقد ذكر صاحب كتاب الإمامة والسياسة: أن معاوية ادعى الخلافة وذلك من خلال الرواية التى ورد فيها ما قاله ابن الكواء لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنه: أعلم أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأحزاب، وأنه ادعى الخلافة من غيره مشورة، فإن صدقك فقد حلّ خلعه، وإن كذبتك فقد حرم عليك كلامه^(١).

وهذا كلام لا يثبت عن أمير المؤمنين على وإنما من كلام الروافض وقد امتلأت كتب التاريخ والأدب بالروايات الموضوعة والضعيفة التى تزعم أن معاوية اختلف مع على من أجل الملك والزعامة والإمارة^(٢).

والصحيح أن الخلاف بين على ومعاوية رضى الله عنهما كان حول مدى وجوب بيعة معاوية وأصحابه لعلّ قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان أو بعده، وليس هذا من أمر الخلافة فى شيء، فقد كان رأى معاوية- رضى الله عنه- ومن حوله من أهل الشام أن يقتصر على- رضى الله عنه- من قتلة عثمان ثم يدخلون بعد ذلك البيعة^(٣). ويقول القاضى ابن العربى أن سبب القتال بين أهل الشام وأهل العراق يرجع إلى تباين المواقف بينهما: فهؤلاء - أى أهل العراق- يدعون إلى على بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام وهؤلاء- أى أهل الشام- يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون: لا نبايع من يأوى القتلة^(٤).

ويقول إمام الحرمين الجوينى فى لمع الأدلة: إن معاوية وإن قاتل علياً، فإنه لا ينكر إمامته ولا يدعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظاناً منه أن مصيب، وكان مخطئاً^(٥)، ويقول الهيثمى: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين

(١) الإمامة والسياسة (١/١١٣).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (٢/١٤٥).

(٣)، (٤) العواصم من القواصم، ص (١٦٢).

(٥) لمع الأدلة فى عقائد أهل السنة والجماعة، ص (١١٥).

معاوية وعلیّ- رضی الله عنهما- من الحروب، فلم يكن لمنازعة معاوية لعلیّ في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعلیّ. فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية طالب بدم ابن عمّه فامتنع علیّ^(١)، لقد تضافرت الروايات وأشارت إلى أنّ معاوية- رضی الله عنه- اتخذ موقفه للمطالبة بدم عثمان، وأنه صرح بدخوله في طاعة علیّ- رضی الله عنه- إذا أقيم الحد على قتلة عثمان.

ولو افترض أنه اتخذ قضية القصاص والثأر لعثمان ذريعة لقتال علیّ طمعاً في السلطان، فماذا سيحدث لو تمكن علیّ من إقامة الحد على قتلة عثمان، حتماً ستكون النتيجة خضوع معاوية لعلیّ ومبايعته له، لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة، كما أن كل من حارب معه كانوا يقاتلون على أساس إقامة الحد على قتلة عثمان، علیّ أن معاوية إذا كان يخفي في نفسه شيئاً آخر لم يعلن عنه، سيكون هذا الموقف بالتالي مغامرة، ولا يمكن أن يقدم عليها إذا كان ذا أطماع^(٢). إن معاوية رضی الله عنه كان من كتّاب الوحي ومن سادة المسلمين المشهورين بالحلم ويكفيه شرف الصحبة، فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي ويهرق دماء المسلمين من أجل ملك زائل، وهو القائل: والله لا أخير بين أمرين، بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه^(٣)، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال فيه: اللهم اجعله هادياً مهدياً واهدياً به^(٤)، وقال: اللهم علمه الكتاب وقره العذاب^(٥).

أما وجه الخطأ في موقفه في مقتل عثمان- رضی الله عنه- فيظهر في رفضه أن يبائع لعلیّ- رضی الله عنه- قبل مبادرته إلى الاقتصاص من قتلة عثمان، ويضاف إلى ذلك خوف معاوية على نفسه لمواقفه السابقة من هؤلاء الغوغاء وحرصهم على قتله بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، بل يدخل في الطاعة، ويرفع دعواه إلى الحاكم، ويطلب الحق عنده^(٦)، وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتص من أحد ويأخذ حقه دون السلطان،

(١) الصواعق المحرقة (٢/٦٢٢).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٥٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/١٥١).

(٤) صحيح سنن الترمذی للألباني رقم ٣٠١٨ (٣/٢٣٦).

(٥) فضائل الصحابة (٢/٩١٣) إسناده صحيح.

(٦) تحقيق مواقف الصحابة (١/١٥١).

أو من نصبه السلطان لهذا الأمر، لأن ذلك يفضى إلى الفتنة وإشاعة الفوضى^(١)، ويمكن القول إن معاوية- رضى الله عنه- كان مجتهداً متأولاً يغلب ظنه أن الحق معه، فقد قام خطيباً فى أهل الشام بعد أن جمعهم وذكرهم أنه ولى عثمان- ابن عمه- وقد قتل مظلوماً، وقرأ عليهم الآية الكريمة ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]. ثم قال: أنا أحب أن تعلمونى ذات أنفسكم فى قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفنى الله أرواحهم^(٢).

هذه الأحداث الجسام عاصرها الحسن بن على وعرف موقف كل صحابى من الفتنة وكان ميالاً للصالح والسلم ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

٢- نهى أمير المؤمنين على عن شتم معاوية ولعن أهل الشام بعد معركة صفين:

نشبت الحرب بين على ومعاوية رضى الله عنهما فى صفين، وقد فصلت تلك الأحداث فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب وقد اشتد القتال وتوجه النصر فيها لأهل العراق على أهل الشام، وتفرقت صفوفهم، وكادوا أن ينهزموا، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح وقالوا: هذا بيننا وبينكم قد فنى الناس، فمن لثغور أهل الشام بعد أهل الشام، ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟ فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت، قالوا: نجيب إلى كتاب الله عز وجل وننيب إليه^(٣)، فالدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية، وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية فى طاعة على والبيعة له، تطور فرضته أحداث حرب صفين، إذ أن الحرب التى أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاهًا جماعيًا رأى أن وقف القتال وحقق الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيتها وأثرها فى اتخاذ القرارات^(٤)، فقد قبل أمير المؤمنين على

(١) تفسير القرطبي (٢/٢٥٦).

(٢) صفين لابن مزاحم، ص (٣٢)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٥٢).

(٣) تنزيه خال المؤمنين معاوية، ص (٣٦) نقلا عن تاريخ الطبرى.

(٤) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٣٨).

رضى الله عنه وقف القتال في صفين ورضى التحكيم وعدّ ذلك فتحاً ورجع إلى الكوفة، وعلق على التحكيم آمالاً في إزالة الخلاف وجمع الكلمة ووحدة الصف، وتقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد.

وكان أمير المؤمنين بعد نهاية الجولات الحربية في صفين يتفقد القتلى، وقد وقف على قتلاه وقتلى معاوية فقال: غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفريقين جميعاً^(١)، وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين علي ومعاوية، خرج علي فمشى في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، وليصير الأمر إلى وإلى معاوية^(٢)، وكان يقول عنهم: هم المؤمنون^(٣)، وقوله رضى الله عنه في صفين لا يكاد يختلف عن قوله في أهل الجمل^(٤).

وروى أن علياً رضى الله عنه لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم ولعن أهل الشام أرسل إليهما: أن كفا عما يبلغني عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى ورب الكعبة المسدنة، قالا: فلما تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوى عن الغي من لجج به^(٥)، وأما ما قيل من أن علياً كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن علياً وابن عباس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السند حيث فيها أبو مخنف لوط بن يحيى الرافضى المحترق الذى لا يوثق في رواياته كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهى عن سب الصحابة، فقد أنكر على من يسب معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقتلتم مكان سبكم إياهم اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم^(٦)، فهذا السب والتكفير لم يكن من هدى

(١) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (٢٥٠).

(٢) مصنف بن أبى شيبه (٣٠٣/١٥) سنده حسن.

(٣) تاريخ دمشق (٣٢٩/١ - ٣٣١) خلافة على، ص (٢٥١).

(٤) خلافة على، عبد الحميد على، ص (٢٥١)، تنزيه خال المؤمنين، ص (١٦٩).

(٥) الإخبار الطوال، ص (١٦٥) نقلا عن تحقيق مواقف الصحابة (٢٣٢/٢).

(٦) نهج البلاغة، ص (٣٢٣).

أمير المؤمنين على باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة^(١)، كما أن الحسن رضى الله عنه كان معاصراً للأحداث وسمع ورأى موقف والده من أهل الشام، وهذه النظرة السليمة لأصحاب معاوية ساعدت الحسن بن على في هندسته لمشروع الإصلاح الذى تقدم به لوحدة الأمة والذى تحقق بفضل الله ثم فقهه العميق لمقاصد الإسلام ومعرفته الدقيقة لعلم المصالح والمفاسد.

٣- مقتل عمار بن ياسر رضى الله عنه بصفين وأثره على المسلمين:

يعد حديث رسول الله ﷺ لعمار رضى الله عنه: «تقتلك الفئة الباغية»^(٢) من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وقد كان لمقتل عمار رضى الله عنه أثر فى معركة صفين، فقد كان علماً لأصحاب رسول الله ﷺ يتبعونه حيث سار، وكان خزيمة بن ثابت حضر صفين وكان كافاً سلاحه، فلما رأى مقتل عمار سل سيفه وقاتل أهل الشام، وذلك لأنه سمع حديث رسول الله ﷺ عن عمار: تقتله الفئة الباغية^(٣)، واستمر فى القتال حتى قتل^(٤). وكان لمقتل عمار أثر فى قادة معسكر معاوية فهذا أبو عبد الرحمن السلمى دخل فى معسكر أهل الشام فرأى معاوية وعمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو، وأبى الأعور السلمى، عند شرعة الماء يسقون- وكانت هى شريعة الماء الوحيدة التى يستقى منها الفريقان، وكان حديثهم عن مقتل عمار بن ياسر، إذ قال عبد الله بن عمرو لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «تقتله الفئة الباغية». فقال عمرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، فقال معاوية: اسكت فوالله ماتزال تدحض^(٥) فى بولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به^(٦)، فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار فى الهشيم، وجاء فى رواية صحيحة أن عمرو بن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال: قتل عمار وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «تقتله الفئة الباغية» فقام عمرو بن العاص فرعاً يرجع حتى دخل معاوية فقال له معاوية:

(١) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٤).

(٢)، (٣) مسلم، رقم (٢٩١٦).

(٤) خلافة على، ص (٢١١) مجمع الزوائد (٧٢٤٢) وقال فيه: ورواه الطبرانى وفيه معشر وهو لين.

(٥) الدحض: الزلق والداحض من لا ثبات له ولا عزيمة فى الأمور.

(٦) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٤٠) بسند صحيح.

ما شأنك؟ فقال: قُتل عمار قال: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «تقتلك الفئة الباغية»، فقال له معاوية: دحضت في بولك، أو نحن قتلناه، إنما قتله على وأصحابه، جاءوا به حتى ألقيوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا^(١)، وفي رواية صحيحة أيضاً: جاء رجلان عند معاوية يختصمان في رأس عمار يقول كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية»، قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله : فقال رسول الله : أطمع أباك مادام حياً ولا تعصه، فأنا معكم ولست أقاتل^(٢).

من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابي الفقيه عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما حريص على قول الحق، والنصح، فقد رأى أن معاوية وجنده هم الفرقة الباغية لقتلهم عماراً، فقد تكرر منه هذا الاستنكار في مناسبات مختلفة، ولا شك أن مقتل عمار رضى الله عنه قد أثر في أهل الشام بسبب هذا الحديث، إلا أن معاوية رضى الله عنه أول الحديث تأويلاً غير مستساغ، ولا يصح في أن الذين قتلوا عماراً هم الذين جاءوا به إلى القتال^(٣)، وقد رد على رضى الله عنه على قول معاوية بأن قال: فرسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من على إلزام لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها^(٤)، وقد أثر مقتل عمار كذلك على عمرو بن العاص، بل كان استشهاد عمار دافعاً لعمرو بن العاص للسعى لإنهاء الحرب^(٥)، وقد قال رضى الله عنه: وددت أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة^(٦)، وقد جاء في البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قال عمار: أعوذ بالله من الفتنة^(٧)، وقال ابن عبد البر: تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال: تقتل

(١) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٤٠) بسند صحيح.

(٢) مسند أحمد (١١/ ١٣٨، ١٣٩).

(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (٣٢٥).

(٤) التذكرة (٢/ ٢٢٣).

(٥) معاوية بن أبى سفيان، الغضبان، ص (٢١٥).

(٦) أنساب الأشراف (١/ ١٧٠)، عمرو بن العاص للغضبان، ص (٦٠٣).

(٧) البخارى، رقم (٤٤٧).

عمار الفئة الباغية ، وهذا من إخباره وأعلام نبوته ﷺ ، وهو من أصح الأحاديث^(١) ، وقال الذهبي بعد ما ذكر الحديث: وفي الباب عن عدة من الصحابة ، فهو متواتر^(٢) .

٤- فهم العلماء لحديث رسول الله في عمار: تقتلك الفئة الباغية^(٣)

أ- قال ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، وفضيلة ظاهرة لعلی وعمار ، ورد على النواصب^(٤) الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه^(٥) ، وقال أيضاً: دل الحديث: تقتل عماراً الفئة الباغية ، على أن علياً كان المصيب في تلك الحروب ، لأن أصحاب معاوية قتلوه^(٦) .

ب- يقول النووي: وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة لهذا الحديث^(٧) .

ج- قال ابن كثير: كان على وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية ، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ، قال: حدثني من هو خير مني -يعني أبا قتادة- أن رسول الله ﷺ قال لعمار: تقتلك الفئة الباغية^(٨) ، وقال أيضاً: وهذا مقتل عمار بن ياسر رضى الله عنهما مع أمير المؤمنين على بن أبي طالب قتله أهل الشام ، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول ﷺ

(١) الاستيعاب (٣/ ١١٤٠) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٢١) .

(٣) مسلم ، رقم (٥٩١٦) .

(٤) المقصود بالنواصب هي إحدى طوائف أهل البدع التي أصيبت في معتقدها بعدم التوفيق للاعتقاد السديد في الصحابة ، فقد زين لهم الشيطان اعتقاد عدم محبة رابع الخلفاء الراشدين وأحد الأئمة المهديين على ابن أبي طالب رضى الله عنه وحملهم على التدين ببيغضه وعداوته والقول فيه بما هو برئ منه كما تعدى بغضهم إلى غيره من أهل البيت كابنه الحسين بن على وغيره .

(٥) فتح الباري (١/ ٦٤٦) .

(٦) المصدر نفسه (١٣/ ٩٢) .

(٧) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٨) .

(٨) البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠) .

من أنه تقتله الفئة الباغية، وبأن بذلك أن علياً محق، وأن معاوية باغ، وما فى ذلك من دلائل النبوة^(١).

ج- وقال الذهبى: هى طائفة من المؤمنين، بغت على الإمام على، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار: تقتلك الفئة الباغية^(٢).

د- قال القاضى أبو بكر العربى: فى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ﴾ هذه الآية أصل فى قتال المسلمين، والعمدة فى حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة وإليها لجأ الأعيان من هذه الأمة، وإياها عنى النبى ﷺ بقوله: تقتل عمار الفئة الباغية^(٣).

هـ- وقال ابن تيمية: وهذا يدل على صحة إمامة على ووجوب طاعته وأن الداعى إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعى إلى مقاتلته داع إلى النار- وإن كان متأولاً- وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال على، وعلى هذا فمقاتله مخطئ- وإن كان متأولاً- أو باغ- بلا تأويل- وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً، وهو مذهب الأئمة لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين^(٤)، وقال أيضاً: مع أن علياً أولى بالحق مما فارقه، ومع أن عمار قتله الفئة الباغية- كما جاءت به النصوص- وعلياً أن يؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله، ولا يكون لنا هوى، ولا نتكلم بغير علم، بل نسلك سبل العلم والعدل، ذلك هو اتباع الكتاب والسنة، وأما من تمسك ببعض الحق دون بعض، هذا منشأ الفرقة والاختلاف^(٥).

و- وقال عبد العزيز بن باز: وقال ﷺ فى حديث عمار «تقتل عمار الفئة الباغية»: فقتله معاوية وأصحابه فى موقعة صفين، فمعاوية وأصحابه بغاة، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون فى المطالبة بدم عثمان^(٦).

(١) البداية والنهاية (٢٧٧/٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠٩/٨).

(٣) أحكام القرآن (١٧١٧/٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٤٣٧/٤).

(٥) المصدر نفسه (٤٤٩/٤، ٤٥٠).

(٦) فتاوى ومقالات متنوعة (٨٧/٦).

ز- وقال سعيد حوى: بعد أن قتل عمار الذى وردت النصوص مبينة أنه تقتله الفئة الباغية، تبين للمتريدين أن علياً كان على حق وأن القتال معه كان واجباً، ولذا عبر ابن عمر عن تخلفه بأنه يأسى بسبب هذا التخلف، وما ذلك إلا أنه ترك واجباً وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق، كما أفتى بذلك الفقهاء^(١)، لقد كان الحسن بن على رضى الله عنه على يقين راسخ ومعرفة متينة بأن والده كان على الحق.

٥- موقف الحسن بن على من تلك الحروب:

كان موقف الحسن بن على رضى الله عنه هو موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التى وقعت بين الصحابة الكرام رضى الله عنهم، وهو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رضى الله عنهم لما يسببه الخوض فى ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يجب الجميع ويرضى عنهم، ويترحم عليهم، ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم، وأن الذى حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد والجميع مثابون فى حالتى الصواب والخطأ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ فى اجتهاده، وأن القاتل والمقتول من الصحابة فى الجنة، ولم يجز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم، وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التى تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة أذكر بعض النصوص التى فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال وبما وصفوا به فيها وتلك النصوص هى^(٢):

أ- قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] ففى هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال لأنهم إخوة، وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان، وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين ولم

(١) الأساس فى السنة (٤/ ١٧١).

(٢) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٧٢٧).

يخرجهم ذلك من الإيمان لأن الله ذكر في الآية التي بعدها ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ ، فأصحاب رسول الله الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية، فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيماناً حقيقياً ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال لأنه كان عن اجتهاد^(١).

ب- وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»^(٢)، والفرقة المشار إليها في الحديث ما كان من الاختلاف بين على ومعاوية رضى الله عنهما، وقد وصف ﷺ الطائفتين معاً بأنهما مسلمتان وأنها متعلقتان بالحق، والحديث علم من أعلام النبوة، إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة، والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب على أدنى الطائفتين إلى الحق وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، والذي عليه الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن علياً هو المصيب وأن معاوية كان مجتهداً وهو مأجور إن شاء الله ولكن على هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخارى: إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ له أجر^(٣).

ج- وعن أبى بكره قال: بينما النبى ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبى ﷺ: ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين^(٤). ففى هذا الحديث شهادة النبى ﷺ بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام، والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين كفروا علياً ومن معه ومعاوية ومن معه بما تضمنته الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام، ولذا كان يقول سفيان بن عيينة: قوله: فئتين من المسلمين يعجبنا جداً. قال البيهقى: وإنما أعجبهم لأن النبى ﷺ سماهم

(١) العواصم من القواصم، ص (١٦٩، ١٧٠) أحكام القرآن (٤/١٧١٧).

(٢) مسلم (٧٤٥/٢).

(٣) البخارى مع شرحه فى فتح البارى (٣١٨/١٣).

(٤) البخارى، ك الفتى، رقم (٧١٠٩).

جميعاً مسلمين وهذا خبر من رسول الله بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان^(١)، فهذه الأحاديث المتقدم ذكرها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع علي وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان، وقد وصفهم النبي ﷺ بأنهم من أمته^(٢)، كما وصفهم بأنهم جميعاً متعلقون بالحق ولم يخرجوا عنه كما شهد لهم ﷺ بأنهم مستمرين على الإيمان ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذي حصل بينهم، وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم - رضى الله عنهم - أجمعين فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم بل هم متأولون مجتهدون. وقد بين الحكم في قتالهم ذلك على بن أبي طالب رضى الله عنه كما مر معنا، فالواجب على المسلم، ومن زعم أنه محب لأهل البيت أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام مسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة والذين من أئمتهم وسادتهم أمير المؤمنين على وابناه الحسن والحسين وهو الإمساك عما حصل بينهم رضى الله عنهم ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم.

٦- استشهاد أمير المؤمنين على رضى الله عنه:

تركت معركة النهروان في نفوس الخوارج جرحاً غائراً لم تزده الأيام والليالي إلا إيلاً وحسرة، فاتفق نفر منهم على أن يفتكوا بعلى رضى الله عنه ويثأروا لمن قتل من إخوانهم في النهروان، واستطاع عبد الرحمن بن ملجم أن يقتل أمير المؤمنين على بالغدر. وهذا محمد بن الحنفية يروى لنا قصة مقتل أمير المؤمنين، فقد قال: كنت والله إننى لأصلى تلك الليلة التى ضرب فيها على فى المسجد الأعظم فى رجال كثير من أهل المصر، يصلون قريباً من السدة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره، إذ خرج على لصلاة الغداة، فجعل ينادى: أيها الناس، الصلاة الصلاة، فما أذرى أخرة من السدة، فتكلم بهذه الكلمات أم لا؟، فنظرت إلى بريق، وسمعت: الحكم لله يا على لا

(١) الاعتقاد للبيهقى، ص (١٩٨) فتح البارى (١٣/٦٦).

(٢) مسلم (٧٤٦/٢).

لك ولا لأصحابك، فرأيت سيقاً، ثم رأيت ثانياً، ثم سمعت علياً يقول: لا يفوتكم الرجل وشد الناس عليه من كل جانب، قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علي، فدخلت فيما دخل من الناس، فسمعت علياً يقول: النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي^(١)، وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر علي، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه، إذ نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي: أى عدو الله لا بأس على أبى، والله مخزبك، قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسمته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقى منهم أحد^(٢)، وقد جمع الأطباء لعلى رضى الله عنه يوم جرح وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمر السكوني، وكان صاحب كسرى يتطبب، فأخذ أثير رئة شاه حارة، فتبع عرقاً منها، فاستخرجه، فأدخله فى جراحة على، ثم نفخ العرق واستخرجه فإذا عليه يياض الدماغ وإذا الضربة قد وصلت إلى أم رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فإنك ميت^(٣)، وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على علي فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين إن فقدناك - ولا نفقدك - فنبايح الحسن؟ قال: ما أمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر^(٤)، ومن هذا الأثر يظهر إيمان أمير المؤمنين على بحق الأمة فى اختيار خليفتها.

٧- وصية أمير المؤمنين على للحسن والحسين رضى الله عنهم:

دعا أمير المؤمنين حسن وحسيناً، فقال: أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شئ زوى عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم وأغنيا الملهوف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً، واعملا بما فى الكتاب ولا تأخذكما فى الله لومة لائم، ثم نظر إلى محمد بن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك^(٥)، قال: نعم، قال: فإنى أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك، لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، فلا تقطع أمراً دونهما ثم

(١)، (٢) تاريخ الطبرى (٦/٦٢).

(٣) الاستيعاب (٣/١١٢٨).

(٤) تاريخ الطبرى (٦/٦٢).

(٥) المصدر نفسه (٦/٦٣).

قال: أوصيكمما به، فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه، وقال للحسن: أوصيك أي بنى بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر والتعهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش^(١).

فلما حضرته الوفاة أوصى فكانت وصيته: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به على بن أبي طالب، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيك يا حسن وجميع أهلي وولدي بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون فاعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا، فإني سمعت أبا القاسم يقول: «إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام» وانظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام، فلا تعنوا أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم، الله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ﷺ مازال يوصى به حتى ظننا أنه سيورثه، الله الله في القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم ينظر، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم فإن الله أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم، والله الله في ما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة، ولا تخافن في الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم وقولوا لله حسناً كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى الأمر شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم. وعليكم بالتواصل والتبازل، وإياكم والتدابير والتقاطع والتفرق، وتعانوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله

(١) تاريخ الطبري (٦/٦٣).

من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم، استودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض رضى الله عنه^(١).

وجاء فى رواية أخرى: يا بنى، أوصيكم بتقوى الله فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر والعدل على الصديق والعدو، والعمل فى النشاط والكسل، والرضا عن الله فى الشدة والرخاء، يا بنى ما شر بعده الجنة بشر، ولا خير بعده نار بخير، وكل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون النار عافية، يا بنى من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن رضى بقسم الله لم يحزن على ما فاتة، ومن سل سيف بغى قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها، ومن هتك حجاب أخيه كشف عورات نفسه، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئته غيره، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن خالط الأندال احتقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن جالس العلماء وقّر، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شىء عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطاه، ومن كثر خطاه قل حياؤه، ومن قلّ حياؤه قل ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار. يا بنى، الأدب خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين، يا بنى العافية عشرة أجزاء: تسعة منها فى الصمت إلا من ذكر الله، وواحدة فى ترك مجالسة السفهاء، يا بنى زينة الفقر الصبر، وزينة الغنى الشكر، يا بنى لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعز من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع، ولا شفيع أنجح من التوبة، ولا لباس أجمل من العافية، الحرص مفتاح التعب ومطية النصب، والتدبير قبل العمل يؤمنك الندم، فبئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد، طوبى لمن أخلص لله علمه وعمله وحبّه وبغضه وأخذّه وتركه، وكلامه وصمته وقوله وفعله^(٢).

٨- نهى أمير المؤمنين على عن المثلة بقاتله:

قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: احبسوا الرجل فإن مت فاقتلوه وإن أعش فالجروح قصاص^(٣). وفى رواية أخرى قال: أطعموه وأسقوه وأحسنوا إيساره، فإن

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٤).

(٢) الشهب اللامعة فى السياسة النافعة لابن رضوان، ص (٦٣٢، ٦٣٣).

(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٥٦٠) بسند حسن.

صححت فأنا ولى دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت^(١)، وفى رواية أخرى زيادة، وهى قوله: إن مت فاقتلوه قتلتي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين^(٢)، وقد كان على نهى الحسن عن المثلة، وقال: يا بنى عبد المطلب، لا ألفيتكم تخوضون دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقتلن. انظر يا حسن، إن من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل، فإننى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور»^(٣)، وقد جاء فى شأن وصية أمير المؤمنين بأمر قاتله روايات كثيرة تتفاوت منها الصحيح ومنها الضعيف، فالرواية التى فيها أمر على رضى الله عنه بإحراق الشقى بعد قتله إسنادها ضعيف، والروايات الأخرى تسير فى اتجاه واحد فكلها فيها أمر على رضى الله عنه بقتل الرجل إن مات من ضربته ونهاهم عما سوى ذلك، فهذه الروايات يعضد بعضها، وتنهض للاحتجاج بها، هذا من جهة، كما أن أمير المؤمنين لم يجعله مرتدًا، فيأمر بقتله، بل نهاهم عن ذلك لما هم بعض المسلمين بقتله وقال: لا تقتلوا الرجل، فإن برئت فالجروح قصاص، وإن مت فاقتلوه^(٤)، وتذكر الرواية التاريخية المشهورة: فلما قبض على رضى الله عنه بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن: هل لك فى خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهدًا إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهدًا عند الحطيم أن أقتل عليًا ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خلعت بينى وبينه، ولك الله على إن لم أقتله - أو قتلته ثم بقيت، أن آتيك حتى أضع يدي فى يدك، فقال له الحسن: أما والله حتى تعالين النار ثم قدمه فقتله^(٥)، ثم إن الناس أخذوه، فأحرقوه بالنار، ولكن هذه الرواية منقطعة^(٦).

(١) المحن لابن أبى العرب، ص (٩٤)، خلافة على، ص (٦٣٩) عبد الحميد على.

(٢) الطبقات (٣/٣٥).

(٣) تاريخ الطبرى (٦/٦٤).

(٤) منهاج السنة (٥/٢٤٥).

(٥) تاريخ الطبرى (٦/٦٤).

(٦) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (٤٤٠).

والصحيح من الروايات والذي يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين على في معاملة عبد الرحمن بن ملجم، وفيها يظهر خلق الإسلام العظيم في النهي عن المثلة والالتزام بالقصاص الشرعى. ولا تثبت الرواية التى تقول: فلما دفن أضروا ابن ملجم، فاجتمع الناس، وجاءوا بالنفط والبوارى، فقال محمد بن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب: دعونا نشنف منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه، فلم يجزع، ولم يتكلم، فكحل عينيه، فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحل عيني عمك وجعل يقرأ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان ثم أمر به فعولج عن لسانه ليُقطع فجزع، ف قيل له فى ذلك. فقال: ما ذاك بجزع ولكنى أكره أن أبقى فى الدنيا فواقاً لا أذكر الله فقطعوا لسانه، ثم أحرقوه، وكان أسمر، حسن الوجه، أفلج، شعره من شحمة أذنيه، وفى جبهته أثر السجود^(١).

وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق فى الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبأ منهم ونبغضهم فى الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل^(٢).

٩- خطبة الحسن بن على رضى الله عنهما بعد مقتل أبيه:

عن عمر بن حبشى قال: خطبنا الحسن بن على بعد قتل على رضى الله عنه، فقال: لقد فارقم رجل أمس ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ ليعثه ويعطيه الراية فلا ينصرف^(٣)، حتى يُفتح له، ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطاء كان يرصدها لخدام أهله^(٤).

(١) طبقات ابن سعد (٣/٣٩) الأخبار الطوال، ص (٢١٥).

(٢) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص (٦٥٤).

(٣) فضائل الصحابة (٢/٧٣٧) إسناده صحيح: فلا ينصرف: فلا يرجع.

(٤) فضائل الصحابة (٢/٧٣٧) إسناده صحيح.

ولما جاء خير قتل على إلى معاوية جعل يبكى، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدريين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم^(١)، وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له على بن أبى طالب رضى الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبى طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعنى عنك^(٢).

وللتعرف على شخصية على عندما طلب معاوية رضى الله عنه فى خلافته من ضرار الصدائى أن يصف له علياً، فقال: أعفنى يا أمير المؤمنين قال: لتصفنه، قال: أما إذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً^(٣) ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قُصر ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا، يجيئنا إذا سألناه وينبئنا إذا استبأناه، ونحن - والله - مع تقريبه إيانا وقربه منا - لا نكاد نكلمه هية له، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، ولا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف فى عدله، وأشهد أنى قد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله^(٤) وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تلمل السليم^(٥)، ويبكى بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غرى غبرى، إلىّ تعرضت أم إلىّ تشوّفت؟ هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها؛ فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد وبعد السفر، ووحشة الطريق فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها وهو فى حجرها^(٦). وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله ﷺ

(١) البداية والنهاية (١٣٣/٨).

(٢) الاستيعاب (١١٠٨/٣).

(٣) المصدر نفسه (١١٠٧/٣).

(٤) سدوله: سدله.

(٥) تلمل السليم: يعنى الملدوغ كانت العرب تسميه كذلك للتناول ببرئه.

(٦) الاستيعاب (١١٠٨/٣).

فى المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتى بعلى ومعاوية فأدخلا بيتاً^(١) وأجيف الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج على وهو يقول: قضى لى ورب الكعبة، ثم ما كان بأسرع من خرج معاوية وهو يقول: غفر لى ورب الكعبة^(٢)، وروى ابن عساكر عن أبى زرعة الرازى أنه قال له رجل: إنى أبغض معاوية فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل علياً، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فأيش دخولك أنت بينهما؟ رضى الله عنهما^(٣).

(١) أجيف الباب: رد وأغلق.

(٢)، (٣) البداية والنهاية (٨/١٣٣).

الفصل الثانى

بيعة الحسن بن على بن أبى طالب
وأهم صفاته وبعض مواقفه فى الحياة
الاجتماعية ومشروعه الإصلاحى
الذى توج بوحدة الأمة

المبحث الأول

بيعة الحسن بن على رضى الله عنهما

كانت بيعة الحسن بن على رضى الله عنهما فى شهر رمضان من سنة ٤٠ هـ وذلك بعد استشهاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه على يد الخارجى عبد الرحمن بن ملجم المرادى^(١)، وقد اختار الناس الحسن بعد والده ولم يعين أمير المؤمنين أحداً من بعده، فعن عبد الله بن سبيع قال: سمعت علياً يقول: لتخضبن هذه من هذا^(٢) فما ينتظر بى الأشقى^(٣)، قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نبير عترته^(٤)، قال: إذن تالله تقتلون بى غير قاتلى. قالوا: فاستخلف علينا قال: لا، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ، قالوا: فما تقول لربك إذا أتيت، قال وكيع^(٥) مرة: إذا لقيته قال: أقول: اللهم تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم^(٦)، وفى رواية: أقول: اللهم استخلفتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني وتركتك فيهم^(٧).

وبعد مقتل على صلى عليه الحسن بن على وكبر عليه أربع تكبيرات، ودفن بالكوفة، وكان أول ما بايعه قيس بن سعد، قال له: ابسط يدك أبابيعك على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه، وقتال المحلّين، فقال له الحسن رضى الله عنه: على كتاب الله وسنة نبيه، فإن ذلك يأتى من وراء كل شرط، فبايعه وسكت، وبايعه الناس^(٨)، وقد اشترط الحسن بن على على أهل العراق عندما أرادوا بيعته فقال لهم: إنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالت، وتحاربون من حاربت^(٩)، وفى

(١) الطبقات (٣٨-٣٥/٣) تحقيق د. إحسان عباس.

(٢) أى لتخضبن لحيته من دم رأسه.

(٣) مجمع الزوائد (١٣٩/٩) مسند أحمد (٣٢٥/٢) حسن لغيره.

(٤) نبير عترته: نهلك أقرباءه، لسان العرب (٥/٤) (٥٣٨/٤).

(٥) وكيع بن الجراح، ثقة حافظ عابد، التقريب ٥٨١.

(٦) مسند أحمد (٣٢٤/٢) حسن لغيره الموسوعة الحديثة.

(٧) كشف الأستار عن زوائد البزار (٢٠٤/٣).

(٨) تاريخ الطبرى (٧٣/٦).

(٩) المصدر نفسه (٧٧/٦).

رواية قال لهم: والله لا أبايكم إلا على ما أقول لكم قالوا: ماهو؟ قال: تسالمون من سالت، وتحاربون من حارب^(٢)، وفي رواية ابن سعد: إن الحسن بن علي بن أبي طالب بايع أهل العراق بعد عليّ عليّ يبعين، بايعهم على الإمرة، وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه، ويرضوا بما رضى به^(٣)، ويستفاد من الروايات ابتداء الحسن رضى الله عنه في التمهيد للصالح فور استخلافه والذي سيأتى تفصيله لاحقاً بإذن الله تعالى، ومن دراستنا لبيعة الحسن نستنبط دروساً وعبراً وفوائد منها:

أولاً: بطلان قضية النص على خلافة الحسن:

عند حديثنا عن بيعة الحسن رضى الله عنه تبرز أماننا قضية يروج لها الشيعة الإمامية بقوة ألا وهى قضية النص على خلافة الحسن رضى الله عنه من قبل والده على بن أبي طالب رضى الله عنه^(٣)، وهذا الأمر يعد من المفتريات على أمير المؤمنين على رضى الله عنه حيث لم يصح النقل عنه بذلك. إن الشيعة الرافضة يعتقدون أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ وأنها مثلها لطف من الله عز وجل، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتى بعده، وقد وضعوا على لسان أئمتهم عشرات الروايات فى ذلك، منها ما نسبوه إلى الإمام محمد الباقر رحمه الله أنه قال: أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث نشاء؟ لا والله ما هو إلا عهد من رسول الله رجل فرجل مسمى حتى تنتهى إلى صاحبها^(٤)، ويعتقد الشيعة الرافضة أن الرسول ﷺ قد نص على الأئمة من بعده وعينهم بأسمائهم وهم اثنا عشر إماماً لا ينقصون ولا يزيدون وهم:

- ١- على بن أبي طالب رضى الله عنه المرتضى توفى سنة ٤٠ هـ.
- ٢- الحسن بن على رضى الله عنه الزكى توفى سنة ٥٠ هـ.
- ٣- الحسين بن على سيد الشهداء رضى الله عنه توفى سنة ٦١ هـ.

(١) الطبقات، تحقيق د. محمد السلمي (١/٢٨٦، ٢٨٧).

(٢) المصدر نفسه (١/٣١٦، ٣١٧).

(٣) فرق الشيعة للنوبختى، ص (٢٤)، مرويات خلافة معاوية.

(٤) الإمامة والنص، فيصل نور، ص (٨).

٤- على بن الحسين - زين العابدين - توفى سنة ٩٥ هـ.

٥- محمد بن على الباقر توفى سنة ١١٤ هـ.

٦- جعفر بن محمد الصادق توفى سنة ١٤٨ هـ.

٧- موسى بن جعفر الكاظم توفى سنة ١٨٣ هـ.

٨- على بن موسى الرضا توفى سنة ٢٠٣ هـ.

٩- محمد بن على الجواد توفى سنة ٢٢٠ هـ.

١٠- على بن محمد الهادى توفى سنة ٢٥٤ هـ.

١١- الحسن بن على العسكري توفى سنة ٢٦٠ هـ.

١٢- محمد بن الحسن المهدي توفى سنة ٢٥٦ هـ.

وأساس عقيدة الوصية هو ابن سبأ وكان ينتهى بأمر الوصية عند على رضى الله عنه ولكن جاء فيمن بعد من عممها فى مجموعة من أولاده، وكانت الخلايا الشيعية الرافضية تعمل بصمت وسرية، فينفون ذلك نفياً قاطعاً، كما فعل جدّهم أمير المؤمنين على رضى الله عنه، ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت «عقيدة التقيّة» حتى يسهل نشر أفكارهم وهم فى مأمن من تأثر الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة والمعلنة للناس^(١)، إن من أخطر الأمور التى ابتدعها الشيعة الوصية وهى أن رسول الله ﷺ أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى على رضى الله عنه، وأن من سبقه مغتصبون لحقه كما جاء فى كتابهم «الكافى»: من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وكان رسول الله ﷺ وكان علياً عليه السلام^(٢). ولكن الاستقراء التاريخى لتاريخ الخلفاء الراشدين، لا نجد للوصية ذكراً فى خلافة أبى بكر ولا فى خلافة عمر رضى الله عنهما، وإنما نجد بداية ظهورها فى السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضى الله عنه، عند بزوغ قرن الفتنة، وقد استنكر الصحابة هذا القول، عندما وصل إلى أسماعهم، وبيّنوا كذبه، ومن أشهر هؤلاء على بن أبى طالب، وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنهما، ثم نرى هذا القول

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٠).

(٢) أصول الكافى (١٦/ ١٧).

يتبلور فى فكرة موجهة، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعوة إليها، وذلك فى خلافة على رضى الله عنه، وهذه الوصية التى تدعيها الرافضة فقد أثبت علماءهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ كما ذكر ذلك النوبختى والكشى، وقد فصلت ذلك فى كتابى أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، ويكفى فى الرد على زعمهم الباطل ما ورد بالنقل الصحيح عن عدد من الصحابة- رضى الله عنهم- ومنهم على رضى الله عنه نفسه والأدلة كثيرة منها:

١- ذكر عند عائشة أن النبى ﷺ أوصى إلى على، فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبى ﷺ وإنى لمسندته إلى صدرى، فدعا بالطست، فانخنث، فمات، فما شعرت فكيف أوصى إلى على^(١). وتصريح عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ لم يوص لعلى من أعظم الأدلة على عدم الوصية، فإن النبى ﷺ توفى فى حجرها ولو كانت هناك وصية لكانت هى أدرى الناس بها^(٢).

٢- وعن ابن عباس قال: إن علياً بن أبى طالب رضى الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ فى وجعه الذى توفى فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإنى والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى فى وجعه هذا، وإنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله، فلنساءله، فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان فى غيرنا علمنا فأوصى بنا، فقال على: إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها، لا يعطيناها الناس من بعده، وإنى والله لا أسألها رسول الله ﷺ^(٣)، وفى قوله رضى الله عنه شهادة للصحابة - رضوان الله عليهم- على مدى التزامهم بتنفيذ أمر رسول الله ﷺ، فلو كانت هناك وصية لما تخلف أحد عنها، ولما عبرت الأنصار عن رأيها فى السقيفة بحرية وشجاعة وصدق: منا أمير ومنكم أمير^(٤)، ولبايعوا

(١) البخارى، رقم (١٤٧١)، ك الوصايا.

(٢) بذل المجهود فى إثبات مشابهة الرافضة لليهود (١٩٠/١)

(٣) البخارى، ك المغازى، رقم: (٤٤٤٧).

(٤) البخارى، ك الحدود، رقم: (٦٨٣٠).

من عهد إليه الوصية، أو على الأقل سيذكر بعضهم، ولو كان هناك نص قبل ذلك لقال على للعباس: كيف نسأله عن هذا الأمر فيمن يكون وهو قد أوصى لى بالخلافة، وقد توفى رسول الله ﷺ فى نفس اليوم، فلما لم يوجد شيء من ذلك تبين ما يدعى من النص دعوى لا أساس لها من الصحة، وكل ما أوردوه من ذلك من التنصيص على على مردود، لمخالفته هذا النص الصريح من على رضى الله عنه، لأن كل أدلتهم السمعية إما أنها لا تدل على المدعى، وإما نصوص تدل على ذلك ولكنها موضوعة^(١).

٣- سئل على رضى الله عنه: أخصكم رسول الله بشيء فقال: ما خصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة، إلا ما كان فى قراب سيفى هذا، قال: فأخرج صحيفة مكتوباً فيها: لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثاً^(٢)، قال ابن كثير: وهذا الحديث الثابت فى الصحيحين وغيرهما عن على رضى الله عنه يرد على فرقة الرافضة من زعمهم أن رسول الله أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة، فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله فى حياته، وبعد وفاته من أن يفتشتوا عليهم فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلا! ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ، ومضادتهم لحكمه ونصه، مع ما أنزل الله من ثناء عليهم بالقرآن، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام^(٣)، قال النووى: فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة الإمامية بالوصية لعلى وغير ذلك من اختراعاتهم^(٤).

٤- وعن عمرو بن سفيان قال: لما ظهر على يوم الجمل قال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا من هذه الإمارة شيئاً حتى رأينا من الرأى أن نستخلف أبا بكر، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله^(٥).

(١) الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق على ناصر فقيهى، ص (٢٣٨).

(٢) مسلم (١٥٦٧/٣)، رقم (١٩٧٨).

(٣) البداية والنهاية (٢٢١/٥).

(٤) شرح صحيح مسلم (١٥١/١٣).

(٥) الاعتقاد، ص (١٨٤)، وقال البيهقى فى دلائل النبوة: سنده حسن.

٥- روى أبو بكر البيهقي بإسناده إلى شقيق بن سلمة، قال: قيل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: ألا نستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدى على خيرهم، كما جمعهم بعد نبهم على خيرهم^(١). فهذا دليل واضح من أن دعوى النص عليه رضى الله عنه إنما من اختلاق الرافضة الذين ملئت قلوبهم بالبغض والحقد لأصحاب رسول الله ﷺ بمن فيهم على وأهل بيته، وإنما يدعون حبهم تستراً ليتسنى لهم الكيد للإسلام وأهله^(٢).

بهذه النصوص القطعية يتضح بجلاء أن لا أصل للوصية المزعومة وأن ما اعتمد عليه الرافضة هو من وضع عبد الله بن سبأ الذى هو أول من أحدث الوصية، ثم وضعت بعد ذلك أسانيد وركبت متون نسبوها زوراً وبهتاناً إلى النبى ﷺ، وهدفهم من ذلك الطعن فى الصحابة رضوان الله عليهم لمخالفتهم أمر الرسول ﷺ وإجماعهم على ذلك، ومن ثم الطعن ورد ما نقلوه إلى أجيال المسلمين من قرآن وحديث^(٣)، قال ابن تيمية- رحمه الله- عن رده على الحلبي: وأما النص على على فليس فى شيء من كتب أهل الحديث المعتمدة، وأجمع أهل الحديث على بطلانه، حتى قال أبو محمد بن حزم، وما وجدنا قط رواية عند أحد فى هذا النص المدعى إلا رواية إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو فى خلق الله^(٤)، وقال فى موضع آخر: فعلم أن ما تدعيه الرافضة من النص هو مما لم يسمعه أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله ﷺ قديماً ولا حديثاً، ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل كما يعلمون كذب غيره من المنقولات^(٥)، وقد جاء من الغلاة فيما بعد من أحيا نظرية ابن سبأ فى أمير المؤمنين على ثم عمموها على آخرين من سلالة على والحسين فى إثارة مشاعر الناس وعواطفهم، والدخول إلى قلوبهم، لتحقيق أغراضهم ضد الدولة الإسلامية فى ظل هذا الستار، وأول من بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين

(١) الاعتقاد، ص (١٨٤) إسناده جيد.

(٢) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٦٢٠).

(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص (٦٥).

(٤) المنهاج (٨/ ٣٨٢)، الفصل (٤/ ١٦١).

(٥) المنهاج (٧/ ٥٠).

فى آل البيت، شيطان الطاق الذى تلقبه الشيعة مؤمن الطاق^(١)، وأنه حينما علم بذلك زيد بن على رحمه الله بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة، فقال له زيد: بلغنى أنك تزعم أن فى آل محمد إماماً مفترض الطاعة؟ قال شيطان الطاق: نعم، وكان أبوك على بن الحسين أحدهم، فقال: وكيف وقد كان يؤتى بلقمة وهى حارة فيبردها بيده ثم يلقمونها، أفترى أنه كان يشفق على من حر اللقمة، ولا يشفق على من حر النار؟ قال شيطان الطاق: قلت له: كره أن يخبرك، فتكفر، فلا يكون له فيك شفاعة^(٢).

وهذه القصة المروية فى أوثق كتب الرجال عندهم تبين أن هذه النظرية كانت سرية التداول لدرجة أنها خفيت على إمام من أئمة أهل البيت وهو الإمام زيد، وقد بين محب الدين الخطيب أن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة وحصر الإمامة والتشريع، وادعى العصمة لأناس مخصوصين من آل البيت^(٣)، وقد شارك شيطان الطاق رجل آخر هو هشام بن الحكم المتوفى سنة ١٧٩ هـ^(٤)، ويبدو أن عقيدة حصر الإمامة بأناس معينين سرت فى الكوفة^(٥)، بسعى مجموعة من أتباع هشام وشيطان الطاق، ففكرة حصر الأئمة بعدد معين قد وضع جذورها فى القرن الثانى زمرة ممن يدعى الصلة بأهل البيت^(٦)، أمثال شيطان الطاق وهشام بن الحكم^(٧)، ولقد اختلف اتجاهات الشيعة وتباينت مذاهبهم فى عدد الأئمة، قال فى مختصر التحفة: اعلم أن الإمامية قائلون بانحصار الأئمة، ولكنهم مختلفون فى مقدارهم، فقال بعضهم: خمسة، وبعضهم سبعة، وبعضهم ثمانية، وبعضهم: اثنا عشر، وبعضهم ثلاثة عشر^(٨)، والغريب أن القائلين بنظرية الإمامة الإلهية انقسموا إلى عدة فرق كل فريق منهم ينقل روايات مناقضة للآخر فى إمامة من يراه، ثم ينسبون ذلك لعلى رضى الله عنه.

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٠).

(٢) رجال الكشى، ص (١٨٦).

(٣) مجلة الفتح، ص (٥)، العدد (٨٦٢) عام ١٣٦٧ هـ.

(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٣).

(٥) بحار الأنوار (١/ ٢٥٩)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٥).

(٦)، (٧) أصول الشيعة (٢/ ٨٠٦).

(٨) مختصر التحفة، ص (١٩٣).

وكتب الشيعة الرافضة نقلت صورة هذا التباين والتناقض سواء كانت من كتب الإسماعيلية بمسائل الإمامة للناشئ الأكبر، أو الزينة لأبي حاتم الرازي، أو من كتب الإثنى عشرية مثل: المقالات والفرق للأشعري القمي، وفرق الشيعة للنوختي، وقضية الإمامة عندهم ليست بالأمر الفرعي الذي يكون فيه الخلاف أمراً عادياً، بل هي أساس الدين وأصله المتين، ولادين لمن لم يؤمن بإمامهم، ولذلك يُكفّر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً^(١)، أما الإثنا عشرية فقد استقر قولها- فيما بعد- بحصر الإمامة في اثني عشر إماماً، ولم يكن في العترة النبوية بنى هاشم على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم من يقول بإمامة الإثنى عشر^(٢)، إنما عرف الاعتقاد باثني عشر إماماً بعد وفاة الحسن العسكري^(٣)، إن حصر الأئمة بعدد معين عقيدة فاسدة باطلة، وأمير المؤمنين على وأولاده وأحفاده برآء منها، ففي كتب الشيعة المعتمدة في نهج البلاغة، عن على رضى الله عنه قال: دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول^(٤)، وإن الآفاق قد أغامت^(٥)، والمحجة قد تنكرت، واعلموا أنني إن أجبتكم ركبت لكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً^(٦). فلو كانت إمامة على منصوباً عليها من الله عز وجل لما جاز لعلی بن أبی طالب تحت أى ظرف من الظروف أن يقول للناس: دعوني، والتمسوا غيري ويقول أنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً، كيف والناس تريده وجاءت تبايعه^(٧). ويقول في النهج كلاماً أكثر صراحة وأشد وضوحاً حين يقول: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٧).

(٢) منهاج السنة (٢/ ١١).

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٨).

(٤) لا تصبر له ولا تطيق احتماله.

(٥) أغامت: غطيت بالغيم.

(٦) نهج البلاغة خطبة، رقم (٩٢)، ص (٢٣٦).

(٧) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٥٨).

للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار: فإن اجتمعوا على رجل سموه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى^(١)، وقد أشار أمير المؤمنين بهذه العبارة إلى حقائق جدية بالاهتمام حيث جعل:

- الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ ويدهم الحل والعقد.

- اتفاقهم على شخص سبب لمرضاة الله وعلامة لموافقة سبحانه وتعالى إياهم.

- لا تتعقد الإمامة فى زمانهم دونهم وبغير اختيارهم.

- لا يرد قولهم ولا يخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغى المتبع غير سبيل المؤمنين، فأين هم الشيعة الإثنا عشرية عن هذه التصرفات الهامة^(٢).

إن مسألة النص لا تثبت بأى وجه من الوجوه، ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردود بالكتاب والسنة، كما أنه لا يقبلها العقل ومنطق الواقع، إذ بعد انتهاء العدد المعين هل تظل الأمة بدون إمام؟ ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند الإثنى عشرية لا يتعدى قرنين ونصف إلا قليلاً وهم من ذلك الوقت إلى الآن بدون إمام بشكل فعلى وواقعى، مما ترتب على وضعهم هذا فقدانهم كل ما يزعمون من مبرر ضرورى أو مصلحة ضرورية من وجود إمام معصوم وهذا تناقض ظاهر، وقد اضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام، واختلف قولهم فى حدود النيابة، وفى هذا العصر اضطروا للخروج نهائياً عن هذا الأصل الذى هو قاعدة دينهم، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتخاب، ولكنهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعى^(٣)، وهو فعلياً غير معصوم بالاتفاق ولا عنده نص يخولّه للإمامة، وهم بهذا الأمر نسخوا فعلياً نظرية الإمامة التى شقوا بها صفوف الأمة، فأصبح الإنسان

(١) نهج البلاغة، ك إلى معاوية، رقم (٦)، ص (٥٢٦).

(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٦١).

(٣) الحكومة الإسلامية للخمينى، ص (٢٤٨)، أصول الشيعة (٢/٨١٤).

العادى حتى ولو كان من غير أهل البيت يستطيع أن يحكم ويقود بحجة أنه فقيه، وقد فصل الأستاذ أحمد الكاتب تطور الفكر السياسى الشيعى من الشورى إلى ولاية الفقيه. وتحدث عن أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنه والشورى وبين بوضوح أن الحسن بن على لم يعتمد فى دعوة الناس لبيعته على ذكر أى نص حوله من الرسول ﷺ أو من أبيه أمير المؤمنين على، وتحدث عن إيمان الحسن بن على بنظام الشورى وحق الأمة فى انتخاب إمامها، وقد تجلّى هذا الإيمان مرة أخرى عند تنازله عن الخلافة إلى معاوية واشترطه عليه العودة إلى نظام الشورى بين المسلمين، ولو كانت الخلافة بالنص من الله والتعيين من الرسول، كما تقول النظرية الإمامية، لم يكن يجوز للإمام الحسن أن يتنازل عنها لأى أحد تحت أى ظرف من الظروف، ولم يكن يجوز له بعد ذلك أن يبايع معاوية أو أن يدعو أصحابه وشيعته لبيعته، ولم يكن يجوز له أن يهمل الإمام الحسين ولأشار إلى ضرورة تعيينه من بعده، ولكن الإمام الحسن لم يفعل أى شىء من ذلك وسلك مسلكاً يوحى بالتزامه بحق المسلمين فى انتخاب خليفتهم عبر نظام الشورى، وقد ظل الشهيد الحسين رضى الله عنه ملتزماً ببيعة معاوية إلى آخر يوم من حياة الأخير، ورفض عرضاً من شيعة الكوفة بعد وفاة أمير المؤمنين الحسن بالثورة على معاوية، وذكر إن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لايجوز له نقضه، ولم يدع إلى نفسه إلا بعد وفاة معاوية الذى عهد إلى ابنه يزيد بالخلافة بعده، حيث رفض الحسين البيعة له وأصرّ على الخروج إلى العراق حيث استشهد فى كربلاء عام ٦١هـ^(١).

ثانياً: ما يحتج به الشيعة الإثنا عشرية فى أمر تحديد عدد الأئمة بما جاء فى كتب السنة:

عن جابر بن سمرة قال رسول الله : يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبى: إنه قال: كلهم من قریش^(٢)، وفى مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشرة خليفة، ثم

(١) تطور الفكر السياسى الشيعى من الشورى إلى ولاية الفقيه، ص (١٧، ١٨).

(٢) البخارى، ك الأحكام، باب الاستخلاف (١٢٧/٨).

قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبى : ما قال؟ فقال: كلهم من قریش^(١)، وفى لفظ: لايزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة^(٢)، وفى لفظ آخر: لايزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً^(٣).

وعند أبى داود: لايزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليهم الأمة^(٤). وأخرجه أبو داود أيضاً من طريق الأسود بن سعيد عن جابر بنحو ما مضى قال: وزاد فلما رجع إلى منزله أثنى قریش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: الهرج^(٥).

يتعلق الشيعة الاثنا عشرية بهذا النص ويحتجون به على أهل السنة، لا لإيمانهم بما جاء فى كتب السنة^(٦)، لكن للاحتجاج عليهم بما يسلمون به، وبالتأمل فى النص بكل حيدة وموضوعية نجد أن هؤلاء الاثنى عشر وصفوا بأنهم يتولون الخلافة، وأن الإسلام فى عهدهم يكون فى عزة ومنعة، وأن الناس تجتمع عليهم ولايزال أمر الناس ماضياً وصالحاً فى عهدهم، وكل هذه الأوصاف لاتنطبق على من تدعى الإثنا عشرية فيهم الإمامة، فلم يتول الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين على والحسن، كما لم يقم أمر الأمة فى مدة أحد من هؤلاء الاثنى عشر- فى نظر الشيعة أنفسهم- بل مازال أمر الأمة فاسداً.. ويتولى عليهم الظالمون بل الكافرون^(٧)، وأن الأئمة أنفسهم كانوا يتسترون فى أمور دينهم بالتقية^(٨)، وأن عهد أمير المؤمنين على وهو على كرسى الخلافة عهد تقية، كما صرح بذلك شيخهم المفيد^(٩)، فلم يستطع أن يظهر القرآن، ولا أن يحكم بجملة من أحكام الإسلام، كما صرح بذلك شيخهم الجزائري^(١٠)، واضطر إلى ممالأة الصحابة ومجاراتهم على حساب الدين، كما أقر بذلك شيخهم المرتضى^(١١).. فالحديث فى جانب ومزاعم هؤلاء فى جانب آخر، ثم أنه ليس فى الحديث حصر للأئمة

(١)، (٢)، (٣) مسلم، ك الإمامة، باب الناس (١٤٥٣/٢)

(٤) سنن أبى داود، ك المهدي (٤٧١/٤).

(٥) سنن أبى داود (٤٧٢/٤)، فتح البارى (٢١١/١٣).

(٦) أصول الشيعة الإمامية (١١٥/٢).

(٧) منهاج السنة (٢١٠/٤) المتقى، ص (٥٣٣).

(٨)، (٩)، (١٠)، (١١) أصول الشيعة الإمامية (٨١٦/٢).

بهذا العدد، بل نبوءة منه، بأن الإسلام لا يزال عزيزاً في عصور هؤلاء، وكان عصر الخلفاء الراشدين وبنى أمية عصر عزة ومنعة^(١)، ولهذا قال ابن تيمية: إن الإسلام وشرائعه في بنى أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم، ثم استشهد بحديث: لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش. ثم قال: وهكذا كان، فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة معاوية وابنه يزيد ثم عبد الملك وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باق إلى الآن. ثم شرح ذلك^(٢)، ثم إنه قال في الحديث: كلهم من قريش^(٣)، وهذا يعنى أنهم لا يختصون بعلى وأولاده، ولو كانوا مختصين بعلى وأولاده لذكر ما يميزون به، ألا ترى أنه لم يقل: كلهم من ولد إسماعيل ولا من العرب، فلو امتازوا بكونهم من بنى هاشم، أو من قبيل على لذكروا بذلك، فلما جعلهم من قريش مطلقاً علم أنهم من قريش، بل لا يختصون بقبيلة، بل بنو تيم وبنو عدى، وبنو عبد شمس، وبنو هاشم، فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل^(٤)، فإذا لم يبق من الأوصاف التي تنطبق على ما يريدون إلا مجرد العدد، والعدد لا يدل على شيء^(٥).

ثالثاً: مدة خلافة أمير المؤمنين الحسن ومعتقد أهل السنة في خلافته:

استمر أمير المؤمنين الحسن بن على بعد بيعته خليفة على الحجاز واليمن والعراق وغير ذلك نحو سبعة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: ستة أشهر، وكانت خلافته هذه المدة خلافة راشدة حقة لأن تلك المدة كانت تتمه لمدة الخلافة الراشدة التي أخبر النبي ﷺ أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً^(٦)، فقد روى الترمذى بإسناده إلى مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الخلافة في

(١) أصول الشيعة (٢/٨١٦).

(٢) منهاج السنة (٤/٢٠٦).

(٣) مسلم (٢/١٤٥٣).

(٤) منهاج السنة (٤/٢١١).

(٥) أصول الشيعة (٢/٨١٨).

(٦) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/٧٤٣).

أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك^(١)، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليمًا^(٢)، وبذلك يكون الحسن بن علي رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين^(٣). وعند الإمام أحمد من حديث سفينة أيضاً بلفظ: الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك^(٤)، وعند أبي داود بلفظ: خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك من يشاء أو ملكه ما يشاء^(٥)، ولم يكن في الثلاثين بعده ﷺ إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن، وقد قرر جمع من أهل العلم عند شرحهم لقوله ﷺ: «الخلافة في أمتى ثلاثون سنة». أن الأشهر التي تولى فيها الحسن بن علي بعد موت أبيه كانت داخلة في خلافة النبوة ومكملة لها فقد قال كل من:

١- أبو بكر بن العربي رحمه الله: فنفذ الوعد الصادق في قوله ﷺ: الخلافة في أمتى ثلاثون سنة ثم تعود ملكاً، فكانت لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وللحسن منها ثمانية أشهر لا تزيد ولا تنقص يوماً، فسبحان المحيط لا رب غيره^(٦).

٢- وقال القاضي عياض رحمه الله: لم يكن في ثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة والأشهر التي بويع فيها الحسن بن علي.. والمراد في حديث: الخلافة ثلاثون سنة خلافة النبوة فقد جاء مفسراً في بعض الروايات: خلافة النبوة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً^(٧).

(١) سنن الترمذي مع شرحها تحفة الأحوذى (٦/٣٩٥-٣٩٧) حديث حسن.

(٢) البداية والنهاية (١١/١٣٤).

(٣) مآثر الأنافة (١/١٠٥)، مرويات خلافة معاوية، خالد الغيث، ص (١٥٥).

(٤) فضائل الصحابة (٢/٧٤٤) إسناده حسن.

(٥) صحيح سنن أبي داود (٣/٨٧٩)، سنن أبي داود (٢/٥١٥).

(٦) أحكام القرآن لابن العربي (٤/١٧٢٠).

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٢٠١).

٣- وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذى أوردناه فى دلائل النبوة^(١) من طريق سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على^(٢).

٤- وقال شارح الطحاوية: وكانت خلافة أبى بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة، وخلافة على أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر^(٣).

٥- وقال المناوى: بعد ذكره لقوله ﷺ: «ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(٤)، قال: وكان ذلك فلما بويع له بعد أبيه وصار هو الإمام الحق مدة ستة أشهر تكملة للثلاثين سنة التى أخبر المصطفى ﷺ إنها مدة الخلافة وبعدها يكون ملكاً..^(٥).

٦- وقال ابن حجر الهيثمى: هو آخر الخلفاء الراشدين بنص جده ﷺ، ولى الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة، فأقام بها ستة أشهر وأياماً، خليفة حق وإمام عدل وصدق تحقيقاً لما أخبر به جده الصادق المصدق بقوله: الخلافة بعدى ثلاثون سنة^(٦)، فإن تلك الستة الأشهر هى المكملة لتلك الثلاثين، فكانت خلافته منصوباً عليها وقام عليها إجماع من ذكر، فلا مزية فى حقيقتها^(٧).

إن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن خلافة الحسن بن على كانت خلافة حقة وأنها جزء مكمل لخلافة النبوة التى أخبر النبى ﷺ أن مدتها ستكون ثلاثين سنة^(٨).

(١)، (٢) البداية والنهاية (١١/١٣٤).

(٣) شرح الطحاوية، ص ٥٤٥.

(٤) البخارى (٩٤/٧).

(٥) فيض القدير (٩٠٩/٢).

(٦)، (٧) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/٣٩٧).

(٨) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/٧٤٨).

رابعاً: خطب لاتصح للحسن بعد مقتل والده:

ونور هذا المبحث لمعرفة الباطل والتحذير منه كما قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وقد اخترع الشيعة الرافضة الكثير من الخطب ونسبوها كذباً وبهتاناً للحسن بن علي رضي الله عنه، وإليك نماذج من ذلك منها:

أيها الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا الحسن بن علي، أنا البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٢] فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت^(١).

ونسجوا خطبة لأبي الأسود الدؤلي إلى أن قالوا: ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ثم قال: وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله ﷺ وابنه وسليبه وشبيهه في خلقه وهديه، وإنى لأرجو أن يجبر الله به ما وهى، ويسد به ما انثلم. ويجمع به الشمل، ويطفئ به نيران الفتنة فبايعوه ترشدوا، فبايعت الشيعة كلها وتخلف ناس ممن كان يرى رأى العثمانية وهربوا إلى معاوية^(٢).

وذكروا رسائل مطولة من الحسن إلى معاوية يدعوه لبيعته ويدلى بحجته وأحقية وهى لا تثبت من حيث السند والمتن، وإنما ذكرت فى كتب الشيعة الرافضة العارية من الأسانيد الصحيحة، المتعارضة مع ما ثبت عن الحسن بن علي فى خلافته^(٣)، ويكفى أن تلك المراجع تحدث فيها علماء وأهل السنة وبينوا زيفها وبطلانها، وأنها ليست بحجة فى مجال الاعتقاد والأحكام والعلاقة بين الصحابة الكرام، ويكفى أن النصوص السالفة الذكر من كتاب مقاتل الطالبين والأغانى للأصفهاني ومن كتاب نهج البلاغة، وقد تحدث العلماء عن الأصفهاني وكتابه وكذلك نهج البلاغة فقالوا:

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني، ص (٥١، ٥٢).

(٢) الأغانى لأبي فرج الأصفهاني (١/١٢١).

(٣) الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي محمد ماهر حمادة، ص (٩٠ - ٩٥).

١- الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني:

يعتبر كتاب الأغاني لأبى فرج الأصفهاني كتاب أدب وسمر وغناء ومجون وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، وله طنين ورنين فى آذان أهل الأدب والتاريخ، ولقد تحدث العلماء فيه قديماً فقالوا:

- قال الخطيب البغدادي: كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئاً كثيراً من الصحف، ثم تكون كل رواياته منها.

- قال ابن الجوزي: .. ومثله لا يوثق بروايته، يصح فيه وكتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني، رأى كل قبيح ومنكر^(١).

- قال الذهبي: رأيت شيخنا تقي الدين بن تيمية يضعفه ويتهمه فى نقله، ويستهل ما يأتى به^(٢).

وقد تحدث عنه بعض المعاصرين فقالوا:

- قال الأستاذ شوقي أبو خليل مقومًا مصادر فيليب حتى فى كتابه تاريخ العرب المطول ما نصه: واعتمد حتى كتاب الأغاني للأصفهاني، وهو ليس كتاب تاريخ يعتمد أيضاً، إنه كتاب أدب، وهذا لا يعنى مطلقاً أن كل كتاب أدب لا يؤخذ به، بل يعتمد إن كان صاحبه ثقة، معروفاً عنه الأمانة فى النقل والرواية. إن كتاب الأغاني الذى جعله حتى مرجعاً تاريخياً معتمداً، صاحبه متهم فى أمانته الأدبية والتاريخية، جاء فى ميزان الاعتدال فى نقد الرجال: أن الأصفهاني فى كتابه الأغاني كان يأتى بالأعاجيب يحدثنا وأخبرنا. ومن يقرأ الأغاني يرى حياة العباسيين لهواً ومجوناً وغناء وشراباً.. وهذا يناسب المؤلف وخياله وحياته، ومن يرجع إلى كتب التاريخ الصحيحة يجد صورة أخرى فيها علم وجهاد وأدب، فكتاب الأغاني ليس كتاب تاريخ يحتاج به^(٣).

(١) المتظم (٧/ ٤٠، ٤١).

(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٣).

(٣) موضوعية فيليب حتى فى كتابه تاريخ العرب المطول، ص (١٨٧).

- وقال أبو عبيدة مشهور بن حسن آل مشهور: .. لابد من ذكر أمر هام تفتن إليه بعض الباحثين وهو أن أهواء وميول أبي فرج الشيعية لها دور بارز ظهر فيما دونه في كتابه هذا، قال الدكتور محمد أحمد خلف الله في خاتمة كتابه أبو الفرج الأصفهاني ما نصه: ولقد وقفنا على ما لأبي فرج من ميول وأهواء، فيجب أن نحذر هذه الميول وهذه الأهواء كلما حاولنا الاعتماد على ما خلف الرجل من مرويّات، فقد يكون الرجل مضللاً، وقد يكون صاحب غرض وهوى، وليس يخفى أن للأهواء حكمها في التاريخ، وهو حكم قد يملئ رغبته لا في ذكر الأخبار فحسب وإنما أيضاً في الكتمان^(١).

وأخيراً لماذا هذا التحذير؟ وقد يتساءل البعض: لماذا هذا التفصيل في التحذير من هذا الكتاب؟ والجواب: كان هذا التحذير لأسباب كثيرة هي:

أ- لشهرة هذا الكتاب وصيته الذائع.

ب- لاعتماد كثير من أهل التغريب عليه.

ج- لما حواه من أخبار فيها قدح في الإسلام والصحابة والخلفاء والولاة الصالحين العادلين.

د- لحرص غير واحد من المعاصرين على إظهار ما فيه على أنه حق وصدق، وقد كتب في ذلك وحرص عليه شفيق جبري في كتاب دراسة الأغاني الذي وضعه بتشجيع من طه حسين. والخلاصة أن هذا الكتاب على الرغم من قيمته الأدبية وأسلوبه القوي الأخاذ، إلا أن أخباره ومادته تحتاج إلى وقفات ونقادات^(٢).

- قال الأستاذ وليد الأعظمي: في كتابه السيف اليماني في نحر الأصفهاني في مقدمة كتابه بعد كلام: من هنا بدأت أنظر إلى كتاب الأغاني نظرة جديدة، ورجعت إلى كتب التضعيف، والتوثيق والجرح والتعديل، فوجدت الأصفهاني رجلاً غير مأمون، ولا يوثق به عند علمائنا الأجلاء المدققين المحصنين، وسلخت من عمري سنتين كاملتين متفرغاً لكتاب الأغاني أتملى نصوصه، وأقواله، وأقف

(١) أبو الفرج الأصفهاني، ص (٢٣٥)، كتب حذر منها العلماء (٢/ ٣٠).

(٢) كتب حذر منها العلماء (٢/ ٣٠، ٣١).

عند كل خبر من أخباره، حتى فُلِّت سطورهِ وكلماته، واستخرجت قمله من بين شعراته، واصطبرت عليه اضطبار المجاهدين المرابطين على الثغور، فرأيت نيران الشعوبية والحقد وهى تغلى فى الصدور كغلى القدور، وشعرت بنبال الأعداء تتوجه إلينا، وسهامهم تتثال علينا، ورددت قول الشاعر:

لو كان سهمًا لاتقيته ولكنهم وثن وثن وثالث

فتمرت عن ساعد الجد لأميز الهزل من الجدّ، والسّم من الشهد، . . ورحت أفحص رجال السند الذين روى عنهم الأصفهاني، وبحثت عنهم فى كتب نقد الرجال، وقرأت ما جاء فيهم من أقوال، فوجدت فيهم كل داهية دهياء، وبلية سوداء عمياء من الكذابين والمجروحين والمطعون عليهم، فعزلت أولئك الكذابين وعرفت بهم، ثم رحت أحصى روايات الأصفهاني عن كل واحد من هؤلاء، وهالنى ما رأيت من الاعتماد على أولئك الكذابين والرواية عنهم، والاستقاء من دلائهم، والاستضاءة بنارهم، ورأيت نفسى فى وادٍ سحيق رهيب، ودخلت فى كهف مظلم كئيب، وإذا كان أولئك الرواة يكذبون فى رواية الحديث النبوى الشريف، فكيف بهم فى أخبار الناس، وقد توزّعوا إلى مذاهب وفرق وطوائف، تتحاذبهم الأهواء والمشارب والمنافع، وتتقاذف بهم المقاصد والأهداف؟.

وإذا كان الأغاني كتاب أدب وسمر وغناء وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، فليس معنى ذلك أن نسكت عمّا ورد فيه من الدس والكذب الفاضح والطعن والمعائب، وقد جمع فيه الأصفهاني كثيراً من أخبار السيرة والتفسير والفقه والأدب إلى أن قال:

واحتوى الفصل الثانى أخباراً وحكايات أوردها الأصفهاني عن آل البيت النبوى الشريف، وهى أخبار تسمى إليهم، وتجرح سيرتهم، وتشوّه سلوكهم، وتوهّن أمرهم بما يوافق هوى آل بويه الذين يزعمون الولاء لآل البيت كذباً وزوراً، وقد ناقشت تلك الأخبار وعلّقت على كل حكاية بما يناسبها. . وجعلت الفصل الرابع للأخبار والحكايات المتفرقة التى طعن فيها الأصفهاني بالعقائد الإسلامية، ولعن دين الإسلام وتفضيل الجاهلية على الإسلام، مع الكفر البواح والاستخفاف

بالصلاة والحج ويوم القيامة، مع دفاع عن البرامكة وإشادة بالفرس، وطعون مختلفة بأعلام العرب والمسلمين، وناقشت كل تلك الأخبار، وعُلِّقت عليها بما يناسب أيضاً^(١)، إلى أن قال فى الخاتمة:

بعد هذه الجولة الواسعة فى كتاب الأغانى لأبى فرج الأصفهانى، والوقوف عند أخباره ومناقشتها والتعليق عليها، أرجو أن يكون القارئ الكريم قد تبين مقاصد هذا الشعبى الحاقدا للثيم، وقد غصضت وصرفت القلم عن أخبار فظيعة وحكايات شنيعة لا يكتبها أشد الناس عداوة وبغضاً للعرب والمسلمين، فقد اتهم كثيراً من أعلامهم باللوامة، وكريم نسائهم بالسحاق، وألصق بهم السخائم من ذميم الخصال وقبيح الفعال، متستراً بظلال الأدب والسمر والمذاكرة والمؤانسة، كأن ذلك لا يحصل إلا بشتم سلف هذه الأمة المجيدة فى تاريخها وخلْقها^(٢).

- وقال أنور الجندى: ركز التغريب والغزو الثقافى على كتابى الأغانى وألف ليلة تركيزاً شديداً بهدف رفعهما إلى مرتبة المراجع الأساسية التى يعتمد عليها فى تصوير المجتمع الإسلامى، مع تجاهل عيوب الكتابين التى تحول دون اعتمادها فى المصادر الموثوق بها، أما الأول فكاتبه شعبى عدو للإسلام، وأما الثانى فهو كتاب لقيط ليس له مؤلف، أما كتاب الأغانى، فهو موسوعة فى بضعة وعشرين مجلداً، وضعها أبو فرج الأصفهانى ليسامر بها الأمراء والفارغين من المترفين فى أسمار الليل، ولم يقصد بها إلى العلم أو التاريخ، وكان الأصفهانى فى نفسه إنساناً رافضاً لمجتمع المسلمين والعرب، وله ولاء بالمولد والفكر جميعاً إلى خصوم المسلمين والباطنية والرافضة وغيرهم، ولم يكن عمله هذا إلا نوعاً من الحرب العنيفة التى شنتها الشعبوية على الإسلام والمسلمين، رغبة فى هدم فكرهم كوسيلة إلى هدم مجتمعهم. وقد حرص التغريب وأصحاب نظرية النقد الأدبى الغربى الوافدة على إلقاء الأضواء الساطعة على هذا الكتاب وإحيائه، واعتباره مرجعاً فى الدراسات الأدبية ومصدراً لتصوير المجتمع الإسلامى، وكان الدكتور طه حسين جزاء الله بما هو أهله من أبرز من دعوا إلى ذلك وألحوا عليه، فقد عمد إلى

(١) السيف اليمانى، ص (١٠-١٣).

(٢) المصدر نفسه، ص (٢٦٤).

الأغاني نفسها، فأصدر اعتماداً على قصصها أحكاماً زائفة على مجتمع المسلمين وتاريخهم أراد بها المساهمة في عملية التغريب الضخمة والتي كانت تجرى في الثلاثينيات من هذا القرن^(١). وقال: على أن أقل مواجهة لسيرة الأصفهاني تكشف عن أنه كان من الشعوبيين، وقد عرف بالتحايل والإغراق، وأثبت كثير من الباحثين والمؤرخين أنه لم يكون مؤرخاً وأكدوا أن كتابه لا يصلح لأن يكون مادة تاريخ، وإنما هو جماع لقصص وجدها في الكتب والأسواق، وأراد بها أن يسجل للأغاني والمغنيين، وهو جانب واحد في حياة المجتمع الإسلامي الحافل بالجوانب السياسية والاجتماعية والفقهية والصوفية، وقد شهد عليه الكثير من معاصريه ومؤرخيه بالانحراف ودمغه المؤرخ الیوسفی بشهادة هي في نظر العلماء كمصدر ميوثق به، إذ يقال: إن أبا الفرج أكذب الناس، لأنه كان يدخل سوق الوراقين وهي عدة من الدكاكين مملوءة بالكتب، فيشتري منها شيئاً كثيراً في الصحف ويحملها إلى بيته، ثم تكون روايته كلها منها^(٢)، وذكر عنه صاحب معجم الأدباء قوله: كان شأنه في معاقره الخمر، وحب الغلمان، ووصف النساء شأن الشعراء والأدباء الذين كانوا في عصره أو قبله، حيث يقدم دهاقين الخمارين، وجلهم من النصاري واليهود والصابئين والمجوس، وقد عرف بمعاقرته للخمر ولم تكن له عناية بتنظيف جسمه وثيابه^(٣)..

ثم قال أنور الجندي: ولست أدري كيف يصلح مثل هذا الكتاب مرجعاً في نظر الباحثين أو يمكن أن يؤتمن على رأى أو قول، ولقد عودتنا مناهج الفكر الإسلامي أن تنظر إلى كاتبه، فإن وجدناه كريماً أميناً موضع تقدير الناس بالصدق والحق، قبلنا منه، وإلا رفضنا ما يقدمه ولو كان صادقاً في بعضه^(٤). ثم قال تحت عنوان «كتاب مجون وخلاعة» ما نصه: فقد كان الأصفهاني مسرفاً، أشنع في الإسراف في الملذات والشهوات، وقد كان لهذا الجانب في تكوينه الخلقى أثر ظاهر في كتابه، فإن كتاب الأغاني أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون، وهو حين يعرض

(١) مؤلفات في الميزان، ص (١٠٠)، كتب حذر العلماء منها (٣٨/٢).

(٢) كتب حذر العلماء منها (٣٨/٢).

(٣) معجم الأدباء (١٥٣/٥).

(٤) مؤلفات في الميزان، ص (١٠٠ - ١٠٣).

للكتاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الضعيفة فى أخلاقهم الشخصية ويهمل الجوانب الجدية إهمالاً ظاهراً يدل على أنه كان قليل العناية بتدوين أخبار الجد والرزانة والتجمل والاعتسال، وهذه الناحية من الأصفهاني أفسدت كثيراً من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه، ونظرة فيما كتبه جورجى زيدان فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية، وما كتبه طه حسين فى حديث الأربعاء تكفى للاقتناع بأن الاعتماد على كتاب الأغاني جر هذين الباحثين إلى الخط من أخلاق الجماهير فى عصر الدولة العباسية، وحملهما على الحكم بأن ذلك العصر كان عصر فسق وشك ومجون. ولا شك أن إكثار الأصفهاني فى تتبع سقطات الشعراء وتلمس هفوات الكتاب جعل فى كتابه جواً مشبعاً بأوزار الإثم، والغواية، وأذاع فى الناس فكرة خاطئة هى اقتران العبقريّة بالترف والطيش^(١).

إن الخطر كل الخطر أن يطمئن الباحثون إلى أن لروايات الأغاني قيمة تاريخية، وأن يبنوا على أساسها ما يثرون من حقائق التاريخ، ولقد كان من أخطر أعمال التغريب هو توجيه الباحثين إلى اتخاذ الأغاني مصدراً لدراسة المجتمع الإسلامى، بينما قصر عند جانب واحد هو جانب اللهو، ولم يتعرض للجوانب الأخرى الجادة فى المجتمع وهى متعددة، ومن هنا يوحى حين الاعتماد عليه كمصدر أن الحياة الإسلامية فى القرن الثانى الهجرى كانت لهواً، وهو ما صرح به طه حسين ورده الكثيرون وكشفوا زيفه.. كذلك اعتمد المستشرق لامنس على كتاب الأغاني فى كتابه تاريخ بنى أمية، وكذلك ما أورده المستشرق فلهوزن فى كتابه «الدولة العربية وسقوطها»، ويحاول جبور عبد النور أن يدافع عن الأصفهاني فيسأل: أفمن الضروري إن كان المؤرخ فاسقاً أو مسرفاً يتبع الإسراف فى اللذات والشهوات أن لا يكون مؤرخاً وألا يكون صادقاً فيما يروى أو يقول أو يكتب؟ ونحن نقول له: نعم، فى فكرنا الإسلامى، فإن لم يكن فى الفكر الغربى كذلك، فهذا أمر آخر، إن فكرنا الإسلامى وضع قواعد البحث والنقد والعلم على أساس الارتباط الجذرى بين علم الباحث وشخصيته، فإن كان منحرفاً فى حياته، مضطرباً فى شخصيته، بعيداً عن الأخلاق والدين، فنحن نرفضه مصدراً علمياً ولا نقبل له شهادة، والأصفهاني بشهادة الجميع من أنصاره وخصومه على السواء مهدور الرأى، ساقط الشهادة، وإن فسقه الشخصى قد أدخل كثيراً من هواه على ما أورده، فضلاً عن

(١) مؤلفات فى الميزان ص (١٠٠ - ١٠٣) نقلاً عن كتب حذر العلماء منها (٢/ ٤٠).

انحرافه الفكرى والعقائدى والاجتماعى مما يفسد آراءه إفساداً، بالإضافة إلى أن كتاب الأغاني ليس مرجعاً علمياً، ولكنه من كتب التسلية والسمر التى كتبت لتزجية فراغ بعض المترفين، ومن هنا فإنه لا يصلح أساساً كمصدر للعلم أو مرجعاً للبحث فى الأدب والتاريخ^(١)، ولقد كان لهذا الكتاب أثر كبير فى تشويه تاريخنا ولذلك وجب التحذير منه.

٢- نهج البلاغة:

من الكتب التى ساهمت فى تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب نهج البلاغة، فهذا الكتاب مطعون فى سنده وممتنه، فقد جمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف بلا سند، وقد نسبت الشيعة الرافضة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضى وهو غير مقبول عند المحدثين - لو أسند - خصوصاً فيما يوافق بدعته فكيف إذا لم يسند كما فعل فى النهج؟ وأما المتهم - عند المحدثين - بوضع النهج فهو أخوه على^(٢)، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

- قال ابن خلكان فى ترجمة الشريف المرتضى: وقد اختلف الناس فى كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه هل جمعه؟ أم جمع أخيه الرضى؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام على، وإنما الذى جمعه ونسبه إليه هو الذى وضعه^(٣)، والله أعلم.

- وقال الذهبى فى ترجمة المرتضى أبى طالب على بن حسين بن موسى الموسوى المتوفى سنة ٤٣٦هـ: هو جامع كتاب نهج البلاغة المنسوبة ألفاظه إلى الإمام على رضى الله عنه، ولا أسانيد لذلك، وبعضها باطل وفيه حق، لكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها، ولكن، أين المنتصف؟ وقيل: بل جمع أخيه الشريف الرضى^(٤) وقال أيضاً: وفى توأليفه سب أصحاب رسول الله ﷺ، فنعوذ بالله من علم لا ينفع^(٥)، وقال أيضاً فى ترجمته: وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة، وله مشاركة قوية فى العلوم، ومن طالع كتابه نهج البلاغة،

(١) مؤلفات فى الميزان، ص (١٠٠-١٠٣).

(٢) الأدب الإسلامى، نايف معروف، ص (٥٣).

(٣) الروفيات (٣/١٣٤).

(٤) كتب حذر منها العلماء (٢/٢٥٠)، الميزان (١/٢٠٠).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٧/٥٨٩، ٥٩٠).

جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين على رضى الله عنه، ففيه السب الصّراح والخط على السيدين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التى من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة، وبفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين، جزم بأن الكتاب أكثره باطل^(١).

- وقال ابن تيمية: .. وأيضاً ، فأكثر الخطب التى ينقلها صاحب نهج البلاغة، بذلك الكلام، ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا أنها مدح، فلا هى صدق ولا هى مدح، ومن قال: إن كلام على وغيره من البشر فوق كلام المخلوق، فقد أخطأ، وكلام النبى ﷺ فوق كلامه، وكلاهما مخلوق... وأيضاً فالمعانى الصحيحة التى توجد فى كلام على موجودة فى كلام غيره، لكن صاحب نهج البلاغة وأمثاله أخذوا كثيراً من كلام الناس فجعلوه من كلام على، ومنه ما يحكى عن على أنه تكلم به، ومنه ما هو كلام حق يليق به أن يتكلم به، ولكن هو فى نفس الأمر من كلام غيره، ولهذا، يوجد فى كلام «البيان والتبيين» للجاحظ وغيره من الكتب كلام منقول عن غير على، وصاحب «نهج البلاغة» يجعله عن على، وهذه الخطب المنقولة فى كتاب نهج البلاغة لو كانت كلها عن على من كلامه، لكانت موجودة قبل هذا المصنّف، منقولة عن على بالأسانيد وبغيرها، فإذا عرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيراً منها «بل أكثرها» لا يُعرف قبل هذا علم أن هذا كذب، وإلا فليبين الناقل لها فى أى كتاب ذكر ذلك، ومن الذى نقله عن على، وما إسناده؟ وإلا فالدعوة المجردة لا يعجز عنها أحد، ومن كان له خبرة بمعرفة طريقة أهل الحديث ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد وتبين صدقها من كذبها، علم أن هؤلاء الذين ينقلون مثل هذا عن على من أبعد الناس عن المنقولات، والتميز بين صدقها وكذبها^(٢).

- وقال العلامة المقبلى: أخرج البخارى عن على رضى الله عنه أنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون، فإنى أكره الخلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات

(١) ميزان الاعتدال (٣/١٢٤)، لسان الميزان (٤/٢٢٣).

(٢) منهاج السنة (٨/٥٥، ٥٦)، كتب حذر العلماء منها (٢/٢٥٦).

أصحابي، قال: وكان ابن سيرين يرى عامة ما يروون عن علي رضي الله عنه كذباً، وصدق ابن سيرين رحمه الله، فإن كل قلب سليم، وعقل غير زائف عن الطريق القويم، ولب تدرّب في مقاصد سالكي الصراط المستقيم، يشهد بكذب كثير مما في نهج البلاغة الذي صار عند الشيعة عديل كتاب الله بمجرد الهوى الذي أصاب كل عرق منهم ومفصل، وليتهم سلكوا مسلك جلاميد الناس، وأوصلوا ذلك إلى على برواية تسوغ عند الناس وجادلوا عن روايتها، ولكن، لم يبلغوا بها مصنفها^(١).

ويمكن تلخيص أهم ما لاحظته القدامى والمحدثون على نهج البلاغة للتشكيك بصحة نسبته للإمام على بما يلي:

- خلوه من الأسانيد الوثيقية التي تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه متناً ورواية وسنداً.

- كثرة الخطب وطولها، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل مما يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين.

- رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير على رضي الله عنه، وصاحب النهج يثبتها له.

- اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهما، وتنافي ما عُرف عنه من توقيره لهما بالأسانيد الصحيحة، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ «الشقشقية» التي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما شُهر عنه من التقشف والزهد.

- شيوع السجع فيه، إذ رأى عدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتفق مع البعد عن التكلف الذي عُرف به عصر الإمام على رضي الله عنه، مع أن السجع العفوي الجميل لم يكن بعيداً عن روحه ومبناه.

- الكلام المنمق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية التي هي من وشى العصر العباسي وزخرفته، ما تجدد في وصف الطاووس، والخفاش، والنحل، والنمل، والزرع والسحب وأمثالها.

(١) العلم الشامخ، ص (٢٣٧)، كتب حذر العلماء منها (٢/٢٥١).

- الصيغ الفلسفية والمقالات الكلامية التي وردت في ثناياه، والتي لم تُعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالث الهجري، حين ترجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين^(١).

إن هذا الكتاب يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة، ومن أراد الاستفادة منه فعليه أن يعرض المسائل العقائدية وحديثه عن الصحابة والأحكام التي فيه على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فما وافق الكتاب والسنة فلا مانع من الاستئناس به، وما خالف فلا يلتفت إليه.

لقد نقل صاحب كتاب الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي خطابًا ورسائل وحوارات للحسن بن علي بن أبي طالب مع معاوية رضي الله عنه والمتعلقة بخلافته وعهده أكثرها لا يصح^(٢)، واعتمد على مصادر ضعيفة واهية، كالأغاني ونهج البلاغة وغيرها من الكتب التي لا يمكن لطالب علم يحترم الحقيقة العلمية والموضوعية والحيادية أن يعتمد عليها في البحث التاريخي الجاد الذي يراد به وجه الله تعالى.

(١) الأدب الإسلامي، ص (٥٤، ٥٥).

(٢) الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص (٧٦ - ١٠٠).

المبحث الثانى

أهم صفاته وحياته فى المجتمع

أولاً: أهم صفاته:

إن شخصية الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه تعتبر شخصية قيادية، وقد اتصف رضى الله عنه بصفات القائد الربانى، فمن أهم هذه الصفات: إيمانه العظيم بالله واليوم الآخر، والعلم الشرعى، والثقة بالله، والصدق، والكفاءة، والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، والتواضع، وقبول النصيحة، والحلم والصبر، وعلو الهمة، والحزم، والإرادة القوية، والعدل والقدرة على حل المشكلات، وغير ذلك من الصفات، ويسبب ما أودع الله فيه من صفات القيادة الربانية استطاع أن يقدم مشروعه الإصلاحى مع قدرته على التنفيذ والتغلب على العوائق فى الطريق، وتوجت جهوده الفذة بوحدة الأمة، ومن أهم تلك الصفات التى نحاول تسليط الأضواء عليها هى:

١- العلم:

تربى الحسن فى بيت النبوة، فتأثر بجده ﷺ ووالدته السيدة فاطمة فى طفولته واستفاد من والده العلم الغزير، فقد اهتم به اهتماماً كبيراً، وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يُعَلِّم الناس كتاب الله ومن بينهم أبناؤه ومنهم أمير المؤمنين، الحسن والحسين فتعلموا منه منهجه لبيان الحكم الشرعى وطريقته فى الاستنباط، والتى كانت ملامحها الالتزام بظاهر القرآن الكريم، وحمل المطلق على المقيد، وحمل المجل على المفسر، والعلم بالناسخ والمنسوخ، والنظر فى لغة العرب، وفهم النص بنص آخر، والسؤال عن مشكله، والعلم بمناسبة الآيات، وتخصيص العام، ومعرفة عادات العرب وأحوالهم، وقوة الفهم وسعة الإدراك، وكان القرآن الكريم لذلك الجليل ومنهم الحسن بن على هو المنهج التربوى مع هدى النبى ﷺ، فكانت للآيات القرآنية الكريمة التى سمعها من والده أمير المؤمنين على أثرها فى علمه وصياغة شخصيته، فقد تطهر قلبه وزكت نفسه، وتفاعلت معه روحه، فأبصر

الحقائق الكبرى فى عالم الوجود، وكان من شيوخه الذين حفظ عليهم القرآن الكريم عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلمى، مقرأ الكوفة وكان لأبيه صحة روى عن على رضى الله عنه وعبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان، وقد أخذ القراءة عن عاصم وعطاء والحسن والحسين رضى الله عنهم، وكان يقرأ عشرين آية بالغداة وعشرين آية بالعشى وكان فقيهاً وتوفى فى الكوفة فى خلافة عبد الملك بن مروان وكان ثقة كثير الحديث^(١)، وعن عبد الله بن المبارك عن عطاء ابن السائب قال: دخلنا على أبى عبد الرحمن السلمى - وهو يقضى أى ينزع فى المسجد، فقلنا له: لو تحولت إلى الفرش فإنه أوثر^(٢)، قال: حدثنى فلان أن النبى ﷺ قال: «لا يزال أحدكم فى صلاة مادام فى مصلاه ينتظر الصلاة»^(٣)، وفى رواية ابن سعد: «الملائكة تقول اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»، قال أبو عبد الرحمن السلمى: فأريد أن أموت وأنا فى مسجدى^(٤)، وكان منهجه رحمه الله فى تعليم القرآن الكريم منهج الصحابة الكرام، فعن أبى عبد الرحمن السلمى قال: حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن - كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما -: أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبى ﷺ عشر آيات، لم يتجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم، والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم، والعمل جميعاً، ولهذا كانوا يبقون مدة فى حفظ السورة^(٥)، ويعتبر أبو عبد الرحمن السلمى شيخ الحسن بن على فى القرآن الكريم من أشهر تلاميذ عثمان بن عفان رضى الله عنه^(٦)، وقد سار الحسن بن على على نفس الطريقة فى حفظ القرآن الكريم وفهمه والعمل به.

- نظرة أمير المؤمنين الحسن لله والكون والحياة والجنة والنار:

قد عرف الحسن من خلال القرآن الكريم وتربية والده أمير المؤمنين على من هو الإله الذى يجب أن يعبد، فأصبحت نظرة الحسن بن على إلى الله - عز وجل -

(١) تهذيب التهذيب (١٨٣/٥، ١٨٤)، الطبقات (١٧٣/٢).

(٢) أوثر: أوطأ.

(٣) كتاب الزهد، رقم (٤٢٠)، ص (١٤١، ١٤٢).

(٤) الطبقات الكبرى (١٧٤/٦، ١٧٥).

(٥) الفتاوى (١٧٧/١٣).

(٦) تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان، ص (٢٥).

والكون، الحياة، والجنة والنار، والقضاء والقدر، وحقيقة الإنسان، وصراعه مع الشيطان مستمدة من القرآن الكريم، وهدى النبي ﷺ.

- فالله سبحانه وتعالى منزّه عن النقائص، موصوف بالكمالات التي تنتهي فهو سبحانه واحد لا شريك له، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدًا.

- وأنه سبحانه حدّد مضمون هذه العبودية، وهذا التوحيد في القرآن الكريم^(١).

- وأما نظرتّه للكون، فقد استمدّها من قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَنتَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿﴾ [فصلت: ٩-١٢].

- وأما هذه الحياة مهما طالّت، فهي إلى زوال، وأن متاعها مهما عظم، فإنه قليل حقير، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿﴾ [يونس: ٢٤]

- وأما نظرتّه إلى الجنة، فقد استمدّها من خلال الآيات الكريمة فأصبح هذا التصور مهيمًا على نفسه، فيرى المتتبع لسيرة الحسن بن علي رضي الله عنه عمق استيعابه لفقه القدوم على الله عز وجل، وشدة خوفه من عذاب الله، وعقابه، وأما مفهوم القضاء والقدر فقد استمدّه من كتاب الله، وتعليم رسول الله ﷺ له، فقد رسخ مفهوم القضاء والقدر في قلبه كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿﴾ [التوبة: ٥١].

(١) منهج الرسول في غرس الروح الجهادية، ص (١٠ - ١٦).

- وعرف الحسن بن علي رضي الله عنه من خلال القرآن الكريم حقيقة الصراع بين الإنسان والشیطان، وأن هذا العدو يأتي للإنسان من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، يوسوس له بالمعصية، ويستثير فيه كوامن الشهوات، فكان مستعيناً بالله على عدوه إبليس وانتصر عليه في حياته.

- وتعلم من خطيئة آدم ضرورة توكل المسلم على ربه، وأهمية التوبة، والاستغفار في حياة المؤمن، وضرورة الاحتراز من الحسد، والكبر، وأهمية التخابط بأحسن الكلام مع الصحابة لقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

لقد أكرم المولى - عز وجل - الحسن بن علي رضي الله عنه بالعيش مع القرآن الكريم، فعاش به، واستمد أصوله، وفروعه من كتاب الله، وهدى رسول الله ﷺ، وأصبح من أئمة الهدى، الذين يرسمون للناس خط سيرهم، ويتأسى الناس بأقوالهم، وأفعالهم في هذه الحياة، وكان رضي الله عنه من أهل القرآن، ولذلك كانت خطبه بالقرآن الكريم فقد روى عنه رضي الله عنه بأنه خطب يوم الجمعة فقرأ سورة «إبراهيم» على المنبر حتى ختمها^(١)، وقد كان هذا من هدى الرسول ﷺ فقد قرأ سورة «ق» حتى ختمها، فقد روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة قالت: ما أخذت «ق»، والقرآن المجيد» إلا من لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم الجمعة على المنبر إذا خطب الناس^(٢)، وروى عن ابن ماجة عن أبي بن كعب قال: قرأ رسول الله ﷺ يوم الجمعة «تبارك» وهو قائم، فذكرنا بأيام الله، وأبو الدرداء أو أبو ذر يغمزني فقال: متى أنزلت هذه السورة؟ فإني لم أسمعها إلى الآن، فأشار إليه أن اسكت^(٣)، ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان هدى النبي ﷺ في خطبته: كان النبي ﷺ كثيراً ما يخطب بالقرآن^(٤)، ولذلك كان الحسن بن علي رضي الله عنه يوجه الناس بآيات القرآن الكريم ويتلوها عليهم، ملتزماً بالمنهج

(١) الطبقات، تحقيق السلمي (٢٧٨/١) إسناده ضعيف.

(٢) مسلم، رقم (٨٧٣).

(٣) سنن ابن ماجة، رقم (١١١١) إسناده حسن.

(٤) زاد المعاد (٤٣/١).

النبوى فى قراءته للقرآن بإتقان وتركيز وتدبر وخشوع، وتحسين للصوت، فتهتز لها القلوب وتذرف لها الدموع، وإذا حاولنا أن نتأمل فى سورة إبراهيم عليه السلام التى قرأها على المنبر كاملة نلاحظ بأن أهم مواضعها هى:

- إثبات أصول العقيدة من الإيمان بالله وبالرسل وبالبعث والجزاء وإقرار التوحيد، والتعريف بالإله الحق خالق السماوات والأرض، وبيان الهدف من إنزال القرآن الكريم، وهو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، واتحاد مهمة الرسل ودعوتهم فى أصول الاعتقاد والفضائل وعبادة الله والإنقاذ من الضلال.

- الوعد والوعيد: ذم الكافرين ووعيدهم على كفرهم وتهديدهم بالعذاب الشديد، ووعد المؤمنين على أعمالهم الطيبة بالجنان (الآية ٢، والآية ٢٣، والآيات ٢٨-٣١).

- الحديث عن إرسال الرسل بلغات أقوامهم، لتسهيل البيان والتفاهم (الآية: ٤٠).
- تسلية الرسول ﷺ ببيان ما حدث للرسل السابقين مع أقوامهم: قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، والتذكير بعقابهم، كما فى الآيات (٩-١٢) والآيات (١٣-١٨).

- محاورة موسى لقومه ودعوته إياهم لعبادة الله تعالى (٥-٨).

- دعوات إبراهيم عليه السلام بعد بناء البيت الحرام لأهل مكة بالأمان والرزق وتعلق القلوب بالبيت الحرام، وتجنبيه وذريته عبادة الأصنام، وشكره ربه على ما وهبه من الأولاد بعد الكبر، وتوفيقه وذريته لإقامة الصلاة، وطلبه المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين (الآيات ٥٣-٤١).

- بيان مشهد من مشاهد الحوار بين أهل النار فى عالم الآخرة (الآيات ١٩-٢٣).
- ضرب الأمثال لكلمة الحق والإيمان وكلمة الباطل والضلال بالشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة (الآيات ٢٤ - ٢٧).

- التذكير بأهوال القيامة وتهديد الظالمين وبيان ألوان عذابهم (الآيات: ٤٢-٥٢).

- بيان الحكمة من تأخير العذاب ليوم القيامة، وهو ما ختمت به السورة^(١) (الآيات: ٥١-٥٢).

هذه أهم المواضع التى اشتملت عليها سورة إبراهيم عليه السلام والتى خطب بها الحسن بن على رضى الله عنه على المنبر لخطبة الجمعة، كما كان الحسن بن على رضى الله عنه إذا أوى إلى فراشه قرأ سورة الكهف، وقد استهلت السورة ببيان وصف القرآن بأنه قيم مستقيم لا اختلاف فيه ولا تناقض فى لفظه ومعناه، وأنه جاء للتبشير ثم لفت النظر إلى ما فى الأرض من زينة وجمال وعجائب تدل دلالة واضحة على قدرة الله تعالى، وتحدثت السورة عن ثلاث قصص من روائع قصص القرآن الكريم وهى قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى مع الخضر، وقصة ذى القرنين، أما قصة سورة الكهف (٩-٢٦) فهى مثال عال، ورمز سام للتضحية بالوطن والأهل والأقارب والأصدقاء والأموال فى سبيل العقيدة الصحيحة واتباع الهدى، فقد فرّ هؤلاء الشباب الفتيّة المؤمنون بدينهم من بطش الملك الوثنى واحتموا فى غار فى الجبل، فأنامهم الله ثلاثة مائة وتسع سنين قمرية، ثم بعثهم دليلاً حسيّاً للناس على قدرته على البعث، واتبع الله تعالى القصة بأمر النبى ﷺ بالتواضع ومجالسة الفقراء المؤمنين وعدم الفرار إلى مجالسة الأغنياء لدعوتهم إلى الدين: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]. ثم هدد الله تعالى الكفار بعد إظهار الحق، وذكر ما أعدّه لهم من العذاب الشديد فى الآخرة ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩] وقارن ذلك بما أعدّه سبحانه من جنات عدن للمؤمنين الصالحين (٣٠-٣١).

وأما قصة موسى مع الخضر فى الآيات (٦٠-٧٨) فكانت مثلاً للعلماء فى التواضع أثناء طلب العلم، وأنه قد يكون عند العبد الصالح من العلوم فى غير أصول الدين وفروعه ما ليس عند الأنبياء بدليل قصة خرق السفينة، وحادثة قتل الغلام، وبناء الجدار، وأما قصة ذى القرنين فى الآيات (٨٣-٩٩) فهى عبرة للحكام والسلاطين، إذ أن هذا الملك تمكن من السيطرة على العالم، ومشارك الأرض ومغاربها، وبناء السد العظيم بسبب ما اتصف به من التقوى والعدل والصلاح.

(١) التفسير المنير (١٣/١٩٨، ١٩٩).

وتخللت هذه القصة أمثلة ثلاثة بارزة رائعة مستمدة من الواقع، لإظهار أن الحق لا يقتصر بالسلطة والغنى، إنما يرتبط بالإيمان، وأول هذه الأمثلة قصة أصحاب الجنتين (٣٢-٤٤) للمقارنة بين الغنى المغتر بماله، والفقير المعتز بإيمانه، لبيان حال فقراء المؤمنين وحال أغنياء المشركين، وثانيها: مثل الحياة الدنيا (٤٥-٤٦) لإنذار الناس بفنائها وزوالها. وأردف ذلك بإيراد بعض مشاهد القيامة الرهيبة من تسيير الجبال، وحشر الناس في صعيد واحد، ومفاجأة الناس بصحائف أعمالهم (٤٧-٤٩) وثالثها: قصة إبليس وإبائه السجود لآدم (٥٠-٥٣) للموازنة بين التكبر والغرور، وما أدى إليه من طرد وحرمان وتحذير الناس من شر الشيطان، وبين العبودية لله والتواضع، وما حقق من رضوان الله تعالى، وأردف ذلك بيان عناية القرآن بضرب الأمثال للناس للعتة والذكر وإيضاح مهام الرسل للتبشير والإنذار والتحذير من الإعراض عن آيات الله (٥٤-٥٧).

وختمت السورة بموضوعات ثلاثة: أولها: إعلان تبديد أعمال الكفار وضياح ثمرتها في الآخرة (١٠٠-١٠٦) وثانيها: تبشير المؤمنين الذين عملوا الصالحات بالنعيم الأبدي (١٠٧-١٠٨) وثالثها: أن علم الله تعالى لا يحده حدود ولا نهاية^(١) (١٠٩-١١٠)، وكانت آخر آية في السورة وبعدما بين المولى عز وجل كمال كلامه، أمر تعالى محمداً ﷺ بالتواضع فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] أى قل يا محمد لهم: ما أنا إلا بشر مثلكم فى البشرية، ليس لى صفة الملكية أو الألوهية، ولا علم لى إلا ما علمنى الله، إلا أن الله تعالى أوحى إلى أنه لا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد، فلا شريك له فى ألوهيته، فمعبودكم الذى يجب أن تعبدوه هو معبود واحد لا شريك له ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أى فمن آمن بلقاء الله، وطمع فى ثواب الله على طاعته، فليتقرب إليه بصالح الأعمال، وليخلص له العبادة، وليجنب الشرك بعبادة الله أحداً من مخلوقاته، سواء أكان شركاً ظاهراً كعبادة الأوثان أو دعاء غير

(١) التفسير المنير (١٦/ ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩).

الله تعالى أو النذر للمخلوقين أو اعتقاد أن الخلق ينفعون أو يضررون بما لا يقدر عليه إلا الله أو صرف أنواع العبودية من خوف أو رجاء أو حب لغير الله مما لا ينبغي إلا لله، أم شركاً خفياً كفعل شيء رياء أو سمعة وشهرة^(١)، والرياء هو الشرك الأصغر، فقد قال رسول الله ﷺ: **إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ، قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنتُمْ تَرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظَرُوا هَلْ تَجِدُونَ عَنْدَهُمْ جَزَاءً^(٢) وَقَدْ جُمِعَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ شَرْطِي قَبُولِ الْأَعْمَالِ، اتَّبَعَ الرُّسُولَ ﷺ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ وَالْإِخْلَاصَ لِلَّهِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.**

إن هذه المعاني الكريمة والآيات العزيزة كان الحسن بن علي يقرأها كل يوم بتمعن وتدبر، فكانت لها تأثيرها على نفسه وفي حياته، كما كان للحسن بن علي رضى الله عنه اهتمام بالسيرة النبوية الشريفة، فقد كانت من ثقافة ذلك الجيل تعلم السيرة النبوية، فقد قال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص: كان أبى يعلمنا مغازى رسول الله ﷺ يعدها علينا ويقول: هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها^(٣) وقال على بن الحسن: كنا نعلم مغازى رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن^(٤)، وأما السنة النبوية، فقد كان والده أمير المؤمنين على أكثر الخلفاء الراشدين رواية لأحاديث رسول الله ﷺ، وهذا راجع إلى تأخر وفاته عن بقية الخلفاء، وكثرة الرواة عنه، وانتشار طلبه العلم من التابعين الذين كانوا يكثرون السؤال، ووقوع الأحاديث التى تقتضى البلاغ والرواية فى أمور أخرى، فنقلوا عنه ما بلغهم بأمانة ونزاهة، وقد استفاد منه ابنه الحسن استفادة عظيمة، أما من جده ﷺ فقد توفى ﷺ والحسن صغير كما هو معلوم، فعقل عن رسول الله ﷺ أحاديث وأموراً ذكرها منسوبة لرسول الله ﷺ قد بيئتها فيما مضى، وكان الحسن رضى الله

(١) التفسير المنير (١٦ / ٤٣).

(٢) مسند أحمد (٥ / ٤٢٨ ، ٤٢٩) إسناده حسن.

(٣) البداية والنهاية (٢ / ٢٤٢).

(٤) المصدر نفسه، السيرة النبوية للصَّلابي (٦ / ١).

عنه يحث أولاده على طلب العلم، فقد دعا بنييه وبني أخيه فقال: يا بني وبني أخى إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه فليكتبه وليضعه فى بيته^(١).

وكان رضى الله عنه خطيباً مفوهاً، فقد قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه للحسن ذات يوم: قم فاخطب الناس يا حسن. قال: إني أهابك أن أخطب وأنا أراك فتغيب عنه حيث يسمع كلامه ولا يراه، فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه وتكلم^(٢)، ثم نزل فقال على: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤]. وقد ورث الحسن من جده ﷺ ووالده رضى الله عنهم الخطابة والفصاحة والبلاغة وقوة البيان، وقد ذكرت كتب التاريخ: أن علياً رضى الله عنه سأل ابنه - يعنى الحسن - عن أشياء عن المروءة، فقال: يا بني ما السداد؟ قال: يا أبتى السداد دفع المنكر بالمعروف. قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشرة وحمل الجريرة. قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المرء ماله. قال: فما الدقة^(٣)؟ قال: النظر فى اليسير ومنع الحقيقير^(٤). قال: فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء نفسه وبذله يخرسه، قال: فما السماحة؟ قال: البذل فى العسر واليسر. قال: فما الشُّح؟ قال: أن ترى ما فى يديك شرفاً وما أنفقتة تلفاً. قال: فما الإخاء؟ قال: الوفاء فى الشدة والرخاء. قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنكول على العدو. قال: فما الغنيمة؟ قال: الرغبة فى التقوى، والزهادة فى الدنيا هى الغنيمة الباردة قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس. قال فما الغنى؟ قال: رضا النفس بما قسم الله لها وإن قل، فإنما الغنى غنى النفس قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس فى كل شىء. قال: فما الذل؟ قال: الفزع عند المصدوقة^(٥). قال: فما الجرأة؟ قال: موافقة الأقران. قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعينك. قال: فما المجد؟ قال: أن تعطى فى الغرم وأن تغفو عن

(١) الطبقات (١/ ٢٩٢) إسناده حسن تحقيق السلمي.

(٢) الطبقات (١/ ٢٧٦) إسناده ضعيف مرسل.

(٣) الدقة: الحقايرة، النهاية (٢/ ١٢٧).

(٤) الحقيقير هنا: الشى اليسير.

(٥) المصدوقة: الحملة الصادقة ليس لها مكذوبة.

الجُرم. قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب كلَّ ما استرعيته. قال: فما الخُرق^(١)؟ قال: معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك. قال: فما الثناء؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح. قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة والرفق بالولاية، والاحتباس من الناس بسوء الظن هو الحزم. قال: فما الشُّرف؟ قال: موافقة الإخوان، وحفظ الجيران، قال: فما السُّفَه؟ قال: اتباع الدُّناة، ومصاحبة الغُواة. قال: فما الغفلة؟ قال: تركُّ المسجد وطاعتك المفسد. قال: فما الحرمان؟ قال: تركك حظُّك وقد عُرِضَ عليك. قال: فما السَّيِّدُ؟ قال: الأحمق في المال، المتهاون بعرضه، يُشْتَمُّ فلا يجيب، المحتزن بأمر العشيرة^(٢) هو السيد.

ثم قال عليٌّ: يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا مظاهره أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير، ولا حسب كحسن الخلق، ولا ورع كالكف، ولا عبادة كالتفكير، ولا إيمان كالحياء، ورأس الإيمان الصبر، وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السفه، وآفة العبادة الفتره، وآفة الظُّرف الصِّلَف، وآفة الشجاعة البغي، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحبُّ الفخر. ثم قال عليٌّ: يا بُنَيَّ، لا تستخفَنَّ برجل تراه أبدًا فإن كان أكبر منك فعُدَّ أنه أبوك، وإن كان مثلك فهو أخوك، وإن كان أصغر منك، فاحسب أنه ابنك، فهذا ما ساءل عليٌّ ابنه عن أشياء من المروءة.

قال القاضي أبو الفرج: ففي هذا الخبر من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه وحفظه ووعاه، وعمل به، وأدب نفسه بالعمل عليه، وهذبها بالرجوع إليه، وتتوفر فائدته بالوقوف عنده، وفيما رواه أمير المؤمنين وأضعافه عن النبي ﷺ ما لا غنى لكل لبيب عليم ومدرة^(٣) حكيم عن حفظه وتأمله، والمسعود من هُدَى لتقبُّله والمجدود^(٤) من وفق لامتثاله وتقبُّله^(٥).

(١) الخرق: الجهل والحمق.

(٢) المتحزن بأمر العشيرة: المهتم بأمرهم.

(٣) المدرة: زعيم القوم وخطيهم والمتكلم عنهم.

(٤) المجدود: المحظوظ.

(٥) البداية والنهاية (١١ / ٢٠٢).

وقد علق ابن كثير على هذا الأثر فقال: ولكنَّ هذا الأثر وما فيه من الحديث المرفوع ضعيف ومثل هذه الألفاظ فى عبارتها ما يدل ما فى بعضها من النكارة على أنه ليس بمحفوظ والله أعلم^(١).

وما دامت الأمور التى ذكرتها مع الكتاب والسنة لا تتعارض ولا تبني عليها عقيدة أو عبادة وإنما تدعو إلى مكارم الأخلاق، فلا مانع من الاستئناس بها.

وقد سأل أمير المؤمنين على ابنه الحسن: كم بين الإيمان واليقين؟ فقال الحسن رضى الله عنه: أربع أصابع. فقال أمير المؤمنين على: وكيف؟ فقال الحسن: الإيمان كل ما سمعته أذنك وصدقه قلبك. واليقين ما رأيته عينك، فأيقن به قلبك وليس بين العين والأذن إلا أربع أصابع^(٢). ومن أقواله: حسن السؤال نصف العلم^(٣)، وسئل عن الصمت فقال: هو ستر العين أو زين العرض وفاعله فى راحة وجليسه فى أمان^(٤).

ومن علمه أنه أوصى بتعلم اللغة العربية^(٥)، وتأكيد على تعلم اللغة العربية تأكيد على ضرورة تطبيق القواعد العلمية فى القراءة وخاصة قراءة الآيات القرآنية، لأن اللغة العربية هى اللغة التى أنزل الله بها القرآن كتابة ولفظاً وبين بها شرائع دينه وفرائض ملته، وبها بلغ الرسول ﷺ رسالته وعلم بها سنته النبوية الشريفة المطهرة، وبها ألقت الكتب الدينية والكتب العلمية وكتب الحكمة. فلا بد للناشئ من تعلمها، وإلا كان جاهلاً بالدين منقوصاً فى العلم، إضافة إلى ما تمتاز به هذه اللغة من الفصاحة والبيان والطلاوة على اللسان والحلاوة فى الأسماع والأذان^(٦)، ومن الأمور التى تؤكد تمكن الحسن بن على من اللغة العربية، فقد كان يعد من فصحاء العرب، فقد قال عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن بن على رضى الله عنهما^(٧)، وقد كان للحسن بن على تلاميذ نجباء منهم ابنه الحسن،

(١) البداية والنهاية (١١ / ٢٠٢) الطبرانى الكبير، حديث موضوع.

(٢) التبيين فى أنساب القرشيين، ص (١٢٧).

(٣) نور الأبصار للشبلنجى، ص (١٢٢)، الحسن بن على رسالة ماجستير، ص (٣٨).

(٤) من أقوال الصحابة، ص (٦٧) نقلاً عن الحسن بن على رسالة ماجستير، ص (٣٨).

(٥) مفتاح السعادة، أحمد مصطفى (٢ / ٨٢) نقلاً عن الحسن بن على.

(٦) نصيحة الملوك، ص (٣٥٠) للمواردى.

(٧) الكامل فى التاريخ (٤ / ١٣٢).

والمسيب بن نجبة، وسويد بن غفلة، والعلاء بن عبد الرحمن، والشعبي، وهبيرة ابن يريم، والأصنع بن نباته، وجابر بن خالد، وأبو الحوراء، وعيسى بن مأمون ابن زرارة ويقال ابن المأموم وأبو يحيى عميرة بن سعيد النخعي، وأبو مريم قيس الثقفي، وطحرب العجلي، وإسحاق بن يسار والد محمد بن إسحاق، وسفيان بن الليل، وعمر بن قيس الكوفيين^(١).

وتظهر غزارة علمه، ودقة فقهه في علم المصالح والمفاسد، ومعرفته العميقة بمقاصد الشريعة في تقديمه وحدة الأمة وحفظ الدماء على المصلحة الخاصة من ملك الدنيا عندما تنازل لمعاوية.

٢- عبادته:

كان الحسن بن علي رضي الله عنه من المجتهدين في العبادة، وممارس مفهوم العبادة الشامل في حياته، فقد رضع لبان العبادة مع ما رضعه من معدن النبوة، وتربية الزهراء التي جاءت إلى أبيها عليه الصلاة والسلام لتطلب خادمًا، فدلها على ما هو أفضل من ذلك ألا وهو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وقال لها ولزوجها في الليل وهما في الفراش: ألا تقومان تصليان؟ فأطل على الحياة في بيت الزهد والعبادة، والورع والتقوى، والحلم والصبر، وانغمس في هذه المفاهيم والمثل والمبادئ حتى غدا مثلاً من مثلها، ومثالاً بها يضرب، يشهد له بذلك معاصروه من الصحابة الأبرار، ومن عاشره من الأخيار، فقد كان عابداً بمعرفة، مقبلاً على الله بيقين، مدبراً عن الدنيا وشواغلها برضا واطمئنان، ولهذا كان إذا توضأ وفرغ من الوضوء تغير لونه، ف قيل له في ذلك فقال: حق لمن أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه^(٢)، وقد ذكر ابن سعد قوله: ما رأيت أخوف من الحسن بن علي وعمر بن عبد العزيز كأن النار لم تخلق إلا لهما^(٣)، فكلما اقترب العبد من مولاه، وتعرف على أسمائه وصفاته، ونعوت كماله، ازدادت هيئته وإجلاله وخوفه منه فهو سبحانه وتعالى يداول الأيام بين الناس قال تعالى: ﴿قُلْ

(١) تاريخ دمشق (١٤ / ٥).

(٢) وفیات الاعیان (٢ / ٦٩).

(٣) الطبقات الكبرى (٥ / ٣٩٨).

اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿[آل عمران: ٢٦]﴾، يقلب الدول، فيذهب بدولة، ويأتى بأخرى والرسول من الملائكة - عليهم السلام - بين صاعد إليه بالأمر، ونازل من عنده به، وأوامره متعاقبة على تعاقب الآيات، نافذة بحسب إرادته، فما شاء كان كما يشاء فى الوقت الذى يشاء على الوجه الذى يشاء من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقدم ولا تأخر، وأمره وسلطانه نافذ فى السماوات وأقطارها، وفى الأرض وما عليها، وفى البحار، وفى الجو وفى سائر أجزاء العالم وذراته، يقبلها، ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء^(١)، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] فهو سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماوات، ولا فى قرار البحار، ولا تحت أطباق الجبال، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فاستشعار عظمة الله وجلاله، ومعرفة أسمائه وصفاته تولد عند العبد خشية وخوفاً ومهابة من هذا الإله العظيم الذى يخضع له كل شيء^(٢) ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

وكان الحسن بن على رضى الله عنه إذا صَلَّى الغداة فى مسجد رسول الله ﷺ يجلس فى مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن، وربما أتحفته، ثم ينصرف إلى منزله^(٣).

إن من السعداء الذين تصلّى عليهم الملائكة أولئك الذين يجلسون بعد أداء الصلاة فى مصلاهم، وما يدل على ذلك ما يلى: روى الإمام أحمد عن أبى

(١) الإيمان أولاً فكيف نبداً به، مجدى الهلالى، ص (٧٣).

(٢) المصدر نفسه، ص (٧٦).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٩٣، ١٩٤).

هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الملائكة تصلى على أحدكم ما دام في مصلاه الذى صلى فيه، ما لم يحدث^(١)، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه^(٢)، وإن جلس ينتظر الصلاة صلت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه^(٣)، وروى الإمام أحمد عن عطاء بن السائب قال: خلت على أبى عبد الرحمن السلمى، وقد صلى الفجر، وهو جالس، فقلت: لو قمت إلى فراشك كان أوطأ لك. فقال: سمعت علياً رضى الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من صلى الفجر ثم جلس فى مُصَلَّاه صلت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ومن ينتظر الصلاة صلت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه^(٤).

وقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: - هل المكوث فى المنزل بعد صلاة الفجر لقراءة القرآن حتى تطلع الشمس، ثم يصلى ركعتى الشروق، له نفس الأجر الذى يحصل بالمكوث فى المسجد؟ فأجاب: هذا العمل فيه خير كثير وأجر عظيم، لكن ظاهر الأحاديث الواردة فى ذلك أنه لا يحصل له نفس الأجر الذى وعد به إلا من جلس فى مصلاه فى المسجد، لكن لو صلى فى بيته صلاة الفجر لمرض أو خوف، ثم جلس فى مصلاه، يذكر الله أو يقرأ القرآن حتى ترتفع الشمس، ثم يصلى ركعتين فإنه يحصل له ما ورد فى الأحاديث لكونه معذوراً حين صلى فى بيته، وهكذا المرأة إذا جلست فى مصلاها بعد صلاة الفجر تذكر الله أو تقرأ القرآن حتى ترتفع الشمس، ثم تصلى ركعتين فإنه يحصل لها ذلك الأجر الذى جاءت به الأحاديث^(٥).

إن الحسن بن على رضى الله عنه يعلمنا أهمية الذكر فى البكور، ويرغبنا فى ترك النوم فى ذلك الوقت من خلال سيرته الربانية، ولقد تحدث ابن القيم عن أهمية الذكر فى البكور فقال: ومن المكروه عندهم: النوم بين صلاة الصبح وطلوع

(١) أى: حدثاً حقيقياً، أى: ما لم يطل وضوءه.

(٢) مسند أحمد، رقم (٨١٠٦) صححه أحمد شاكر.

(٣) مسند أحمد، رقم (١٢١٨) حسنه أحمد شاكر.

(٤) مسند أحمد (٢/ ٣٠٥، ٣٠٦) حسن إسناده أحمد شاكر.

(٥) مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة، ابن باز (١١/ ٤٠٣، ٤٠٤).

الشمس، فإنه وقت غنيمة، وللسير فى ذلك الوقت عند السالكين مزية عظيمة حتى لو ساروا طول ليلهم لم يسمحوا بالعودة ذلك الوقت حتى تطلع الشمس، فإنه أول النهار ومفتاحه، ووقت نزول الأرزاق، وحصول القسم، وحلول البركة، ومنه ينشأ النهار، وينسحب حكم جميعه على حكم تلك الحصة، فيجب أن يكون نومها كنوم المضطر^(١)، ولشرف هذا الوقت، ولأهميته فى السير إلى الله، نجد الترغيب الشديد فى إحيائه بالذكر، فعن أنس - رضى الله عنه - قال: قال: رسول الله ﷺ: من صلى الفجر فى جماعة، ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة^(٢). قال ابن رجب: لما كان الحج من أفضل الأعمال والنفوس تتوق إليه لما وضع الله فى القلوب من الحنين إلى ذلك البيت المعظم، وكان كثير من الناس يعجز عنه ولا سيما كل عام، شرع الله لعباده أعمالاً يبلغ أجرها أجر الحج، فيتعوض بذلك العاجزون فى التطوع^(٣).

ويقول الأستاذ البنا: أيها الأخ العزيز، أمامك كل يوم لحظة بالغداة، ولحظة بالعشى، ولحظة فى السحر، تستطيع أن تسمو فيها كلها بروحك الطهور إلى الملاء الأعلى، فتظفر بخير الدنيا والآخرة، وأمامك مواسم الطاعات، وأيام العبادات، وليالى القربات التى وجهك إليها كتابك الكريم، ورسولك العظيم، فاحرص أن تكون فيها من الذاكرين لا من الغافلين، ومن العاملين لا من الخاملين، واغتنم الوقت، فالوقت كالسيف، ودع التسويف فلا أضرب منه^(٤).

وكان الحسن بن على رضى الله عنه يقول إذا طلعت الشمس: سمع سامع بحمد الله الأعظم لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، سمع سامع بحمد الله الأمجد لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير^(٥)، وقد لازم الحسن بن على ما ثبت عن رسول الله من أوراد وأذكار

(١) تهذيب مدارج السالكين، ص (٢٤٨).

(٢) سنن الترمذى وقال الترمذى: حديث حسن صحيح، رقم (٥٨٦).

(٣) لطائف المعارف، ص (٣٥١)، البدر فى الحث على صلاة الفجر الدكتور عماد على، ص (٨٦).

(٤) الرقائق، ص (١٨) نقلا عن مجلة الدعوة العدد ٨ لسنة ١٩٥١م، الإيمان أولاً، ص (٢٤٨).

(٥) الطبقات (١/ ٢٩١) تحقيق السلمى إسنادة صحيح.

وأدعية، وكان يحث الناس على الصلوات فى المساجد وكان يقول: من أدمن الاختلاف إلى المساجد رزقه الله إحدى خصال: أخاً مستفاداً ورحمة مستترة له أو علماً مستطرقاً أو كلمة تدل على هدى أو يترك الذنوب خشية أو حياء^(١)، وكان رضى الله عنه من أهل القيام، فقد كان رضى الله عنه يأخذ نصيبه من القيام فى أول الليل، وكان الحسين رضى الله عنه يأخذه من آخر الليل^(٢)، فقيام الليل من الوسائل المهمة فى إيقاظ الإيمان، جربها الصالحون فوجدوا لها أبلغ الأثر فى إحياء القلوب، قال ابن الحاج فى المدخل: وفى قيام الليل من الفوائد جملة، فمنها: أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة، ومنها أنه ينور القلب، ومنها أن موضعه تراه الملائكة من السماء يترأى مثل الكوكب الدرى لأهل الأرض، ونفحة من نفحات قيام الليل تعود على صاحبها بالبركات والأنوار والتحف التى يعجز عنها الوصف^(٣).

إن قيام الليل شرف المؤمن كما قال رسول الله ﷺ «شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزه استغناؤه عما فى أيدي الناس»^(٤)، ومهما كثرت دعاوى المحبة طولب أصحابها بالدليل، وشهدت عليهم ساعات الليل، فالبيئة على من ادعى، فأهل القيام هم الأشراف بين الناس، أما أهل النوم والغفلة - من أمثالنا - فقد فضحتهم تلك الساعات، فأسقطت ذكركم، وأدنت شرفهم^(٥)، ومن سيرة الحسن بن على نتعلم أهمية قيام الليل، فبالليل يتم الغرس، غرس بذور الإخلاص والصدق، وعلى قدر غرسك سيكون الخير فى قلبك، وكلما ازدادت مساحته، ازداد توالى الهدايا عليه من كل جانب ﴿إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ [الأنفال: ٧٠].

إن قيام الليل من أهم صور الشكر التى كان يمارسها الحسن بن على رضى الله عنه، فشكر الله - عز وجل - على نعمه التى لاتعد ولا تحصى غاية من غايات

(١) عيون الأخبار (٣/ ٥)، الحسن بن على، ص (٢٧).

(٢) الزهد لابن حنبل، ص (١٧١)، رهبان الليل (١/ ٤٠٣) للعفان.

(٣) الإيمان أولاً، ص (١٧٢).

(٤) صحيح الجامع، رقم (٣٧٠١) السلسلة الصحيحة، رقم (١٩٠٣).

(٥) الإيمان أولاً، ص (١٧٣).

العبودية، والشكر عمل، والعبد الشكور هو الذى يظهر عليه أثر النعمة، وأبلغ أثر للنعمة ينبغي أن يظهر على العبد هو زيادة الذل والانكسار والتعظيم لولى النعم^(١)، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَرَلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨) أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آثَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٨، ٩].

فالأيات الكريمة تتحدث عن صنفين من الناس، أنعم الله عليهما بنعمة.. الأول مرّ بتجربة شديدة، وكان فى ضيق وهم فدعا الله بصدق ففرج همه، وكشف كربه، لكنه أعرض عن شكره، وعاد إلى غيّه، أما الآخر فقد سار فى طريق الشكر بطول القنوت بالليل، والتضرع لله - عز وجل - ويُعَقِّب القرآن على الحالتين بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، لا يستوى الذين يعلمون حق شكر النعم والذين لا يعلمون ذلك^(٢)، قال الشاعر:

القانتون المخبِتون لربهم	الناطقون بأصدق الأقوال
يحيون ليلهم بطاعة ربهم	بتلاوة وتضرع، وسؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم	مثل انهمال الواابل الهطال
فى الليل رهبان وعن جهادهم	لعدوهم من أشجع الأبطال
بوجوههم أثر السجود لربهم	وبها أشعة نوره المتلالى ^(٣)

وكان الحسن بن على رضى الله عنه كثير الحج، فقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: ما ندمت على شىء فاتنى فى شبابى إلا إني لم أحج ماشياً، ولقد حج الحسن بن على خمساً وعشرين حجة ماشياً، وإن النجائب لتقاد معه،

(١) الإيمان أولاً، ص (١٧٤).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٧٥).

(٣) رهبان الليل (١) / ٣٦٥.

ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى أنه يعطى الخف ويُمسك النعل^(١)، فهذا مثل من لزوم ما لا يلزم شرعاً يقوم به الحسن بن علي رضي الله عنهما، حيث لازم الحج ماشياً خمساً وعشرين حجةً، وهذا يدل على فضيلة المشي في الحج، كما يؤيد ذلك ندم ابن عباس رضي الله عنهما على عدم قيامه بذلك أيام شبابه ومداومة الحسن على ذلك على ما فيه من مشقة تدل على قوة إيمانه ورغبته الصادقة في المزيد من الأعمال الصالحة.

والمقصود بالمشي في الحج من مكة إلى عرفة ثم من عرفة إلى مكة، وليس المقصود أن يحج الحاج ماشياً من بلده^(٢).

ومن سيرة الحسن بن علي رضي الله عنه نتعلم أهمية السياحة إلى البيت الحرام، كلما سمحت ظروفنا وتيسر حالنا، قال ﷺ: تابعوا بين الحج والعمرة، فإن متابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد^(٣)، ولذلك حج الحسن ماشياً ونجائبه تقاد إلى جانبه خمساً وعشرين مرة في بعض الروايات^(٤)، قال: إني استحيى من ربي عز وجل أن ألقاه ولم أمش إلى بيته^(٥)، وكان رضي الله عنه كثير الصمت، متعبداً على منهج جده ﷺ.

٣- زهده:

فهم الحسن رضي الله عنه من خلال معاشته للقرآن الكريم وملازمته لوالده أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ومن تفكره في هذه الحياة بأن الدنيا دار ابتلاء واختبار، فقد تربى على كتاب الله واستوعب الآيات التي تحدثت عن الدنيا وأخبرتنا بخستها وقتلتها وانقطاعها وسرعة فنائها، وكان رضي الله عنه يقرأ كل يوم سورة الكهف ويمر على قوله تعالى: ﴿وَاصْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٠).

(٢) التاريخ الإسلامي (١٩/ ٢٢١).

(٣) الإيمان أولاً، ص (٢٤٩).

(٤) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٧٢).

(٥) المصدر نفسه (١٤/ ٧١).

مُقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿[الكهف: ٤٥، ٤٦] فهذا المثل يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها، ومصير ما فيها من النعم والترف إلى الهلاك، ولما بين تعالى أن الدنيا سريعة الانقراض والزوال، بين أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا في عرف الناس، وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سريع الانقضاء والانقراض، فيقبح بالعقل الافتخار به أو الفرح بسببه^(١) ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أى أن أعمال الخير وأفعال الطاعات، كالصلوات والصدقات، والجهاد فى سبيل الله، ومساعدة الفقراء والأذكار أفضل ثوابًا، وأعظم قربة عند الله، وأبقى أثرًا، إذ ثوابها عائد على صاحبها، وخير أملًا حيث ينال صاحبها فى الآخرة كل ما كان يؤمله فى الدنيا^(٢)، وتربى الحسن بن على^(٣) على منهج جده عليه السلام الذى كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها، إذ هو القائل عليه السلام: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً شربة ماء»^(٤)، وقال عليه السلام: «ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليمِّ فلينظر بما ترجع»^(٥)، وقال عليه السلام: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»^(٥)، وقد تأثر أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنه بالتربية القرآنية والنبوية، فكان من أصدق النماذج الإسلامية فى الزهد، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة فى الزهد وإليك التفصيل.

إن حرص المرء على الشرف والملك أشد من حرصه على المال كما أن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسة على الناس، والعلو فى الأرض أضرب على العبد من طلب المال، وضرره أعظم والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل فى طلب الرياسة والشرف، والحرص على الشرف على قسمين:

أحدهما: طلب الشرف بالولاية؛ السلطان والمال، وهذا خطر جداً، وهو فى الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزّها. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ

(١) التفسير المنير (١٥/ ٢٥٩).

(٢) المصدر نفسه (١٥/ ٢٦١).

(٣) سنن الترمذى، رقم (٤١١٠) صحيح غريب.

(٤) مسلم، رقم (٢٨٥٨).

(٥) مسلم، رقم (٢٨٥٦).

نَجْعُلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ [القصص: ٨٣]، وقلَّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فيؤفَّقُ، بل يُوكَلُ إلى نفسه^(١)، كما قال ﷺ لعبد الرحمن بن سمرّة رضى الله عنه: يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أُعطيها عن مسألة وكُلت إليها، وإن أُعطيها عن غير مسألة أعنت عليها^(٢)، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة^(٣)، وبئست الفاطمة^(٤).

إن حبَّ المال والرياسة والحرص عليهما يفسد دين المرء، حتى لا يبقى منه إلا ما شاء الله فقد قال ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»^(٥). وأصل محبة المال والشرف حبُّ الدنيا، وأصل حبِّ الدنيا اتباع الهوى^(٦)، قال وهب بن مُنبّه: من اتبع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة فيها حبُّ المال والشرف، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم^(٧)، ولذلك قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

كما أن النفس تحب الرفعة والعلوَّ على أبناء جنسها، ومن هنا نشأ الكبر والحسد، ولكنَّ العاقل ينافس في العلو الدائم الباقي الذى فيه رضوان الله وقربه وجواره، ويرغب عن العلوَّ الثانى الفانى الزائل الذى يعقبه غضب الله وسخطه وانحطاط العبد وسفوله وبعده عن الله وطرده عنه، فهذا العلو الثانى الذى يذمُّ وهو العتو والتكبر فى الأرض بغير الحقِّ وأما العلوُّ الأول والحرص عليه، فهو محمود قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] وقال

(١) ما ذئبان جائعان لابن رجب، ص (٣٣).

(٢) البخارى، رقم (٦٦٢٢).

(٣) مثل ضربه للإمارة وما يصل إلى الرجل من المنافع فيها واللذات.

(٤) مثل ضربه للموت الذى يهدم عليه تلك اللذات ويقطع منافعها عنه، البخارى، رقم (٧١٤٨).

(٥) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان، رقم (٣٢١٨) حسن صحيح.

(٦)، (٧) شرح حديث: ما ذئبان جائعان لابن رجب، ص (٧١).

الحسن: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة، وقال وهيب بن الورد: إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل^(١). ففي درجات الآخرة الباقية يُشرع التنافس وطلب العلوّ في منازلها والحرص على ذلك بالسعى في أسبابه، وأن لا يقنع الإنسان منها بالدون مع قدرته على العلوّ، وأما العلوّ الفاني، المتقطع الذي يُعقب صاحبه غداً حسرة وندامة وذلة وهواناً وصغاراً فهو الذي يُنشر الزهد فيه والإعراض عنه^(٢)، وهذا الفقه العظيم والفهم العميق نتعلمه من سيرة الحسن بن علي رضي الله عنه، فقد ترك الملك والسلطان رغبة فيما عند الله وحقاً لدماء المسلمين، فقد تركها وهو في قوة ومنعة فقد قال: كانت جماجم العرب يبدى، يسلّمون من سالت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله^(٣). وقال في رواية أخرى: . . . ولكن خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً، أو أكثر أو أقل، كلهم تنضح أوداجهم دمًا، كلهم يستعدي الله فيم هُريق دمه^(٤)، لقد بايع الحسن بن علي بعد وفاة علي تسعون ألفاً^(٥)، فزهد في الخلافة، فلم يردها وسلّمها لمعاوية وقال: لا يهرق على يدي محجمة دم^(٦). وقال في رواية: ما أحببت أن ألي من أمة محمد مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما ينفعني ممّا يضرني، فالحقوا بطيئكم^(٧).

٤ - إنفاقه وكرمه وجوده:

من الأخلاق القرآنية والتي تتصف بها النفوس الكريمة التي تجسدت في شخصية الحسن بن علي رضي الله عنه، خلق الكرم والجود، وكثرة الإنفاق في سبيل الله تعالى، وكان تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم عظيمًا، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم حيث يقول سبحانه في مستهل ثاني سورة بعد البسملة: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِحَرَصٍ أَزْدَادُكُمْ فِي السَّعْيِ وَالْجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ فَأَبَا وَاسْمُ اللَّهِ يُرِيدُ أَنْ يَمْلِكَ الْوَدَّ وَالْكَرَمَ﴾ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

(١) شرح حديث: «ما ذنب جائعان» ص ٧٢.

(٢) شرح حديث: «ما ذنب جائعان» ص ٧٣.

(٣) البداية والنهاية (١١ / ٢٠٦).

(٤) تاريخ دمشق (١٤ / ١٠٤).

(٥)، (٦) المصدر نفسه (١٤ / ٩٨).

(٧) بطيئكم: طية الشيء: جهته ونواحيه، تاريخ دمشق (١٤ / ٨٩).

وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٠﴾ ثم وصفهم بقوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥١-٥٠]. وقد تأثر أمير المؤمنين الحسن بالقيم القرآنية والنبوية والتربية العملية في حضن أمير المؤمنين على وانعكس ذلك على نفسيته وترك لنا آثاراً بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم والإنفاق في شخصيته العظيمة، فقد كان على جانب عظيم من السخاء والجود، وكيف لا يكون كذلك وقد شبَّ وكبر في بيت أكرم الكرماء سيدنا رسول الله ﷺ الذي كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وقد تسلسلت إليه هذه الخلقة الكريمة وتشربتها نفسه في طفولته، وأخبار كرمه وجوده أصبحت مضرب الأمثال، وقدوة العظماء من الرجال^(١).

منها: قال محمد بن سيرين: ربما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمائة ألف^(٢)، وقال سعد بن عبد العزيز: سمع الحسن رجلاً إلى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم فقام إلى منزله فبعث إليه^(٣)، وذكروا أنه رأى غلاماً في حائط المدينة يأكل من رغيف لقمة، ويطعم كلباً هناك لقمة، فقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: إني استحيى من أن أكل ولا أطعمه، فقال له الحسن: لا تبرح مكانك حتى آتيك فذهب إلى سيده فاشتراه، واشترى الحائط الذي هو فيه، فأعتقه وملّكه الحائط، فقال له الغلام، يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبني له^(٤)، وقال أبو هارون العبدى: انطلقنا حجاجاً فدخلنا المدينة، فدخلنا على الحسن بن علي، فحدثناه بمسيرتنا، وحالنا، فلما خرجنا بعث إلى كل واحد منا بأربعمائة، فرجعنا، فأخبرناه ببسارنا، فقال: لا تردوا عليّ معروفى فلو كنت فى غير هذا الحال لكان هذا لكم يسيراً، أما إني مزودكم، إن الله يباهى ملائكته بعباده يوم عرفة^(٥)، فهذا الحسن بن علي رضى الله عنه قد أعطى أولئك الحجاج ذلك المال

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٨٤).

(٢) تهذيب الكمال ٦/ (٢٣٤).

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ (٢٦٠).

(٤) البداية والنهاية ١١/ (١٩٦).

(٥) سير أعلام النبلاء ٣/ (٢٦١).

مع ظهور يسارهم، فكيف الحال لو كانوا محتاجين، وحينما أظهروا له عدم حاجتهم لم يقبل منهم رد ذلك المال، وهذا دليل على قوة الدافع في نفسه نحو السخاء والجود، ولم ينس أن يزودهم بما هو خير من ذلك حيث ذكّرهم بفضل يوم عرفة الذى يباهى الله تعالى به ملائكته عليهم السلام^(١)، وعن عبد الله به عبيد الله بن عمير قال: قال ابن عباس عن الحسن بن على: ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى إنه يعطى الخف ويمسك النعل^(٢)، وهذا مثال عزيز فى الكرم، حيث قسم الحسن بن على رضى الله عنه ماله قسمين ثلاث مرات، فكان يتصدق بنصف ماله، ولقد كان دقيقاً فى محاسبته نفسه وكأنه يؤدى واجباً من الواجبات، حيث كان يعطى الخف ويمسك النعل مع أن أحدهما لا يغنى عن الآخر، وأنه فى عمله هذا قد جعل من نفسه قدوة للمسلمين فى أعمال الخير والإحسان^(٣)، فقد كان رضى الله عنه من أسخى أهل زمانه^(٤)، وعد رضى الله عنه من الأجواد^(٥)، ومن أخبار جوده أن معاوية بن أبى سفيان بعث إليه بمائة ألف فقسمها بين جلسائه، فأصاب كل واحد منهم عشرة آلاف^(٦)، ومن أخبار كرمه أنه دخل على أسامة بن زيد وهو يجود بنفسه ويقول: واكرباه واحزنانه، فقال له الحسن: وما الذى أحزنك يا عم، فقال له: أى ابن رسول الله على دين مقداره ستون ألف درهم ولا أتمكن من رده، فقال الحسن رضى الله عنه: سأردها عنك، فقال له أسامة: فك الله رهانك يا ابن النبى، إن الله أعلم حيث يجعل رسالته^(٧).

وكان الناس يشهدون للحسن رضى الله عنه بكرمه ودليل ذلك أن إعرابياً قدم إلى المدينة يستعطى الناس فقيل له: عليك بالحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه أو عبد الله بن جعفر أو سعيد بن العاص، فلقى سعيد بن العاص، فأكرمه

(١) التاريخ الإسلامى (١٧ / ١٣٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٦٠).

(٣) التاريخ الإسلامى (١٧ / ١٣٧).

(٤) المحاسن والمساوى، ص (٥٥)، الحسن بن على، ص (٣٢).

(٥) الحسن بن على، رسالة ماجستير، ص (٣٢) لم تنشر.

(٦) البداية والنهاية نقلاً عن الحسن بن على، ص (٣٢).

(٧) المحاسن والمساوى، ص (٥٧).

وأعطاه ما أراد^(١)، ومن كرم الحسن رضى الله عنه أنه قيل له: من أحسن الناس عيشاً؟ فقال: من أشرك الناس فى عيشه وقيل له: من شر الناس؟ فقال: من لا يعيش فى عيشه أحد^(٢). ولقد سئل الحسن ابن على رضى الله عنه: لآى شىء نراك لا ترد سائلاً وإن كنت على فاقة، فقال: إنى لله سائل وفيه راغب وإن الله تعالى عودنى عادة، عودنى أن يفيض نعمه علىّ وعودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى أن قطعت عادتى أن يمنعنى عادته^(٣)، وكان الحسن رضى الله عنه فى سخائه وإيثاره لا يميز بين غنى وفقير، أو صغير وكبير، أو قريب أو بعيد، لأن النفس التى ترتاح للبذل والعطاء، وجبلت على الكرم والسخاء لذتها فى إسعاد الناس^(٤) ابتغاء مرضاة الله وطلباً للمثوبة والأجر تجد راحتها فى ذلك، وكأن الشاعر حافظ إبراهيم كان يعنى الحسن عندما قال:

إنى لتطربنى الخلالُ كريمةً طرب الغريب بأوبة وتلاق
ويهزنى ذكرُ المروءة والندى بين الشمائل هزة المشتاق
فإذا رزقت خليفة محمودة فقد اصطفاك مقسم الأرزاق
فالناس هذا حظه مال، وذا علم، وذاك مكارم الأخلاق

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه، أنه خطب الناس ثم قال: إن ابن أخيكم الحسن بن على قد جمع مالا، وهو يريد أن يقسمه بينكم، فحضر الناس فقام الحسن فقال: إنما جمعته للفقراء، فقام نصف الناس، ثم كان أول من أخذ منه الأشعث بن قيس^(٥)، ومن سيرة الحسن بن على نتعلم أن بداية انطلاق النفس إلى رضاء الله، وتخلصها من جواذب الأرض، وتطهيرها من الشح بدوام الإنفاق فى سبيل الله حتى يصير سحجة من سجايها، فتزهى فى المال ويخرج حبه من القلوب فلا يفرح صاحبه بزيادته ولا يحزن على نقصانه مصداقاً لقوله تعالى:

(١) غاية المرام، عز الدين القريشى (١/ ٩٥).

(٢) تاريخ يعقوبى (٢/ ٢٢٦، ٢٢٧).

(٣) نصيحة الملوك، ص (٤٣٨) للماوردى.

(٤) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٨٤).

(٥) الطبقات (١/ ٢٧٨) إسناده صحيح.

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾
[الحديد: ٢٣]. كما أن للصدقة أثراً عظيماً في تزكية النفوس فإن لها فوائد أخرى
عظيمة في الدنيا والآخرة منها:

✽ فهي أفضل استثمار للمال:

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال رسول الله ﷺ: من تصدق بعدل تمرة من
كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربها لصاحبها كما يربى
أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل^(١).

✽ وهي حجاب من النار:

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: يا عائشة استتري
من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان^(٢).

✽ وهي ظل لصاحبها يوم القيامة:

عن عقبة بن عامر - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس^(٣).

✽ والصدقة تدفع العذاب وقد ترد الحقوق بين الناس:

عن أبي سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: يا معشر
النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، إنكن تكثرن اللعن،
وتكفرن العشير^(٤)، قال ابن حجر: وفي هذا الحديث: أن الصدقة تدفع العذاب،
وأنها تكفر الذنوب بين المخلوقين^(٥).

وأما في الدنيا ففوائدها كثيرة ومجزية وجاءت الأحاديث التي تؤيد تلك
الفوائد، فهي دواء للمرضى، وتدفع البلاء، وتيسر الأمور، تجلب الرزق، تقى
مصارع السوء، وتطفئ غضب الرب، وتزيل أثر الذنوب^(٦).

(١) صحيح متفق عليه، والفلو: الفرس أول ما يولد.

(٢) صحيح الترغيب والترهيب للالبانى، رقم (٨٥٥).

(٣) صحيح الترغيب والترهيب، رقم (٨٢٢).

(٤) متفق عليه.

(٥) فتح البارى (١/ ٥٣٦).

(٦) الإيمان أولاً كيف نبداً به، ص (١٨٨، ١٨٩).

إن للإنفاق في سبيل الله علاقة وثيقة بالسير إلى الله فهو وسيلة مؤثرة غاية التأثير، كما أنه من الوسائل المحورية في إحياء القلب وإيقاظ الإيمان، ولنا في جود وكرم وإنفاق الحسن بن على أسوة وقدوة حسنة. فإن الإنفاق في سبيل الله من أعظم أبواب الجنة وهو مفتوح للموسرين أكثر من غيرهم، دخل من خلاله سادات الأمة الجنة، مثل عثمان وعبد الرحمن بن عوف والحسن وغيرهم، فعلى أغنياء المسلمين في العصر الحديث أن يقتحموا هذا الباب فيدعموا قضايا الإسلام العادلة ومشاريع الدعوة إليه بما يستطيعون فيكسبون رضا الله ودخول الجنة والمساهمة في نصرة دين الله وإغاثة المحتاجين وألا ييخلوا فيضيق الله عليهم.

٥- حلمه:

كان بين الحسن بن على ومروان بن الحكم كلام، فأقبل عليه مروان فجعل يغلظ له، والحسن ساكن، فامتخط مروان بيمينه، فقال الحسن رضى الله عنه: ويحك أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج، أف لك، فسكت مروان^(١)، وما سكون الحسن رضى الله عنه إلا لما كان لحق نفسه، فلما خالف مروان السنة غضب لله وللجنة وأبان له الصواب فيها^(٢)، ولما مات رضى الله عنه، بكى مروان ابن الحكم في جنازته، فقال له الحسين: أتبكيه وقد كنت تجرّعه ما تجرّعه؟ فقال: إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا وأشار إلى الجبل^(٣)، وذكر ابن عائشة أن رجلاً من أهل الشام، قال: دخلت المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فرأيت رجلاً راكباً على بغلة، لم أر أحسن وجهاً ولا سمّاءً، ولا ثوباً، ولا دابة منه، فمال قلبي إليه فسألت عنه، فقيل: هذا الحسن بن على بن أبى طالب فامتلاً قلبي بغضاً له، وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله، فصرت إليه، فقلت: أأنت ابن على بن أبى طالب؟ قال: أنا ابنه، قلت: فعل بك وبأبيك، أسبهما، فلما انقضى كلامي، قال لى: أحسبك غريباً، قلت: أجل، قال: مر بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك، وإن احتجت إلى مال آسيناك، أو إلى حاجة عاوناك، قال:

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٠).

(٢) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٨٧).

(٣) تهذيب الكمال (٦/ ٢٣٥).

فانصرف عنه، وما على الأرض أحب إلىَّ منه، وما فكرت فيما صنع، وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي^(١)، وهذه المواقف الكريمة التى نتعلم منها الحلم من سيرة الحسن بن على رضى الله عنه وكيفية كسب المخالفين، بالإحسان إليهم والترفق بهم، والصبر على آذاهم ومحبة الخير لهم، وقد يغلب على كثير منهم الجهل وعدم معرفة الحقائق، تطبيقاً لقول الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] واقتداءً بجده ﷺ، فقد بلغ عليه الصلاة والسلام الذروة والغاية فى حلمه وعفوه وضبط نفسه إزاء التخرصات والمفتريات التى نسبت إليه، إضافة إلى الإيذاء من مشركى العرب: كامرأة أبى لهب، وأبى جهل، وأبى بن خلف، وغيرهم من سفهاء مكة^(٢)، ووصفت السيدة عائشة رضى الله عنها خلق رسول الله ﷺ فقالت: ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح^(٣)، وعنهما أيضاً قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيئاً من محارم الله فينتقم الله عز وجل^(٤).

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفضه^(٥) دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يُخيَّر من أى الحور العين^(٦) شاء^(٧)» وفى صفة الحلم يقول الشاعر:

وفى الحلم ردع للسفيه عن الأذى وفى الخرق^(٨) إغراء فلا تلك أخرقا
فتندم إذ لا تنفعك ندامة كما ندّم لما تفرّقاً^(٩)

(١) وفیات الأعيان (٢/ ٦٧، ٦٨).

(٢) الأخلاق بين الطبع والتطبع، فيصل الحاشدى، ص (١٣٩).

(٣) رواه الترمذى، رقم (٢٠١٦) وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى، رقم (١٦٤٠).

(٤) مسلم، رقم (٢٣٢٨).

(٥) ومنه العفو عند المقدرة.

(٦) الحور: نساء شديديات سواد العيون وبياضها.

(٧) سنن الترمذى، رقم (٤٧٧٧) حسنه الألبانى صحيح الجامع (٢/ ٦٥١٨).

(٨) الخرق: الجهل ضد الرفق.

(٩) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص (١٥١).

مرَّ الحسن بن علي رضي الله عنه على جماعة من الفقراء قد وضعوا على وجه الأرض كسيرات من الخبز كانوا قد التقطوها من الطريق، وهم يأكلون منها فدعوه إلى مشاركتهم فأجابهم إلى ذلك وهو يقول: إن الله لا يحب المتكبرين. ولما فرغ من تناول الطعام دعاهم إلى ضيافته، فأطعمهم وكساهم وأغدق عليهم من إحسانه^(١). ومن مواقف تواضعه: أنه مرَّ على صبيان يتناولون الطعام فدعوه لمشاركتهم، فأجابهم إلى ذلك ثم حملهم إلى منزله فمَنَحهم بيره ومعروفه وقال: اليد لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني ونحن نجد ما أعطيناهم^(٢)، فصفة التواضع من صفات عباد الرحمن، قال الله تعالى وتبارك: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

والتواضع علامة من علامات حب الله للعبد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] فمن سيرة الحسن بن علي رضي الله عنه نتعلم صفة التواضع، قال الشاعر:

تواضع كالنجم لاح^(٣) لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولأنك كالدخان يعلو بنفسه على طبقات الجو وهو وضع^(٤)

٧- سيادته:

ولقد أعلن رسول الله ﷺ مكانة هذا الإمام وسيادته وجلالة قدره، على مرأى ومسمع من الناس في غير مرة، وقد تواترت الروايات بقوله ﷺ عن الحسن: إن ابني هذا سيد، قال ابن عبد البر: وتواترت الآثار الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال في الحسن ابن علي: إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يقيه حتى يصلح بين فتنتين

(١) حياة الإمام الحسن بن علي (١/ ٢٩١).

(٢) صلاح الأمة في علو الهمة (٥/ ٤٣٧).

(٣) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص (١٢٨): لاح: ظهر وبرز.

(٤) المصدر نفسه، ص (١٢٨).

عظيمتين من المسلمين^(١)، وجاء من حديث جابر بن عبد الله قال رسول الله: إن ابني هذا - يعنى الحسن - سيد، وليصلحن الله به بين فئتين من المسلمين^(٢)، وعن سعيد بن أبي سعيد قال: كنا مع أبي هريرة جلوساً، فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب فسلم علينا، فرددنا عليه، وأبو هريرة لا يعلم فمضى، فقلنا: يا أبا هريرة هذا الحسن بن علي قد سلم علينا، فقام فلحقه، فقال: يا سيدى، فقلت له: تقول: يا سيدى؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه لسيد^(٣)، وعن جابر ابن عبد الله أنه قال: من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلي نظر إلى الحسن بن علي^(٤)، وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة^(٥).

وقد نقل إلينا خبر سيادة الحسن والحسين فى الجنة جمع غفير من الصحابة، وما ذلك إلا لإعلان رسول الله ﷺ بذلك مرة بعد مرة، أو فى محافل جامعة^(٦)، وقد أثبتت الأيام ومرور الشهور والأعوام على رسوخ صفة السيادة فى الحسن، وقد بلغت ذروتها فى توفيق الله له فى عقد الصلح مع معاوية، وجمع الأمة على كلمة سواء، فقد كان الحسن سيداً جليلاً، ويعلمنا الحسن بأن السيادة لا تكون بالقهر وسفك الدماء، أو إهدار الأموال والحرمان، بل السيادة بصيانتها وإزالة البغضاء والشحناء، فصلحه وحقنه لدماء المسلمين بلغ فيه ذروة السيادة التى لا يستطيعها من فكر بالقوة وهو يملك طرقاً منها، وقد صالح الحسن معاوية وحوله الألو ف فىهم من هو طامع مدسوس ولكن فىهم الكثير الكثير من المخلصين الأوفياء، فما أراد أن تراق بسببه قطرة دم، أو يخدش مسلم فى هذا السبيل، وإن الرئاسة للأقوام إن لم تكن لصيانتها وحياطتها وحفظها، وترقيتها، فهى نوع من الطاغوت الأعمى والتهور الأحمق، والمغامرة والمقامرة التى تجلب معها الدمار والخراب، والإذلال

(١) البخارى، فضائل الصحابة (٧/ ٩٤).

(٢) الطبرانى فى الكبير، رقم (٢٥٩٧).

(٣) المستدرک (٣/ ١٦٩) وقال الحاكم: صحيح وأقره الذهبى.

(٤) صحيح ابن حبان (١٥/ ٤٢١، ٤٢٢)، مجمع الزوائد (٩/ ١٧٨).

(٥) مستدرک الحاكم (٣/ ١٦٦) وقد صح هذا الحديث من أوجه كثيرة.

(٦) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٨١).

واليباب، وينتهي أصحابها إلى غضب الله، ولعنة التاريخ، وهل تدافع أمواج
الدماء البشرية عبر العصور والقرون إلا من الحرص على الرياسة والسلطان
والتكالب على الدنيا^(١).

٨- صفاته الخلقية:

كان الحسن بن علي رضي الله عنه سيداً وسيماً جميلاً أبيض اللون مشرباً
بحمرة، أدعج العينين، سهل الخدين، كث اللحية كأن عنقه أبريق فضة، عظيم
الكراديس بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير، من أحسن الناس
وجهاً، جعد الشعر، حسن البدن^(٢)، ومن بركات الله سبحانه وتعالى على الحسن
أنه كان أشبه الناس بجده عليه السلام^(٣).

ثانياً: من حياة الحسن بن علي في المجتمع:

ترك لنا الحسن بن علي مواقف متميزة من حياته في المجتمع الإسلامي
الراشدي، فقد كان حريصاً على تصحيح المفاهيم وقضاء حوائج الناس، ومخالطتهم
بالحسنى، وإرشادهم بالمواعظ، والحكم النادرة وغير ذلك وإليك تفصيل ما أجملت:
١- تفنيده لمعتقد الرجعة:

عن عمرو بن الأصم، قلت للحسن: إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم
القيامة، قال: كذبوا والله، ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا
نساءه، ولا اقتسمنا ماله^(٤). وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ، إلا أنه قال بأنه
غاب وسيرجع ولم يصدق بموته، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند
السبئية الكيسانية وغيرها، ولكنها صارت عند الإثنى عشرية عامة للإمام وكثير من
الناس، ويشير الألوسي إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة الرافضة من رجعة
الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث^(٥)، وأما المفهوم العام لمبدأ
الرجعة عند الإثنى عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف:

(١) الدوحة النبوية، ص (٩٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٩)، أخبار الدول، ص (١٠٥).

(٣) الحسن بن علي، فتبخان كردى، ص (٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٣).

(٥) روح المعاني (٥/ ٢٧) ضحى الإسلام (٣/ ٢٣٧) أحمد أمين.

* الأئمة الاثنى عشر، حيث يخرج المهدي من مخبئه، ويرجع من غيبته، وباقي الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

* ولاية المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة - في زعمهم الباطل - من أصحابها الشرعيين «الأئمة الاثنى عشرية»، فيبعث خلفاء المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان.. ومن قبورهم يرجعون لهذه الدنيا. كما يزعم الشيعة الرافضة - للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها فتجرى عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب.

* عامة الناس، ويخص منهم: من محض الإيمان محضاً، وهم الشيعة عموماً - على حد زعمهم - ولأن الإيمان خاص بالشيعة كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم. ومن محض الكفر محضاً وهم كل الناس ما عدا المستضعفين^(١). ولهذا قالوا في تعريف الرجعة: إنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة^(٢)، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت في صورهم التي كانوا عليها^(٣).

وقد خالف الشيعة الرافضة علماء أهل البيت ممن ساروا على الهدى والحق؛ كتاب الله وسنة رسوله في معتقد الرجعة وعلى رأسهم الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وجعلوا الرجعة من أصول المذهب الشيعي الرافضي، فمن رواياتهم التي اختلقها الرواة الكذبة: ليس منا من لم يؤمن بكرتنا^(٤)، وقال ابن بابويه في الاعتقادات: واعتقادنا في الرجعة أنها حق^(٥)، وقال المفيد: وافقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات^(٦)، وقال الطبرسي والحر العاملي، وغيرهما من شيوخ الشيعة: بأنها موضع إجماع الشيعة الإمامية^(٧)، وأنها من ضروريات مذهبهم، وأنهم: مأمورون بالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمام والقيامة^(٨).

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٠٥).

(٢) تفسير القمي (٢/ ٧٦) وضع عنوان في أعلى الصفحة أعظم دليل على الرجعة.

(٣) أوائل المقالات، ص (٩٥).

(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٠٣).

(٥) الاعتقادات، ص (٩٠).

(٦) أوائل المقالات، ص (٥١).

(٧) مجمع البيان (٥/ ٥٢).

(٨) القاموس (٣/ ٢٨) مجمع البحرين (٤/ ٣٣٤).

إن فكرة الرجعة عند الشيعة الرافضة بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن الكريم، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] فقلوه سبحانه: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ صريح فى نفى الرجوع مطلقاً^(١)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَفَّقُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بَيَّاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧)﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨]، فهؤلاء جميعاً يسألون الرجوع عند الموت، وعند العرض على الجبار جل علاه، وعند رؤية النار يجابون لما سبق من قضائه أنهم لا يرجعون، ولذلك عد أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو فى بدعة التشيع^(٢).

وقد مرّ معنا موقف الحسن بن على من رواية عمرو بن الأصمّ وقد جاء فى مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة- وكان من أصحاب على رضى الله عنه- قال للحسن بن على: إن الشيعة يزعمون أن علياً يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، ولو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه^(٣).

والقول بالرجعة بعد الموت على الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين يناهى طبيعة هذه الدنيا أنها ليست دار جزاء قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقد كان لابن سبأ اليهودى دور التأسيس لمبدأ الرجعة، إلا أنها رجعة خاصة بعلى كما أنه ينفى وقوع الموت عليه أصلاً كحال الإثنى عشرية مع مهديهم الذى يزعمون وجوده، وعقيدة الرجعة عند الشيعة الإمامية خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيامة، وأن الله كلما توعد كافراً أو ظالماً إنما توعدّه بيوم القيامة، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة

(١) مختصر التحفة، ص (٢٠١).

(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٢٤).

(٣) مسند أحمد (٢/ ٣١٢) قال أمد شاكر: إسناده صحيح.

بأنه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة^(١)، هذا من حيث النقل، وأما من حيث العقل، فإن الله جعل الدنيا دار ابتلاء، وجعل الآخرة دار جزاء فلماذا يرجعهم للدنيا ليحاسبهم فيها مع وجود الآخرة، علماً بأن عذاب الآخرة أعظم وأشد لمن انحرف عن دينه، ولم يحدث أن أرجع الله أحداً من الأموات ليحاسبه في الدنيا في تاريخ البشرية كلها.

٢- قضاء حوائج الناس:

جاء رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنه فذكر له حاجته فخرج معه لحاجته، فقال: أما إنني قد كرهت أن أعينك في حاجتي ولقد بدأت بحسين فقال: لولا اعتكافي لخرجت معك. فقال الحسن: لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب إلي من اعتكاف شهر^(٢)، وجاء في رواية أخرى أنه ترك الطواف وخرج في حاجة إنسان له حاجة عند شخص معين^(٣)، وجاء من كلام الحسن وذكر بعض الكتاب أنه من كلام الحسين رضي الله عنهما: إن حوائج الناس إليكم، من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتحور^(٤) نغمًا، واعلموا أن المعروف مكسب حمداً ومعقب أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً، رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين ويفوق العالمين، ولو رأيتم اللؤم، رأيتموه سمجاً^(٥) مشوهاً، تنفر عنه القلوب والأبصار^(٦)، وذكر صاحب كتاب الشهب اللامعة في السياسة النافعة: أن رجلاً رفع إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال: قد قرأتها، حاجتك مقضية، فقيل له: يا ابن بنت رسول الله ﷺ، لو نظرت إلى رقعته وراجعته على حسب ما فيها، فقال: أخاف أن أسأل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأها^(٧).

وهذه المواقف تدل على حسن أخلاقه وعظمتها مع تواضع كبير ولا نستغرب ذلك من سيدنا الحسن، فهو القائل: مكارم الأخلاق عشرة، صدق اللسان،

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٢٤).

(٢)، (٣) تاريخ دمشق الكبير (١٤/ ٧٦).

(٤) فتحور: ترجع.

(٥) سمج: قبح، لسان العرب (٢/ ١٩٧) سمج.

(٦) الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ص (٤٤١).

(٧) المصدر نفسه، ص (٤٣٩).

وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، والترحم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء^(١)، وأيضاً قوله: أشد من المصيبة سوء الخلق^(٢).

وهذه المواقف الكريمة للحسن رضى الله عنه تطبيق لتوجيهات رسول الله ﷺ، فعن عبد الله بن دينار عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قال: قيل: يا رسول الله، من أحب الناس إلى الله؟ قال: أنفعهم للناس. وإن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن، تكشف عنه كرباً أو تقضى عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة، أحبُّ إلىَّ من أن أعتكف شهرين فى مسجدى.. ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجة حتى يُشَبَّهَها له، ثَبَّتَ الله قدمه يوم تزل فيه الأقدام، وإنَّ سوء الخلقِ يُفْسِدُ العمل، كما يفسد الخُلُ العسل^(٣). وعن مسلمة بن مخلد، أن النبی ﷺ قال: «من ستر مسلماً فى الدنيا ستره الله فى الدنيا والآخرة، ومن نجى مكروباً فك الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته»^(٤).

٣- زواجه من بنت طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم:

عن شعيب بن يسار، أن الحسن بن على أتى ابناً لطلحة بن عبيد الله^(٥)، فقال: قد أتيتك لحاجة وليس لى مرد قال: وما هى؟ قال: تزوجنى أختك^(٦)، قال: إن معاوية كتب إلىَّ يخطبها على يزيد، قال: مالى مردٌ إذ أتيتك فزوجها إياى ثم قال: دخل بأهلك، فبعث إليها بحلة ثم دخل بها، فبلغ ذلك معاوية، فكتب إلى مروان أن خيرها فخيرها فاختارت حسناً فأقرها ثم خلف عليها بعده الحسين^(٧).

(١) من أقوال الصحابة، محمد خورشيد، ص (٦٨)، الحسن بن على، ص (٣١).

(٢) تاريخ يعقوبى (٢/ ٢٢٧).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (٩٠٦) وحسن الألبانى إسناده فى الصحيح الجامع.

(٤) مصنف عبد الرزاق، رقم (١٨٩٣٦)، حديث صحيح.

(٥) هو إسحاق بن طلحة.

(٦) هى أم إسحاق.

(٧) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٢٩٢) إسناده لا بأس به.

٤- زواجه من خولة بنت منظور:

عن ابن أبي مليكة، قال: تزوج الحسن بن علي خولة بنت منظور فبات ليلة على سطح أجم^(١)، فشدت خمارها برجله والطرف الآخر بخلخالها فقام من الليل فقال: ما هذا؟ قالت: خفت أن تقوم من الليل بوسنك^(٢) فتسقط، فأكون أشأم سخلة^(٣) على العرب، فأحبها، فأقام عندها سبعة أيام^(٤). فقال ابن عمر: لم نر أبا محمد منذ أيام. فانطلقوا بنا إليه، فأتوه فقالت له خولة: أتحبهم حتى نهىء غداءً قال: نعم، قال ابن عمر: فابتدأ الحسن حديثاً ألهاناً بالاستماع إعجاباً به حتى جاءنا الطعام^(٥).

٥- لا يرى أمهات المؤمنين:

كان الحسن والحسين لا يريان أمهات المؤمنين، فقال ابن عباس: إن رؤيتهن حلال لهما وعلق الذهبي فقال: الحل متيقن^(٦). وهذا يدل على شدة حياته.

٦- الغيرة في النسب النبوي:

دخل سيدنا الحسن بن علي - رضى الله عنهما - السوق لحاجة يقضيها فساوم صاحب دكان فى سلعة، فأخبره بالسعر العام، ثم علم أنه الحسن بن علي رضى الله عنهما سبط رسول الله ﷺ، فنقص فى السعر إجلالاً له وإكراماً، ولكن الحسن بن علي رضى الله عنهما لم يقبل منه ذلك، وترك الحاجة، وقال: إننى لا

(١) الطبقات (١/ ٣٠٧).

(٢) الوسن: قيل: النوم الثقيل وقيل: أول النوم.

(٣) سخلة: السخلة: ولد الشاه من المعز والضأن ذكراً كان أو أنثى ويطلق على المولود المحب لوالديه والمراد أشأم امرأة.

(٤) المعلوم من السنة أن الرجل إذا تزوج امرأة على زوجته فإنه يقيم عندها سبعة أيام متواصلة إذا كانت بكرًا وثلاثة أيام إذا كانت ثيبًا ثم يعود إلى القسم بينهما، وخولة عندما تزوجها الحسن لم تكن بكرًا حيث سبقها عليه محمد بن طلحة بن عبيد الله كما فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص (٢٥٨) وحققها ثلاث ليال لا سبعا وهذا ما يؤكد ضعف الرواية فإن إسناده ضعيف جداً وهذه نكارة فى المتن تؤكد الضعف.

(٥) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٠٧، ٣٠٨) إسناده ضعيف.

(٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٥).

أرضى أن أستفيد من مكانتي من رسول الله في شيء تافه^(١). وهذا الحال كان مصاحباً لأهل البيت ممن ساروا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهذا زين العابدين بن علي بن الحسين، يقول عن جويرية بن أسماء - وهو من أخص خدمه - ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله ﷺ درهماً قط^(٢)، وكان إذا سافر كنتم نفسه، فقيل له في ذلك، فقال: أنا أكره أن آخذ برسول الله ﷺ ما لا أعطى به^(٣)، وكذلك روى عن أبي الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم فقد قيل إنه كان إذا سافر كنتم نفسه، فقيل له في ذلك، فقال: أنا أكره أن آخذ برسول الله ﷺ ما لا أعطى به^(٤).

فهؤلاء السادة من أهل البيت كانوا غيارى أشد الغيرة في الرحم التي كانت تصلهم برسول الله ﷺ. فما كانوا يستغلون هذه النسبة لمصالح دنيوية، شأن أبناء أسر الزعماء الدينيين في الديانات الأخرى ممن ينالون تقديساً زائداً في كل حال، ويعاملون من أتباعهم كشخصيات تفوق البشر، وكانوا بعيدين عن كسب حطام الدنيا بأسمائهم، وبناء قصور الفخر على عظامهم واستغنائهم وعزة أنفسهم، تصور سيرتهم وسلوكهم تصويراً يختلف تماماً عن سيرة الطبقة المحترفة بالدين من البراهمة والكهنة في الديانات والملل الأخرى، فإنها تعتبر ذات قدسية وعظمة عن طريق الولادة، فهي لا تحتاج لكسب المعاش وتحقيق حاجات الحياة إلى بذل شيء من الجهد والسعي^(٥).

٧- صلاته على الأشعث بن قيس:

مات الأشعث بن قيس بعد مقتل أمير المؤمنين علي بأربعين ليلة، وصلى عليه الحسن بن علي^(٦)، وهو زوج بنت الأشعث بن قيس^(٧)، وقد ذهبت بعض الروايات الضعيفة إلى تورط الأشعث بن قيس في دم أمير المؤمنين وهذا ليس عليه

(١) المرتضى للندوى، ص (٢٢٨).

(٢) البداية والنهاية نقلاً عن المرتضى للندوى، ص (٢٢٨).

(٣)، (٤) وفيات الاعيان (٢/ ٤٣٤).

(٥) المرتضى للندوى، ص (٢٢٨).

(٦) الكامل في التاريخ (٣/ ٤٤٤).

(٧) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٠٠).

دليل، وذلك لأن الأشعث بن قيس عند استعراض دوره في خلافة على رضى الله عنه نجده مخلصاً ووفياً، فهو أول من حارب أهل الشام أثناء القتال على الماء، وأظهر العداوة للخوارج منذ نشأتهم فهو الذى أبلغ علياً رضى الله عنه أن الخوارج يقولون: إن علياً تاب من خطيئته ورجع عن التحكيم، وقاتل على الخوارج في النهروان، وقد حرص كل الحرص على أن يوطد علاقته بعلى وآل بيته فزوج ابنته من الحسن بن على رضى الله عنه، وعندما أراد الحسن أن يبنى بها قامت كندة وجعلت أرديتها بسطاً من بابه إلى باب الأشعث^(١)، وقد مات الأشعث بعد مقتل على، وصلى عليه الحسن بن على كما مرّ، ولم ينقل عن آل على بن أبى طالب رضى الله عنهم أنهم اتهموا الأشعث بهذه التهمة، أو كشفوا أحداً من آل الأشعث بهذا السبب، ويظل قتل على عملاً من تدبير الخوارج جاء فى الأرجح ثاراً لقتلى النهروان^(٢).

٨- معاملته لمن يسىء إليه:

قدم رجل من المدينة وكان يبغض علياً ففُطع به فلم يكن له زاد ولا راحلة فشكا ذلك إلى بعض أهل المدينة، فقال له عليك بالحسن بن على، فقال له الرجل: ما لقيت هذا إلا فى حسن وأبى حسن؟ فقليل له: فإنك لا تجد خيراً إلا منه فأتاه فشكا إليه، فأمر له بزاد وراحلة، فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته فقليل للحسن: أذاك رجل يبغضك ويبغض أباك فأمرت له بزاد وراحلة، قال: أفلا اشتري عرضى منه بزاد وراحلة^(٣).

٩- من أدبه فى المجالس:

كان ذات يوم جالساً فى مكان، فأراد الانصراف، فجاءه فقير فرحب به ولاطفه وقال له: إنك جلست على حين قيام منا أفتأذن لى بالانصراف؟ قال: نعم يا ابن بنت رسول الله ﷺ^(٤).

(١) تهذيب الكمال (٣/ ٣٩٣، ٣٩٤) الطبقات (٦/ ٢٣).

(٢) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، بطانية، ص (٥٢).

(٣) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٧٦).

(٤) الطبقات (١/ ٢٨١) تحقيق السلمى، إسناده ضعيف، تاريخ الخلفاء، ص (٧٣).

١٠- حسن خلقه بين الناس:

عن عمير بن إسحاق قال: ما تكلم عنى أحد كان أحبَّ إلىَّ إذا تكلمَّ ألا يسكت من الحسن بن على، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة، فإنه كان بين الحسين بن على وبين عمرو بن عثمان خصومة، فقال الحسن: ليس له عندنا إلا ما رَغِمَ أنفه. فهذا أشد كلمة فحش سمعتها منه قط^(١).

١١- ملاعبته بالمداحي^(٢):

قال سليمان بن شديد: كنت ألاعب الحسن والحسين بالمداحي فكنت إذا أصبت مدحاته فكان يقول لى: يحل لك أن تركب بضعة من رسول الله ﷺ؟ وإذا أصاب مدحاتى قال: أما تحمد ربك أن يركبك بضعة من رسول الله ﷺ؟^(٣).

١٢- بعده عن فضول الكلام:

كان الحسن بن على أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بذي القائلين، فالحسن بن على يعلمنا الابتعاد عن فضول الكلام، وهذا من هدى النبى ﷺ، فقد قال: لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه^(٤)، وقال ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٥)، وجاء عنه: «من صمت نجاً»^(٦)، وسئل الرسول ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: الفم والفرج^(٧)، وقد سأل معاذ النبى ﷺ عن العمل الذى يدخله الجنة ويباعده من النار، فأخبره برأسه وعموده وذروة سنامه ثم قال: ألا أخبرك بملك ذلك كله؟ قال: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: كُفَّ عليك هذا. فقال: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يُكَبُّ الناس فى النار على

(١) البداية والنهاية (١١ / ١٩٨).

(٢) المداحي: هى أحجار أمثال القرصة كانوا يحفرون حفرة ويدحون فيها بتلك الأحجار، فإن وقع الحجر فيها غلب صاحبها وإن لم يقع غُلب، وهى لعبة يلعب بها أهل مكة. وقد سئل ابن المسيب عن المراماة والمسابقة بها فقال: لا بأس به.

(٣) الطبقات، تحقيق السلمى (١ / ٢٩٤).

(٤) السلسلة الصحيحة، رقم (٢٨٤١).

(٥) البخارى، رقم (٦١٣٦).

(٦) صحيح الجامع، رقم (٦٣٦٧).

(٧) السلسلة الصحيحة، رقم (٦٦٩).

وجوهم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم»^(١) ويقول ابن عبيد: ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال إلا رأيت ذلك صلاحاً في سائر عمله^(٢)، وكان ابن الكاتب يقول: إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه^(٣)، وقال الأوزاعي: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رسالة أما بعد: فإنه من أكثر ذكر الموت رضا بالدنيا باليسير، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه، والسلام^(٤).

فالحسن بن علي كان يعد كلامه من عمله ولذلك أكثر الصمت.

١٣- إكرام الحسن بن علي أسامة بن زيد رضى الله عنهما:

عن حرملة - مولى أسامة - قال: أرسلني ابن زيد إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه وقال لى: إنه سيسألك ويقول لك: ما خلف صاحبك فقل له: يقول لك: لو كنت فى شدة الأسد لأجبت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أره قال: فأتيت علياً فلم يعطنى شيئاً، ذهبت إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر - رضى الله عنهم - فأوقروا لى راحلتى^(٥).

١٤- الحسن بن علي واليهودى الفقير:

اغتسل الحسن - رضى الله عنه - وخرج من داره فى بعض الأيام وعليه حلة فاخرة ووفرة ظاهرة ومحاسن سافرة فعرض له فى طريقه شخص من محابى اليهود وعليه مسح من جلود، قد أنهكتة العلة، وزكبتة القلة والذلة، وشمس الظهيرة قد شوت شواه وهو حامل جرة ماء على قفاه، فاستوقف الحسن رضى الله عنه وقال: يا ابن رسول الله، سؤال، قال: ما هو؟ قال: جدك يقول: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر^(٦). وأنت مؤمن وأنا كافر. فما أرى الدنيا إلا جنة لك

(١) سنن الترمذى وقال: حديث صحيح.

(٢) صفة الصفوة (١/ ٣٧٢).

(٣) المصدر نفسه (٤/ ٣٢٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣٣).

(٥) ذخائر العقبى، ص (٢٣٧).

(٦) مسلم، وابن ماجه، رقم (٤١١٣).

تتنعم بها، وما أراها إلا سجنًا علىّ قد أهلكنى ضرها وأجهدنى فقرها، فلما سمع الحسن كلامه قال له: يا هذا لو نظرت إلى ما أعد الله لى فى الآخرة لعلمت أنى فى هذه الحالة بالنسبة إلى تلك فى سجن، ولو نظرت إلى ما أعد الله لك فى الآخرة من العذاب الأليم لرأيت أنك الآن فى جنة واسعة^(١).

لقد كان الحسن بن على حاضر البديهة، فأجاب بجواب مقنع مفحم حيث أوضح له أن حالته التى يشكو منها إنما هى كالجنة بالنسبة إلى عذاب الآخرة الذى أعد للكافرين، وأن حالة الحسن التى ظنها نعيمًا إنما هى كالسجن بالنسبة إلى نعيم الجنة الذى أعد للمتقين^(٢).

١٥ - احترام وتقدير ابن عباس للحسن والحسين رضى الله عنهم:

قال مدرك أبو زياد: كنا فى حيطان ابن عباس فجاء ابن عباس والحسن والحسين فطافوا فى البستان فنظروا ثم جاءوا إلى ساقية فجلسوا على شاطئها، فقال لى الحسن: يا مدرك أعندك غداء؟ قلت: قد خبزنا، قال: ائت به. قال: فجئت به خبز وشئ من ملح جريش وطاقتى بقل فأكل ثم قال: يا مدرك ما أطيب هذا؟ ثم أتى بغدائه - وكان كثير الطعام طيبه - فقال: يا مدرك اجمع لى غلمان البستان قال: فقدم إليهم فأكلوا ولم يأكل. فقلت: ألا تأكل؟ فقال: ذاك أشهى عندى من هذا، ثم قاموا فتوضأوا ثم قدمت دابة الحسن فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوى عليه، ثم جىء بدابة الحسين فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوى عليه، فلما مضيا قلت: أنت أكبر منهما تمسك لهما وتسوى عليهما؟ فقال: يا لكع أتدرى من هذان؟ هذان ابنا رسول الله ﷺ، هذا مما أنعم الله علىّ به أن أمسك لهما وأسوى عليهما^(٣). وهذا الاحترام والتقدير من ابن عباس للحسن والحسين دليل على محبته لهما ومعرفة فضلهما، كما يدل على فضل ابن عباس، فلا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهله. وقد كان أمير المؤمنين على يعامل عمه العباس والد عبد الله معاملة قلّ نظيرها فى الاحترام والتقدير، فعن ابن عباس

(١) الحسن والحسين، محمد رشيد رضا، ص (٣٢).

(٢) المصدر نفسه، ص (٣٣).

(٣) تاريخ ابن عساکر (١٤ / ٦٩).

- رضى الله عنهما - قال: اعتل أبى العباس، فعاده على، فوجدنى أضبط رجله، فأخذهما من يدى، وجلس موضعى وقال: أنا أحق بعمى منك، إن كان الله عز وجل قد توفى رسول الله ﷺ وعمى حمزة وأخى جعفر فأبقى لى العباس. عم الرجل صنو أبيه، وبره به كبره بأبيه، اللهم هب لعمى عافيتك وارفع له درجته، واجعله عندك فى عليين (١).

١٦- ثناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما على الحسن:

قال عبدالله بن عروة: رأيت عبدالله بن الزبير قعد إلى الحسن بن على فى غداة من الشتاء باردة قال: فوالله ما قام حتى تفسخ جبينه عرقاً فغاطنى ذلك، فقامت إليه فقلت: يا عم! قال: ما تشاء؟ قال: قلت: رأيتك قعدت إلى الحسن بن على، فأقامت إليه حتى تفسخ جبينك عرقاً، قال: يا ابن أخى إنه ابن فاطمة، لا والله ما قامت النساء عن مثله (٢).

١٧- بين الحسن والحسين رضى الله عنهما:

ذكر ابن خلكان (بصيغة التمريض) وقيل: دار بين الحسن والحسين كلام فتقاطعا فقيل للحسين، لو أتيت أخاك فهو أكبر منك سناً منك، فقال: فإن الفضل للمبتدئ وأنا أكره أن يكون لى الفضل على أخى، فبلغ ذلك الحسن فأثاه (٣).

١٨- أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدّة وخالاً وخالة وعمّاً وعمّة:

قال معاوية - وعنده عمرو بن العاص وجماعة من الأشراف-: من أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدّة وخالاً وخالة وعمّاً وعمّة؟ فقام النعمان بن العجلان الزرقانى، فأخذ بيد الحسن فقال: هذا أبوه على وأمه فاطمة وجده رسول الله ﷺ وجدته خديجة، وعمّه جعفر، وعمته أم هانئ بنت أبى طالب، وخاله القاسم، وخالته زينب (٤).

(١) ذخائر العقبى، ص (٣٣٧).

(٢) تاريخ ابن عساكر (١٤ / ٧٠).

(٣) وفيات الأعيان (٢ / ٦٩).

(٤) تاريخ ابن عساكر (١٤ / ٧٠).

١٩ - محبة الناس له ولأخيه الحسين وازدحامهم عليهما في البيت الحرام:

قال أبو سعيد: رأيت الحسن والحسين صلياً مع الإمام العصر ثم أتيا الحجر فاستلماه ثم طافا أسبوعاً وصلياً ركعتين، فقال الناس: هذان ابنا بنت رسول الله ﷺ، قال: فحطمهما الناس حتى لم يستطيعا أن يمضيا إلا معهما إلا رجل من الركانات وأخذ الحسين بيد الركاني^(١)، وردّ الناس عن الحسن - وكان يجله وما رأيتهما مرّاً بالركن الذي يلي الحجر من جانب الحجر إلا استلماه قال: قلت لأبي سعيد^(٢)، فلعله بقى عليهما بقية من سبوع قطعته الصلاة؟ قال: لا بل طافا أسبوعاً تاماً^(٣).

ثالثاً: من أقواله وخطبه ومواعظه التي حفظها عنه الناس:

١ - قال الحسن بن علي: هلاك الناس في ثلاث: الكبر والحرص والحسد، فالكبر هلاك الدين، وبه لعن إبليس، والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل^(٤).

فهذه الأمراض القلبية حذر منها الحسن بن علي - رضى الله عنه - وهى من أشد الأمراض علة وإليك بعض البيان:

أ - مرض الكبر: قول الحسن: فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس:

الكبر نقيض التواضع، وهو استعظام النفس واستكبار حالة نفسه، والنظر إلى الآخرين بعين الاحتقار وهو من عظيم الآفات، وعنه تتشعب أكثر البليات يستوجب به من الله عز وجل سرعة العقوبة والغضب، لأن الكبر لا يحق إلا لله عز وجل، ولا يليق ولا يصلح لمن دونه، إذ كل من سواه عبد مملوك، وهو المملك الإله القادر، فيستحق المتكبر أن يقصمه الله عز وجل ويحقره ويصغره، إذ تعدى قدره، وتعاطى ما لا يصلح لمخلوق^(٥).

(١) كانه منسوب إلى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف الذى صارعه النبى ﷺ مرتين، كما فى مادة ركن من القاموس وشرحه.

(٢) القائل الراوى وهو عمارة بن معاوية الدهنى.

(٣) تاريخ ابن عساكر (٦٩ / ١٤).

(٤) علموا أولادكم محبة آل بيت النبى ﷺ، ص (٣١).

(٥) منهج الإسلام فى تزكية النفس، ص (٣٤٢).

- علامات الكبر، وللكبر علامات فى الظاهر تدل عليه، فمنها: حب التقدم على الناس، وإظهار الترفع عليهم، وحب التصدر فى المجالس والتبخر فى المشية، والاستتكاف من أن يرد عليه كلامه وإن كان باطلاً، والامتناع من قبوله، والاستخفاف بضعفاء المسلمين ومساكينهم، ومنها تزكيتة لنفسه والثناء عليها، والفخر بالآباء والتبجح بالنسب، والتكبر بالمال والعلم والعمل والعبادة والجمال والقوة، وكثرة الأتباع والأنصار والعشيرة ونحو ذلك^(١).

الوقاية والعلاج من هذا المرض:

* أن يُسائل المسلم نفسه وأن يراقب قلبه، هل هو متكبر؟ هل يميل إلى التكبر؟ فإن وجد نفسه ميالاً إلى التواضع كارهاً للتكبر وأهله، فليحمد الله عز وجل على ما أنعم عليه وأفضل وإلا عاتب نفسه، وحاسبها وجاهدتها، وعاقبها بكثرة الذكر والعبادة والصيام والطاعة وحرمانها من كثير من الراحة واللهو والرغبات المباحة حتى تعود إلى رشدتها، وتبتعد عن طريق غيها، وتشفى من مرضها.

* وأن يضع المسلم نصب عينه حقيقة هذا المرض ونتائجه فى الدنيا والآخرة، وحكمه فى الشريعة، وعقابه فى الدنيا والآخرة، ومن القرآن والسنة والواقع، وقصص الصالحين وحياتهم، فهذا القرآن الكريم يظهر أن الكبر من صفات الشيطان، قال تعالى فى إبليس اللعين: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

والتكبر لا يحبه الله كما قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

والخيلاء والفخر من أوصاف المتكبر، والمتكبر متعرض لأن يطبع الله على قلبه، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

(١) منهج الإسلام فى تزكية النفس، ص (٣٤٢).

فإن تكبر بالعلم والعبادة وهو أعظم آفات التكبر، فعليه أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم...، وأنه يحتمل من الجاهل مالا يحتمل من العالم، وبالتكبر يعصى الله عز وجل عن علم فجنيته أفحش وخطره أعظم، وإن تكبر من جهة النسب، فليعلم أن هذا تعزز بكمال غيره ثم يعلم أباه وجدّه، فإن أباه القريب نطفة قدرة، وأباه البعيد تراب، ومن اعتراه الكبر بالجمال، فلينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى ظاهره نظر البهائم، ومن اعتراه من جهة القوة، فليعلم أنه لو آله عرق عاد أعجز من عاجز، ومن تكبر بسبب الغنى فلينظر لمن هو أغنى منه قارون وهامان وما حل بهما، من كل ذلك يجدد نفسه أصغر من أن يتكبر، وما عليه إلا أن يتواضع فيرفعه الله ويعزه، ويعلو شأنه ويرضى الله عنه في الدنيا والآخرة وأن يعتبر بالآخرين ممن ذكروا في القرآن الكريم أو السنة الشريفة، أو من قصص الأقدمين والحاضرين ممن تكبروا، فما كان مصيرهم ومآلهم وخزيهم في الدنيا والآخرة؟ يعتبر منهم فيتقى نفسه من التكبر ويعالجها إن مرضت، وأن يصاحب المتواضعين من الصالحين لينتفع منهم ويكسب من أخلاقهم وأقوالهم وطريقة معاملتهم للآخرين ويتبعد عن المتكبرين ولا يجالسهم، حتى لا يكسب منهم ما يضره في الدنيا والآخرة، أو يتأثر بهم فينساق في أهوائهم وضلالاتهم^(١).

ب- الحرص: قول الحسن: والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلتا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»^(٢) فهذا مثل عظيم جداً ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضارين باتا في الغنم قد غاب عنها رعاؤها ليلاً، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها، ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل، فأخبر النبي ﷺ أن حرص المرء على المال والشرف أفساد لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم، بل إما أن يكون مساوياً وإما أكثر. يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال

(١) منهج الإسلام في تزكية النفس، ص (٣٤٦).

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، رقم (٣٢١٨) حسن صحيح.

والشرف فى الدنيا إلا القليل، فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شرّ
الحرص على المال والشرف فى الدنيا، فأما الحرص على المال فهو على نوعين:
- حال من حرص على جمع المال:

* أجدهما شدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة والمبالغة فى طلبه،
والجدُّ فى تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة، وقد ورد أن سبب
الحديث كان وقوع بعض أفراد هذا النوع، كما أخرجه الطبرانى^(١) من حديث
عاصم بن عدى رضى الله عنه قال: اشترت مائة سهم من سهام خبير فبلغ ذلك
النبي ﷺ فقال: ما ذئبان ضاريان ضللاً فى غنم أضاعها ربها فأفسد فى طلب
المسلم المال والشرف لدينه^(٢). وقد علق ابن رجب - رحمه الله - على الحديث
فقال: ولو لم يكن فى الحرص على المال إلا تضييع العمر الشريف الذى لا قيمة
له، وقد يُمكن صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم، فضيَّعه بالحرص
فى طلب رزق مضمون مقسوم لا يأتى منه إلا ما قُدِّر وقُسم، ثم لا ينتفع به، بل
يتركه لغيره، ويرتحل عنه فيبقى حسابه عليه ونفعه لغيره فيجمع لمن لا يحمد،
ويقدم على مَنْ لا يعذره لكفاه بذلك ذمّاً للحرص، فالحرص يضع زمانه
الشريف، ويخاطر بنفسه التى لا قيمة لها فى الأسفار وركوب الأخطار لجمع مال
ينتفع به غيره، كما قيل:

ومن ينفق الأيام فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقير^(٣)

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: اليقين أن لاترضى الناس بسخط الله ولا
تحسدنَّ أحداً على رزق الله، ولا تلوم أحداً على ما لم يؤتك الله، فإنّ الرزق لا
يسوقه حرصٌ حريصٌ، ولا ترده كراهة كاره، فإن الله بقسطه جعل الروح والفرح
فى اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط^(٤). وكان عبد الواحد
ابن زيد يحلف بالله: لحرص المرء على الدنيا أخوف عليه عندى من أعدى أعدائه.

(١) الطبرانى فى الأوسط (١/٤٧٠)، رقم (٨٥٥).

(٢) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان، رقم (٣٢١٨) حسن صحيح.

(٣) ما ذئبان جائعان لابن رجب، ص (٢٣).

(٤) المصدر نفسه، ص (٢٦).

وكان يقول: يا إخواناه لا تغبطوا حريصاً على ثروته وسعته في مكسب ولا مال وانظروا له بعين المقت له في اشتغاله اليوم بما يرديه غداً في المعاد ثم يتكبر، وكان يقول: الحرص حرصان: حرص فاجع، وحرص نافع، فأما النافع فحرص المرء على طاعة الله، وأما الحرص الفاجع، فحرص المرء على الدنيا^(١). وكتب بعض الحكماء إلى أخ له كان حريصاً على الدنيا: أما بعد: فإنك أصبحت حريصاً على الدنيا تخدمها وهي تخرجك من نفسها بالأعراض والأمراض والآفات والعلل، كأنك لم تر حريصاً محروماً ولا زاهداً مرزوقاً. وقال بعض الحكماء: أطول الناس همماً الحسود، وأهنؤهم عيشاً القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص، وأخفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط^(٢). قال الشاعر:

الحرص داء قد أضرَّ بمن تري إلا قليلاً
كم من حريص طامع والحرص صيَّره ذليلاً^(٣)

وقال الشاعر محمود الوراق:

ونازح الدار لا ينفك مغترباً عن الأحبة لا يدرون بالحال
بمشرق الأرض طوراً ثم مغربها لا يخطر الموت من حرص على بال
ولو قنعت أذاك الرزق في دعة إنَّ القنوع الغنى لا كثرة المال
وقال أيضاً:

أيها المتعب جهداً نفسه يطلب الدنيا حريصاً جاهداً
لا لك الدنيا ولا أنت لها فاجعل الهمين همّاً واحداً^(٤)

وأما النوع الثاني: من الحرص على المال أن يزيد على ما سبق ذكره في النوع الأول، حتى يطلب المال من الوجوه المحرمة ويمنع الحقوق الواجبة، فهذا من الشح المذموم، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوَقِّشْ نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]. وفي سنن أبي داود عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنه عن النبي

(١) ما ذئبان جائعان، ص (٢٦).

(٢) المصدر نفسه، ص (٢٧).

(٣) المصدر نفسه، ص (٢٧).

(٤) المصدر نفسه، ص (٢٩).

ﷺ قال: اتقوا الشحَّ فإنَّ الشحَّ أَهْلَكَ من كان قبلكم أمرهم فالتقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا^(١).

وقال طائفة من العلماء: الشُّحُّ هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على أن يأخذ الأشياء من غير حلِّها، ويمنعها حقوقها^(٢)، والبخل هو إمساك الإنسان ما فى يده. والشُّحُّ تناول ما ليس له ظلمًا وعدوانًا من مال أو غيره. حتى قيل: إنه رأس المعاصى كلها، وبهذا فسَّرَ ابن مسعود رضى الله عنه وغيره من السلف الشُّحَّ والبخل^(٣)، وقد يستعمل الشُّحُّ بمعنى البخل وبالعكس، ولكنَّ الأصل هو التفريق بينهما على ما ذكرناه ومتى وصل الحرص على المال إلى هذه الدرجة نقص بذلك الدين والإيمان نقصًا بيّنًا، فإن منع الواجبات وتناول المحرمات ينقص بهما الدين والإيمان بلا ريب حتى لا يبقى منه إلا القليل^(٤).

وأما حرص المرء على الشرف فهو أشدَّ إهلاكًا من الحرص على المال، فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسة على الناس، والعُلُوُّ فى الأرض أضرُّ على العبد من طلب المال، وضرره أعظم، والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل فى طلب الرياسة والشرف.

والحرص على الشرف. قسمان: أحدهما: طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال، وهذا خطر جدًّا وهو فى الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزّها، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فى الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، وقلَّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فيؤفّق، بل يُوكَلُّ إلى نفسه، كما قال ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه: يا عبد الرحمن. لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها^(٥).

(١) سنن أبى داود (٢/ ٣٢٤)، رقم (١٦٩٨)، صححه الألبانى.

(٢)، (٣)، (٤) ما ذُبحان جاتعان، ص (٣١).

(٥) البخارى، رقم (٦٦٢٢).

واعلم أنَّ الحرص على الشرف يستلزم ضرراً عظيماً قبل وقوعه في السعي في أسبابه، وبعد وقوعه بالحرص العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد^(١).

وأما القسم الثاني، طلب الشرف والعلو على الناس بالأمور الدينية كالعلم والعمل والزهد، فهذا أفحش من الأول، وأقبح فساداً وخطراً، فإن العلم والعمل والزهد إنما يطلب به ما عند الله من الدرجات العلى والنعم المقيم، والقرب منه، والزلفى لديه^(٢)، وأما طريقة العلاج من الحرص المذموم، فيكون بالزهد وفيه أسباب عديدة منها:

- نظر العبد إلى سوء عاقبة الشرف في الدنيا بالولاية والإمارة لمن يؤدي حقها في الآخرة.

- نظر العبد إلى عقوبة الظالمين والمتكبرين، ومن ينافر الله رداء الكبرياء.

- نظر العبد إلى ثواب المتواضعين لله في الدنيا بالرفعة في الآخرة، فإن من تواضع لله رفعه الله.

- وليس هو في قدرة العبد ولكنه من فضل الله ورحمته ما يعوّض الله عباده العارفين به الزاهدين فيما يغني عن المال والشرف بما يجعله الله لهم في الدنيا من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم في الظاهر، ومن حلاوة المعرفة والإيمان والطاعة في الباطن، وهي الحياة الطيبة التي وعدّها الله لمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، وهذه الحياة الطيبة لم يذقها الملوك في الدنيا ولا أهل الرياسات، والحرص على الشرف كما قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجادلونا عليه بالسيوف. ومن رزقه الله ذلك اشتغل به عن طلب الشرف الزائل، والرياسة الفانية^(٣)، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] فالحسن بن علي رضي الله عنه يحذرنا من الحرص المذموم ولذلك قال: الحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة^(٤).

(٢) المصدر نفسه، ص (٤٧).

(١) ما ذُبحان جاعان، ص (٣٥، ٤٣).

(٣) ما ذُبحان جاعان، ص (٧٥، ٧٦).

(٤) علموا أولادكم حب آل بيت النبي ﷺ، ص (١٣١).

ج- الحسد: قال الحسن: والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل:

الحسد نقيض الحب الذى هو تمنى الخير للآخرين، فهو تمنى زوال النعمة عن المحسود، وهو مرض مهلك مذموم وقبيح، أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالاستعاذة من شر الحاسد كما أمره بالاستعاذة من شر الشيطان، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]، وقد قال ﷺ: لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً^(١)، وقال أنس: كنا يوماً جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال: يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال: فطلع علينا رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه، قد علّق نعليه فى يده الشمال، فسلم، فلما كان الغد قال ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل، وقاله فى اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل، فلما قام النبى ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له: إني لاحيت أبى فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤينى إليك حتى تمضى الثلاث فعلت، فقال: نعم فبات عنده ثلاث ليال، فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا انقلب عن فراشه ذكر الله تعالى، ولم يقم إلا لصلاة الفجر، قال: غير أنى ما سمعته يقول إلا خيراً فلما مضت الثلاث، وكدت أن أحتقر عمله فقلت: يا عبد الله لم يكن بينى وبين والدى غضب ولا هجر، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا، فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملاً كثيراً، فما الذى بلغ بك ذاك؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت فلما وليت دعانى فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أنى لا أجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشاً ولا حسداً على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله: فقلت له: هى التى بلغت بك، وهى التى لا نطق^(٢)، والحسد له أسباب كثيرة منها العداوة والبغضاء والعجب وحب الرياسة، وخبث النفس وبخلها وغيرها من أمراض القلب الأخرى، فالحسد جامع الآفات والأمراض، وهو من أشدها مذهباً للدين والإيمان والحب والإخاء، وهو مفسدة وأى مفسدة. ويكثر الحسد بين أقوام تكثر بينهم

(١) البخارى، رقم (٦٠٦٥).

(٢) مسند أحمد (٣/ ١٦٦) إسناده صحيح.

الأسباب التى ذكرناها، ويقع ذلك غالباً بين الأقران، والأمثال والإخوة وبنى العم، وأصحاب المهن والأعمال، وبين العلماء والتجار، لأن سبب التحاسد توارد الأغراض على مقاصد يحصل فيها فيثور التنافر والتباغض، فأصل الحسد التزاحم على غرض واحد، ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا، والدنيا هى التى تضيق على المتزاحمين^(١).

* علاج مرض الحسد:

هناك عدة أدوية تقى وتعالج من مرض الحسد منها:

- العلم بأن مرض الحسد ضرر على الحاسد فى الدين والدنيا، وأنه لا يضر المحسود فى الدين ولا فى الدنيا، وأن النعمة لا تزول عن المحسود بحسد الحاسد، فماذا يستفيد الحاسد من حسده إلا البغض والألم والحسرة والانفعال وذهاب الدين والدنيا، فكيف يريد الحاسد زوال نعمة أنعمها الله عز وجل على المحسود، فالله أحب أن ينعم على عبده، والحاسد يحب زوالها، فقد أحب ماكره الله وكره ما أحب الله، وهذا داء مزيل للإيمان، لأن صاحبه لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.

- التذكر الدائم لمساوئ هذا المرض فى الدين والدنيا، وبغض الله عز وجل له وكراهية النبى ﷺ له، والنتيجة التى ينالها الحاسد فى الدنيا والآخرة. كل هذا يساعد على فهم حقيقة الحسد، والوقاية منه والبعد عنه وطلب العلاج.

- العبرة من الآيات والأحاديث والقصص وواقع الحاسدين، ونتائج حسدهم، كل ذلك يساعد على الوقاية والعلاج من هذا المرض الخطير.

- محاسبة النفس ومعاتبتها عند كل فكرة حسد تعرض عليه، ومحاولته كف نفسه عن المحسود، بل الثناء عليه، والدعاء له، بالحفظ والزيادة، ولا مانع من أن يتمنى لنفسه مثل ذلك دون حسد الآخرين.

- الرضا بعتاء الله ومنحه، والقناعة بذلك، والإيمان بأن الرزق والعطاء والفضل من الله يؤتیه من يشاء وكيفما يشاء، ولا أحد يستطيع أن يزيل نعمة أنعمها الله على عبد من عباده، وأنه لا ينال عطاء الله إلا بفضل الله وإرادته، ولا

(١) منهج الإسلام فى تركية النفس، ص (٣٤٠).

يملك العبد إلا الرضا والدعاء والالتجاء، فلم لا يقف العبد على الباب الذى يجلب الخير؟ ولم يتعد عن المرض الذى يجلب الشر^(١)؟

فالحسن بن على رضى الله عنه يحذرنا من الحسد ولذلك قال: والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل^(٢)، عندما حسد أخاه على تقبل الله منه ولم يتقبل منه هو.

٢- مقام الرضا بين الحسن وأبى ذر:

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد: قيل للحسن بن على: إن أبا ذر يقول: الفقر أحبُّ إلىَّ من الغنى، والسَّقم أحبُّ إلىَّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتَّكل على حسن اختيار الله له لم يتمنَّ أن يكون فى غير الحالة التى اختار الله له، وهذا حد الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء^(٣).

إن الحسن بن على رضى الله عنه فى حديثه هذا يصف لنا شيئاً من أعمال القلوب وهذا دليل على معرفته بهذا العمل العزيز، فالرضا من أعمال القلوب، نظير الجهاد من أعمال الجوارح، فإنَّ كل واحد منهما ذروة سنام الإيمان^(٤)، فالرضا ثمرة من ثمار المحبة - لله عز وجل - وهو أعلى مقامات المقربين، وحقيقته غامضة على الأكثرين. وهو باب الله الأعظم، ومستراح العارفين، وجنة الدنيا، فجدير بمن نصح نفسه أن تشتد رغبته فيه، وأن لا يستبدل بغيره منه، ورضا الله على العبد أكبر من الجنة، وما فيها، لأن الرضا صفة الله والجنة خلقه، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، بعد قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]. وهذا الرضا جزاء من رضاهم عنه فى الدنيا، ولما كان هذا الجزاء أفضل الجزاء، كما سببه أفضال الأعمال، والسخط باب الهم والغم وشتات القلب، وكسف البال، وسوء الحال، والظن بالله خلاف ما هو أهله، والرضا يخلصه من ذلك كله، ويفتح له باب جنة

(١) منهج الإسلام فى تزكية النفس، ص (٣٤١).

(٢) علموا أولادكم محبة آل بيت النبى، ص (٣١).

(٣) البداية والنهاية (١١ / ١٩٩).

(٤) مدارج السالكين (٢ / ٢١٤).

الدنيا قبل جنة الآخرة، فالرضا يوجب له الطمأنينة وبرد القلب وسكونه وقراره، والسخط يوجب اضطراب قلبه، وريبته وانزعاجه، وعدم قراره، والسخط يوجب تلون العبد، وعدم ثباته مع الله، فإنه لا يرضى إلا بما يلائم طبعه ونفسه، والمقادير تجري دائماً بما يلائمه وما لا يلائمه، وكلها جرى عليها منه ما لا يلائمه أسخطه فلا تثبت له قدم على العبودية، فإذا رضى عن ربه فى جميع الحالات استقرت قدمه فى مقام العبودية، فلا يُزيل التلون عن العبد شىءٌ مثل الرضا، والرضا يفرغ القلب لله، والسخط يفرغ القلب من الله، فإن من ملأ قلبه من الرضا، ملأ الله صدره غنى وأماناً وقناعة، وفرغ قلبه لمحبتة والإجابة إليه والتوكل عليه، ومن فاته حظُّه من الرضا امتلأ قلبه بضدِّ ذلك واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه، وبداية الرضا مكتسبة للعبد وهى من جملة المقامات، ونهايته من جملة الأحوال وليست مكتسبة، فأولُّه مقام ونهايته حال، وقد مدح الله أهله وأثنى عليهم وندبهم إليه، فدل ذلك على أنه مقدور لهم.

وقد قال رسول الله ﷺ: ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً^(١)، وقال رسول الله ﷺ: من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً. غفر الله له ماتقدم من ذنوبه^(٢).

قال ابن القيم: وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين، وإليهما ينتهى. وقد تضمنتا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته، والرضا برسوله، والانقياد له والرضا بدينه، والتسليم له. ومن اجتمعت له هذه الأربعة، فهو الصديق حقاً، وهى سهلة بالدعوى واللسان، وهى من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان، ولا سيما إذا جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها، من ذلك تبين أن الرضا كان لسانه به ناطقاً، فهو على لسانه لا على حاله.

- فالرضا بالوحيته: يضمن الرضا بمحبته وحده وخوفه، ورجائه والإجابة إليه، والتبطل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه، فعل الراضى بمحبوبه كل الرضا، وذلك يتضمن عبادته والإخلاص له.

(١) مسلم، رقم (٤٣) (١/ ٦٢).

(٢) مسلم، رقم (٣٨٦) (١/ ٢٩٠).

- والرضا بربوبيّته: يتضمّن الرضا بتدبيره لعبده، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه، والاستعانة به، والثقة به، والاعتماد عليه، وأن يكون راضياً بكل ما يفعل به، فالأول: يتضمن رضاه بما يؤمر به، والثاني: يتضمن رضاه بما يقدرّ عليه.

- وأما الرضا بنبية رسولاً: فيتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه بحيث يكون أولى به من نفسه، وأن يكون متميزاً بمكانته عن غيره من البشر فلا يشاركه أحد مكانته ولا خصوصيته، فلا يتلقّى الهدى إلا من واقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة، ولا فى شىء من أسماء الربّ وصفاته وأفعاله، ولا فى شىء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا فى شىء من أحكام ظاهره وباطنه، ولا يرضى فى ذلك بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه، فإن عجز عنه كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يعينه إلا من الميتة والدم، وأحسن أحواله: أن يكون من باب التراب، الذى إنما يُتيمّم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور.

وأما الرضا بدينه، فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهى: رضى كل الرضا، ولم يبق فى قلبه حرج من حكمه، وسلّم له تسليمًا، ولو كان مخالفاً لمراد نفسه أو هواها أو قول مقلده وشيخه وطائفته^(١).. وقال:.. فإن الرضا آخر التوكل، فمن رسخ قدمه فى التوكل والتسليم والتفويض حصل له الرضا ولا بد، ولكن لعزته وعدم إجابة أكثر النفوس له، وصعوبته عليها، لم يُوجبه الله على خلقه، رحمة بهم، وتخفيفاً عنهم، لكن نديهم إليه، وأثنى على أهله، وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم، الذى هو أعظم وأكبر وأجل من الجنان وما فيها، فمن رضى عن ربه رضى الله عنه، بل رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه، فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده، رضا قلبه، أوجب له أن يرضى عنه، ورضاً بعده وهو ثمرة رضاه عنه، ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحيين، ونعيم العابدين، وقرة عيون المشتاقين.

كيف يتحقق الرضا؟

إن من أعظم أسباب حصول الرضا: أن يلزم ما جعل الله رضا فيه، فإنه يوصله إلى مقام الرضا ولا بد، قيل ليحيى بن معاذ: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟ فقال:

إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يُعامل به ربه، فيقول: إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبت، وإن دعوتني أجبت، وقال الجنيد: الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلب، فإذا باشر القلب حقيقة العلم، أداه إلى الرضا، وليس الرضا والمحبة كالرجاء والخوف، فإن الرضا والمحبة حالان من أحوال أهل الجنة، لا يفارقان المتلبس بها في الدنيا، ولا في البرزخ، ولا في الآخرة، بخلاف الخوف والرجاء، فإنهما يفارقان أهل الجنة بحصول ما كانوا يرجونه، وأمنهم مما كانوا يخافونه، وإن كان رجاءهم لما ينالون من كرامته دائماً لكنه ليس رجاء مشوباً بشك، بل هو رجاء واثق بوعد صادق، من حبيب قادر، فهذا لون ورجاءهم في الدنيا لون، وقال ابن عطاء: الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل، فيرضى به^(١).

وقال بعض العارفين: من يتوكل على الله، ويرضى بقدر الله، فقد أقام الإيمان، وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير، وأقام الأخلاق الصالحة التي تصلح للعبد أمره، والرضا يفتح باب حُسن الخلق مع الله تعالى ومع الناس، فإن حسن الخلق من الرضا، وسوء الخلق من السخط، وحسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وسوء الخلق يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والرضا يُثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور وطيب النفس وسكونها في كل حال... ولهذا سُمي بعض العارفين الرضا: حسن الخلق مع الله، فإنه يوجب ترك الاعتراض عليه في ملكه، وحذف فضول الكلام التي تقدح في حسن خلقه^(٢).

قال الشاعر:

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر والدهر ذو دول والرزق مقسوم
والخير أجمع في ما اختار خالقنا وفي اختياره سواء اللوم والشوم

وقال الشاعر:

إذا ارتحل الكرام إليك يومًا ليتمسوك حالاً بعد حال

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٧٤ ، ١٧٥).

(٢) صلاح الأمة (٤/ ٥١٢) نقلاً عن مدارج السالكين.

فإن رحالنا حطت لترضى بحلمك عن حلول وارتحال
أنحنا فى فنانك يا إلهى إليك مُعرّضين بلا اعتلال
فُسُسنا كيف شئت ولا تكلنا إلى تديرننا يا ذا المعالى^(١)

فهذه بعض المعانى فى مقام الرضا توضح قول أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنه عندما قال: من اتكل على حسن اختيار الله له، لم يتمن أن يكون فى غير الحالة التى اختار الله له، وهذا حد الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء^(٢).

٣- قال أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنه: إني أخبركم عن أخ لى كان من أعظم الناس فى عينى، وكان عظيم ما عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه، كان خارجاً عن سلطان بطنه، فلا يشتهى ما لا يجد، ولا يكسر إذا وجد، وكان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه، وكان خارجاً من سلطان الجهلة، فلا يمد يداً إلا على ثقة المنفعة، كان لا يخطط ولا يتبرم، كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا غلب على الكلام لم يغلب على الصمت، كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بذاً القائلين، كان لا يشارك فى دعوى، ولا يدخل فى مراء، ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضياً يقول ما يفعل، ويفعل ما لا يقول تفضلاً وتكرماً، كان لا يغفل عن إخوانه، ولا يستخص بشيء دونهم، كان لا يلوم أحداً فيما يقع العذر بمثله، كان إذا ابتدأ أمران لا يرى أيهما أقرب إلى الحق، نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه^(٣).

ففى هذا الأثر ترشيد وتوضيح وتعليم للناس نحو صفات كريمة وأخلاق حميدة، وهذا منهج سلوكى رفيع ينبغى أن نربى عليه أنفسنا وأبناءنا حتى يتحول إلى واقع ملموس فى الحياة، ونستفيد من ذلك الأثر دروساً وعبراً منها:

- قول الحسن رضى الله عنه: وكان عظيم ما عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه^(٤):
ولا تصغر الدنيا إلا فى عين من عرف حقائق الأمور، واستقر التصور الصحيح

(١) صلاح الأمة فى علو الهمة (٤ / ٥٢٩).

(٤) البداية والنهاية (١١ / ١٩٩).

(٢)، (٣) البداية والنهاية (١١ / ١٩٩).

عن الله والحياة والكون والجنة والنار، والقضاء والقدر، واستوعب بعمق فقه القدوم على الله تعالى فعمل للباقي وترفع عن الفانى، وأيقن أن الدنيا دار اختبار وابتلاء وعليه، فإنه مزرعة للآخرة، ولذلك تحرر من سيطرة الدنيا بزخارفها، وزينتها، وبريقها، وخضع وانقاد وأسلم نفسه لربه ظاهراً وباطناً، وكان وصل إلى حقائق استقرت فى قلبه ساعدته على الزهد فى هذه الدنيا، ومن هذه الحقائق:

* اليقين التام بأننا فى هذه الدنيا أشبه بالغرباء أو عابرى سبيل، كما قال النبى ﷺ: «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»^(١).

* إن هذه الدنيا لا وزن لها ولا قيمة عند رب العزة إلا ما كان منها طاعة لله تبارك وتعالى، إذ يقول النبى ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»^(٢)، وقال ﷺ: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً أو متعلماً»^(٣).

* إن عمرها قد قارب على الانتهاء: إذ يقول ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين بالسبابة والوسطى»^(٤)، وتبدأ قيامة الإنسان بموته والعمر قصير، فإذا استثنينا منه فترة الطفولة والنوم والكدر فكم يصفو لنا منه.

* إن الآخرة هى الباقية، وهى دار القرار، كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٣٩، ٤٠] فإذا استقرت هذه الحقائق فى قلب الأخ المسلم تصغر الدنيا فى عينيه.

- قول الحسن رضى الله عنه: كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهى ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد^(٥)، ففى هذا التوجيه دعوة إلى ترك فضول الطعام، لأنه داع إلى

(١) الترمذى، ك الزهد، رقم (٢٣٣٣) وهو حديث صحيح.

(٢) الترمذى، ك الزهد، رقم (٢٣٢٠).

(٣) الترمذى، ك الزهد، رقم (٢٣٢٢) وقال: حسن غريب.

(٤) مسلم، ك الفتن وأشراف الساعة، رقم (١٣٢ - ١٣٥).

(٥) البداية والنهاية (١١ / ١٩٩).

أنواع كثيرة من الشرب، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي وينقلها عن الطاعات، وحسبك بهذين شراً، فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام، وكم من طاعة حال دونها، فمن وقى شر بطنه فقد وقى شراً عظيماً، والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام^(١)، ولذلك حذرنا ربنا سبحانه من اتباع وساوسه ومكائده التي تؤدي إلى طغيان شهوة البطن وعدم الاكتفاء بالحلال، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، كما أرشد سبحانه إلى الاعتدال في الطعام والشراب لئلا يؤدي ذلك إلى تسلط شهوة البطن وانحرافها قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

فالأمر الذي تدل على تسلط شهوة البطن أن يُكثر صاحبها من الطعام والشراب فوق الحاجة، ويبالغ في الشبع ويفرط فيه، وقد أشار النبي ﷺ إلى أخطار هذا الإسراف وضرره على الجسد والنفس وذلك فيما رواه الترمذي عن مقدم بن معدى كرب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكالات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»^(٢).

وفي هذا الحديث النبوي بيان للمنهج السوي الذي ينبغي التمسك به في الإقلال من الطعام والشراب وعدم الإسراف في شهوة البطن، لأن هذا الإسراف يؤدي إلى الشر الكبير، وليس المقصود بالشر هنا ما يتعلق بأمراض المعدة فحسب، وإنما المقصود أيضاً الشر الذي يصيب النفس حينما تعتاد الشره في الطعام والشراب وشدة التعلق بهما فيتحول الطعام من وسيلة للغذاء وتقوية البدن إلى غاية وهدف يسعى صاحبه من أجله، ويصبح ذلك السعى شغله الشاغل حتى تصبح همته مصروفة إليها، فمهما شبع بطنه لا تشبع نفسه، لأن شهوة البطن أضحت عنده مقياس السعادة^(٣)، فطغيان شهوة البطن لا يعنى كثرة الأكل فحسب لأن كثرة

(١) جهاد النفس / على الدهامى، ص (٩٣).

(٢) الترمذي، ك الزهد، رقم (٣٨٠)، حديث حسن صحيح.

(٣) أمراض النفس، وأنس كرزون، ص (١٠٩).

الأكل عرض ظاهري لهذا المرض، وإنما حقيقة المرض فى شره النفس وماديتها وتحول الطعام من وسيلة إلى غاية حتى يصبح الإنسان كالبهائم التى تسيرها شهواتها، وفى ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]، وقد روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «الكافر يأكل فى سبعة أمعاء والمؤمن يأكل فى معنى واحد»^(١). ومعنى هذا الحديث أن من شأن المؤمنين التقليل من الأكل للاشتغال بأسباب العبادة، والكافر بخلاف ذلك كله لأنه تابع لشهوة نفسه مسترسل فيها غير خائف من تبعات الحرام، وإن أكل قليلاً فليس ذلك لزهده، فى الدنيا وإنما لمراعاة الصحة ورياضة الجسم، فهو لشدة حرصه على الدنيا وتمسكه بها كأنه يأكل فى سبعة أمعاء كما تقول: فلان يأكل الدنيا أكلاً، وأما المؤمن فإنه يأكل فى معنى واحد، فالرسول ﷺ يضرب المثل فى هذا الحديث للمؤمن وزهده فى الدنيا وللکافر وحرصه عليها^(٢)، وقد ذكر النووى - رحمه الله - توجيهاً آخر لهذا الحديث فقال: قيل: المراد بالسبعة سبع صفات، الحرص والشره، وطول الأمل، والطمع، وسوء الطبع، والحسد، والسمن^(٣). وقد قال ابن القيم - رحمه الله -: لعينه وذاته كالمحرمات والثانى: ما يفسده بقدر تعدى حده كالإسراف فى الحلال والشبع المفرط، فإنه يثقله عن الطاعات، ويشغله بمزاولة مؤنة البطنة ومحاولته حتى يظفر بها، فإذا ظفر بها شغله بمزاولة تصرفها ووقاية ضررها والتأذى بثقلها، وقوى عليه مواد الشهوة، وطرق مجارى الشيطان ووسعها، فإنه يجرى من ابن آدم مجرى الدم، فالصوم يضيق مجاريه ويسد عليه طرقه، والشبع يطرقها ويوسعها، ومن أكل كثيراً شرب كثيراً فنام كثيراً فخر كثيراً^(٤).

قول الحسن رضى الله عنه: وكان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه^(٥)، فالحسن رضى الله عنه يدعو إلى التحكم فى شهوة الفرج ولا يكون

(١) مسلم، رقم (٢٠٦٠).

(٢) فتح البارى شرح البخارى (٩/ ٥٣٨ ، ٥٣٩).

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم (١٤/ ٢٣).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٤٥٨ ، ٤٥٩).

(٥) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).

إشباعها إلا بما شرع المولى عز وجل، لأن طغيانها يترتب عليه نتائج خطيرة، كقسوة القلب وضعف الإيمان، فكلما تبادت شهوة الفرج في الطغيان ازداد القلب قسوة وظلمة ووحشة ابتداء من النظر إلى ما حرم الله ثم الاختلاط بين الجنسين وما يتبعه من ترجل النساء وتخث الرجال، وما ينتج عنه من تهوين أمر الفاحشة والتمهيد لها حتى يقع فيها، وعندها يتمكن المرض من القلب، وتبتعد عنه حقيقة الإيمان، ومصدق ذلك قول رسول الله ﷺ: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن...» (١).

قال البخارى - رحمه الله - عند روايته لهذا الحديث: أى لا يكون هذا مؤمناً تاماً ولا يكون له نور الإيمان.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان، فكان فوق رأسه كالظلة، فإذا أخرج من ذلك العمل رجع إليه الإيمان» (٢). فأصحاب الكبائر ينزع منهم نور الإيمان ويضعف تعظيم الرب سبحانه من قلوبهم، إذ لو استشعر من أتى الكبائر مثل الزنى أو السرقة أو شرب الخمر وغير ذلك، فلا بد أن يذهب ما فى قلبه من تلك الخشية والخشوع والنور، وإن بقى أصل التصديق فى قلبه، وهذا من الإيمان الذى ينزع منه عند فعل الكبيرة (٣).

ومن نتائج طغيان شهوة الفرج، كثرة الوقوع فى المعاصى، فالمعصية ولو كانت صغيرة تمهد الطريق لأختها حتى تتابع المعاصى ويهون أمرها ولا يدرك صاحبها خطرها، فالنظرة تؤدى إلى الفكرة ثم يتولد الخاطر فى القلب وتتحرك الشهوة، وقد يؤدى ذلك إلى العزم على اقتراف الفاحشة، فإن تيسرت أسبابها وقع فيها، ولهذا كانت النظرة مقدمة من مقدمات الزنى، وباباً من الأبواب الموصلة إليه، روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَى، مَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا السَّمْعُ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُمَا الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زَنَاهَا الْخَطَا، وَالْقَلْبُ

(١) البخارى، ك الحدود (١٣ / ٨) مسلم، رقم (٥٧).

(٢) صحيحه الحاكم فى المستدرک (١ / ٢٢) ووافقه الذهبى.

(٣) كتاب الإيمان، لابن تيمية، ص (٢٩).

يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»^(١)، وهكذا تتدرج المعاصى فى تسربها إلى قلب العبد وتأثيرها عليه حتى لا يبالى بها ولا يقدر على مفارقتها ويطلب ما هو أكثر منها^(٢)، وفى ذلك يقول ابن القيم - رحمه الله - : إن المعاصى تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضاً حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها . . حتى تصبح هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة، ولو عطل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه، وضاق صدره حتى يعاودها، حتى إن كثيراً من الفساق ليوافق المعصية من غير لذة يجدها، ولا داعية إليها إلا لما يجده من الألم بمفارقتها^(٣).

ومن نتائج طغيان شهوة الفرج، ذهاب الحياء، فإذا اعتاد العبد على مفارقة الآثام نتيجة لطغيان شهوته، سيصل إلى حال لا يبالى فيه بإطلاع الناس على أفعاله القبيحة، بل أن كثيراً من هؤلاء يخبرون الناس بما يفعلونه ويتباهون به لأنهم انسلخوا من الحياء^(٤).

وهكذا نجد أن التهاون فى وقاية شهوة الفرج من الانحراف ولو كان يسيراً، سيؤدى شيئاً فشيئاً إلى ما هو أخطر وحتى لا يقع المرء فريسة طغيان الشهوة التى يصعب التخلص من شرودها، وتؤدى فى النهاية إلى طمس قلب صاحبها وانسلاخه من الأخلاق الفاضلة بالإضافة إلى ما يصيبه من الأمراض النفسية والجسدية^(٥)، فقد شرع الإسلام تدابير وقائية من طغيان شهوة الفرج منها:

* غرض البصر وستر العورة:

لأن الطريق الذى تنفذ منه سهام الشهوة إلى القلب هو البصر ولذلك أمر الله عباده بغض البصر عما حرم عليهم وستر عوراتهم عمن لا يحل لهم قال تعالى:

(١) مسلم، رقم (٢٦٥٧).

(٢) أمراض النفس، ص (١٢١).

(٣) الجواب الكافى، ص (٥٩، ٦٠).

(٤) أمراض النفس، ص (١٢٢).

(٥) أمراض النفس، ص (١٢٣).

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠] وقال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضى الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضى المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد»^(١). يقول ابن القيم - رحمه الله -: قد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق شهوته^(٢)، ويقول أيضاً: النظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية، فإن لم تقتله جرحته، وهى بمنزلة الشرارة من النار ترمى في الحشيش اليابس، فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه وقد قيل:

كل الحوادث مبدأها من النظر	ومعظم النار من مُستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها	فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يُقلِّبها	في أعين الغيد موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته	لا مرحباً بسرور عاد بالضرر ^(٣)

* تحريم الاختلاط والأمر بحجاب النساء:

وقد ورد في بيان ذلك آيات قرآنية وأحاديث نبوية عديدة ومنها: قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وقوله تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ١٥٣]. وروى البخارى ومسلم عن عقبه بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله قال: «إياكم والدخول على النساء». فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمى؟ قال: الحمى الموت^(٤). والحمى: أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج كابن الأخ والعم وابنه ونحوهم ممن ليس بمحرم، وقوله ﷺ: الحمى الموت. معناه

(١) مسلم، رقم (٣٣٨).

(٢) روضة المحبين، ص (١٠٩).

(٣) المرجع نفسه، ص (١١٤).

(٤) مسلم، رقم (٢١٧٢).

أن الخوف منه أكثر من غيره لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي^(١)، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم»^(٢) كما ورد التشديد والوعيد فى أحاديث عديدة من تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال فى اللبس والحركة لما فى ذلك من إثارة الشهوات وانحرافها، روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال^(٣).

✽ الترغيب فى الصيام لتسكين الشهوة:

إذا لم يتيسر الزواج ولم يجد المرء المقدرة عليه لسبب من الأسباب، فعليه أن يقى نفسه من تسلط الشهوة، وذلك بالمبادرة إلى الصيام لما فيه من تسكين الشهوة وتخفيف وطأتها، وقد ورد فى الإرشاد إلى ذلك الحديث الذى رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(٤)، أى: أن الصوم يقطع الشهوة، ويلحق بذلك التقليل من الأغذية المحركة للشهوة لكى يكسر من حدتها ويضعف تأثيرها، فإذا لم يحرص المرء على هذه التدابير الوقائية ولم يلتزم بها، فإن سهام الشهوة وسمومها لا بد أن تنفذ إلى القلب ما دام على أهبة الاستعداد لقبول هذا الانحراف، وعندها سيتمادى فى مرضه وتتمادى الشهوة فى طغيانها يوماً بعد يوم حتى يقع صاحبه فى حمأة الرذيلة^(٥)، فقول الحسن بن على رضى الله عنه: كان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه^(٦)، دعوة صريحة إلى كبح طغيان شهوة الفرج.

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (١٤/ ١٥٣).

(٢) مسلم، رقم (١٣٤١).

(٣) البخارى. ك اللباس (٧/ ٥٥).

(٤) مسلم، رقم (٤٠٠).

(٥) أمراض النفس، ص (١٢٦).

(٦) البداية والنهاية (١١/ ١٩٩).

- قول الحسن بن علي رضي الله عنه: كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه أن يتكلم^(١).

وفي هذا احترام للعلماء وتقديرهم والاستفادة منهم، فتوقيرهم واحترامهم من السنة، يقول رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر ويعرف لعالمنا حقه»^(٢). لقد كان سلف هذه الأمة يحترمون علماءهم احتراماً كبيراً ويتأدبون معهم، ولقد أكثر أهل العلم من الكلام عن أسلوب التعامل مع العالم في مجلسه. وأسلوب الحديث معه مما هو مذكور بتوسع في كتب آداب العالم والمتعلم، ومن أجمع ما رُوي في ذلك ما قاله علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : إن من حق العالم ألا تكثر عليه السؤال، ولا تعتته في الجواب، وأن لا تُلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشين له سرّاً ولا تغتابن عنده أحداً، وإن زل قبلت معذرتة، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته^(٣). وقال: من حق العالم عليك إن أتيت أن تسلم عليه خاصة، وعلى القوم عامة، وتجلس قدامه، ولا تشر بيديك، ولا تغمز بعينيك، ولا تقل قال فلان خلاف قولك، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه في السؤال فإنه بمنزلة النخلة المرطبة لا يزال يسقط عليك منها شيء^(٤). وقال عبد الرحمن بن مهدي - رحمه الله - : كان الرجل من أهل العلم إذا لقي من هو فوقه في العلم فهو يوم غنيمة سألته وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه في العلم علمه وتواضع له، وإذا لقي من هو قرينه في العلم ذاكره ودارسه^(٥).

ولقد ضرب السلف الصالح أبلغ المثل في الحرص على الطلب، والسعي في الأخذ عن أهل العلم والاستماع إليهم واحترامهم وتقديرهم، تشهد لذلك قصصهم التي ساقها الخطيب البغدادي وغيره في هذا المجال.

(١) البداية والنهاية (١١ / ١٩٩).

(٢) سنن الترمذي، رقم (١٩٨٦) صححه ابن حبان، رقم (١٩١٣).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١ / ١٢٩).

(٤) المصدر نفسه (١ / ١٤٦).

(٥) المحدث الفاضل للراهمرمزي، ص (٢٠٦)، قواعد في التعامل مع العلماء، عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص (٨٦).

- قول الحسن بن على رضى الله عنه: كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بذ القائلين، كان لا يشارك فى دعوى، ولا يدخل فى مرء^(١).

فالحسن بن على رضى الله عنه يدعو إلى التقليل من الكلام، ومنازمة المرء، وفى الحديث: إذا أصبح العبد فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإذا استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا^(٢)، وقد كان السلف يحاسب أحدهم نفسه فى كلامه، لأن اللسان أيسر حركات الجوارح وهى أضرها على العبد، وكان الصديق رضى الله عنه يمسك بلسانه ويقول: هذا أوردنى الموارد^(٣)، والكلام أسيرك، فإذا أخرج من فيك صرت أنت أسيره، والله عند لسان كل قائل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وفى اللسان آفتان عظيمتان إن خلص من إحدهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثماً من الأخرى فى وقتها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاص لله، مرء، مداهن، إذا لم يخف على نفسه، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، عاص لله، وأكثر الخلق منحرف فى كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط - وهم أهل الصراط المستقيم - كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه فى الآخرة، فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلاً عن أن تضره فى آخرته، وإن العبد ليأتى يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتى بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به^(٤)، فليس الكلام مأموراً به على الإطلاق، ولا السكوت كذلك، بل لابد من الكلام بالخير والسكوت عن الشر، وكان السلف كثيراً يمدحون الصمت عن الشر، وعما لا يعنى لشدة على النفس، ولذلك يقع فيه الناس كثيراً، فكانوا يعالجون أنفسهم، ويجاهدونها على السكوت عما لا يعينهم^(٥)، قال الفضيل بن

(١) البداية والنهاية (١١ / ١٩٩).

(٢) الترمذى، رقم (٢٤٠٧) حسنه الألبانى فى الصحيح الجامع (١ / ٥١٣٦).

(٣) جهاد النفس، ص (٧٦).

(٤) الداء والدواء لابن القيم، ص (٣٧٩).

(٥) جهاد النفس، ص (٧٧).

عياض - رحمه الله - : ما حج ولا رباط، ولا جهاد أشد من حبس اللسان، ولو أصبحت يهكم لسانك، أصبحت فى غم شديد. وقال: سجن اللسان سجن المؤمن، ولو أصبحت يهكم لسانك، أصبحت فى غم شديد^(١).

- قول الحسن بن على رضى الله عنه: كان إذا ابتدأه أمران^(٢) لا يرى أيهما أقرب إلى الحق، نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه:

فالحسن رضى الله عنه، يحث على مخالفة الهوى، والهوى ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع^(٣)، ويعتبر الهوى من الأسباب التى لأجلها خالفت كثير من الأمم أنبياءها فاستكبروا ولو يقبلوا الحق والهدى والنور الذى جاءتهم به أنبياءهم، عليهم السلام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]. كما أن الله تعالى أمر نبيه داود عليه السلام بمخالفة الهوى، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

ويقول ابن تيمية - رحمه الله - : ونفس الهوى - هو الحب والبغض الذى فى النفس - لا يلام عليه، فإن ذلك قد لا يملك، وإنما يلام على اتباعه^(٤)، وقال فى موضع آخر: ومجرد الحب والبغض هوى، لكن المحرم اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله^(٥). إن العلاج الناجح والبلسم الشافى لمن ابتلى بشيء من الهوى، إلزام النفس بالكتاب والسنة، واتباع منهج السلف الصالح وتربية النفس باستمرار على التقوى والخشية من الله تعالى، واتهام النفس ومحاسبتها دائماً فيما يصدر منها وعدم الاغترار بأهوائها وتزييناتها وخداعها، والإكثار من استشارة أهل العلم

(١) جامع العلوم والحكم.

(٢) البداية والنهاية (١١ / ١٩٩).

(٣) التعريفات للجرجاني، ص (٢٥٧).

(٤) الفتاوى (٢٨ / ١٣١).

(٥) المصدر نفسه (٢٨ / ١٣٣).

والإيمان واستجلاء آرائهم حول ما يريد أن يقوله ويفعله، وكذلك ترويض النفس على استنصاح الآخرين وتقبل الآراء الصحيحة الصائبة وإن كانت مخالفة لما فى النفس، وتعويدها على التريث وعدم الاستعجال فى إصدار الأحكام وإمضاء الأعمال والحذر من ردود الأفعال التى قد يكون فيها إفراط وتفريط وغلو أو تقصير، وجهل وبغى وعدوان، وإكثار المرء من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يجنبه اتباع الهوى ومضلات الفتن، ويسأله تعالى أن يوفقه لقول كلمة الحق فى الغضب والرضا، ويكثر الدعاء الذى علمه رسول الله ﷺ لأئمة: «وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب» (١). وقوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء» (٢).

٤- قال الحسن رضى الله عنه: يجوز أن يظن السوء بمن علم السوء منه وبدت عليه أدلته وليس ينبغى أن يظن به السوء بمجرد الظن فإن الظن يكذب كثيراً (٣).

ومفهوم هذه الحكمة الحسنية أن المؤمن الكيس الفطن يجوز له ظن السوء بمن علم من أحواله، وتصرفاته، وسلوكه ومواقفه وأقواله ما يشير إلى السوء به، فإن الإنسان يظهر بعض ما فى نفسه على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وبعض مواقفه، وهذا الظن لا يبنى عليه عقاب أو جزاء على الشخص المشكوك فيه بطبيعة الحال، ولكن المقصد من قول الحسن رضى الله عنه الاحتراز والحذر والحيلة من أمثال هؤلاء. حتى لا يقع الإنسان المسلم فى مصائب وويلات بسبب حسن الظن بأمثال هؤلاء ومن عاشر الناس علم خطورة الثقة فيمن له سوابق من سوء الظن وقرائن تدل على ذلك، وأما مجرد ظن السوء بالمسلم بلا دلائل ولا قرائن قوية فلا ينبغى للمسلم، فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. قال بعض العلماء فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتْمٌ﴾. هو أن تظن بأهل الخير سوءاً، فأما أهل السوء والفسوق فلنا أن نظن

(١) النسائى، ك السهو، باب الدعاء بعد الذكر (٣/ ٥٥) صححه الألبانى.

(٢) سنن الترمذى وصححه الألبانى، كما فى صحيح سنن الترمذى (٣/ ١٨٣).

(٣) الشهب اللامعة فى السياسة النافعة للمالقي، ص (١٧٣).

بهم مثل الذى ظهر لنا^(١)، وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»^(٢). وعد ابن حجر سوء الظن بالمسلم من الكبائر الباطنة حيث قال: وذلك أن من حكم بشرٍّ على غيره بمجرد الظن حملة الشيطان على احتقاره، وعدم القيام بحقوقه، والتوانى فى إكرامه، وإطالة اللسان فى عرضه، وكل هذا مهلكات، وكل من رأيتَه يسيئ الظن بالناس، طالبًا لإظهاره معاييبهم.. فاعلم أن ذلك لخبث باطنه وسوء طويته، فإن المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه، والمنافق يطلب العيوب لخبث باطنه^(٣).

فهذه إطلالة موجزة على قول الحسن بن على رضى الله عنه: يجوز أن يظن السوء بمن علم السوء منه وبدت عليه أدلته، وليس ينبغى أن يظن به السوء بمجرد الظن، فإن الظن يكذب^(٤) كثيرًا.

٥- قول الحسن بن على رضى الله عنه: والله ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم^(٥).

فالحسن رضى الله عنه يحث الناس ويوصيهم بضرورة التشاور فيما بينهم فى جميع أمورهم، وقد مارس الرعيل الأول الشورى وتعلمها من هدى الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، وقد شاور الحسن أخاه الحسين وابن عمه عبد الله بن جعفر وغيرهم من قادة دولته فى الصلح مع معاوية رضى الله عنهم كما سيأتى بيانه، وتعتبر الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين - من الأحكام - فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه^(٦). وقال الجصاص الحنفى - رحمه الله - فى تفسيره بأحكام القرآن معقبًا على قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] وهذا يدل على جلالة موقع الشورى لذكرها مع

(١) الأخلاق بين الطبع والتطبع ص ٢٤٣.

(٢) البخارى، رقم (٥١٤٣)، مسلم، رقم (٢٥٦٣).

(٣) الزواجر، ص (١١٤).

(٤) الشهب اللامعة فى السياسة اللامعة، ص (١٧٣).

(٥) تهذيب الرئاسة، وترتيب السياسة للقلعى، ص (١٨٣).

(٦) المحرر والوجيز فى تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٣٧٩).

الإيمان، وإقامة الصلاة، ويدل على أننا مأمورون بها^(١)، قال الطاهر بن عاشور: مجموع كلام الجصاص يدل على أن مذهب أبى حنيفة وجوبها^(٢)، وقال النووى - رحمه الله - : واختلف أصحابنا هل كانت الشورى واجبة على رسول الله ﷺ أم كانت سنة فى حقه كما فى حقنا، والصحيح عندهم وجوبها، وهو المختار قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ﴾، والمختار الذى عليه جمهور الفقهاء ومحققو الأصول أن الأمر للوجوب^(٣). وقال ابن تيمية رحمه الله: لا غنى لولى الأمر عن التشاور فإن الله تعالى أمر بها نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. إن الشورى من قواعد النظام الإسلامى التى تساهم فى إقامة المجتمع المسلم، وقد شرع نظام الشورى لحكم بالغة ومقاصد عظيمة، ولما فيها من المصالح الكبيرة، والفوائد الجليلة التى تعود على الأمة والدولة والمجتمع بالخير والبركة ومن ذلك:

- الشورى نوع من الحوار المفتوح، ومن أحسن الأساليب لتوعية الرأى العام وتنويره، وتعزيز عوامل الحب والثقة بين الحاكم والمحكومين، والقائد والمقودين، والرئيس والمرءوسين، وهو خير أسلوب فى الحكم لعزل الشكوك، ونفى الهواجس، وإزالة الأوهام، ووقف الإشاعات التى تنمو عادة فى ظل الاستبداد، وتنتشر فى عتمة الغوغائية.

- تقضى مبادئ الإسلام بأن يشعر كل فرد أن له دوراً فى حياة المجتمع والجماعة، والشورى تتيح الفرصة أمام كل فرد لكى يقدم ما يستطيع من جهود وأفكار وآراء ومهارات لخير المجتمع، كما تتيح الفرصة أمام كل فرد ليعبر عن رأيه فى الشؤون العامة.

- إن الشورى تمنح الدفء العاطفى، والتماسك الفكرى لأفراد الأمة، وفيها إشعار الفرد بقيمته الذاتية، وقيمه الفكرية، وقيمه الإنسانية، وتدفع أفراد المجتمع

(١) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٣٨٦).

(٢) التحرير والتنوير (٤/ ١٤٩).

(٣) شرح النووى على مسلم (٤/ ٧٦).

نحو الاجتهاد والإبداع والرضا وتتفجر الطاقات وتتكشف المواهب المغمورة في الأمة.

- إن الشورى تساهم في علاج ضروب الكبت الضاغطة، وكوامن الأحقاد الدفينة، وتطيح بكثير من الكظوم الخفية، تدفع رعايا الدولة للعطاء والحرص على ترسيخ النظام، وصدق الولاء.

- وفي نظام الشورى تذكير للأمة بأنها هي صاحبة السلطان وتذكير لرئيس الدولة بأنه وكيل عنها في مباشرة الحكم والسلطان.

- وفي المشاورة امتثال لأمر الله بها، واقتداء برسول الله ﷺ، وهذه المزية أرجح المزايا المتقدمة، وهذا أهم العوامل في نجاح نظام الشورى^(١).

فالحسن بن علي رضي الله عنه يحث الناس على الاهتمام بالشورى وممارستها وتطبيقها ولذلك قال: والله ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم^(٢).

٦- قال الحسن بن علي رضي الله عنه في بعض مواعظه للمسلمين: يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسم الله لك تكن غنياً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً. إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً وينون مشيداً ويأملون بعيداً أصبح جمعهم بوراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً. يا ابن آدم إنك لم تنزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فجد بما في يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع^(٣)، وتلا هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وهذا شرح موجز لهذه الخطبة الحسنية:

(١) الشورى بين الأصالة والمعاصرة لعز الدين التيمي، ص (٣٣، ٣٤).

(٢) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، ص (١٨٣).

(٣) نور الأبصار، الشبلنجي، ص (١٢١)، الحسن بن علي، ص (٢٨).

أ- يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً^(١):

فهذا توجيه من الحسن بن على يحث فيه الناس على الابتعاد عن المحرمات، ويعتبر الحسن بن على من ترك المحرمات فهو العابد، فالوقوع في المحرمات توقع الإنسان في الغفلة وتعرضه لسخط الله وعقابه وغضبه، كما أن الوقوع في المحرمات والغفلة عن طاعة الله سببان لمفاسد كثيرة وأضرار بليغة في الدنيا والآخرة، يقول ابن القيم: قلة التوفيق وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونضرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب، ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم وضنك المعيشة، وكسف البال، كل هذه الأشياء تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع من الماء، والإحراق من النار، وأضداد هذه تتولد من الطاعة^(٢)، فالبعد عن المحرمات طريق للطاعات، فيصبح المسلم عابداً، ولذلك قال الحسن: عف عن محارم الله تكن عابداً^(٣).

ب- وارض بما قسم الله لك تكن غنياً^(٤):

يتحدث الحسن رضى الله عنه عن الرضا بما كتبه الله على العبد، وأن الرضا يؤدي إلى الغنى بالله سبحانه وتعالى، والرضا عن الله سبحانه وتعالى معناه: أن لا يكره العبد ما يجرى به قضاء الله تعالى^(٥). وأعلاه: سرور القلب، وسكينة النفس إلى قضاء الله وقدره؛ خيره وشره، والإيمان بالقضاء والقدر أحد الأركان الستة، حلوه ومره، وهذا القسم من الرضا من أجل الأخلاق الإيمانية لأنه آخذ بزمام مقامات الدين كلها، إذ هو روحها وحياتها، فإنه روح التوكل وحقيقته،

(١) نور الأبصار، ص (١٢١).

(٢) الفوائد، ص (٣٢).

(٣) الحسن بن على، ص (٢٨)، نور الأبصار، ص (١٢١).

(٤) الحسن بن على، ص (٢٨).

(٥) المفردات للراغب، ص (١٩٧).

وزوج اليقين، وروح المحبة ودليل صحة محبة المحب، وروح الشكر ودليله^(١)، وهو أيضاً يفتح باب حسن الخلق مع الله تعالى ومع الناس، فإن حسن الخلق من الرضا، وسوء الخلق من السخط، بل إن بعض العلماء عرف الرضا بحسن الخلق مع الله، قال: لأنه يوجب ترك الاعتراض عليه في ملكه، وحذف فضول الكلام الذى يقدر فى حسن خلقه... فلا يسمى شيئاً قط قضاء الله تعالى وقدره باسم مذموم، إذا لم يذمه الله تعالى، لأنه ينافى الرضا^(٢)، ولذلك كان هذا النوع من الرضا محل عناية القرآن الكريم فى التحدث عنه بآيات كثيرة يقول فيها عز وجل: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] مما يدل على أنه من أعلى مقامات الإيمان لما يعنيه من كمال الخلق مع الخالق جل وعلا لكل ما يقضيه الله عز وجل فى خلقه وكونه وتشريع، فيقبله العبد بكل سرور واطمئنان وانشرح نفس، فلا يجد فى نفسه حرجاً مما قضاه الله تعالى له من خير أو شر - بل يرضى بمر القضاء الذى قدره له - ولا على ما قضاه فى الكون من تدبير وخلق وفناء بداية لما يعلمه من حكمته سبحانه فى تدبيره الملوك كله، ولا على ما شرعه لعباده من تشريع على السنة رسله، وفى محكم كتابه، لأنه كله هو الحق والهدى، فصاحب هذا الخلق يتلقى كل ذلك بالمحبة والسرور على مراد الله الذى قضاه فى كل ذلك، لعلمه أن الله عز وجل حكيم فى فعله وتدبيره وقضائه، ودود مع عباده لا يفعل لهم إلا محض الخير مهما بدا لأنفسهم خلافه^(٣).

وقد كان جد الحسن عليه السلام القدوة المثلى والأسوة الحسنى، فقد بين لنا عليه السلام كيف كان رضاه عن الله تعالى فيما يبستليه به فى الحياة من متاعب فى النفس أو المال أو البنين أو الأقارب، فكان عليه السلام على ذلك النحو من الرضا كمالاً وتاماً سواء فيما ناله من الأذى فى نفسه من جراء دعوته إلى الله تعالى فى مكة أو فى الطائف أو فى المدينة، ولقد بلغت به الأذى، أن جرت عليه عدة محاولات اغتيال فلم تغلج، قلم يزد على تقرير المحاولين ما أرادوه، ثم العفو عنهم، وأما رضاه بما كان عليه

(١) مدارج السالكين (٢ / ٢١٨).

(٢) المصدر نفسه (٢ / ٢٢٠).

(٣) أخلاق النبى عليه السلام فى القرآن والسنة (١ / ٩٦).

من القلة في المال، فلم تعرف البشرية رضا مثله، حيث بلغ به في حاله ذاك، أن جعل يدعو الله تعالى ويقول: «اللهم اجعل رزق آل محمدًا قوتًا»^(١)، وأما في فقد الأولاد فلما مات خال الحسن ولد النبي ﷺ الرضيع إبراهيم عليه السلام عن ثمانية عشر شهراً، وقد رزق به على الكبر وبعد موت أبنائه الذكور من قبل، لم يتزعزع رضاه عليه الصلاة والسلام لقضاء الله وقدره، بل أعلن رضاه بذلك، وقال فيما رواه عنه أنس بن مالك - رضى الله عنه - : إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا بما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون^(٢) وأما أقاربه ﷺ فقد صرعوا حوله بين يديه في الدفاع عنه وعن دعوته، فلم يتبرم لذلك، بل جاء أنه قال في حق عمه أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب^(٣) - رضى الله عنه - الذى استشهد بأحد، ومثل به أيمًا تمثيل - : فنظر إلى منظر لم ينظر إلى منظر أوجع للقلب منه، نظر إليه، وقد مثل به، فما زاد على أن قال: رحمة الله عليك، إن كنت ما علمتك إلا وصولاً للرحم، فعولاً للخيرات، والله لولا حزن من بعدك عليك لسرنى أن أتركك حتى يحشرك الله في بطون السباع^(٤).

ومع ما كان عليه ﷺ من كمال الرضا عن الله تعالى في كل أحواله، فقد كان دائب الدعاء أن يرزقه الله تعالى المزيد من الرضا والثبات الدائم عليه^(٥)، فكان من دعائه ﷺ: «وأسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقاءك، وأعوذ بك من ضراء مضرة، وفتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»^(٦)، ولم تقتصر أقواله ﷺ في الرضا على ما كان يعبر به عن نفسه من ذلك الخلق العظيم، بل كذلك كان ينوه بهذا الخلق العظيم، ويبين ما له من عظيم الأجر والثواب عند الله، ليحضر أمته عليه، وذلك كما في

(١) البخارى، الرقاق رقم (١٠٥٥).

(٢) مسلم، رقم (٢٣١٥).

(٣) طبقات ابن سعد (٨/٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٢) عزاء ابن كثير إلى البزار وقال عنه بعد إirاده له بسنده: هذا إسناده فيه

ضعف، وذكره بنحوه ابن هشام في سيرته (٣/ ١٧) عن ابن إسحاق مرسلًا.

(٥) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (١/ ١٠٠).

(٦) سنن النسائي، في السهو (٣/ ٥٥) من حديث عمار بن ياسر إسناده حسن.

قوله ﷺ: «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالإسلام ديناً، غفر له ذنبه» (١). ويلاحظ هنا كيف ربط النبي ﷺ هذا الدعاء بأمر يتكرر يومياً خمس مرات، ليصبح هذا الدعاء ومضمونه شيئاً راسخاً في نفس المؤمنين والمؤمنات، وقوله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً» (٢).

فقد بين في هذين الحديثين عظيم خلق الرضا عن الله تعالى حيث أبان أن هذا الخلق سبب لمغفرة الذنوب، وشهد له في الحديث الآخر أنه مما يوجد حلاوة الإيمان، وذلك لأن صاحب هذا الخلق يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن تدبير الله تعالى له خير من تدبيره لنفسه، فيعيش قريح العين في هذه الحياة في السراء والضراء، يحمد الله تعالى على الخير وغيره، لأن ذلك كله فعل الله تعالى وتصرفه في ملكه، وأى راحة للمرء أكثر من أن يعيش في هذه الحياة على هذا النحو (٣)؟، فالحسن بن على رضى الله عنه حث على هذا الخلق بلسان الحال ولسان المقال فقد قال: وارضى بما قسم الله لك تكن غنياً (٤). ج- قوله: وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً (٥).

فالحسن رضى الله عنه يبحث المسلمين على حسن الجوار فحق الجار على جاره من أعظم الحقوق، قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال النبي ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (٦) وذلك لشدة الوصية به وتأكيدها، ومن حقوق الجوار وآدابه في الإسلام أمور منها:

(١) مسلم، رقم (٣٨٦).

(٢) مسلم، رقم (٢٧٥٨).

(٣) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ١٠١).

(٤) الحسن بن على، ص (٢٨)، نور الأبصار، ص (١٢١).

(٥) الحسن بن على، ص (٢٨).

(٦) البخارى، رقم (٦٠١٥).

- عدم إيذائه بأى شىء من قول أو عمل : فقد قال ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»^(١) . فيجب على الإنسان أن يكف أذاه عن جاره، سواء كان بالقول، أو بالفعل، أو الإشارة فأذية الجار محرمة على كل حال .

- الإحسان إليه دائماً : وبكل صورة ممكنة، كما قال ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً، أو ليسكت»^(٢) ونظراً للأهمية الكبرى التى يعطيها الإسلام للجوار ربط الرسول ﷺ بين صدق الإيمان بالله واليوم الآخر والإحسان للجوار، ولو طبقنا هذا التوجيه النبوى مع جيراننا فى مجتمعاتنا لتحولت هذه المجتمعات إلى مجتمعات متعاونة ومتكاتفة ولعاش أهلها حياة طيبة .

- تحمل أذى الجار والصبر عليه : وكما قيل : ليس حسن الجوار بكف الأذى على الجار، ولكن بتحمل أذاه . فينبغى للمسلم أن يصبر على أذى جاره، وأن يتحملة، وأن يقابله بالإحسان . فإنه بهذا يغلق الباب أمام نزع الشيطان .

- مواساته بالطعام ولاسيما إذا كان فقيراً :

قال ﷺ : «ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع جنبه»^(٣)، وقال ﷺ : «إذا طبخ أحدكم قدرًا فليكثر مرقها، ثم ليناول جاره منها»^(٤)، وقال ﷺ : «يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»^(٥) . فينبغى لكل مسلم أن ينتبه إلى هذا الأدب الرفيع، وألا يهمله، فإن له أثراً عظيماً على الجار، وهو دليل على اتصاف المجتمع المسلم بالتراحم، والتعاطف، والتكافل بين أفرادة^(٦) . ويفهم من الحديث الحرص على سد احتياجات الجار ما أمكن من ملابس وأدوية وغيرها .

(١) البخارى، رقم (٦٠١٨) .

(٢) مسلم، رقم (٤٨) .

(٣) المستدرک (٤/ ١٦٧) السلسلة الصحيحة، رقم (١٤٨) .

(٤) مجمع الفوائد (٨/ ١٦٥)، صحيح الجامع للألبانى، رقم (٦٧٦) .

(٥) مسلم، رقم (١٠٣٠) .

(٦) موسوعة الآداب الإسلامية (١/ ٢٩٩) .

- مشاركته الفرح والحزن:

فإذا كان عند جاره مناسبة فينبغي له أن يذهب إليه، وأن يشاركه ويقاسمه فرحه، ما لم يكن فيه معصية وإذا أحلت به. نازلة فينبغي له أن يحضره، وأن يشاركه ويقاسمه حزنه، ويواسيه بالكلمة الصالحة، ويشد من أزره. وكل هذا من حق المسلم أصلاً على أخيه المسلم، والجار أولى بهذه الحقوق من غيره.

- أن يعرض عليه البيت قبل غيره إذا أراد التحول عنه:

فإذا أراد أن ينتقل من داره فليعرضها على جاره قبل غيره، فقد يرغب في شرائها، وكذلك أى أرض أو عقار، وقد قال ﷺ: «من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره»^(١). وهذا أطيب لخاطره ولقلبه، وإذا فرط الناس في هذا الأمر فإنهم يفتحون باباً للمشاحنات والمنازعات والعداوات، فالله المستعان.

- ألا يمنع جاره من غرس خشبة في جداره: إذا احتاج الجار إلى ذلك، فينبغي أن يسمح له بغرس هذه الخشبة، ولا يمنعه من الانتفاع بها، فقد قال ﷺ: «لا يمنع جار جاره أن يغرس خشبة في جداره»^(٢). ثم قال أبو هريرة: مالى أراكم عنها معرضين؟ والله لأرmin بها بين أكتافكم. أى لأصرحن ولأحدثن بها بينكم مهما ساءكم ذلك وأوجعكم^(٣). ويفهم من الحديث كل مساعدة يحتاجها الجار ولا يترتب عليها ضرر لجاره، فالإسلام يحث على تقديمها.

- تعظيم حرمة الجار وعدم خيانتة: لا بإفشاء سره، ولا بهتك عرضه، ولا بالفجور بأمله، فإنه من أقبح الكبائر قال ﷺ لما سئل: أى الذنب أعظم؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قيل: ثم أى؟ قال: أن تزاني حليلة جارك^(٤)، بل ينبغى أن يحفظه فى نفسه وماله وعرضه، حتى يأمنه جاره، فقد قال ﷺ: «والله لا يؤمن - ثلاثاً - الذى لا يأمن جاره بوائقه»^(٥) أى غدرة وخيانتة^(٦). ولذلك كان

(١) سنن ابن ماجة، رقم (٢٤٩٣)، صحيح ابن ماجة (٢٠٢٢).

(٢) البخارى، رقم (٢٤٦٣).

(٣) موسوعة الآداب الإسلامية ١/ ٣٠١.

(٤) مسلم، رقم (٨٦).

(٥) البخارى، رقم (٦٠١٦).

(٦) موسوعة الآداب الإسلامية ١/ ٣٠١.

الحسن بن على رضى الله عنه يوصى الناس فى مواعظه وخطبه بحسن الجوار والإحسان إلى الجار فقد قال: «وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً»^(١).

د- قوله: وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً:

فالحسن رضى الله عنه يحث المسلمين على إنصاف الناس ومصاحبتهم بالعدل وعدم ظلمهم، فالإنصاف خصلة شريفة وخلة كريمة، يدل على نفس مطمئنة، وأفق واسع، ونظر فى العواقب بعيد، ويعرف بأنه، استيفاء الحقوق لأربابها^(٢)، واستخراجها بالأيدى العادلة، والسياسة الفاضلة^(٣).

وقال ابن القيم فى إنصاف الناس: أن تؤدى حقوقهم، وألا تطالبهم بما ليس لك، وألا تحملهم فوق وسعهم، وأن تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، وأن تعرضهم مما تحب أن يعرضوك به، وأن تحكم لهم أو عليهم بما تحكم به لنفسك أو عليها^(٤).

الإنصاف والعدل توءمان نتيجهما علو الهمة، وبراءة الذمة باكتساب الفضائل، واجتناب الرذائل^(٥)، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالإنصاف، ونهى أن يحملنا بغضنا للكفار على عدم الإنصاف، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]. قال ابن تيمية - رحمه الله -: فنهى أن يحمل المؤمنین بغضهم للكفار على ألا يعدلوا فكيف إذا كان البغض لفاسق، أو مبتدع أو متأول من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن، وإن كان ظالماً له^(٦). وقال ابن كثير - رحمه الله -: أى لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل، فإن العدل واجب على

(١) الحسن بن على، ص (٢٨) نور الأبصار، ص (١٢١).

(٢) أرباب: أصحاب، مفرد رب.

(٣) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص (٢٢٨).

(٤) زاد المعاد (٢/ ٤٠٧) بتصرف.

(٥) التوفيق على مهمات التعريف للمناوى، ص (٦٤).

(٦) الإستقامة (١/ ٣٨).

كل أحد في كل أحد، وقال لبعض السلف: ما عملت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه^(١). وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢] قال أبو عبيدة والفراء: أى لا يكسبنكم بغض قوم أن تعتدوا^(٢) الحق إلى الباطل، والعدل إلى الظلم^(٣).

فما أجمل أن يتحلى المرء بالإنصاف، فهو من صفات الربانيين الذين لا يرجون إلا الحق^(٤). قال ابن القيم - رحمه الله - :

وتعر من ثوبين من يلبسهما يلقي الردى بمذمة وهوان^(٥)
ثوب من الجهل المركب فوقه ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحل بالإنصاف أفخر حلة زينت بها الأعطاف والكتفان^(٦)

وقال المتنبي

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة بين الرجال ولو كان ذوى رحم

ومن إنصاف العباد إنصافهم في الأموال والمعاملات، والحجج والمقالات، وقد عاب الله سبحانه وتعالى الذين يبخسون الناس أشياءهم، وأوعدهم بالخسارة والهلاك، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١ - ٣]. قال ابن سعدى - رحمه الله - : دلت الآية الكريمة على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذى له، يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل فى عموم هذه الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن واحداً منهما يحرص على ما له من الحجج، فيجب عليه - أيضاً - أن يبين ما لخصمه

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٧).

(٢) عتدوا: تتجاوزاً.

(٣) تفسير القرطبي (٦ / ٤٥).

(٤) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص (٢٢٩).

(٥) الهوان: الخزي والعار.

(٦) الأعطاف: جمع عطف، وهو الجانب.

من الحجج التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه^(١)، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه^(٢). فما أجمل قول الحسن بن علي رضي الله عنه: وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً^(٣).

هـ- قول الحسن رضي الله عنه: إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً أصبح جمعهم بوراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً، يا ابن آدم إنك لم تنزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فجد بما في يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع وتلا هذه الآية: ﴿وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فالحسن رضي الله عنه يصف صنفاً من الناس منغمساً في الدنيا وزينتها، مشغولاً بالجمع والبناء ومصائباً بمرض طول الأمل فهذا حال أغلب الناس إلا من رحم ربي، فإذا الموت يأتي بغتة، فلم ينتفعوا بما جمعوا، فأصبحت أعمالهم ضائعة، ومساكنهم خالية، فالحسن بن علي رضي الله عنه يحذر الناس من الاغترار بهذه الدنيا ويحثهم على الزهد فيها، وإنما ينشأ الزهد لليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]. والقرآن يربي المؤمن على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وقد بين الله سبحانه وتعالى أن الكفار هم الذين يغترون بزينة الدنيا وزخرفها، فقال تعالى: ﴿زِينٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢].

وقد بين القرآن الكريم في كثير من المواضع أن الدنيا حقيرة لا يجب أن تشغل المرء عن طلب الآخرة منها قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ

(١) الإعتساف: أشد الظلم.

(٢) تفسير ابن سعدى، ص (٩١٥).

(٣) الحسن بن علي، ص (٢٨).

الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿التكاثر: ١، ٨﴾،
 أى أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم
 ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها^(١). وروى الإمام أحمد،
 عن عبد الله بن الشخير قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: ﴿أَلْهَاكُمْ
 التَّكَاثُرُ﴾ يقول ابن آدم: مالى مالى، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست
 فأبليت، أو تصدقت فأمضيت^(٢)؟ وقال رسول الله ﷺ: يقول العبد: مالى مالى، وإنما
 له من ماله ثلاث، ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فأمضى، وما سوى ذلك
 فذاهب وتاركة للناس^(٣). وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله
 ﷺ: «يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع
 أهله وماله ويبقى عمله»^(٤)، وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: يهرم ابن
 آدم وتبقى معه اثنتان: الحرص والأمل^(٥)، وقال الأحنف بن قيس لما رأى فى يد
 رجل درهماً: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لى، فقال: إنما هو لك إذا أنفقتة فى
 أجر، أو إبتغاء شكر، ثم أنشد الأحنف ممتثلاً قول الشاعر:

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقتة فالمال لك^(٦)

وفى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أى: ثم لتسألن يومئذ عن
 شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ماذا قابلتم به
 نعمه من شكره وعبادته^(٧). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا
 مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ
 وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢].

(١) معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين لأبى سعيد البعري، ص (٩).

(٢) مسلم، رقم (٢٩٥٨).

(٣) مسلم، رقم (٢٩٥٩).

(٤) البخارى، رقم (٦٥١٤).

(٥) مسلم، رقم (١٠٤٧).

(٦) معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين، ص (١٠).

(٧) المصدر نفسه، ص (١٠).

قال ابن كثير - رحمه الله - : يقول تعالى لبيه محمد ﷺ : لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم وما فيه من النعيم، فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك وقليل من عبادى الشكور، وقال مجاهد: ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ يعنى: الأغنياء، فقد آتاك الله خيراً عما آتاهم. ولهذا قال: ﴿وَرَزَقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ فكان ﷺ أزهى الناس فى الدنيا مع القدرة عليها إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا فى عباد الله، ولم يدخر لنفسه شيئاً قال: إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال: بركات الأرض^(١). وقال قتادة والسدى: ﴿زَهْرَةُ الْحَيَاةِ﴾ يعنى: زينة الحياة الدنيا. وقال قتادة: ﴿لِنَفْسِهِمْ فِيهِ﴾ لنبليهم. وقوله: ﴿أَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا﴾ أى: استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة، واصبر أنت على فعلها، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]. وقوله: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾. يعنى: إذا أقمت الصلاة آتاك الرزق من حيث لا تحتسب. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ولهذا قال: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾، وقال الثورى: لا نسألك رزقاً: أى لا نكلفك الطلب. وقال ثابت: وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة^(٢). وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة»^(٣). وقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ أى: وحسن العاقبة فى الدنيا والآخرة وهى الجنة لمن اتقى.. انتهى^(٤).

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير، فآثر فى جنبه فلما استيقظ جعلت امسح عنه، فقلت: يا رسول الله، ألا آذنتنا

(١) البخارى، رقم (٦٤٢٧).

(٢) معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين، ص (١١).

(٣) سنن ابن ماجه، رقم (٤١٠٥)، وصححه الألبانى صحيح الجامع (٦٥١٠).

(٤) ففروا إلى الله، ص (٦٢) لأبى ذر القلمونى بتصرف.

فبسطنا شيئاً يقيك منه، فتنام عليه، فقال: مالى وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف، فقال تحت شجرة، ثم تركها^(١). وقد كان الصحابة رضى الله عنهم سائرين على نهج النبى ﷺ، فقد كانوا أزهد الناس وأرغبهم فى الآخرة، فنظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية، فتزودوا من الدنيا زاد الراكب ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم، فعلموا أنهم سينظرون إليها بقلوبهم وأعينهم ولما علموا أنهم سيرتحلون منها بأبدانهم تعبوا قليلاً، وتنعمو كثيراً، كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم، فأحبوا ما أحب لهم، وكرهوا ما كره لهم، قال ابن مسعود رضى الله عنه للتابعين: لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله ﷺ، ولكنهم كانوا خيراً منكم، كانوا أزهد فى الدنيا وأرغب فى الآخرة، فكان فى التابعين من هو أكثر قياماً وصياماً وعبادة من الصحابة رضى الله عنهم، ولكن الصحابة رضى الله عنهم سبقوا بأحوالهم الإيمانية من الزهد واليقين، وصدق التوكل على الله عز وجل.

ولا شك فى أن الصحابة رضى الله عنهم تعلموا الزهد من رسول الله ﷺ، فقد كان النبى ﷺ يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة فى شهرين، ولا يوقد فى بيت من أبياته نار^(٢).

وأما قول الحسن بن على رضى الله عنهما: فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع وتلا هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]، ففيها دعوة للتقوى، والالتزام بها، والتقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله، والمطلوب من العبد أن يتعلق قلبه بالله وحده محبة له وإخلاصاً له فى عبادته ورغبة فيما عنده من نعيم أعده للمتقين، وخوفاً من سخطه وعقابه وعذابه، وللتقوى ثمار يحتاج إليها كل مسلم منها، المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب العبد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

(١) سنن الترمذى، رقم (٢٣٧٧) وصححه الألبانى صحيح الجامع، رقم (٥٦٦٨).

(٢) البخارى، رقم (٦٥٦٧) مسلم، رقم (٢٩٧٢).

ومنها: تيسير العلم النافع، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ومنها: إطلاق نور البصيرة، قال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، ومنها: محبة الله عز وجل ومحبة ملائكته والقبول في الأرض، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلانًا فأحبه. فيحبه جبريل عليه السلام ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض»^(١). ومنها: نصرة الله عز وجل وتأيدته وتسديده: وهي المعية المقصودة بقول الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] فهذه المعية هي معية التأيد والنصرة والتسديد وهي معية الله عز وجل لأنبيائه وأوليائه ومعيته للمتقين والصابرين، وهي تقتضي التأيد والحفظ والإعانة، كما قال تعالى لموسى عليه السلام وهارون: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وأما المعية العامة مثال قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقوله: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ٨٠] والمعية العامة تستوجب من العبد الحذر والخوف ومراقبة الله عز وجل. ومنها: البركات من السماء والأرض قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]. ومنها: البشرى في الحياة الدنيا، وهي الرؤيا الصالحة وثناء الخلق ومحبتهم، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]. والبشرى في الحياة ما بشر الله المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه، وعن النبي ﷺ: الرؤيا الصالحة من الله^(٢). وعنه ﷺ: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات،

(١) مسلم، ك البر والصلة، رقم (٦٩٣٧).

(٢) البخارى، ك الرؤيا، رقم (٦٩٨٦).

قالوا: وما المبشرات قال: الرؤيا الصالحة^(١). وعن أبي ذر رضى الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس، فقال: تلك عاجل بشرى المؤمن^(٢). وقد رأينا من الموفقين ثناء الناس على أعمالهم فى الدنيا. ومنها: الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]. يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذى هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن^(٣). ومنها: حفظ الذرية الضعاف بعناية الله تعالى عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]. وفى الآية إشارة إلى إرشاد المسلمين الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى فى سائر شئونهم حتى تحفظ أبنائهم ويدخلون تحت حفظ الله وعنايته، ويكون فى إشعارها تهديد بضیاع أولادهم إن فقدوا تقوى الله، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع، وأن الرجال الصالحين يحفظون فى ذريتهم الضعاف كما فى الآية: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]. فإن الغلامين حفظا ببركة أبيهما فى أنفسهما ومالهما^(٤)، ومنها: سبب قبول الأعمال التى بها سعادة العباد فى الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. ومنها: سبب النجاة من عذاب الدنيا، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [فصلت: ١٧، ١٨]. ومنها: تكفير السيئات وهو سبب النجاة من النار، وعظم الأجر، وهو سبب الفوز بدرجة الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

(١) البخارى، رقم (٦٩٩٠).

(٢) مسلم، (٤/ ٢٠٣٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٢٩).

(٤) محاسن التأويل للقاسمى (٥/ ٤٧).

ومنها ميراث الجنة، فهم أحق الناس بها وأهلها، بل ما أعد الله الجنة إلا لأصحاب هذه الرتبة العلية والجوهرة البهية. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣]، فهم الورثة الشرعيون لجنة الله عز وجل، وهم لا يذهبون إلى الجنة سيراً على أقدامهم بل يحشرون إليها ركباناً مع أن الله عز وجل يقرب إليهم الجنة تحية لهم ودفعاً لمشقتهم كما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

فالحسن رضى الله عنه يحث المسلمين على التقوى حرصاً منه على أن ينال المسلمين هذه الثمار فى الدنيا والآخرة، ولذلك قال: فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع وتلا هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(١) [البقرة: ١٩٧].

(١) الحسن بن على ص ٢٨، نور الأبصار ص ١٢١.

المبحث الثالث

من أهم الشخصيات فى خلافة الحسن بن على

كانت الظروف التى أعقبت وفاة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه صعبة ومعقدة، إذ لازالت الحرب قائمة مع معاوية بن أبى سفيان، وفى هذه الظروف بايع أهل الكوفة الحسن بن على رضى الله عنه بالخلافة عام ٤٠هـ/ ٦٦٠م، ولذلك لم يكن لدى الحسن رضى الله عنه متسع من الوقت لإجراء تغييرات إدارية، أو تغيير الولاة، فأقر عمال أبيه على ولاياتهم، عدا الكوفة، فقد ولى عليها المغيرة بن نوفل^(١) بعد ما سار إلى معاوية بدلاً من واليها السابق هانى ابن النخعي^(٢)، أما على المدائن، فقد استمر سعد بن مسعود الثقفى عاملاً عليها^(٣)، وقد كان عاملاً للخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه على ذات المدينة^(٤)، وقد استبقاه الحسن إبان خلافته واستمر يشغل منصبه الإدارى إلى نهاية عهد الحسن بن على رضى الله عنه وتنازله لمعاوية، أما على البصرة فقد جاء فى بعض الروايات، بأن عبد الله بن عباس كان والياً عليها من قبل الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه وبقي عليها لغاية عقد الصلح مع معاوية بن أبى سفيان، ثم خرج من البصرة معتزلاً السياسة قاصداً مكة المكرمة^(٥)، متفرغاً للعلم والتعليم، أما ولاية فارس فقد كانت لزياد بن سفيان^(٦)، وكان على رضى الله عنه قد بعثه إلى فارس لتأديب بعض المتمردين بها، فظفر بهم وتمكن من القضاء عليهم^(٧)، ثم ولاء بعد ذلك على فارس فاستمرت ولايته لغاية عقد الصلح مع

(١) التبيين فى أنساب القرشيين، ص: (٨٠، ٨١).

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، نقلاً عن الحسن بن على، فتبخان، ص (٨٥).

(٣) أنساب الأشراف (٥ / ٢١٤)، نهاية الأرب (٢ / ٢٦٦).

(٤) التاريخ الكبير للبخارى (٤ / ٥٠).

(٥) الحلة السيرة للقضاى نقلاً عن الحسن بن على، ص (٨٦).

(٦)، (٧) الحسن بن على، ص (٨٦).

معاوية^(١)، كما أبقي الحسن رضى الله عنه العمال أنفسهم الذين كانوا يعملون لوالده الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه، فقد استبقى عبيد الله بن أبى رافع كاتباً^(٢)، وكذلك استبقى شريح بن الحارث قاضى الكوفة^(٣)، وأبقى معقل ابن قيس الرياحى على الشرطة^(٤)، وكان من أهم شخصيات عهد خلافته، شقيقه الحسين بن على رضى الله عنه، وهذا سفرد له كتاباً خاصاً به بإذن الله تعالى، ومن أهم شخصيات عهده أيضاً قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى، وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب الهاشمى، وقد رأيت أن أترجم للشخصيات الثلاث الأخيرة.

أولاً: قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه:

هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب، الأمير المجاهد، أبو عبد الله سيد الخزرج وابن سيدهم أبى ثابت، الأنصارى الخزرجى الساعدى، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه^(٥)، كان من فضلاء الصحابة وأحد دهاة العرب وكرمائمهم، وكان من ذوى الرأى الصائب والمكيدة فى الحرب، مع النجدة والشجاعة، وكان شريف قومه غير مدافع، ومن بيت سيادتهم^(٦)، له عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ منها، عن أبى ليلى قال: كان سهل بن حنيف، وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمرت بهما جنازة فقاما، فقيل: إنما هو من أهل الأرض فقالا: إن رسول الله ﷺ فمرت به جنازة فقام، فقيل: إنما هى جنازة يهودى، فقال: أليست نفساً^(٧).

وفى هذا الحديث تكريم الإنسان من حيث هو إنسان، وعن أبى عمار، عن قيس بن سعد قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم عاشوراء قبل أن ينزل رمضان،

(١) مروج الذهب (٣ / ١٥)، الحسن بن على، ص (٨٦).

(٢) محاضرة الأبرار، لابن العربى (١ / ٦٦)، الحسن بن على، ص (٨٧).

(٣) مختصر التاريخ لابن الكمازونى، ص (٨٠).

(٤) نهاية الأرب (٥ / ٢٢٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣ / ١٠٢).

(٦) أسد الغابة (٤ / ٤٥٠).

(٧) البخارى، رقم (١٣١٢).

فلما نزل رمضان لم يأمرنا ولم ينهنا، ونحن نفعله^(١)، وعن محمد بن شرحبيل، عن قيس بن سعد قال: أتانا رسول الله ﷺ فوضعنا له ماء فاغتسل، ثم أتينا به بلحفة ورسية، فالتحف بها، فكأنى أنظر إلى أثر الورسى على عكته^(٢)، روى عنه أنس، وثعلبة بن أبي مالك، وأبو ميسرة، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعروة^(٣)، وعبد الله بن مالك الجيشاني وأبو عمار الهمداني، وميمون بن أبي شيب، وعريب بن حميد الهمداني، والوليد بن عبده وآخرون^(٤)، وقد حدث قيس بن سعد بالكوفة والشام ومصر^(٥)، كان قيس ضخماً حسناً طويلاً إذا ركب الحمار خطت رجلاه الأرض^(٦)، وكانت أمه بنت عم أبيه واسمها فكيهة بنت عبيد ابن دليم^(٧)، وكان موقعه من رسول الله ﷺ، كصاحب الشرطة من الأمير، وحمل لواء الرسول ﷺ في بعض الغزوات، واستعمله على الصدقة^(٨)، وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد^(٩)، وشارك في بعض السرايا منها:

١- سرية أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه إلى سيف البحر:

تعتبر سرية أبي عبيدة رضى الله عنه إلى سيف البحر، استمراراً لسياسة النبي ﷺ العسكرية ولإضعاف قريش ومحاصرتها اقتصادياً على المدى الطويل، فقد بعث ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة راكب قبل الساحل ليرصدوا عيراً لقريش، وعندما كانوا يبعض الطريق فنى الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع فكان قدر مزود تمره يأكلون منه كل يوم قليلاً، حتى كان أخيراً نصيب الواحد منهم ثمرة واحدة، وقد أدرك الجنود صعوبة الموقف فتقبلوا هذا الإجراء بصدور رغبة دون تدمير أو ضجر، بل إنهم ساهموا في خطة قاتلهم التشفية

(١) مسند أحمد (٣/ ٤٢٢).

(٢) العكن جمع عكنة وهى الطى فى البطن من السمن، تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٧١).

(٣) الإصابة (٥/ ٣٦١).

(٤)، (٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٢).

(٦)، (٧) الإصابة (٥/ ٣٦٠).

(٨) البداية والنهاية (١١/ ٣٥٤).

(٩) الإصابة (٥/ ٣٦١، ٣٦٠).

فصاروا يحاولون الإبقاء على التمرة أكبر وقت ممكن^(١)، يقول جابر رضى الله عنه أحد أفراد هذه السرية: كنا نغصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل^(٢)، وقد سأل وهب بن كيسان جابراً رضى الله عنه: ما تغنى تمره؟ فقال: لقد وجدنا فقدناها حين فئت^(٣)، وقد اضطر ذلك الجيش إلى أكل ورق الشجر، قال جابر رضى الله عنه: وكنا نضرب بعصينا الخبط^(٤)، ثم نبله بالماء فنأكله^(٥)، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط^(٦)، وقد أثر هذا الموقف فى قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه وكان من أحد جنود هذه السرية، فنحر للجيش ثلاث جزائر^(٧)، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم إن أبا عبيدة نهاه^(٨)، وقد جاء ما فعله قيس بن سعد من كرم وجود مفصلاً فى تاريخ ابن عساكر، فعن داود بن قيس، وإبراهيم بن محمد الأنصارى وخارجة بن الحارث، قالوا: بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة فى سرية فيها المهاجرون والأنصار، ثلاثمائة رجل إلى ساحل البحر، إلى حين، فأصابهم جوع شديد، فقال قيس بن سعد: من يشتري منى تمراً بجزر، يوفيني الجزر ههنا وأوفيه التمر بالمدينة، . . . فوجد رجلاً من جهينة فقال قيس: بعنى جزراً أوفيك وسقة من تمر المدينة، قال الجهنى: والله ما أعرفك، فمن أنت؟ قال: أنا ابن سعد بن عبادة بن دليم. قال الجهنى: ما أعرفنى بنسبك، وذكر كلاماً، فابتاع منه خمس جزائر، كل جزور بوسق من تمر، فشرط عليه البدوى تمر دخرة مصلبة من تمر آل دليم، يقول قيس: نعم، قال: فأشهد له نفرًا من الأنصار، ومعهم نفر من المهاجرين، قال قيس: أشهد من تحب، فكان فيمن أشهد عمر بن الخطاب، قال عمر: ما أشهد، هذا يدين ولا ماله إنما المال

(١) السرايا والبعوث النبوية، ص (١١٨).

(٢) شرح النووى على مسلم (٨٤/١٣).

(٣) فتح البارى (٧٧/٨).

(٤) الخبط: ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها واسم الورق الساقط: خبط.

(٥) شرح النووى (٨٤/١٣).

(٦) فتح البارى (٧٨/٨).

(٧) جمع جزور، والجزور: البعير، أو خاص بالناقة.

(٨) فتح البارى (٧٨/٨).

لأبيه، قال الجهيني^(١): والله ما كان سعد ليخني بابه في وسقة من تمر، وأرى وجهاً حسناً وفعالاً شريقاً... وأخذ قيس الجزر فنحراها لهم في مواطن ثلاثة كل يوم جزوراً، فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره، وقال: تريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك^(٢)، وجاء في رواية أخرى: أقبل أبو عبيدة ومعه عمر، فقال: عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك؟ قال قيس: يا أبا عبيدة، أترى أبا ثابت يقضى ديون الناس ويحمل الكل، ويطعم في المجاعة لا يقضى عني وسقة من تمر لقوم مجاهدين في سبيل الله، فكاد أبو عبيدة أن يلين له وجعل عمر يقول: اعزم فعزم عليه وأبى أن ينحر، وبقيت جزوران، فقدم بهما قيس المدينة ظهراً يتعاقبون عليهما، وبلغ سعداً فقال: ما صنعت في مجاعة القوم؟ قال: نحرت، قال: أصبت، قال: ثم ماذا؟ قال: نحرت، قال: أصبت، قال: ثم ماذا؟ قال: نحرت، قال: أصبت، قال: ثم ماذا؟ قال: نُهِيت، قال: من نهاك؟ قال: أبو عبيدة أميرى، قال: وثم؟ قال: زعم أنه لا مال لى، وأن المال لأبيك، فقلت: أبى يقضى عن الأبعد، ويحمل الكل، ويطعم الطعام في المجاعة ولا يصنع هذا بى، قال: فلك أربع حوائط أدناها حائط منه تجذ خمسين^(٣) وسقاً، وقدم البدوى مع قيس فأوفاه وسقته وحمله وكساه. وجاء في رواية أن الأعرابي قال: والله ما مثل أبيك ضيعت ولا تركت بغير مال، فأبوك سيد من سادات قومك، نهانى الأمير أن أبيع، فقلت: لم؟ قال: لا مال له، فلما انتسب عرفته وتقدمت لما أعرف أنك تسمو إلى معالى الأخلاق وجسيمها، وإنك غير مدبر، ولا معرفة لديك، فأعطى ابنه يومئذ أموالاً عظماً^(٤). وفي هذه القصة قيم ودروس وعبر كثيرة منها:

أ- ضرورة الصبر لأصحاب الدعوة لأنهم سيمرون بمشاق عظيمة.

ب- أهمية تربية الأبناء على الكرم والمروءة ومكارم الأخلاق، وهذا واضح في تربية سعد لابنه قيس وإعطاؤه الأموال العظيمة تشجيعاً له للمضى في طريق المروءة والكرم.

(١) أى يسلمه ويخفر ذمته.

(٢)، (٣)، (٤) تاريخ ابن عساكر (٥٢ / ٢٨٠).

ج- أهمية وجود المال الصالح للعبد الصالح فلو لم يكن لسعد مال كثير لم يستطع قيس المساهمة فى حل أزمة المجاعة.

د- وكان قيس بن سعد رضى الله عنه يقول: اللهم هب لى حمداً ومجداً، لا مجدداً إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم لا يصلحنى إلا القليل^(١).

٢- فى فتح مكة:

دخل رسول الله ﷺ مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام^(٢)، وهو واضع رأسه تواضعاً لله، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن ذقنه ليكاد يمس واسطة الرحل، ودخل وهو يقرأ سورة الفتح^(٣)، مستشعراً بنعمة الفتح وغفران الذنوب، وإفاضة النصر العزيز^(٤)، وعندما دخل مكة فاتحاً - وهى قلب جزيرة العرب ومركزها الروحى والسياسى - رفع كل شعار من شعائر العدل والمساواة، والتواضع والخضوع، فأردف أسامة بن زيد^(٥)، وهو ابن مولى رسول الله ﷺ ولم يردف أحداً من أبناء بنى هاشم وأبناء أشراف قريش وهم كثير، وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين ليلة خلت من رمضان، سنة ثمان من الهجرة^(٦)، وقد حرص النبى ﷺ على تأمين الجبهة الداخلية فى مكة عند دخوله يوم الفتح، ولذلك عندما بلغه مقولة سعد بن عباد لأبى سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم نستحل الكعبة، قال ﷺ: «هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة»^(٧)، وأخذ الراية من سعد بن عباد وسلمها لابنه قيس بن سعد، وبهذا التصرف الحكيم حال دون أى احتمال لمعركة جانبية هم فى غنى عنها، وفى نفس الوقت لم يُثره، ولا أثار الأنصار، فهو لم يأخذ الراية من أنصارى ويسلمها لمهاجر، أو أنصارى آخر بل أخذها من أنصارى وسلمها لابنه، ومن طبيعة البشر أن لا يرضى الإنسان بأن

(١) تاريخ ابن عساکر: (٥٢ / ٢٨٤).

(٢) مسلم، رقم (١٣٥٨).

(٣) البخارى، رقم (٤٢٨١)، ك المغازى.

(٤) صور وعبر من الجهاد النبوى فى المدينة، ص (٣٩٦).

(٥) البخارى، رقم (٤٢٨٩).

(٦) السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى، ص (٣٣٧).

(٧) البخارى، ك المغازى، (٥ / ١٠٨)، رقم (٤٢٨٠).

يكون أحد أفضل منه إلا ابنه^(١). وفي هذه الحادثة تظهر حكمة النبي ﷺ في كيفية تصحيح الخطأ وأسلوبه في التعامل مع النفوس، فلم يترك خطأ سعد يمر، وفي نفس الوقت راعى نفسيته، فصحح خطأ سعد وأعطى الراية ابنه.

٣- في عهد الصديق رضى الله عنه:

كانت أواصر النسب بين الصديق وقيس بن سعد بن عبادة من القوة بمكان، فقد تزوج قيس رضى الله عنه قريبة بنت أبى عتيق أخت أبى بكر الصديق^(٢)، وقد ذكر ابن عبد البر خبراً حكى عليه بالصححة حيث قال: توفي - سعد بن عبادة - عن حمل لم يعلم به، فلما وُلد - وقد كان سعد رضى الله عنه قسم ماله في حين خروجه من المدينة بين أولاده - فكلّم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما في ذلك قيساً، وسألاه أن ينقض ما صنع سعد من تلك القسمة، فقال: نصيبى للمولود، ولا أغير ما صنع أبى ولا أنقصه - خبر صحيح من رواية الثقات^(٣)، وهذا الخبر الصحيح يبين بطلان الرواية الباطلة التى تنسب لسيد الأنصار العمل على شق عصا المسلمين، والتنكر لكل ما قدمه من نصره وجهاد وإيثار للمهاجرين والظعن بإسلامه من خلال ما ينسب إلى سعد بن عبادة من قول: لا أبايعكم حتى أرميكم بما فى كنانتي، وأخضب سنان رمحى، وأضرب سيفى، فكان لا يصلى بصلاتهم ولا يجمع بجماعتهم ولا يقضى بقضائهم، ولا يفيض بإفاضتهم، حتى هلك أبو بكر^(٤)، فقد استغلت هذه الرواية الباطلة للظعن بوحدة المهاجرين والأنصار وصدق أخوتهم، فالراوى صاحب هوى وهو إخبارى تالف لا يوثق به^(٥) ولا سيما فى المسائل الخلافية وهو لوط بن يحيى أبو مخنف متروك، ولم يعتد بأبى مخنف ويعتبر بروايته ويعتمد عليها سوى الشيعة، فقد كان من أعظم

(١) قيادة الرسول السياسية والعسكرية، ص (١٩٦).

(٢) البداية والنهاية (١١ / ٣٥٥).

(٣) الاستيعاب (٣ / ١٢٨٩).

(٤) تاريخ الطبرى (٤ / ٤٢) لا يفيض بإفاضتهم: أى فى الحج.

(٥) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال (٣ / ٢٩٩٢).

مؤرخى الشيعة على قول ابن القمى^(١)، وزعمت رواية أخرى فى غاية الضعف بأن سعد عاش حتى عهد عمر حيث قالت: . . فلما ولى عمر، لقيه فقال: إيه يا سعد؟ فقال: إيه يا عمر؟ فقال عمر: أنت صاحب ما أنت صاحبه؟ قال: نعم. وقد أفضى إليك هذا الأمر، وكان صاحبك والله أحب إلينا منك، وقد أصبحت كارهاً لجوارك، قال: من كره ذلك تحول عنه. فلم يلبث إلا قليلاً حتى انتقل إلى الشام. فمات بحوران^(٢).

إن الرواية الصحيحة تبين بأن سعد بن عباد مات فى خلافة الصديق كما مر معنا، كما أن سعد بن عباد رضى الله عنه بايع أبا بكر بالخلافة فى أعقاب النقاش الذى دار فى سقيفة بنى ساعدة إذ أنه نزل عن مقامه الأول فى دعوى الإمارة وبايع للصديق بالخلافة، وكان ابن عمه بشير بن سعد الأنصارى أول من بايع الصديق رضى الله عنهم فى اجتماع السقيفة، ولم يثبت النقل الصحيح أية أزمات، لا بسيطة ولا خطيرة، ولم يثبت أى انقسام أو فرق لكل منها مرشح يطمع فى الخلافة كما زعم بعض كتاب التاريخ، ولكن الأخوة الإسلامية ظلت كما هى، بل ازدادت توثقاً كما يثبت ذلك النقل الصحيح، ولم يثبت النقل الصحيح تأمراً حدث بين أبى بكر وعمر وأبى عبيدة لاحتكار الحكم بعد وفاة رسول الله ﷺ^(٣)، فهم كانوا أحشى لله وأتقى أن يفعلوا ذلك^(٤)، وقد حاول بعض الكتاب من المؤرخين من أصحاب الأهواء أن يجعلوا من السيد الكبير الشريف، أبو قيس الأنصارى الخزرجى الساعدى المدنى، النقيب سيد الخزرج^(٥) سعد بن عباد رضى الله عنه منافساً للمهاجرين يسعى للخلافة بالشر، ويدبر لها المؤامرات ويستعمل فى الوصول إليها كل أساليب التفرقة بين المسلمين. هذا الرجل -الذى هو والد قيس- إذا راجعنا تاريخه وتبعنا مسلكه، وجدنا مواقفه مع الرسول ﷺ تجعله من الصفوة

(١) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى: د. يحيى اليحى، ص (٤٥، ٤٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٧) إسنادها فى غاية الضعف لأن الواقدى متروك، ومحمد بن صالح التمار صدوق يخطئ، والزيبر بن منذر مستور.

(٣) استخلاف أبو بكر - جمال عبد الهادى، ص (٥٠ - ٥٣).

(٤) أبو بكر الصديق، للصلايى، ص (١٤٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٠).

الأخيار الذين لم تكن الدنيا أكبر همهم، ولا مبلغ علمهم، فهو النقيب في بيعة العقبة الثانية حتى لجأت قريش إلى تعقبه قرب مكة وربطوا يديه إلى عنقه وأدخلوه مكة أسيراً حتى أنقذه منهم جبير بن مطعم بن عدى حيث كان يجيرهم في المدينة وهو من الذين شهدوا بدر^(١)، وحظى بمقام أهل بدر ومنزلتهم عند الله، وكان من بيت جود وكرم وشهد له ذلك رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يعتمد عليه - بعد الله - وعلى سعد بن معاذ كما في غزوة الخندق عندما استشارهم في إعطاء ثلث ثمار المدينة لعينة بن حصن الفزاري، فكان رد سعد بن عباد يذل على عمق الإيمان وكمال^(٢) النصحية. فمواقف سعد مشهورة ومعلومة، فهذا الصحابي الجليل صاحب الماضي المجيد في خدمة الإسلام والصحة الصادقة لرسول الله لا يثبت ولا يعقل أنه كان يريد أن يحيى العصية الجاهلية في مؤتمر السقيفة لكي يحصل في غمار هذه الفرقة على منصب الخلافة، كما أنه لم يثبت ولم يصح ما ورد في بعض المراجع من أنه - بعد بيعة أبي بكر - كان لا يصلى بصلاتهم ولا يفيض في الحج بإفاضتهم^(٣)، كأنما انفصل سعد بن عباد رضى الله عنه عن جماعة المسلمين^(٤)، فهذا باطل ومحض إقتراء، فقد ثبت من خلال الروايات الصحيحة أن سعداً بايع أبا بكر، فعندما تكلم أبو بكر يوم السقيفة، فذكر فضل الأنصار وقال: ولقد علمتم أن رسول الله قال: لو سلك الناس وادياً، وسلك الأنصار وادياً أو شعباً لسلك وادى الأنصار أو شعب الأنصار^(٥). ثم ذكر سعد بن عباد بقول فصل وحجة لا ترد فقال: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم.

قال سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء^(٦)، فتتابع القوم على البيعة وبايع سعد^(٧)، وبهذا تثبت بيعة سعد بن عباد، وبها يتحقق إجماع الأنصار على بيعة

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٥٩٤).

(٢) الخلافة والخلفاء الراشدون، سالم البهناوى، ص (٤٨).

(٣)، (٤) المصدر نفسه، ص (٤٩).

(٥) البخارى، ك التمنى - رقم (٧٢٤٤).

(٦) السلسلة الصحيحة، رقم (١١٥٦)، مسند أحمد، رقم (١٨).

(٧) الأنصار في العصر الراشدى، ص (١٠٢)، تاريخ الطبرى (٣/ ٢٢٣).

الخليفة أبى بكر، ولا يعود أى معنى للترويج لرواية باطلة، بل سيكون ذلك متناقضاً للواقع واتهاماً خطيراً أن ينسب لسيد الأنصار العمل على شق عصا المسلمين، والتنكر لكل ما قدمه من نصرة وجهاد، وإيثار للمهاجرين، والطعن بإسلامه من خلال ما ينسب إليه من قول ثبت بطلانه. وقد بينا أن إسناده فى غاية الضعف، وأما متنه فهو يناقض سيرة سعد بن عباد! وما فى عنقه من بيعة على السمع والطاعة ولما روى عنه من فضائل^(١). هذا وقد كان لسعد وصية أوصى بها ابنه جاء فيها: يا بنى أوصيك بوصية فاحفظها، فإن أنت ضيعتها فأنت لغيرها من الأمر أضيع، إذا توضأت فأتمم الوضوء، ثم صل صلاة امرئ مودع يرى إنك لا تعود، وأظهر اليأس من الناس، فإنه غنى، وإياك وطلب الخوائج إليهم فإنه فقر حاضر، وإياك وكل شئ يعتذر منه^(٢).

٤- فى عهد على رضى الله عنه:

استشهد عثمان رضى الله عنه وعلى مصر محمد بن أبى حذيفة مغتصباً للولاية فيها، ولم يقره عثمان عليها، وبعد وفاة عثمان أقره على مصر فترة من الوقت لم تطل، حيث وجه معاوية جيشاً إلى نواحي مصر فظفر بمحمد بن أبى حذيفة فقبض عليه ثم سجن وقتل^(٣)، وقد ذكر أن علياً لم يعين محمد بن أبى حذيفة على مصر وإنما تركه على حاله حتى إذا قتل عين على قيس بن سعد الأنصارى على ولاية مصر^(٤)، فقال له: سر إلى مصر وليتكها واخرج إلى رحلك واجمع إليه ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتياها ومعك جند، فإن ذلك أربح لعدوك وأعز لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله. فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب وارفق بالعامّة والخاصة فإن الرفق يمن^(٥)، وقد ظهر ذكاء قيس وحسن تصرفه فى العديد من المواقف؛ فإنه حين توجه إلى مصر كان فيها مجموعة ممن غضبوا لمقتل عثمان، ومجموعة ممن اشتركوا فى قتله، ولقد لقيته

(١) الأنصار فى العصر الراشدى؟ ص (١٠٢، ١٠٣).

(٢) تاريخ ابن عساكر (٢٢ / ١٨١).

(٣) ولاية مصر للكندى، ص (٤٢، ٤٣)، الولاية على البلدان (٩ / ٢).

(٤) ولاية مصر، ص (٤٤)، النجوم الزاهرة (١ / ٩٤).

(٥) الكامل فى التاريخ (٢ / ٣٥٤).

خيل من مصر قبل دخوله إليها فقالوا: من أنت؟ قال: من فالة عثمان، فأنا أطلب من أوى إليه فانتصر به لله، قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امض فمضى حتى دخل مصر^(١)، وهذا الموقف الذى لقيس هو الذى مكته من دخول مصر، ثم أعلن بعد ذلك أنه أمير، وربما لو أنه أعلن لهؤلاء الأجناد أنه أمير لمنعوه من دخول مصر أصلاً، كما حدث لمن وجهه على إلى الشام فمنعته أجناد الشام من دخولها حينما علموا أنه قد بعث أميراً على الشام^(٢)، وحينما وصل قيس بن سعد إلى القسطنطينية صعد المنبر وخطب فى أهل مصر، وقرأ عليهم كتاباً من على ابن أبى طالب رضى الله عنه وطلب البيعة لعلى^(٣)، وهنا انقسم أهل مصر إلى فريقين فريق دخل فى بيعة على وبايعوا قيساً، وفريق توقف واعتزل، وكان قيس ابن سعد حكيماً مع الذين بايعوا والذين امتنعوا، حيث لم يجبرهم على البيعة وكف عنهم وتركهم فى حالهم^(٤)، ولم يكتف بذلك بل إنه بعث لهؤلاء أعطيائهم فى مكان اعتزالهم، ووفد عليه قوم منهم فأكرمهم وأحسن إليهم^(٥)، فساعدت تلك المعاملة الطيبة على تجنب الصدام بهم، وبالتالي ساعدته على هدوء الأوضاع بمصر، حتى استطاع قيس أن ينظم الأمور فيها، فوزع الأمراء ونظم أمور الخراج وعين رجالاً على الشرطة^(٦)، وبذلك استطاع أن يرتب ولاية مصر، وأن يسترضى جميع الأطراف فيها^(٧)، وأصبح قيس بن سعد فى هذا الموقع يشكل ثقلًا سياسيًا وخطراً عسكرياً على معاوية بن أبى سفيان فى الشام، ونظراً لقرب مصر من الشام ولترتيب قيس لها وتنظيمها، وما اشتهر عن قيس من حزم ودهاء، وخوف معاوية من حركات عسكرية منوطة له تخرج من مصر، ولذلك فإنه أخذ يرسل قيس بن سعد فى مصر مهدداً له، وفى الوقت نفسه يحاول إغراءه

(١) الفالة: الجماعة المهزموه، لسان العرب (١١ / ٥٣١).

(٢) الولاية على البلدان (٢ / ١٠) نقلاً عن نهاية الأرب فى تاريخ العرب للنويرى.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق (٤ / ٣٩).

(٤)، (٥) ولاية مصر، ص (٤٤).

(٦) الولاية على البلدان (٢ / ١١)، النجوم الزاهرة (١ / ٩٨).

(٧) الولاية على البلدان (٢ / ١١).

بالانضمام إليه وكانت إجابات قيس على تلك الرسائل إجابات ذكية بحيث لم يستطع معاوية أن يفهم موقف قيس وما ينوى عمله، وقد تعددت بينهما الرسائل^(١)، وقد انتشرت الروايات الشيعية من الرسائل بين معاوية وقيس بن سعد التى ذكرها أبو مخنف فى كتب التاريخ وهى باطلة لا تصح، فقد انفرد بها هذا الرافضى التالف الذى ضعفه رجال الجرح والتعديل بها، وفى متن تلك الرواية الساقطة غرائب من أبرزها ما يلى:

أ- خطاب على إلى أهل مصر مع قيس بن سعد وفيه: ثم ولى بعدهما وال فأحدث أحداً فوجدت عليه الأمة مقالاً فقالوا ثم نقموا عليه فغيروا، وهذا يعنى أن الذين قاموا على عثمان رضى الله عنه، رجال الأمة، وأن الأمة قد غيرت هذا المنكر بقتل عثمان، وعلى رضى الله عنه برئ من هذا القول، وهو يعلم أن الذين قتلوا عثمان هم أوباش الناس وأن قتله ظلم وفجور، وأقواله تدل على ذلك ومنها ما رواه ابن عساكر أن محمد بن الحنفية قال: ما سمعت علياً ذاكرًا عثمان بسوء قط^(٢)، وأخرج الحاكم وابن عساكر أن علياً رضى الله عنه قال: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان. ولقد طاش عقلى يوم قتل عثمان وأنكرت نفسى، وجأؤنى للبيعة فقلت: والله إني لأستحى من الله أن أباع قومًا قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ: ألا أستحى ممن تستحى منه الملائكة وإني لأستحى من الله أن أباع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا فلما دفن رجع الناس يسألونى البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق عما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فلما قالوا: أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبى وانسكب^(٣) بعبرة، وقد أرسل الحسن والحسين رضى الله عنهما للدفاع عن عثمان رضى الله عنه وأقواله فى هذا المعنى كثيرة^(٤)، وقد جمعتها فى كتابى تيسير الكريم المنان فى سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان^(٥).

(١) الكامل (٢/ ٣٥٥)، الولاية على البلدان (٢/ ١١).

(٢) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان، ص (٣٩٥).

(٣) المستدرک (٢/ ٣٥٥) صحيح على شرط الشيخين.

(٤) مرويات أبى مخنف د. يحيى الجحى، ص (٢١١).

(٥) عثمان بن عفان، للصلايى، ص (٤٠٧ - ٤٠٩).

ب- قول قيس بن سعد: أيها الناس إنا قد بايعنا خير ما نعلم بعد نبينا ﷺ وهذا مردود، إذ أن الثابت تفضيل أبي بكر وعمر رضى الله عنهما، على بقية الصحابة وعلى علي رضى الله عنه كما صح عن علي نفسه أنه صرح بذلك وهذا لا يشك فيه أحد في ذلك الزمان من الصحابة وغيرهم، وعليه فلا يصح نسبة هذا الكلام لقيس بن سعد رضى الله عنه ولا لغيره من الصحابة، ولم يشتهر هذا إلا عند الشيعة الروافض المتأخرين^(١)، قال ابن تيمية: الشيعة المتقدمون كلهم متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر^(٢)، والأدلة في تفضيل أبي بكر وعمر كثيرة منها ما رواه ابن عمر رضى الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان^(٣)، والأحاديث في ذلك كثيرة^(٤)، ومشهورة وحقيقة الأمر كما مر معنا في الروايات. الصحيحة السابقة أن معاوية طلب من أمير المؤمنين تسليمه قتلة عثمان ولم يهتم أمير المؤمنين على به.

ج- رسالة معاوية إلى قيس بن سعد: وإشارته فيها إلى كون علي طرفًا في قتل عثمان، وهذا لا يصح صدوره من معاوية، ذلك أن الأمر واضح فيه براءة علي رضى الله عنه كما في الفقرة السابقة وهذا لا يجهله معاوية رضى الله عنه فضلاً أن يُقره لقيس بن سعد رضى الله عنهما، وهذا محمد بن سيرين من كبار التابعين ومن الذين عاصروا ذلك المجتمع يقول: لقد قتل عثمان وما أعلم أحداً يهتم علياً في قتله^(٥)، ويقول أيضاً: لقد قتل عثمان يوم قتل وإن الدار يومئذ لغاصة، فيهم عبد الله بن عمر، وفيهم الحسن بن علي في عنقه السيف، ولكن عثمان عزم عليهم أن لا يقاتلوا^(٦)، وأخرج ابن أبي شيبة بسند رجاله ثقات عن محمد بن الحنفية أن علياً قال: لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل والبر

(١) مرويات أبي مخنف، ص (٢١١).

(٢) منهاج السنة (١ / ١١١).

(٣) البخارى، رقم (٣٦٩٧).

(٤) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبرى، ص (٢١٢).

(٥) تاريخ ابن عساکر ترجمة عثمان، ص (٣٩٥)، مرويات أبي مخنف، ص (٢١٢).

(٦) تاريخ ابن عساکر، ص (٣٥٠).

والبحر^(١)، والنصوص الصحيحة فى هذا المعنى كثيرة جداً^(٢)، مما يؤكد اشتهاى كراهية على رضى الله عنه لقتل عثمان^(٣).

د- وأما ما أورده من اتهام معاوية للأنصار فى دم عثمان فهذا لا يصح من معاوية وهو يعلم أن الذى قام بالدفاع جميعاً هم الأنصار، فقد أخرج ابن سعد بسند صحيح أن زيد بن ثابت رضى الله عنه جاء إلى عثمان رضى الله عنه وهو محصور فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين، قال: فقال عثمان: أما القتال فلا^(٤).

هـ- ما ذكره من اختلاق معاوية كتاباً على لسان قيس بن سعد، فهذا من الكذب الذى لا يعقل صدوره من معاوية، ذلك أن العرب كانوا يعدون الكذب من أقبح الصفات التى يتزهد عنها الرجال الكرام، وهذه قصة أبى سفيان وهو يومئذ على الشرك فيما أخرجه البخارى فى قصة سؤال هرقل عن رسول الله ﷺ يقول أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من يأترون على كذباً لكذبت عنه^(٥)، فهذه منزلة الكذب عند العرب، وعند المسلمين أشد وأخزى. ولا يقول قائل: هذه خدعة، والحرب خدعة، فإن الخدعة ليس معناها الكذب، كما هو معلوم من كلام العرب، ومعاوية رضى الله عنه أحذق من أن يفعل هذا^(٦).

و- رواية هذه الكتب الكثيرة بين قيس ومعاوية وعلى رضى الله عنهم بهذا التسلسل وبهذه الدقة تدخل الشك والريبة على القارئ لجهالة المطلع والناقل لها.

يقول الدكتور يحيى اليعهى: إن ولاية قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما على مصر من قبل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أمر مجمع

(١) المصنف (١٥ / ٢٦٨).

(٢) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان، ص (٣٩٥).

(٣) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٢١٣).

(٤) الطبقات (٣ / ٧٠) سنده صحيح.

(٥) البخارى، رقم (٧).

(٦) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٢١٤).

عليه^(١)، وكل من ترجم لقيس لم يذكر هذه التفاصيل^(٢) - أى التى ذكرها أبو مخنف فى روايته - وحتى مؤرخو مصر المعتبرون لم يذكروا ذلك^(٣)، هذا وقد نقل رواية أبى مخنف من الطبرى بعد حذف واختصار كل من: ابن الأثير، وابن كثير، وابن خلدون، وابن تغرى بردى^(٤)، وقد أخرج الكندى أيضاً عن عبد الكريم الحارث قال: لما ثقل مكان قيس على معاوية كتب إلى بعض بنى أمية بالمدينة: أن جزى الله قيس بن سعد خيراً واكتموا ذلك، فإنى أخاف أن يعزله على إن بلغه ما بينه. وبين شيعتنا حتى بلغ علياً فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة: بدل قيس وتحول، فقال على: ويحكم إنه لم يفعل، فدعونى، قالوا لتعزله فإنه بدل، فلم يزالوا به حتى كتب إليه: إنى قد احتجت إلى قربك، فاستخلف على عملك وأقدم^(٥)، وقد رجح هذه الرواية الدكتور اليعبى فى كتابه القيم مروييات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى قال:

- أنها من رواية مصرى ثقة وهو أعلم بقطره من غيره.

- أخرجها مؤرخ مصرى.

- خلوها من الغرائب.

- متنها مما يتفق مع سيرة أولئك الرجال.

- بينت تردد على فى عزل قيس حتى ألح عليه الناس، فاستبقاه عنده وهكذا القائد لا يفرط بالقيادات الحاذقة وقت المحن^(٦).

هذا وقد تدخل بعض الناس للإفساد بين على وقيس بن سعد لكى يعزله وفى نهاية المطاف طلب بعض مستشارى على منه أن يعزل قيساً وصدقوا تلك الإشاعات التى قيلت فيه، وألخوا فى عزله، فكتب إليه على: إنى قد احتجت إلى

(١) تاريخ خليفة، ص (٢٠١)، فتوح مصر، ص (٢٧٤)، سير أعلام النبلاء (٣ / ١٢).

(٢) طبقات ابن سعد (٦ / ٥٢)، تاريخ بغداد (١ / ١٧٧) سير أعلام النبلاء (٣ / ١٠٢).

(٣) النجوم الزاهرة (١ / ٩٧)، البداية والنهاية (٧ / ٢٥١).

(٤) مروييات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٢١٠).

(٥) ولاة مصر، ص (٤٥، ٤٦) وفيها المدائى وهو صدوق وبقيّة رجالها ثقات إلا أنها مرسلة.

(٦) مروييات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٢١٠).

قربك فاستخلف على عملك وأقدم^(١). كان هذا الكتاب بمثابة عزل لقيس عن ولاية مصر، وقد عين على مكانه الأشتر النخعي^(٢)، على أكثر الأقوال، وقد التقى على بالأشتر قبل سفره إلى مصر، فحدثه حديث أهل مصر وخبره خبر أهلها، وقال: ليس لها غيرك اخرج رحمك الله، فإنى إن لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما أهمك فأخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ واعزم بالشدة حين لا يغنى عنك إلا الشدة^(٣)، وقد توجه الأشتر إلى مصر ومعه رهط من أصحابه إلا أنه حينما وصل إلى أطراف بحر القلزم - البحر الأحمر - مات قبل أن يدخل مصر، وقد قيل إنه سقى شربة مسمومة من غسل فمات منها، وقد اتهم أناس من أهل الخراج أنهم سموه بتحريض من معاوية^(٤)، والتهمة الموجهة إلى معاوية فى قتل الأشتر بالسم لا تثبت من طريق صحيح واستبعد ذلك ابن كثير^(٥)، وابن خلدون^(٦)، وسار على نهجهم الدكتور يحيى اليعاقبة^(٧)، وملت إلى هذا القول، هذا وقد مات الأشتر قبل أن يباشر عمله فى مصر، ومع ذلك فإن المصادر تتحدث عنه كأحد ولاة مصر لعلى بن أبى طالب، وقد ولى بعده على مصر محمد بن أبى بكر^(٨)، وقد سبق لمحمد بن أبى بكر أن عاش فى مصر قبل أن يغادرها والى الأول قيس بن سعد، وقد دارت محاوراة بين قيس بن سعد ومحمد بن أبى بكر قدم فيها قيس عدة نصائح لمحمد، خصوصاً فيما يتعلق بالناس الغاضبين لمقتل عثمان، والذين لم يبايعوا علياً بعده وقد قال قيس: يا أبا القاسم إنك قد جئت من عند أمير المؤمنين وليس عزله وإيأى بمانعى أن أنصح لك وله، وأنا من أمركم هذا على بصيرة، ودع هؤلاء القوم ومن انضم إليهم - يقصد الذين لم يبايعوا علياً ولا غيره - على ما هم عليه، فإن أتوك، فاقبلهم وإن

(١) ولاية مصر، ص (٤٥، ٤٦).

(٢) فتوح البلدان، ص (٢٢٩)، الولاية على البلدان (٢ / ١٢).

(٣) النجوم الزاهرة (١ / ١٠٣).

(٤) المصدر نفسه (١ / ١٠٤)، سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٤).

(٥) البداية والنهاية (٨ / ٣٠٣).

(٦) تاريخ ابن خلدون (٤ / ١١٢).

(٧) مرويات أبى مخنف، ص (٢٢٤).

(٨) النجوم الزاهرة (١ / ١٠٦).

تخلفوا عنك فلا تطلبهم، وأنزل الناس على قدر منازلهم، وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل فإن هذا لا ينقصك^(١). ثم رجع قيس إلى المدينة وبعدها التحق بأمر المؤمنين على رضى الله عنه بالكوفة وشهد معه معركة صفين وهو القاتل يومها:

هذا اللواء الذى كُنا نحف به مع النبی وجبریل لنا مدد
ما ضر من كانت الأنصار عيته^(٢) أن لا يكون له من غيرهم أحد
قوم إذا حاربوا طالت أكفهم^(٣) بالمشرفية حتى يفتح البلد^(٣)

وبقى مع أمير المؤمنين على حتى قتل. فصار مع الحسن فى مقدمته إلى معاوية، فلما بايع الحسن معاوية - وسيأتى تفصيلها بإذن الله - دخل قيس فى بيعة معاوية، وعاد إلى المدينة^(٤)، وأقبل على العبادة^(٥).

٥- قول قيس: إنا لا نعود فى شىء أعطيناه^(٦):

عن موسى بن أبى عيسى أن رجلاً استقرض من قيس بن سعد بن عبادة ثلاثين ألفاً، فلما ردها عليه أبى أن يقبلها وقال: إنا لا نعود فى شىء أعطيناه^(٧).

٦- قول قيس: لقد سألت فأحسنت^(٨):

جاءت عجوز إلى قيس بن سعد بن عبادة قد كان يعرفها، فقال لها: كيف أنت؟ فقالت: أحمد الله إليك ما فى بيتى فأرة تدب، فقال: لقد سألت فأحسنت، لأملان عليك بيتك فأراً، فأمر لها بدقيق كثير وزيت وما يحتاج إليه معها وانصرفت^(٩). وقد ذكرها ابن عبد البر وقال: مشهورة صحيحة^(١٠).

(١) تاريخ ابن عساکر (٢٢/ ١٨١).

(٢) عيبة الرجل: موضع سره.

(٣) المشرفية: سيوف منسوبة إلى المشارف وهى قرى من أرض اليمـن.

(٤) أسد الغابة (٤/ ٤٥٢).

(٥) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٠).

(٦)، (٧) المصدر نفسه (٣/ ١٢٩١).

(٨)، (٩) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٦).

(١٠) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٢).

٧- حال الرجل الذى تمنى قيس أن يعمل مثله^(١):

قال قيس بن سعد: تمنيت أن أكون فى حال رجل رأيته، أقبلنا من الشام، فإذا نحن بخباء، فقلنا: لو نزلنا ههنا فإذا امرأة فى الخباء، فلم نلبث أن جاء رجل بذود له، فقال لامرأته: من هؤلاء؟ فقالت: قوم نزلوا بك، فجاء بناقة فضرب عرقوبيها ثم قال: دونكم، وقال: يا هؤلاء انحروها، قال: فنحرناها فأصبنا من أطايبها، فلما كان من الغد جاءنا بأخرى، فضرب عرقوبيها، وقال: يا هؤلاء انحروها، قال: فنحرناها، فقلنا: اللحم عندنا كما هو قال: إنا لا نطعم أضيافنا الغاب، قال: فقلت لأصحابى: إن هذا الرجل إن أقمنا عنده لم يبق عنده بعير، فارتحلوا بنا، وقلت لقيمى: اجمع ما عندك، قال: ليس إلا أربع مائة درهم، قلت: هاتها، وهات كسوتى، فجمعناها فقلت: بادروه، فدفعناه إلى امرأته، ثم سرنا، فلم نلبث أن رأينا شخصاً، فقلت: ما هذا؟ قالوا: لا ندرى، فدنا، فإذا رجل على فرس يجر رمحه، فإذا صاحبنا، فقلت: وأسوأناه استقل والله ما أعطيناه، قال: فدنا، فقال: دونكم متاعكم، فخذوه فقلت: والله ما كان إلا ما رأيت، ولقد جمعنا ما كان عندنا، قال: إئتى والله لم أذهب حيث تذهبون، فخذوه، قلنا: فلا نأخذه، قال: والله لأميلنّ عليكم برمحي ما بقى منكم رجل أو تأخذونه، قال: فأخذناه فولى وقال: إنا لا نبيع القرى^(٢)، أى الضيافة.

٨- أسخى الناس هل قيس بن سعد، أم عبدالله بن جعفر، أم عرابة الأوسى؟

امترى ثلاثة فى الأجواد، فقال رجل: أسخى الناس عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، وقال آخر: أسخى الناس فى عصرنا هذا قيس بن سعد بن عباد، وقال الثالث: أسخى الناس عرابة الأوسى، فتلاحوا وأفرطوا وكثر ضجيجهم فى ذلك بفناء الكعبة، فقال لهم رجل: قد أكثرتم، فلا عليكم يمضى كل منكم إلى صاحبه، يسأله حتى ينظر ما يعطيه، ونحكم على العيان، فقام صاحب عبد الله بن جعفر، فصادفه وقد وضع رجله فى غرز راحلته، يريد ضيعة له، فقال له: يا ابن عم رسول الله ﷺ، قال: قل ما تشاء، قال: ابن سبيل ومنقطع به، قال: فأخرج

(١)، (٢) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٥).

رجله من الغرز وقال: ضع رجلك واستو على الناقة، وخذ ما فى الحقيبة، ولا تحد عن السيف، فإنه من سيوف على بن أبى طالب وامض لشأنك، قال: فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطاوف خزّ، وفيها أربعة آلاف دينار، وأعظمها وأجلها خطراً السيف.

ومضى صاحب قيس بن سعد بن عبادة فلم يصادفه وعاد، فقالت له الجارية: هو نائم فما حاجتك إليه؟ قال: ابن سبيل ومنقطع به، قالت: فحاجتك أيسر من إيقاظه، هذا كيس فيه سبع مائة دينار، ما فى دار قيس مال فى هذا اليوم غيره، وامضى إلى معائن الإبل إلى مولانا بغلامينا، فخذ راحلة مرحّلة، وما يصلحها، وعبدًا، وامض لشأنك، فقبل: إن قيسًا انتبه من رقدته، فخبّرتة المولاة بما صنعت، فأعتقها، وقال لها: ألا نبهتني فكنت أزيده من عروض ما فى منزلنا، فلعل ما أعطيته لم يقع بحيث ما أراد.

ومضى صاحب عرابة الأوسى إليه فألفاه وقد خرج من منزله يريد الصلاة، وهو متوكّئ. على عبيدين، وقد كُفّ بصره فقال: يا عرابة، قال: قل ماتشاء قال: ابن سبيل ومنقطع به قال: فخلّى عن العبيدين، ثم صفّق بيده اليمنى على اليسرى ثم قال: أوه والله ما أصبحت ولا أمسى وقد تركت الحقوق لعرابة من مال، ولكن خذهما فهما حرّان، وإن شئت فأعتق، وإن شئت فخذ، وأقبل يلتمس الحائط بيده قال: فأخذهما وجاء بهما قال: فحكم الناس على ابن جعفر قد جاء بمال عظيم، وإن ذلك ليس بمستنكر له إلا أن السيف أجلّها، وأن قيسًا أحد الأجواد حكم مملوكة فى ماله بغير علمه، واستحسانه ما فعله وعتقه لها، وما تكلم به، وأجمعوا على أن أسخى الثلاثة عرابة الأوسى لأنه جهد من مُقِل^(١). ومن قيم ذلك العصر الواضحة المعالم التنافس فى الكرم والجود وفعل الخير.

٩- خبر منسوب إلى قيس لا يصح إثباته:

بعث قيصر إلى معاوية بن أبى سفيان، أن ابعث على سراويل أطول رجل من العرب، فقال لقيس بن سعد: ما أظننا إلا قد احتجنا إلى سراويلك، قال: فقام

(١) تاريخ دمشق (٥٢ / ٢٨٦).

فتنحى فجاء بها فألقاها إلى معاوية، فقال معاوية: رحمك الله، ما أردت إلا هذا؟
ألا ذهبت إلى منزلك ثم بعثت بها إلينا؟ فقال قيس:

أردت بها كي يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عادى نمته ثمود
وإني من الحى اليمانى لسيدٌ وما الناس إلا سيد ومسود
فكدهم بمثلى إن مثلى عليهم شديد وخلقى فى الرجال مديد

قال: فأمر معاوية أطول رجل فى الجيش فوضعها على أنفه فوقعت بالأرض،
قال: فدعا معاوية بسراويل، فلما جىء بها. قال له قيس: نح عنك ثيابك هذه،
فقال معاوية:

أما قریش فأقوم مسرولة واليثریون أصحاب التباين
فقال قيس:

تلك اليهود التى يعنى ببلدتنا كما قریش هم أهل السخاين^(١)

وجاء فى رواية أخرى: أن قيصر كتب إلى معاوية: إني قد وجهت إليك
رجلين: أحدهما أقوى رجل ببلادى، والآخر أطول رجل فى أرضى، وقد كانت
الملوك تتجارى فى مثل هذا وتتجاجى به، فأخرج إليهما من فى سلطانك من
يقاوم كل واحد منهما، فإن غلب صاحبك حملت إليك من المال وأسارى
المسلمين كذا وكذا، وإن غلب صاحباى هانتى ثلاث سنين، فلما ورد كتاب قيصر
على معاوية أهمه وشاور فيه أصحابه فقبل له: أما الأيد فادع لمناهضته إما محمد
ابن الحنفية وإما عبدالله بن الزبير، فقال: فأحضر محمد بن على والأيد الرومى
حاضر، فأخبره بما دعاه له، فقال محمد للرومى: ما تشاء؟ فقال: يجلس كل
واحد منا ويدفع يده على صاحبه، فمن قلع صاحبه من موضعه أو رفعه عن
مكانه فقد فلع عليه، ومن عجز عن ذلك وقهره صاحبه قضى بالغلبة له، فقال
محمد: هذا لك، فاختر أينا يبدأ بالجلوس، فقال له: اجلس أنت، فجلس وأعطاه
يديه، فجعل يمارسه ويجتهد فى إزالته عن موضعه فلم يتحرك محمد، وظهر

(١) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٩٣، ٢٩٤).

عجز الرومى لمن حضر، فقال له محمد: اجلس الآن، فجلس وأخذ بيده فما لبث أن اقتلعه ورفعته فى الهواء ثم ألقاه على الأرض، فسّر معاوية وحاضروه من المسلمين. وقال معاوية لقيس بن سعد والرومى الطوال: تطاولا، فقال قيس: أنا أخلع سراويلى ويلبسها هذا العليج، فإن ما بيننا يبين بذلك، ثم خلع سراويله، وألقاها إلى الرومى فلبسها، فبلغت ثدييه وانسحب بعضها فى الأرض، فاستبشر الناس بذلك، وجاءت الأنصار إلى قيس فقالت له: تبذكت بين يدي معاوية ولو كنت مضيت إلى منزلك وبعثت بالسراويل إليه، فقال:

أردت لكيما يعلم الناس أنهما سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عادى نمته وتمود
وإني من القوم الثمانين سيّد وما الناس إلا سيّد ومسود
وفضلنى فى الناس أصلى ووالدى وباع به أعلو الرجال مديد^(١)
قال أبو عمر بن عبد البر حافظ الأندلس الشهير: خبره فى السراويل عند معاوية كذب وزور مختلق ليس لها إسناد، لا يشبه أخلاق قيس، ولا سيرته فى نفسه ونزاهته، وهى حكاية مفتعلة وشعر مزور^(٢).

١٠- دهاة العرب حين ثارت الفتنة:

كان قيس بن سعد بن عبادة من ذوى رأى من الناس، قال ابن شهاب: وكان يعدّون دهاة العرب حين ثارت الفتنة خمسة رهط، يقال لهم: ذوو رأى العرب فى مكيدتهم: معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص، وقيس بن سعد والمغيرة بن شعبة، ومن المهاجرين: عبدالله بن بُديل الخزاعى، وكان قيس وابن بُديل مع على رضى الله عنه، وكان المغيرة معتزلاً بالطائف وأرضها حتى حكم الحكمان واجتمعوا بأذرح^(٣)، وكان قيس يقول: لولا الإسلام لمكرت مكرّاً لا تطيقه العرب^(٤).

(١) تاريخ دمشق (٥٢/٢٩٤).

(٢) الاستيعاب (٣/١٢٩٣).

(٣) تاريخ دمشق (٥٢/٢٨٨).

(٤) المصدر نفسه (٥٢/٢٨٧).

١١- لوددنا أن نشترى لقيس حية بأموالنا(١):

ذكر الزبير بن بكار أن قيس بن عباد، وعبدالله بن الزبير، وشريحاً القاضي، لم يكن فى وجوههم شعرة ولا شىء من حية، وذكر غير الزبير أن الأنصار كانت تقول: لوددنا أن نشترى لقيس بن سعد حية بأموالنا. وكان مع ذلك جميلاً رضى الله عنه(٢).

١٢- قول قيس: لم ترين قلّ عوآدى؟

باع قيس بن سعد مالاً من معاوية بتسعين ألفاً، فأمر منادياً، فى أهل المدينة، من أراد القرض فليأت منزل سعد، فأقرض أربعين أو خمسين وأجاز الباقي، وكتب على من أقرضه صكاً، فمرض مرضاً قلّ عواده، فقال لزوجته قريبة بنت أبى قحافة أخت أبى بكر: يا قريبة لم ترين قلّ عوآدى؟ قالت: للذى لك عليهم من الدين، فأرسل إلى كل رجل بصكّة(٣) وجاء فى رواية... فمرض واستبطأ عواده، فقيل له: إنهم يستحيون من أجل دينك، فأمر منادياً ينادى: من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو له، فأتاه الناس حتى هدموا درجة كانوا يصعدون عليها إليه(٤).

١٣- قيس بن سعد يطعم الناس فى أسفاره:

كان قيس بن سعد يطعم الناس فى أسفاره مع النبى ﷺ، وكانت له صحيفة يدار بها حيث دار، وكان إذا أنفذ ما معه يدين، قال: وكان ينادى فى كل يوم: هلموا إلى اللحم، والثريد(٥).

١٤- خبر لا يصح بين قيس ومعاوية رضى الله عنه:

قال معاوية لقيس بن سعد: إنما أنت حبر من أحبار يهود، إن ظهرنا عليك قتلناك، وإن ظهرت علينا نزعناك، فقال: إنما أنت وأبوك صنمان من أصنام

(١)، (٢) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٢).

(٣) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٤).

(٤) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٣).

(٥) تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٨٣).

الجاهلية، دخلتما في الإسلام كرها وخرجتما منه طوعاً^(١)، قال الذهبي: هذا منقطع، والمنقطع من أنواع الضعيف.

١٥- وفاة قيس بن سعد رضى الله:

مات في أواخر خلافة معاوية، وذهب إلى ذلك خليفة بن خياط^(٢)، والذهبي^(٣)، وقال ابن حبان: مات سنة ٨٥هـ في خلافة عبد الملك^(٤)، ووافق ابن حجر خليفة والذهبي^(٥) وقال ابن عبد البر: ... لزم قيس المدينة، وأقبل على العبادة حتى مات بها سنة ستين هجرية وقيل: سنة تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية، وكان رجلاً طوالاً سناً^(٦).

ثانياً: عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي «أبو محمد»:

هو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ^(٧)، وأمه أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن بن بجير الهزَم بن رُوَيْبَة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة^(٨)، وأخو عبد الله، وكثير، والفضل، وقُتَم، ومعبد، وتَمَام^(٩).

١- أولاده وزوجاته:

ولد لعبيد الله بن العباس: محمد وبه كان يكنى، وأمه الفرعة^(١٠) بنت قطن ابن الحارث بن حزن بن بُجَيْر بن الهُزَم بن هلال بن عامر، والعباس^(١١)، والعالية، تزوجها على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فولدت له محمد بن

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١١).

(٢) الإصابة (٥/ ٣٦١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٢).

(٤)، (٥) الإصابة (٥/ ٣٦١).

(٦) السناط: بالكسر، وبالضم: لا حية له أصلاً أو الخفيف العارض، أو لحيته في الذقن وما بالعارضين شيء.

(٧) الطبقات، تحقيق السلمي (١/ ٢١٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٢).

(٨) الطبقات، تحقيق السلمي (١/ ٢١٢).

(٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٢).

(١٠)، (١١) الطبقات، تحقيق السلمي (١/ ٢١٢).

على، وفي ولده الخلافة من بنى العباس، وميمونة، وأمهم عائشة بنت عبد الله من مذبح^(١) ولبابة وأم محمد، وأمهما عمرة بنت عَرَبِ الحميري^(٢)، وعبد الرحمن وقتم وأمهما أم حكيم بنت قارظ بن خالد الكنانية^(٣)، وعبد الله وجعفرًا وأمّ كلثوم وعمرة وأم العباس وأمهم أم ولد^(٤).

٢- عمره ورؤيته لرسول الله ﷺ:

كان عبيد الله بن العباس أصغر سنًا من عبد الله بن العباس بسنة^(٥)، فكان رسول الله ﷺ قبض وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وقد رأى النبي ﷺ وسمع منه^(٦)، وقيل له رؤية وله حديث عن النبي ﷺ في سنن النسائي: أن الغميصاء أو الرميضاء أتت النبي ﷺ تشتكي زوجها أنه لا يصل إليها، فلم يلبث أن جاء زوجها، فقال: يا رسول الله هي كاذبة، وهو يصل إليها، ولكنها تريد أن ترجع إلى زوجها الأول، فقال رسول الله ﷺ: ليس ذلك حتى تذوقي عسيلته^(٧) وأورده أحمد من طريق هشيم لنفس الإسناد، ورجاله ثقات، إلا أنه ليس بصريح بأن عبيد الله شهد القصة^(٨)، وأورده الهيثمي في المجمع^(٩) مختصرًا عن عبيد الله والفضل بن العباس، وقال: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح^(١٠)، وقال الذهبي عن حديثه في سنن النسائي، حكمه بأنه مرسل^(١١) وحدث عنه: ابنه عبد الله، عطاء، وابن سيرين، وسليمان بن يسار، وغيرهم، وكان أميرًا، شريفًا جوادًا، مُمدحًا^(١٢).

(١) الطبقات، تحقيق السلمي (١/ ٢١٢).

(٢)، (٣) المصدر نفسه (١/ ٢١٣).

(٤) نسب قریش، ص (٣١)، الطبقات (١/ ٢١٤).

(٥) الاستيعاب (٣/ ١٠٠٩).

(٦) الطبقات، تحقيق السلمي (١/ ٢١٤).

(٧) سنن النسائي (٦/ ١٤٨) وقد تخرف في المطبوع من عبيد الله إلى عبد الله.

(٨) مسند أحمد (١/ ٢١٤) رجاله ثقات إلا أنه ليس بصريح بأن عبيد الله شهد القصة.

(٩) المجمع (٤/ ٣٤٠) رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.

(١٠)، (١١)، (١٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٣).

أ- كان رسول الله يصف عبدالله وعبيد الله وكثيراً بنى العباس:

عن عبدالله بن الحارث قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبدالله وعبيد الله، وكثيراً بنى العباس، ثم يقول: من سبق إلىّ فله كذا. فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلزمهم^(١).

ب- كان عبيد الله أحب إلى العباس من قثم:

قال عبد الله بن جعفر: لو رأيتني وقثماً وعبيد الله ابني العباس ونحن صبيان نلعب إذ مر النبي ﷺ على دابة فقال: ارفعوا إلىّ هذا، فحملني أمامه. وقال لقثم: ارفعوا إلىّ هذا، فحمله وراءه، قال: وكان عبيد الله أحب إلى العباس من قثم، فما استحيا من عمه أن حمل قثماً وترك عبيد الله^(٢).

٣- استعمال أمير المؤمنين على رضي الله عنه على اليمن:

استعمل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه عبيد الله بن العباس على اليمن، وأمره على الموسم، فحجّ بالناس سنة ست وثلاثين وسنة سبع وثلاثين، فلما كانت سنة ثمان وثلاثين بعثه أيضاً على الموسم، وبعث معاوية في ذلك العام يزيد بن شجرة الرهاوي ليقم الحج، فاجتمعاً فسأل كل واحد منهما صاحبه أن يسلم له، فأبى واصطلحا على أن يصلى بالناس شيعة بن عثمان، وفي هذا الخبر اختلاف بين أهل السير، منهم من جعله لقثم بن العباس، وقال خليفة: في عام أربعين بعث معاوية بسر بن أرطاة العامري إلى اليمن، وعليها عبيد الله بن العباس، فلم يزل عليها حتى على رضي الله عنه^(٣).

٤- بسر بن أبى أرطاة وحقيقة قصة مقتل ولدى عبيد الله:

تذكر بعض كتب التاريخ بأن عبد الرحمن وقثم ابنا عبيد الله بن العباس قتلها بسر بن أبى أرطاة باليمن، وقتل أيضاً بعض أنصار على رضي الله عنهم هناك ثم

(١) مسند أحمد (١/ ٤٥٩)، رقم (١٨٣٦).

(٢) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٣)، الطبقات، تحقيق السلمي (٢/ ١٤) إسناده حسن.

(٣) الاستيعاب (٣/ ١٠٠٩).

رجع على الشام، وكان أمير المؤمنين قد وجه جارية بن قدامة السعدي قيل ففعل
 مثلما فعل بسر وقتل بعض محبى عثمان فى اليمن^(١). قال ابن كثير: وهذا الخبر
 مشهور عند أهل السير وفى صحته عندى نظر^(٢)، ولا شك أن قتل الأبرياء لم
 يحصل فى تلك المرحلة حتى فى أيام البصرة وصفين عندما قامت الحرب بين
 الطرفين، فكيف يقتل الأطفال والأبرياء فى مرحلة الهدنة لذلك لا يمكن قبول
 هذه الأعراف المناقضة لأعراف المسلمين وقيمهم ودينهم^(٣)، كما أن رواية مقتل
 بسر بن أبى أرطاة للطفلين، ذكرها ابن سعد من طريق الواقدي وهو متروك وذكره
 الطبرى فى تاريخه^(٤)، ذكر عن زياد البكائى عن عوانة قال: أرسل معاوية..
 وهذا إسناد منقطع على ما فى عوانة بن الحكم الأخبارى من كلام^(٥)، وذكر ابن
 عبد البر فى الاستيعاب^(٦)، قصة قتله لابن عبيد الله بن عباس من طريق هشام
 الكلبي عن أبى مخنف وهما متروكان^(٧)، فأما هشام بن محمد بن السائب
 الكلبي، اتفقوا على غلوه فى التشيع قال الإمام أحمد: من يحدث عنه؟ ما ظننت
 أحداً يحدث عنه، وقال الدارقطنى: متروك^(٨)، وقال ابن حبان: كان غالباً فى
 التشيع^(٩)، وقال ابن عساکر: رافضى ليس بثقة^(١٠)، وقال الذهبى: الرافضى
 النسابة^(١١). وأما أبو مخنف، لوط بن يحيى، قال عنه ابن عدى: شيعى محترق،
 صاحب أخبارهم^(١٢)، وعده ابن تيمية فى الشيعة وقال عنه: متروك كذاب^(١٣)،

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٥٥).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٣٤).

(٣) الإنصاف د. حامد، ص (٥٧٥).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ١٣٩)، الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٢١٣).

(٥) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٢١٣).

(٦) الاستيعاب (١/ ٨٩).

(٧) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٢١٣).

(٨) المجروحين لابن حبان (٣/ ٩١)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٤٣).

(٩) المجروحين (٣/ ٩١).

(١٠) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٢).

(١١) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٤٣).

(١٢) الكامل فى ضعفاء الرجال (٦/ ٢١١٠).

(١٣) منهاج السنة (٥/ ٨٢).

ولم يذكر قتل بسر لشيعه على باليمن أو الحجاز المؤرخ الثقة خليفة بن خياط فى تاريخه^(١)، وطبقاته^(٢)، وإنما ذكر خبر بعث معاوية له للاستيلاء على اليمن والحجاز وكذلك البخارى فى الكبير^(٣)، والحاكم فى المستدرک^(٤)، ولا يصح أبداً قتل بسر بن أبى أرطاة العامرى لابنى عبيد الله باليمن، ويرى أهل الشام بأن بسر ابن أبى أرطاة سمع من النبى ﷺ، وهو أحد الذين بعثهم عمر بن الخطاب مدداً إلى عمرو بن العاص لفتح مصر، على اختلاف فيه، فيمن ذكره فيهم، قال: كانوا أربعة: الزبير، وعمير بن وهب، وخارجة بن حذافة، وبسر بن أرطاة، والأكثرون يقولون: الزبير، والمقداد، وعمير بن وهب، وخارجة بن حذافة وهو أولى بالصواب^(٥)، وبسر بن أرطاة عن النبى ﷺ حديثان: أحدهما: لا تقطع الأيدي فى المغازى^(٦) والثانى: فى الدعاء: أن رسول الله ﷺ كان يقول: اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة^(٧).

وأمام البحث التزیه لا يصح مقتل ولدى عبيد الله بن العباس على یدى بسر بن أبى أرطاة العامرى، وما ترويه كتب التاريخ والأدب فى الشعر المنسوب إلى عائشة بنت عبد الله والدة الطفيلين من شعر ليس له أساس من الصحة، حيث زعموا أنها قالت:

ها من أحسن بابنى اللذين هما	كالدرتين تشظى عنهما الصدف
ها من أحسن بابنى اللذين هما	سمعى وعقلى فقلبى اليوم مختطف
حدثتُ بسرًا وما صدقتُ ما زعموا	من ميلهم ومن الإثم الذى اقترفوا

(٣) تاريخ خليفة، ص (١٩٨).

(٤) طبقات ابن خياط، ص (٢٧).

(٥) التاريخ الكبير فى البخارى (٢ / ١٢٣).

(٦) المستدرک (٣ / ٥٩١).

(٧) الاستيعاب (١ / ٨٨).

(٨) مسند أحمد (٤ / ١٨١) الحديث الصحيح.

(٩) مسند أحمد (٤ / ١٨١) سنده حسن.

أنحى على ودجى ابنى مرهفة مشحودة وكذاك الإثم يُقْتَرَفُ

فزعموا أنها وسوست، فكانت تقف فى الموسم تشد هذا الشعر، وتهيم على وجهها^(١)، وكذلك الشعر المنسوب لعبيد الله بن العباس ليس له أساس من الصحة، فقد ذكر المؤرخون بأنه دخل على معاوية فى خلافته وبعد حديث أنشأ عبيد الله بن عباس يقول:

يا بن صخر وابن حرب تبين	من تقيسون بعبد المطلب
من إذا رأت قريش وجهه	عظموا المرء وخرّوا للركب
صاحب الفيل وساقى زمزم	ثمت الفدية رأس فى العرب
وهدى آخرنا آخركم	فيه الملك لكم أجرى الحقب
إن بسرا قتل ابنى وما	بين بسر وبني فهر نسب
فاقتل العبد بفرخى هاشم	إن هذا من بواء العجب
اجعل الفضة فينا ذهباً	ونضار القوم فينا كالغرب
لا يقرّ العين إلا قتل من	سبب القتل وللقتل سبب
ذاك ما ذاك ابن حرب إنه	قُطِبَ الشرّ وللشرّ قطب ^(٢)

وزعموا أن معاوية رضى الله عنه رد عليه فى أبيات منها:

إن بسرا قتل ابنك على	غير جرم قاطعاً منك النسب
أنزل الله ببسر بأسه	وعلى بسر من الله الغضب
اضرب العبد على يافوخه	ضربة تذهب منه ما ذهب
فى مقيل الدهر من ضعف به	ليس هذا من مناف بعجب ^(٣)

(١) الاستيعاب (١/ ٨٩).

(٢) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٤، ٣٥٥).

(٣) المصدر نفسه (٣٩/ ٣٥٥).

٥- قول عبيد الله: والله لهو أسخى منا وأجود وإنما أعطيناه بعض ما نملك وجاد هو علينا وآثرنا على مهجة نفسه وولده (١):

خرج عبيد الله بن العباس في سفر له، ومعه مولى له، حتى إذا كانا في بعض الطريق رفع لهما بيت أعرابي، قال: فقال لمولاه: لو أنا مضيئاً - وجدنا من يضيفنا - فترلنا بهذا البيت وبتنا به؟ قال: فمضى، وكان عبيد الله رجلاً جميلاً جهيراً، فلما رآه الأعرابي أعظمه وقال لامرأته: لقد نزل بنا رجل شريف، وأنزله الأعرابي، ثم إن الأعرابي أتى امرأته فقال: هل من عشاء لضيفنا هذا؟ فقالت: لا، إلا هذه السؤيمة (٢) التي حياة ابتك من لبنها. قال: لا بد من ذبحها، قالت: أفتقتل ابتك؟ قال: وإن! قال: ثم إنه أخذ الشاة والشفرة وجعل يقول:

يا جارتى لا توقظي البنية
إن توقظيها تتحب عليه
وتنزع الشفرة من يديه (٣)

ثم ذبح الشاة، وهياً منها طعاماً، ثم أتى به عبيد الله ومولاه، فعشاهما وعبيد الله يسمع كلام الأعرابي لامرأته ومحاورتهما، فلما أصبح عبيد الله قال لمولاه: هل معك شيء؟ قال: نعم، خمسمائة دينار فضلت من نفقتنا. قال: ادفعها إلى الأعرابي. قال: سبحان الله! أتعطيه خمسمائة دينار وإنما ذبح لك شاة ثمنها خمسة دراهم؟ قال: ويحك! والله لهو أسخى منا وأجود، إنما أعطيناه بعض ما نملك، وجاد هو علينا وآثرنا على مهجة نفسه وولده. قال: فبلغ ذلك معاوية، فقال: لله در عبيد الله! من أى بيضة خرج؟ ومن أى عش درج (٤)؟ وجاء فى رواية: عبيد الله معلم الجود، وهو والله كما قال الحطيئة:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى
وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا (٥)

(١) أسد الغابة (٣/ ٥٤٣).

(٢) السؤيمة: تصغير سائمة.

(٣)، (٤) أسد الغابة (٣/ ٥٤٣).

(٥) تاريخ دمشق (٢٩/ ٣٦٠).

٦- بين عبد الله بن جعفر والحسن بن علي وعبيد الله بن العباس رضى الله عنهم:

قال أبو الزناد: قيل: أى هؤلاء الثلاثة أسخى: عبدالله بن جعفر، أو الحسن بن علي، أو عبيد الله بن العباس؟ فقال: ما رأينا أعطى الجزيل من الحسن، وما رأينا أحداً أعطى الجزيل وغير الجزيل من عبدالله بن جعفر، وما مررنا بأبيات عبيد الله ابن العباس فى ساعة قط إلا رأينا عنده قوتاً رطباً، قال: وكان ينحر كل يوم جزوراً فى معجزته وبه سميت معجزة ابن عباس، قال: فقلت الجزر حتى بلغت خمسة عشر ديناراً وعشرين ديناراً، فعاتبه عبد الله بن جعفر على ذلك وقال: لا يقوم لهذا مال، فقال: والله لا أدع ذلك أبداً^(١).

٧- ضيوف جاءوا لبيت عبيد الله بدون موعد:

أراد رجل بالمدينة أن يسوء عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، ويضار به، فجعل يأتى وجوه أهل المدينة فيقول: قال لكم عبيد الله بن العباس: تغدوا عندي، فجاء الناس حتى ملأوا عليه الدار، وعبيد الله غافل، فقال: ما شأن الناس؟ قال: جاءهم رسولك أن يتغدوا عندك، فعلم ما أريد به، فأمر بالباب فأغلق، وأرسل إلى السوق فى أنواع الفاكهة، وذكر الأترج^(٢)، والعسل والموز فشغلهم، وأمر بالأطعمة فطبخت وشويت فلم يفرغوا من الفاكهة حتى أتوا بالطعام حتى صدورا عنه. فقال عبيد الله: أوجود هذا كلما شئت؟ فقالوا: نعم، قال: ما أبالى من أتانى^(٣).

٨- امرأة أصيبت بنيتها:

قدمت امرأة إلى البصرة فى سنة شهباء ومعها ابنان لها، فلم يأت عليها الحول حتى دفتتهما فقعدت بين قبريهما فقالت:

فله عيناى اللذان نراهما قريين منى والمزار بعيد
هما تركا عيني لا ماء فيهما وشكا سواد القلب، فهو عميد

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٧)، الطبقات (٢/ ٢٣) إسناده ضعيف.

(٢) الأترج. شجر يعلو، زكى الرائحة، حامض كالليمون الكبار.

(٣) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٧).

مقيمان بالبيداء لا يبرحانها ولا يسألان الركب: أين يريد؟

ف قيل لها: لو أتيت عبيد الله بن العباس فقصصت عليه القصة فأتته، فقالت له: يا ابن عم رسول الله ﷺ إني أصبحت لا عند قريب يحميني، ولا عند عشيرة تؤويني، وإنني سألت عن المرجى سبيه، المأمول نائله، المعطى سائله، فأرشدت إليك، فاعمل بي واحدة من ثلاث: إما أن تقيم أودي، أو تحسن صلتى، أو تردّ بي إلى أهلى، فقال عبيد الله: كلّ يفعل بك^(١).

٩- الجمال والفقه والسخاء فى دار العباس:

ذكر أبو العباس أحمد الطبرى المكى فى كتابه تراجع آل بيت رسول الله ﷺ ذخائر العقبي فى مناقب ذوى القربى. . وكان يقال: من أراد الجمال والفقه والسخاء فليأت دار العباس، الجمال للفضل، والفقه لعبد الله، والسخاء لعبيد الله^(٢).

١٠- خيرا الدنيا والآخرة فى دار ابن عباس:

دخل أعرابى دار العباس بن عبد المطلب وفى جانبها عبد الله بن عباس لا يرجع فى شىء يُسأل عنه، وفى الجانب الآخر عبيد الله بن العباس يطعم كل من دخل، فقال الأعرابى: من أراد الدنيا والآخرة فعليه بدار العباس بن عبد المطلب، هذا يفتى ويفقه الناس، وهذا يطعم الطعام^(٣)، وعن مصعب بن عبد الله، قال: بعض أهل العلم: كان عبد الله يوسعهم علماً، وكان عبيد الله يوسعهم طعاماً^(٤)، وكان عبيد الله يتجر^(٥).

١١- حكيم المعضلات وتيار الفرات:

كان عبد الله بن عباس يُسمّى حكيم المعضلات، وكان عبيد الله يسمّى تيار الفرات، وكان يطعم كل يوم، فقال له أبوه: يا بُنى مالك تغدّى ولا تعشى؟ إذا غدّيت فعش، فقال عبيد الله لغلام له: يا بُنى انحر غدوة وانحر عشية^(٦).

(١) تاريخ دمشق (٣٩ / ٣٥٨).

(٢) ذخائر العقبي، ص (٣٩٤).

(٣)، (٤) تاريخ دمشق (٣٩ / ٣٥٦).

(٥) الإصابة (٤ / ٣٣١).

(٦) تاريخ دمشق (٣٩ / ٣٥٦)، الإصابة (٤ / ٣٣١).

١٢- ما قيل في جوده من شعر:

كان معاوية يقول: إن عبيد الله بن عباس علّم قريشاً الجود، وكان عبيد الله أجود العرب وقد قال فيه شاعر من قريش:

وعلمها عبيد الله ما لم تكن تأتيه من شيم الكرام
وورثها مكارم ثابتات نفى عنها بها لوم اللئام
وصية هاشم وبني أبيه قصى والهمام بن الهمام^(١)

١٣- صيامه يوم عرفة:

عن عبد الله بن عباس، أنه دعا أخاه عبيد الله يوم عرفة إلى طعام، فقال: إني صائم. فقال: إنكم أئمة يقتدى بكم، قد رأيت رسول الله ﷺ دعا بحلاب في هذا اليوم فشرّب^(٢).

١٤- طلبه للعلم:

قيل لعبيد الله بن العباس: لم تطلب العلم؟ قال: إذا نشطت فهو لذتي، وإذا اغتممت فسلوتي^(٣).

١٥- إحسانه لعجوز وأولادها الثلاثة:

مر عبيد الله بن العباس بقرب عجوز لها أولاد، فأكرمتهم وأحسنّت وفادتهم، فأراد عبيد الله أن يصلح من شأنهم ويحسن إليهم، فلما اجتمعوا عند عبيد الله أدناهم من مجلسه، وقال: إني لم أبعث إليكم ولا إلى أمكم لما تكرهون، قالوا: فما بعد هذا؟ قال: أحب أن أصلح من أمركم، وألم من شعثكم، قالوا: إن هذا قلّ ما يكون إلا عن سؤال أو مكافأة لفعل قديم، قال: ما هو لشيء من ذلك، ولكن جاورتكم في هذه الليلة، وخطر ببالي أن أضع بعض مالي فما يحب الله عز وجل، قالوا: يا هذا، إن الذي يحب الله لا يحب لنا إن كنا في خفض من

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٥).

(٢) الإصابة (٤/ ٣٣١) سنده صحيح.

(٣) الإصابة (٤/ ٣٣٢)، تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٦٤).

العيش، وكفاف من الرزق، فإن كنت هذا أردت فوجهه نحو من يستحقه، وإن كنت أردت النوال مبتدئاً لم يتقدمه سؤال فمعروفك مشكور، وبرك مقبول، فأمر لهم عبيد الله بعشرة آلاف درهم، وعشرين ناقة، وحول أثقاله إلى البغال والدواب، وقال: ما ظننت أن في العرب والعجم من يشبه هذه العجوز وهؤلاء الفتيان، فقالت العجوز لفتيانها: ليقل كل واحد منكم شيئاً من الشعر في هذا الشريف، ولعلى أن أعينكم فقال الكبير:

شهدتُ عليك بطيب الكلام وطيب الفعال وطيب الخبر
وقال الأوسط:

تبرعت بالجود قبل السؤال فعال كريم عظيم الخطر
وقال الأصغر:

وحق لمن كان ذا فعلة بأن يسترق رقاب البشر
وقالت العجوز:

فعمرك الله من ما جد ووقيت سوء الردى والحدر^(١)
١٦ - وفاته:

اختلف في تحديد سنة وفاته على عدة أقوال: قال البخاري^(٢) والفسوي^(٣): مات زمن معاوية^(٤)، وقال خليفة^(٥)، وغيره: سنة ثمان وخمسين^(٦)، وقال أبو عبيد، وأبو حسان الزيادي: مات سنة سبع وثمانين^(٧)، وقيل: توفي أيام يزيد وهو الأكثر، وكان موته بالمدينة وقيل: باليمن والأول أصح^(٨)، ولنا في وفاة إخوة

(١) الإصابة (٤/ ٣٣٢)، تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٦٤).

(٢) البخاري في تاريخه الصغير، ص (٧٣).

(٣) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٢).

(٤) تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٨١ - ١٠٠هـ، ص (١٤٧).

(٥) في تاريخه ص ٢٢٥.

(٦)، (٧) تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٨١ - ١٠٠هـ، ص (١٤٧).

(٨) أسد الغابة (٣/ ٥٤٤).

عبيد الله عبرة وذكرى لأصحاب القلوب الحية، فعبد الله بن عباس دفن بالطائف، واستشهد معبد بأفريقية، واستشهد قثم بسمرقند^(١)، وعبيد الله بالمدينة وكلهم أبناء أب واحد وأم واحدة قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

ثالثاً: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي رضى الله عنه:

هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، السيد العالم، أبو جعفر القرشي الهاشمي، الحبشي المولد، المدني الدار، الجواد بن الجواد ذي الجناحين^(٢)، وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية أخت ميمونة بنت الحارث لأمها، ولدت عبد الله بن جعفر بالحبشة وهو أول من ولد لها من المسلمين^(٣)، وولدت هناك، محمداً وعوناً^(٤)، ثم ولد للنجاشي بعدما ولدت أسماء ابنها عبد الله بأيام ابن، فأرسل إلى جعفر، ما سميت ابنك؟ قال: عبد الله. فسمى النجاشي ابنه عبد الله، وأخذته أسماء بنت عميس، فأرضعته حتى فطمته بلبن عبد الله بن جعفر، ونزلت أسماء بذلك عندهم منزلة، فكان من أسلم من الحبشة يأتي أسماء بعد فيخبرها خبرهم^(٥)، وقد تزوجت أسماء بعد استشهاد جعفر، أبا بكر الصديق، فولدت محمداً ثم تزوجها على فولدت له يحيى^(٦)، فيكون عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكر الصديق، ويحيى بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم لأهمهم^(٧)، ويعتبر عبد الله بن جعفر آخر من رأى النبي ﷺ من بني هاشم وفاة^(٨).

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٥٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٦).

(٣) الإصابة (٤/ ٣٦).

(٤)، (٥) الطبقات، للسلمي (٧/ ٢).

(٦) الإصابة (٤/ ٣٧).

(٧) أسد الغابة (٣/ ١٩٩).

(٨) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠٠).

١ - أولاده وأزواجه:

ولد لعبد الله بن جعفر، جعفر الأكبر وبه كان يكنى، وأمه الأُمَيَّة وتكنى أم عمرو بنت خراش العبسية^(١)، وعلى وعون الأكبر، ومحمد وعباس، وأم كلثوم وأمهم زينب بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ^(٢)، وحسين درج، وعون وعون الأصغر قُتْلا مع الحسين بن علي لا بقيه له^(٣)، وأمهما جمانة بنت المسيب بن نجبة بن ربيعة بن عوف من بنى فزارة^(٤)، وأبو بكر وعبيد الله، ومحمداً، وأمهم الخوصاء بنت خصفة بن ثقف بن عابدين بن عدى بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل^(٥) وصالح لا بقيه له، ويحيى وهارون لا بقيه لهما، وموسى لا بقيه له وجعفر وأم أبيها وأم محمد، وأمهم ليلي بنت مسعود بن خالد، وحמיד والحسن لأم ولد، وجعفر، وأبو سعيد، وأمهما أم الحسن بنت كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة^(٦)، ومعاوية وإسحاق وقثم لا بقيه له، وأم عون لأمهات أولاد شتى^(٧).

٢ - مجئ جعفر بن أبي طالب بأسرته من الحبشة إلى المدينة:

قدم جعفر بن أبي طالب وصحبه من مهاجري الحبشة على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر ومعه زوجته أسماء وأولاده عبد الله، وعون ومحمد، وفرح لقدمه رسول الله ﷺ فرحاً عظيماً، وكان رسول الله ﷺ قد أرسل في طلبهم من النجاشي، عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفينتين ووافق قدمهم عليه يوم فتح خيبر، وقد رافق جعفر أبو موسى الأشعري ومن بصحبته من الأشعريين، فعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لى أنا أصغرهم أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما

(١) الطبقات الكبرى (٦/٢) تحقيق السلمي.

(٢) المصدر نفسه (٦/٢).

(٣) المصدر نفسه (٦/٢).

(٤) المصدر نفسه (٦/٢).

(٥) المصدر نفسه (٦/٢).

(٦) المصدر نفسه (٦/٢).

(٧) المصدر نفسه (٦/٢).

قال: فى بضع، وإما قال فى ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومى، فركبنا السفينة، فآلقنا سفيتنا إلى النجاشى بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبى طالب، فأقمنا جميعاً، فوافقنا النبى ﷺ حين افتتح خير^(١).

٣- لكم أنتم أهل السفينة هجرتان:

فعن أبى موسى: ... كان أناس يقولون لنا: سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عميس على حفصة زوج النبى ﷺ زائرة - وكانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر - فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء ابنة عميس. قال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم! قال عمر: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم، فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعط جاهلكم، وكنا فى أرض البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك فى الله ورسول الله، وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شرباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاءت النبى ﷺ قالت: كذا وكذا. قال: ليس بأحق بى منكم - له وأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم - أهل السفينة - هجرتان^(٢)، فأخذت أسماء والددة عبد الله بن جعفر هذا الوسام ووزعته على جميع أعضاء الوفد حيث كانوا^(٣)، كما قالت: يأتونى أرسالاً يسألوننى عن هذا الحديث، ما من الدنيا شىء هم به أفرح ولا أعظم فى نفوسهم مما قال لهم النبى ﷺ^(٤)، وقد أشركهم النبى ﷺ مغانم خيبر بعد أن استأذن من الصحابة رضى الله عنهم الذين شاركوا فى فتحها^(٥).

٤- استشهاد جعفر بن أبى طالب فى مؤتة:

عن يحيى بن أبى يعلى، سمعت عبد الله بن جعفر يقول: أنا أحفظ حين دخل رسول الله ﷺ على أمى فنعى لها أبى، فأنظر إليه وهو يمسح على رأسى ورأس

(١) البخارى، ك المغازى، رقم (٤٢٣٠، ٤٢٣١)، معين السيرة، ص (٢٥٣).

(٢) البخارى، ك المغازى، رقم (٤٢٣١).

(٣) فقه السيرة للغضبان، ص (٥٣٥).

(٤) مسلم، رقم (٢٥٠٢، ٢٥٠٣).

(٥) الصراع مع اليهود لأبى فارس (٩٦ / ٣).

أخى، وعينه تهرقان الدموع حتى تقطر لحيته، ثم قال: اللهم إن جعفرًا قد قدم إلى أحسن الثواب، فاخلقه في ذريته بأحسن ما خلقت أحدًا من عبادك في ذريته، ثم قال: يا أسماء: ألا أبشرك؟ قالت: بلى بأبى أنت وأمى، قال: إن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة. قالت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فأعلم الناس بذلك، فقام رسول الله ﷺ وأخذ بيدي يسمح رأسى حتى رقا على المنبر، وأجلسنى أمامه على الدرجة السفلى، والحزن يعرف عليه، فتكلم فقال: «ألا إن جعفرًا قد استشهد، وقد جعل له جناحان يطير بهما في الجنة، ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيته وأدخلنى معه، وأمر بطعام فصنع لأهلى، وأرسل إلى أخى فتغدينا عنده والله غداء طيبًا مباركًا، عمدت سلمى خادمه إلى شكير فطحته ثم نسفته^(١)، ثم أنضجته.. فتغديت أنا وأخى معه^(٢)».

٥- لا تبكوا أخى بعد اليوم:

قال عبد الله بن جعفر: إن النبى ﷺ أتاهم بعد ما أخبرهم بقتل جعفر بعد ثلاثة، فقال: لا تبكوا أخى بعد اليوم ثم قال: اتئوني بنى أخى، فجئى بنا كأننا أفرخ، فقال: ادعوا لى الحلاق فأمره، فحلق رؤوسنا، ثم قال: أما محمد فشبه عمنا أبى طالب، وأما عبد الله فشبه خلقى وخلقى، ثم أخذ بيدي، فأشالها. ثم قال: اللهم اخلف جعفرًا فى أهله، وبارك لعبد الله فى صفقته، قال: فجاءت أمنا، فذكرت يتمنا. فقال: العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة؟^(٣). معنى العيلة: الفقر.

٦- حمل النبى ﷺ له على دابته:

عن عبد الله بن جعفر قال: كان النبى ﷺ إذا قدم من سفر تلقى بالصبيان من أهل بيته قال: وإنه قدم من سفر فسبق بى إليه قال: فحملنى بين يديه. قال: ثم أنى بأحد ابنى فاطمة - إما الحسن وإما الحسين - فأردفه خلفه. قال: فدخلنا المدينة ثلاثة على الدابة^(٤).

(١) نسفته: تنقيه الجيد من الردى لسان العرب (٩/ ٣٢٨).

(٢) الطبقات، تحقيق السلمى (٢/ ٨) إسناده ضعيف جدًا، وله شواهد.

(٣) مسند أحمد (١/ ٢٤) من طريق وهب بن جرير، عن أبيه بهذا الإسناد وهو قوى.

(٤) مسلم، رقم (٢٤٢٨).

٧- دعاء النبي ﷺ له:

عن عمرو بن حريث: أن رسول الله ﷺ مر بعبد الله بن جعفر وهو يلعب مع الغلمان أو الصبيان فقال: اللهم بارك لعبد الله في بيعته أو في صفقته^(١)، وعن عبد الله بن جعفر: أن رسول الله ﷺ مسح على رأسه ثلاثاً كلما مسح قال: اللهم اخلف جعفرًا في ولده^(٢).

٨- ذكر بيعته للنبي ﷺ:

عن هشام بن عروة عن أبيه: عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر بايعا النبي ﷺ وهما ابنا سبع سنين، وأن رسول الله ﷺ لما رآهما تبسم وبسط يده فبايعهما^(٣)، والصحيح أن عبد الله بن الزبير ولد عام الهجرة^(٤).

٩- تفقد رسول الله ﷺ لأبناء جعفر:

قال جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال لأسماء بنت عميس: ما شأن أجسام بني أخي ضارعة أتصيبهم حاجة؟ قالت: لا، ولكن تسرع إليهم العين^(٥)، أفأرقهم؟ قال: وبماذا؟ فعرضت عليه فقال: ارقهم^(٦) ومعنى ضارعة: الضارع: النحيف الضاوي الجسم.

١٠- علمتني أسماء شيئاً أمرها رسول الله ﷺ أن تقوله عند الكرب:

عن عبد الله بن جعفر، قال: علمتني أسماء بنت عميس شيئاً أمرها رسول الله ﷺ أن تقوله عند الكرب: الله الله ربي لا أشرك به شيئاً^(٧).

١١- شكوى الجمل لرسول الله ﷺ:

عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسرَّ إلي حديثاً لا أحدث به أحداً أبداً، وكان رسول الله ﷺ أحب ما أستر به في حاجته

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٨)، مجمع الزوائد (٩/ ٢٨٦) رجالهما ثقات.

(٢) مسند أحمد (١/ ٢٠٤) من طريق وهب بن جرير عن أبيه بهذا الإسناد وهو قوى.

(٣) المستدرک (٣/ ٥٦٦، ٥٦٧) في سنده إسماعيل بن عياش ضعيف عن غير أهل بلده.

(٤) الإصابة (٤/ ٣٨).

(٥) ما يصيب المرء إذا نظر إليه عدو أو حشود، فأثرت فيه فمرض بسببها.

(٦) الرقية: العودة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك.

(٧) الطبقات، تحقيق السلمي (٢/ ١١) إسناده ضعيف.

هدفاً^(١)، أو حائش^(٢) نخل - زاد يزيد بن هارون في هذا الحديث بهذا الإسناد - ، فدخل يوماً حائطاً من حيطان الأنصار - يعنى النبي ﷺ - فإذا جمل قد أناه فجرجر^(٣) وذرفت عيناه، فمسح رسول الله ﷺ سراته^(٤)، وذفراه^(٥)، فسكن، فقال رسول الله ﷺ: «من صاحب هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لى يا رسول الله. قال: أما تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكها الله، إنه شكا إلى إنك تُجميعه وتدئبه»^(٦).

هذا وكان عمره عشر سنين عند موت النبي ﷺ^(٧)، وقد ثبت صحبته لرسول الله وروى عن النبي ﷺ أحاديث وروى عن أمه أسماء بنت عميس، وعمه على ابن أبى طالب، وروى عنه بنوه، إسماعيل وإسحاق، ومعاوية، ومحمد بن على ابن الحسين، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مليكة، وعبد الله بن شداد بن الهاد، والشعبى، وعباس بن سهل بن سعد، ومورق العجلي، وخالد بن سارة، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى رافع الفهمى^(٨).

١٢ - سلام ابن عمر على عبد الله بن جعفر:

قال الشعبى: كان ابن عمر إذا سلم على عبد الله بن جعفر، قال: السلام عليك يا ابن ذى الجناحين^(٩).

١٣ - حرص أمير المؤمنين على تعليم عبد الله بن جعفر:

عن عبد الله بن شداد، أن علياً قال لعبد الله بن جعفر - رضى الله عنه -: ألا أعلمك كلمات لم أعلمهن حسناً ولا حسيناً، إذا سألت الله مسألة فأردت أن

(١) الهدف: كل بناء مرتفع مشرف.

(٢) الحائش: النخل الملتف المجتمع.

(٣) الجرجرة: صوت البعير عند الفجر، النهاية فى غريب الحديث (١/ ٢٥٥).

(٤) سراته: أى ظهره.

(٥) وذفراه: ذفرى البعير: أصل أذنيه، النهاية فى غريب الحديث (١/ ١٦١).

(٦) تدئبه: تكده وتعبه، الطبقات، تحقيق السلمى (٢/ ١٣، ١٤) إسناده صحيح.

(٧) الإصابة (٤/ ٣٧).

(٨) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٦٩).

(٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٩)، أخرجه البخارى (٧/ ٦٢).

تنجح^(١)، فقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلى العظيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم^(٢)، وقد صاحب عبد الله بن جعفر عمه على رضى الله عنهم، وكان أحد امرائه يوم صفين^(٣).

من أخبار كرمه وجوده:

كان عبد الله بن جعفر جواداً، ظريفاً، حليماً، عفيفاً، سخياً يسمى بحر الجود^(٤)، وكان يقال له: قطب السخاء^(٥)، ويقال: إنه لم يكن فى الإسلام أسخى منه - أى فى عصره - ويقولون: إن أجود العرب فى الإسلام عشرة، فأجواد أهل الحجاز عبد الله بن جعفر، وعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، وسعيد بن العاص، وأجود أهل الكوفة عتاب بن ورقاء أحد بنى رباح بن يربوع، وأسماء بن خارجة بن حصن الفزارى وعكرمة بن ربعى الفياض أحد بنى تيم الله ابن ثعلبة، وأجواد أهل البصرة عمرو بن عبيد بن معمر، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى ثم أحد بنى مليح وهو طلحة الطلحات، وعبيد الله بن أبى بكرة، وأجواد أهل الشام خالد بن عبد الله بن خالد بن أسد بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، وليس فى هؤلاء كلهم أجود من عبد الله بن جعفر، ولم يكن مسلم يبلغ مبلغه فى الجود، وعوتب فى ذلك فقال: إن الله عودنى عادة، وعودت الناس عادة، فأنا إن قطعته قطعته عني^(٦)، وعن على بن حسين عن الحسين رضى الله عنه قال: علمنا عبد الله بن جعفر السخاء^(٧)، وهذا تواضع الحسين رضى الله عنه وإلا فله ولأخيه الحسن القدح المعلى فى الجود والكرم والإنفاق، وإليك بعض أخبار جود عبد الله بن جعفر فى الكرم والجود.

(١) تنجح: نجح فلان وأنجح، إذا أصاب طلبته وأنجحت حاجته.

(٢) الطبقات، للسلمى (٢/ ١٦) إسناده صحيح.

(٣) الإصابة (٤/ ٣٧).

(٤) الاستيعاب (٣/ ٨٨١).

(٥) الإصابة (٤/ ٣٧).

(٦) الاستيعاب (٣/ ٢٨٨).

(٧) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٨٧).

١- ما عندنا ما نصلك ولكن عليك ابن جعفر:

ذكر أن أعرابياً وقف في الموسم على مروان بالمدينة، فسأله فقال: ما عندنا ما نصلك، ولكن عليك بابن جعفر، فأتاه الأعرابي فإذا ثقله قد سار، وراحلة بالباب عليها متاعها وسيف معلق فخرج عبد الله، فأنشأ الأعرابي يقول:

أبو جعفر من أهل بيت نبوة صلاتهم للمسلمين طهور
أبا جعفر صن الأمير بماله وأنت على ما في يديك أمير
أبا جعفر يابن الشهيد الذي له جناحان في أعلى الجنان يطير
أبا جعفر ما مثلك اليوم أرتجى فلا تتركنى بالغلاة أدور^(١)

فقال: يا أعرابي سار الثقل، فعليك الراحلة، وإياك أن تُخدع عن السيف، فإنني أخذته بألف دينار^(٢).

٢- وهل أعطيناه إلا ما يبلى ويفنى وأعطانا مدحاً يروى وثناء يبقى:

مدحه نُصيب - أحد الشعراء - فأعطاه إبلاً وخيلاً وثياباً ودنانير ودراهم، فقبل له: تعطى لهذا الأسود مثل هذا؟ فقال: إن كان أسود فشعره أبيض، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال، وهل أعطيناه إلا ما يبلى ويفنى، وأعطانا مدحاً يروى وثناء يبقى. وقد قيل إن هذا الخبر إنما جرى لعبد الله بن جعفر مع عبيد الله بن قيس الرقيات^(٣)، ومن شعره في عبد الله بن جعفر:

وما كنت إلا كالأغر بن جعفر رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكراً^(٤)

ومن شعره أيضاً في عبد الله بن جعفر:

نفدت بى الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها
يزور أمراً قد يعلم الله أنه تجود له كف قليل غرارها

(١) تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات، ٦١ - ٨٠، ص (٣١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٩).

(٣) الاستيعاب (٣/ ٨٨٢) وقد ذكر أن اسمه عبد الله.

(٤) الإصابة (٤/ ٣٨).

فوالله لولا أن تزور ابن جعفر لكان قليلاً في دمشق قرارها
أنتك أثنى بالذى أنت أهله عليك كما أثنى على الروض جارها
ذكرتك إذا فاض الفرات بأرضنا وجلل أعلا الرقتين بحارها
فإن مت لم يوصل صديق ولم تقم طريق من المعروف أنت منارها^(١)
وقال مصعب بن عبد الله: قال عبد الملك بن مروان: أى ويحك يا ابن قيس
أما اتقيت حين تقول فى ابن جعفر:

أنت رجلاً قد يعلم الله أنه يجود له كف قليل غرارها
ألا قلت: قد يعلم الناس، ولم يقل: قد يعلم الله، قال له ابن قيس: قد والله
علمه الله وعلمته، وعلمه الناس^(٢).

وقال الشماخ بن ضراز يمدح عبد الله بن جعفر:

إنك يا ابن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارق إذا أتى
ورب ضيف طرق الحى سرى صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى^(٣)

وجاء أعرابى إلى عبد الله بن جعفر وهو محموم، فأنشأ يقول:

كم لوعة للندى وكم قلق للجود والمكرمات من قلقك
ألبسك الله منه عافية فى نومك المعتري وفى أرقك
أخرج من جسمك السقام كما أخرج ذم الفعال من عنقك

فأمر له بمائة ألف دينار.^(٤)

وذات يوم كان عبد الله بن جعفر فى سفر له فمر بفتيان يوقدون تحت قدر لهم
فقام إليه أحدهم فقال:

-
- (١) الإصابة (٤/ ٣٨).
(٢) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٨٥).
(٣) الإصابة (٤/ ٣٩).
(٤) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٤).

أقول له حين ألفيته عليك السلام أبا جعفر
فوقف وقال: عليك السلام ورحمة الله، فقال:
وهدى ثيابي قد أخلقت وقد عفّنى زمن منكر
قال: فهذى ثيابي مكانها، وعليه جبة خز ويعينك على زمك، فقال:
فأنت كريم بنى هاشم وفى البيت منها الذى يذكر
قال: يا ابن أخى، ذاك رسول الله ﷺ (١).

وكتب رجل إلى عبد الله بن جعفر رقعة فجعلها فى ثنى وسادة التى يتكىء
عليها، فقلب عبد الله الوسادة، فنظر بالرقعة، فقرأها فردها فى موضعها، وجعل
مكانها كيساً فيه خمسة آلاف دينار فجاء الرجل فدخل عليه، فقال: اقلب المرفقة
فانظر ما تحتها فخذها، فأخذ الرجل الكيس وخرج وأنشأ يقول:

زاد معروفك عندى عظماً أنه عندك مستور حقير
تناساه كأنه لم تأته وهو عند الله مشهور كبير (٢)

٣- ديون الزبير بن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر:

أسلف عبد الله بن جعفر الزبير ألف ألف، فلما توفى قال ابن الزبير لعبد الله
ابن جعفر: إني وجدت فى كتب أبى أن له عليك ألف ألف درهم، قال: هو
صادق، فاقبضها إذا شئت، ثم لقيه بعد فقال: إنما وهمت عليك، المال لك عليه،
قال: فهو له، قال: لا أريد ذلك (٣). قال الذهبى: هذه الحكاية من أبلغ ما بلغنا
فى الجود (٤)، وجاء فى رواية ابن عساكر عندما قال عبد الله بن الزبير لعبد الله بن
جعفر: لا أريد ذاك، قال ابن جعفر: فاختر إن شئت فهو له، وإن كرهت ذلك
فلك فيه نظرة ما شئت، فإن لم ترد ذلك فبعضى من ماله ما شئت، قال: أبيعك،
ولكنى أقوم، فقوم الأموال ثم أتاه فقال: أحب أن لا يحضرنى وإياك أحد، فقال

(١) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٩).

(٢) المصدر نفسه (٢٩/ ١٨٩).

(٣) تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات، ٦١ - ٨٠، ص (٤٣١).

(٤) المصدر نفسه، ص (٤٣١).

له ابن جعفر: يحضرنا الحسن والحسين فيشهدان لك، قال: ما أحب أن يحضرنا أحد، قال: انطلق فمضى معه، فأعطاه خراباً وسباحاً لا عمارة له، وقومه عليه حتى إذا فرغ، قال عبد الله لغلامه: ألق لى فى هذا الموضع مصلى، فألقى له فى أغلظ موضع من تلك المواضع مصلى، فصلى ركعتين وسجد، فأطال السجود يدعو، فلما قضى ما أراد من الدعاء قال لغلامه: احفر فى موضع سجودى، فحفر، فإذا عين، فملاً نبطها فقال له ابن الزبير: أقلنى، قال: أما دعائى وإجابة الله إياى فلا أقيلك فصار ما أخذ منه أعمر مما فى يدى ابن الزبير^(١).

٤- لئن والله وعدنا نعيم الآخرة، فقد عجلت نعيم الدنيا^(٢):

عن محمد بن عبيد الله بن أبى مليكة، عن أبيه، عن جده، قال: دخل ابن أبى عمار - وهو يومئذ فقيه أهل الحجاز - على نخاس يعترض منه جارية، فعرض عليه جارية بأكثر مما كان معه من الثمن، وكانت حسنة الوجه جداً، فعلق بها، وأخذته أمر عظيم، ورآه النخاس فتباعد عليه فى الثمن، واستهتر بذكرها فمشى إليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذّلونه، فكان جوابه أن قال:

يلومنى فيك أقوام أجالسهم فما أبالى أطار اللوم أوقعاً

قال: فبلغ خبره عبد الله بن جعفر، فبعث إلى مولى الجارية، فاشترها منه بأربعين ألف درهم، وأمر قيّمة جواريه أن تزينها وتحببها ففعلت، وقدم المدينة، فجاءه الناس يسلمون عليه، وجاءه جلة أهل الحجاز فقال: مالى لا أرى ابن أبى عمار زائراً؟ فأخبر الشيخ، فأتاه، فلما أراد أن ينهض استجلسه فقال له ابن جعفر: ما فعل حبك فلانة، قال: فى اللحم والدم والمخ والعصب والعظم، فقال له: أتعرفها إن رأيتها؟ قال: جعلت فداك، هى مصورة فى نصب عيني عند كل خطرة وفكرة، قال: والله ما نظرت إليها منذ ملكتها، يا جارية أخرجيها، فأخرجت ترفل فى الحلى والحلل فقال: هى هذه؟ فأنشأ يقول:

هى التى هام قلبى من تذكرها والنفس مشغولة أيضاً بذكرها

(١) تاريخ دمشق (٢٩ / ١٨٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٦١).

قال: فشأنك بها، فخذها، فبارك الله لك فيها، قال: جعلت فداك، لقد تفضلت بشيء ما كان يتفضل به إلا الله - على حذر عنها - فلما ولى بها قال: يا غلام احمل معها مائة ألف درهم، كي لا يهتم بها، ولا تغنم به، فبكى ابن أبي عمار سروراً، ثم قال: الله يعلم حيث يجعل رسالاته، والله جعلت فداك، لئن كان الله وعدنا نعيم الآخرة، فقد عجلت نعيم الدنيا^(١).

٥- ما غلبنا بالسخاء إلا الشيخ العذري:

عن بُديح مولى عبد الله بن جعفر قال: خرجت مع عبد الله بن جعفر في بعض أسفاره، فترلنا إلى جانب خباء من شعر قال: وإذا صاحب الخباء رجل من بنى عذرة، قال: فبيننا نحن كذلك، إذا نحن بأعرابي قد أقبل بسوق ناقة حتى وقفت علينا ثم قال: أى قوم أبغوني شفرة، فناولناه الشفرة، فوجأ فى لُبَّتها وقال: شأنكم بها، قال: وأقمنا اليوم الثانى، وإذا نحن بالشيخ العذري، يسوق ناقة أخرى، فقال: أى قوم أبغوني شفرة، قال: فقلنا: إن عندنا من اللحم، قال: فقال: أبحضرتى تأكلون الغاب^(٢)، ناولنى الشفرة، فوجأ فى لُبَّتها، ثم قال شأنكم بها، وبقينا اليوم الثالث، فإذا نحن بالعذري يسوق أخرى حتى وقف علينا، فقال: أى قوم أبغوني شفرة، قال: فقلنا: إن معنا من اللحم ما ترى، قال: أبحضرتى تأكلون الغاب، إني لأحسبكم قومًا لثامًا، ناولونى الشفرة، فوجأ فى لُبَّتها ثم قال: شأنكم بها، قال: وأخذنا فى الرحيل، فقال ابن جعفر لجارية، ما معك؟ قال رزمة ثياب وأربع مائة دينار، قال: اذهب بها إلى الشيخ العذري، قال: فذهب بها، فإذا جارية فى الخباء، فقال: ياهذه خذى هدية ابن جعفر، قالت: إنا قوم لا نقبل على قرى^(٣) أجرًا، قال: فسجاء إلى بن جعفر، فأخبره، فقال: عُدْ إليها فإن هى قبلت وإلا فارم بها على باب الخيمة فعاودها فقالت: اذهب عنا بارك الله فيك، فإنا قوم لا نقبل على قرانا أجرًا، فوالله لئن جاء شيخى فراك هاهنا لتلقانا منه أذى، قال: فرمى بالرزمة والصرّة على باب الخباء ثم

(١) تاريخ دمشق (٢٩ / ١٩٥).

(٢) أغب اللحم: أتن كنب، وأغب القوم: جاءهم يوماً وترك يوماً كنب عنهم.

(٣) قرى: ضيافة.

ارتحلنا، فما سرنا إلا قليلاً حتى إذا نحن بشخص يرفعه السراب مرة ويضعه أخرى، فلما دنا منا إذا نحن بالشيخ العذرى ومعه الصرة والرزمة، فرمى بذلك إلينا ثم ولى مدبراً، فجعلنا ننظر فى قفاه هل يلتفت فهبها قال: فكان ابن جعفر يقول: ماغلبن بالسّخاء إلا الشيخ العذرى^(١).

٦- ما سمعت بأعجب من هذا:

خرج عبد الله بن جعفر حاجاً حتى إذا كان ببعض الطريق تقدم ثقله على راحلة له، فأنتهى إلى أعرابية جالسة على باب الخيمة، فنزل عن راحلته ينتظر أصحابه، فلما رآته قد نزل، قامت إليه، فقالت: إلىّ بواك الله مساكن الأبرار، قال: فأعجب بمنطقها، فتحول إلى باب الخيمة، فألقت إليه وسادة من آدم، فجلس عليها، ثم قامت على عنيزة لها فى كسر الخيمة، فما شعر حتى قدمت منها عضواً فجعل ينهش وأقبل أصحابه فلما رأوه نزلوا، فأتتهم بالذى بقى عندها من العنز، فطعموا وأخرجوا سفرهم، فقال عبد الله: ما بنا إلى طعامكم حاجة سائر اليوم. فلما أراد أن يرتحل دعا مولاه الذى كان يلى نفقته فقال: هل معك من نفقتنا شيء؟ قال: نعم، قال: وكم هو؟ قال: ألف دينار، قال: أعطها خمس مائة واحتبس لنفقتك باقيها، قال: فدفعه إليها، فأبت أن تقبل، فلم يزل عبد الله يكلمها وهى تقول: أى والله أكره عذل بعلى^(٢)، فطلب إليها عبد الله حتى قبلت فودّعها وارتحل هو وأصحابه، فلم يلبث أن استقبله أعرابى يسوق إبلاً له، فقال عبد الله: ما أراه إلا المحذور، فلو انطلق بعضكم فعلم لنا علمه ثم لحقنا، فانطلق بعض أصحابه راجعاً متكرراً حتى نزل قريباً منه، فلما أبصرت المرأة الأعرابى مقبلاً قامت إليه تفداه وتقول: بأبى أنت وأمى

توسمته لما رأيت مهابة	عليه فقلت: المرء من آل هاشم
وإلا فمن آل المارر فإنهم	ملوك ملوك من ملوك أعظم
فقت إلى عتر بقيت أعتر	فأذبحها فعل امرئ غير نادم
يعوضنى منها غنان ولم يكن	يساوى لحيم العنز خمس دراهم ^(٣)

(٢) البعل: الزوج.

(١) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٠).

(٣) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٢).

فأظهرت له الدنانير، وقصت عليه القصة، فقال: بس لعمر الله معقل الأضياف كنت، أبعت معروفك بما أرى من الأحجار؟ قال: إني والله قد كرهت ذلك، خفت العذل، قال: وهذه لم تخافى العار، وخفت العذل؟ كيف أخذ الركب؟ فأشارت إلى الطريق، قال: وهذا يعنى الرجل الذى أرسله عبد الله فقال: أسرجى لى فرسى، قالت: تصنع ماذا؟ قال: ألحق القوم، فإن سلموا لى معروفى وإلا حاربتهم، قالت: أنشدك الله أن تفعل فتسوءهم، فأقبل عليها ضرباً، وقال: ركنت إلى إمحاق المعروف؟ قال: وركب فرسه، وأخذ رمحه، فجعل الرجل صاحب عبد الله يسير معه ويقول له: ما أراك تدرك القوم، فقال: والله لآتينهم ولو بلغوا كذا وكذا، فلما رأى الرجل أنه غير متته قال: على رسلك، أدرك لك القوم وأخبرهم خبرك، فتقدم الرجل، فأخبر ابن جعفر، وقص عليه القصة، فقال عبد الله: قد كانت حذرة من المشؤوم، فقال: فرهقهم، فسلم عليه ابن جعفر وأجبره بحسن صنيع المرأة، فقال: والله ما رأيت ذلك بتمامه، فلم يزل يكلمه، وسأله، فأبى الأعرابى إلا ردّها، فلما رأى عبد الله ذلك قال: لننظر ما عنده، ما نحب أن يرجع إلينا شيء قد أمضيناه، قال: فقام من بين يديه، فتنحى، فصلّى ركعتين ثم قام فركب فرسه، وأخرج قوسه، ونبله، فقال له عبد الله: ما هاتان الركعتان؟ قال: استخرت فيها ربى عز وجل فى محاربتكم، وقال: فعلى ما عزم لك من ذلك؟ قال: عزم لى عليه رشداً أو ترجعون أحجاركم وتسلمون لنا معروفنا، فقال له عبد الله: نفعل فأمر بالدنانير فقبضت، فولى الأعرابى منصرفاً، فقال له عبد الله: ألا نزودك طعاماً؟ قال: الحى قريب فهل من حاجة؟ قال: نعم قال: وما هى؟ قال: المرأة تخبرها بسوء فعلك، فاستضحك الأعرابى، وولى منصرفاً، فقدم عبد الله بن جعفر بعد ذلك على يزيد بن معاوية، فحدثه حديث الأعرابى، فقال يزيد: ما سمعت بأعجب من هذا^(١).

٧- إن الله لا يحب المسرفين:

جاءت امرأة إلى عبد الله بن جعفر بدجاجة مسمومة فى مكتل فقالت: بأبى أنت، هذه الدجاجة كانت مثل بُنتى أكل من بيضها وتونسنى، فأليت ألا أدفنها

(١) تاريخ دمشق (١٩٣/٢٩).

إلا فى أكرم موضع أقدر عليه، ولا والله ما فى الأرض موضع أكرم من بطنك، قال: خذوها منها، واحملوها إليها من الحنطة كذا، ومن التمر كذا، وأعطوها من الدراهم كذا، فعدد شيئاً، فلما رأت ذاك قالت: بأبى أنت، إن الله لا يحب المسرفين^(١).

٨- كساد سلعة مجلوبة إلى سوق المدينة:

جلب رجل من أهل البصرة سكرًا إلى المدينة، فكسد عليه، فذكر لعبد الله، فأمر قهرمانه^(٢)، أن يشتريه فيدعو الناس فينهبهم^(٣) إياه^(٤)، وفى رواية قالوا للرجل: ائت عبد الله بن جعفر، فأتاه فاشتراه منه، وقال: من شاء أخذ، فقال الرجل: آخذ معهم؟ قال: خذ^(٥).

٩- إنفاقه مالا وصله من يزيد بن معاوية:

وجه يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن جعفر مالا جليلاً هدية، ففرقه فى أهل المدينة، ولم يدخل منزله منه شيئاً، وفى ذلك يقول عبيد بن قيس الرقيات: وما كنت إلا كالأغر بن جعفر رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكراً^(٦) وعندما وفد عبد الله بن جعفر على يزيد، أمر له بألف ألف^(٧)، وعلق الذهبى فقال: ماذا بكثير، جائزة ملك الدنيا لمن هو أولى بالخلافة منه^(٨).

١٠ - دعاء أعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه:

قال أعرابى لعبد الله بن جعفر: لا ابتلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك، وأنعم الله عليك نعمة يعجز عنها شكرك^(٩).

(١) تاريخ الإسلام (٦١/ ٨٠)، ص (٤٣١، ٤٣٢).

(٢) القهرمان: كلمة فارسية وهو كالخازن والحافظ لما تحت يده.

(٣) ينهبهم إياه: أى يعطيه لهم نهبى بدون ثمن.

(٤) الطبقات، للسلمى (١٩/ ١).

(٥) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٣).

(٦) الإصابة (٤/ ٣٨).

(٧) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٧).

(٨) المصدر نفسه (٣/ ٤٥٧).

(٩) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠١).

١١- ذاك مالى جدت به:

رُئى عبد الله بن جعفر (بماكس) فى درهم، فقيل له: تماكس فى درهم وأنت تجود من المال بكذا أو كذا؟ فقال: ذاك مالى جدت به، وهذا عقلى بخلت به^(١).

١٢- هذا رجل أراد أن ييخل الناس، أمطر المعروف مطراً:

ذكر بعض أهل العلم، أن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه أنشد:

إن الصنعة لا تكون ضيعة حتى يصاب بها طريق المقنع

فقال محمد بن عبد الله المهرانى: هذا رجل أراد أن ييخل الناس، أمطر المعروف مطراً، فإن صادفت موضعاً فذاك ما أردت، وإلا رجع إليك^(٢).

١٣- إنما الجواد الذى يبدى المعروف:

قال عبد الله بن جعفر ذى الجناحين: ليس الجواد الذى يعطى بعد المسألة، لأن الذى يبذل السائل من وجهه وكلامه أفضل مما يبذل من نائله، وإنما الجواد الذى يبدى المعروف^(٣).

١٤- إنا لا نأخذ على المعروف ثمنًا:

روى أن دُهقاناً من أهل السواد كلم بن جعفر فى أن يكلم أمير المؤمنين علياً فى حاجة، فكلمه فيها، فقضاها له، فبعث إليه الدهقان أربعين ألفاً، فقالوا: أرسل الدهقان الذى كلمت له، فقال للرسول: قل له، إنا أهل بيت لا نبيع المعروف^(٤)، وفى رواية: إنا لا نأخذ على المعروف ثمنًا^(٥).

١٥- هو والناس فى ماله شركاء:

قيل لمعاوية بن عبد الله بن جعفر: ما بلغ من كرم عبد الله بن جعفر؟ قال: كان ليس له مادون الناس، هو والناس فى ماله شركاء، كان من سألّه أعطاه، ومن استمنحه شيئاً منحه، لا يرى أنه يقتصر فيقتصر، ولا يرى أنه يحتاج فيدخر^(٦).

(١) تاريخ دمشق (٢٩/٢٠١) والمماكس محاولة تنزيل السعر من البائع.

(٢) تاريخ دمشق (٢٩/٢٠١).

(٣) المصدر نفسه (٢٩/٢٠٠).

(٤) المصدر نفسه (٢٩/١٨٧).

(٥) المصدر نفسه (٢٩/١٨٦).

(٦) المصدر نفسه (٢٩/١٩٨).

- من أخبار عبد الله بن جعفر مع معاوية:

كان عبد الله بن جعفر يفد على معاوية، وعلى عبد الملك، وكان كبير الشأن كريماً، جواداً، يصلح للإمامة^(١)، وكانت علاقته بمعاوية متميزة وقوية، حتى أنه سمى أحد أولاده بمعاوية وعن أبان بن تغلب، قال: ذكر لنا أن عبد الله بن جعفر قدم على معاوية وكانت له وفادة في كل سنة، يُعطيه ألف ألف درهم، ويقضى له منه حاجة^(٢)، وقد ذكرت كتب الأدب والتاريخ روايات بين معاوية، وابن جعفر لا تثبت ولا تصح وهي كثيرة، منها: ما قال يحيى بن سعيد بن دينار: بينما عبد الله ابن جعفر ذات ليلة عند معاوية بالخضراء^(٣) بدمشق إذ ورد على معاوية كتاب غمه من الحسين بن علي، فضرب به الأرض، ثم قال: من يعذرني من ابن أبي تراب، والله لهممت أن أفعل به وأفعل. قال: فجعل عبد الله بن جعفر يجيبه بنحو مما يشتهي ويداريه حتى قام، فانصرف، قال: وكانت بينهما خوخة، فلما صار إلى منزله دعا برواحله فقعده عليها وخرج من ساعته متوجهاً إلى المدينة قال: ودخل معاوية على امرأته^(٤) بنت قرظة مغتماً فقال: ماذا صنعت الليلة بابن جعفر ففحشت عليه وأسمعته في ابن عمه ما يكره، وحال ابن جعفر حاله وحبه لنا ومودته إيانا، فقالت: بشس والله ما صنعت ما أقبح ما أتيت إليه؛ فبات ليلته مغتماً يتذكر صنيعه به ولا يأخذه النوم حتى أسحر، فقام فتوضأ وقال: والله لا ينبهه من فراشه غيري، فمشى إليه، فدخل فإذا ليس فيه أحد فسأل عنه ف قيل له: رحل إلى المدينة ساعة من عندك، فبعث في إثره، وقال: أدركوه فردوه ولو دخل منزله، فلاحقوه فردوه إليه، فجعل معاوية يعتذر إليه منه تلك الليلة، وقال: قد آقطعتك ووهبت لك كل شيء^(٥) مررت به في مسيرك، قال: وقد كان، بإبل وغنم كثيرة لمعاوية فأمر بها فقبضها وذهب ما كان في نفسه^(٦).

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٤٥٨).

(٢) المصدر نفسه (٣/٤٥٩).

(٣) قصر معاوية بدمشق.

(٤) هي فاختة بنت قرظة بنت عمرو بن نوفل بن عبد مناف.

(٥) المراد: كل شيء ملكه.

(٦) الطبقات (٢/١٩، ٢٠) تحقيق السلمي، إسناده ضعيف منقطع.

هذا الخبر لا يصح لأن إسناده ضعيف منقطع، فيحيى بن سعيد بن دينار السعدي، شيخ للواقدي، مجهول^(١)، فهذا الأثر على سبيل المثال لا الحصر، وتذكر كتب التاريخ والأدب مساجلات شعرية بين معاوية وعبد الله بن جعفر منها؛ عن يونس بن ميسرة بن حلبس يقول: بلغ معاوية أن عبد الله بن جعفر أصابه خفقٌ وجهد هذا أو نحوه، فكتب إليه بيتين من شعر:

لمال المرء يصلحه فيغنى مفاقره أعف من القنوع

يسد به نوائب تعثره من الأيام كالنهر الشروع

وكتب إليه يأمره بالقصد ويرغبه فيه وينهاه عن السفر ويعيبه عليه، قال: فأجابه عبد الله بن جعفر:

سلى الطارق المعتري أم خالد إذا ما أتاني بين ناري ومجزري

أبسط وجهي أنه أول القرى وأبذل معروفى بهم دون منكرى

وقد أشتري عرضي بمالي وما عسى أخوك إذا ما ضيع العرض يشتري

يؤدى إلى الليل إتيان ماجد كريم ومالي سارح مال مقتر

فأعجب معاوية ما كتب إليه، وبعث بأربعين ألف دينار عوناً له على دينه^(٢).

- عبد الله بن جعفر وسماع الغناء:

نسبت كثير من كتب التاريخ والأدب إلى عبد الله بن جعفر سماعه للغناء، وانشغاله بالجوارى وهذا لا يصح، ولا يثبت، وإنما جاءت روايات ضعيفة، فقد ذكر ابن عساكر رواية مطولة، عن جماعة من مشايخ قريش من أهل المدينة قالوا: وذكر فيها قصة المغنية عمارة، وأنه كان يجد بها وجداً شديداً^(٣)، وذكر ابن كثير القصة بصيغة قيل^(٤)، وقال أبو عمر بن عمر عبد البر: ويقال: .. وكان لا يرى بسماع

(١) الطبقات (١٩/٢).

(٢) تاريخ دمشق (٢٩/٢٠٠).

(٣) تاريخ دمشق (٢٩/١٩٥).

(٤) البداية والنهاية (١٢/٣٠١).

الغناء بأساً^(١)، وأما الذهبي فلم يذكر في تقريره أى إسناد يعتمد عليه^(٢)، فهذه أقوال لاسنام لها ولا خطام، وبعضها مشكوك فى أصله وعليه لا يمكننى التسليم بأن عبد الله بن جعفر كان يستمع لغناء الجوارى وكان له معهن قصص من الحب والغرام، كما تزعم الروايات.

- وفاته:

توفى عبد الله بن جعفر سنة ثمانين وهو عام الجحاف^(٣) نسبة إلى السيل الجحاف بمكة، لأنه جحف على كل شىء مرّ به، وحمل الحجاج من بطن مكة والجمال بما عليها، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن يُنقذهم منه، وبلغ الماء إلى الحجون^(٤)، وغرق خلق كثير، وقيل: إنه ارتفع حتى كاد أن يغطي البيت^(٥)، وقيل: إنه توفى سنة أربع أو خمس وثمانين، وهو ابن ثمانين سنة، ورجح ابن عبد البر وفاته عام ٨٠ هـ وصلى عليه أبان بن عثمان وهو يومئذ أمير المدينة^(٦)، فى عهد عبد الملك بن مروان، وقد وضع على قبره بيتين من الشعر جاء فيها:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاءك لا يرجى وأنت قريب
تزيد بلى فى كل يوم وليلة وتُنسى كما تُبلى وأنت حبيب^(٨)

(١) الاستيعاب (٣/ ٨٨١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦٢).

(٣) نسبة إلى سيل الجحاف، الطبقات تحقيق السلمي (٢/ ٢٥).

(٤) الحجون: جبل بأعلى مكة، معجم البلدان (٢/ ٢١٥).

(٥) البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٦).

(٦) الاستيعاب (٣/ ٨٨١).

(٧) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠٤).

المبحث الرابع

صالح الحسن بن على مع معاوية رضى الله عنهم

بويح الحسن رضى الله عنه بيعة عامة، وبايعه الأمراء الذين كانوا مع والده، وكل الناس الذين بايعوا لأمر المؤمنين على رضى الله عنه، وباشر سلطته كخليفة، فرتب العمال وأمر الأمراء وجند الجنود وفرق العطايا، وزاد المقاتلة فى العطاء مائة مائة؛ فاكسب بذلك رضاءهم^(١)، وكان فى وسعه أن يخوض حرباً لا هوادة فيها ضد معاوية، وكانت شخصيته الفذة من الناحية السياسية، والعسكرية، والأخلاقية، والدينية تساعد على ذلك مع وجود عوامل أخرى، كوجود قيس بن سعد بن عبادة، وحاتم بن عدى الطائى وغيرهما من قادة المسلمين الذين لهم من القدرات القيادية الشيء الكثير، إلا أن الحسن بن على مال إلى السلم والصلح لحقن الدماء، وتوحيد الأمة، ورغبة فيما عند الله وزهده فى الملك، وغير ذلك من الأسباب التى سيأتى بيانها وتفصيلها، وقد قاد الحسن بن على مشروع الإصلاح الذى توجّ بوحدة الأمة، وظل زمام الموقف فى جانبه ويده ويد أنصاره، وكانت جبهته العسكرية قوية كما جاء فى رواية البخارى، وقد عبر عن ذلك عمرو بن العاص عندما قال: إنى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها^(٢)، وقال الحسن ابن على: كانت جماجم العرب بيدى تحارب من حاربت وتسالم من سألت^(٣)، ولو لم يكن الحسن مرهوب الجانب لما احتاج معاوية رضى الله عنه إلى أن يفاوضه ويوافق على ما طلب من الشروط والضمانات، ولكان عرف ضعف جانب الحسن وانحلال قوته عن طريق عيونه، ولدخل الكوفة من غير أن يكلف نفسه مفاوضة أحد أو ينزل على شروطه، ومطالبه.

وتفوق جانب معاوية على الحسن لا مرأ فيه فهل صالح الحسن معاوية لهذا

السبب^(٤)؟ قال ابن تيمية فى منهاج السنة:

(١) تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى، ص (٨٧)، مقاتل الطالبين، ص (٥٥).

(٢) البخارى، ك الصلح رقم (٢٧٠٤).

(٣) المستدرك (٣/ ١٧٠) صحيح على شرط الشيخين.

(٤) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين بطاينة، ص (٦٠، ٦١).

فقد كان بمقدور الحسن أن يقاتل معاوية بمن كان معه وإن كان أقل ممن كان مع معاوية صنيع الذين قاتلوا خصومهم على قلة من كان معهم من الأعوان والأئصار، ولكن الحسن كان ذا خلق يجنح إلى السلم وكراهة الفتنة وبذ الفرقة، جعل الله به رأب الصدع، وجمع الكلمة^(١).

وكان رضى الله عنه يملك رؤية إصلاحية واضحة المعالم، خضعت لمراحل، وبواعث، وتغلبت على العوائق وكتبت فيها شروط، وترتبت عليها نتائج، وأصبح هذا الصلح من مفاخر الحسن بن على رضى الله عنهما على مر العصور وتوالى الأزمات، حتى قال الدكتور خالد الغيث حفظه الله: كان الحسن رضوان الله عليه فى صلحه مع معاوية رضى الله عنه، وحقنه لدماء المسلمين، كعثمان فى جمعه للقرآن، وكأبى بكر فى الردة^(٢)، ولا ادل على ذلك فى كون هذا الفعل من الحسن يعد علمًا من أعلام النبوة، والحجة فى ذلك ما أخرجه البخارى من طريق أبى بكره رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، والحسن بن على إلى جنبه - وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين^(٣). إن صلح الحسن مع معاوية رضى الله عنه من الأحداث العظام فى تاريخ الأمة الإسلامية، وقد أسهم فى تبوؤ هذا الحدث لهذه المنزلة عدة أسباب منها:

- ١- كونه علمًا من أعلام النبوة.
- ٢- إن من ثمار هذا الصلح حقن دماء المسلمين وجمع كلمتهم على إمام واحد بعد سنوات من الفرقة.
- ٣- كون الحسن رضى الله عنه أول خليفة يتنازل عن منصبه ويخلع نفسه طواعية، وبدون ضغوط، ومن مركز قوة لا من مركز ضعف، من أجل إصلاح ذات بين المسلمين.

(١) منهاج السنة (٤/٥٣٦)، دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦١).

(٢) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، خالد الغيث، ص (١٣٤).

(٣) البخارى، رقم (٧١٠٩).

٤- كون الحسن رضى الله عنه آخر خلفاء مرحلة النبوة من هذه الأسباب وغيرها امتلأت كتب العقيدة والسنة والتاريخ والأدب وغيرها من المصادر بأخبار صلح الحسن مع معاوية رضى الله عنهما، والقارئ لتلك المصادر - بما فيها تاريخ الطبرى- يلاحظ كثرة روايات الصلح وتضاريفها مع بعضها واختلاط ضعيفها بصحيحها وتشابه بعض أحداثها، يضاف إلى ذلك عدم مراعاة المصادر للترتيب الزمنى لوقوع الحدث، مع أن التسلسل الزمنى لمجريات الصلح يعد بالغ الأهمية لفهم الحدث^(١)، ولقد قام الأخ الكريم الدكتور خالد الغيث بجهود كبيرة فى دراسة تلك المصادر واستخراج الروايات الصحيحة منها، واعتمدها فى ترتيب أحداث الصلح ترتيباً زمنياً، كما استفاد من بعض الروايات الضعيفة المتوافقة مع الروايات الصحيحة وفقاً للمنهج الذى بينه فى رسالته المعروفة، بروايات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى من أجل استكمال تفاصيل الحدث^(٢)، ولقد استفدت من ذلك الجهد الرائع، والترتيب المبدع، والتسلسل الجميل لمجريات الصلح.

- أهم مراحل الصلح:

المرحلة الأولى:

دعوة الرسول ﷺ للحسن بأن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، فتلك الدعوة المباركة التى دفعت الحسن رضى الله عنه إلى الإقدام على الصلح بكل ثقة وتصميم^(٣)، فقد قال ﷺ: إن ابني هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين^(٤)، فلم تكن نبوءة رسول الله ﷺ عن الحسن بن على أنه سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين مجرد نبأ يسمعه الحسن والمسلمون ويصدقونه كالنبوءات النبوية الأخرى، بل كانت الكلمة الموجهة الرائدة للحسن بن على رضى الله عنهما فى اتجاهاته وتصرفاته ومنهج حياته، لابد أنها حلت فى قرارة نفسه، واستولت على مشاعره، وامتزجت بلحمه ودمه، واعتبرها كوصية من

(١)، (٢)، (٣) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (١٢٥).

(٤) البخارى، رقم (٧١٠٩).

الرسول ﷺ - وهو نبيه وجده - يتكلم بهذه الكلمات رأى السرور فى أسارير وجهه، والبريق فى عينيه ﷺ، فتمسك بها كهدف من أهداف حياته، وكالمثل الأعلى له فى مستقبله.

وقد ظهرت آثار هذه النبوة فى جميع حركاته وسكناته، حتى فى الحديث مع والده الكبير الذى يحبه حبّ الأبناء البررة للآباء العظام الذين خصهم الله بمواهب ومناقب، قلّما يشاركهم فيها أفراد الأمة، وكان من أعرف الناس بها بحكم النبوة والصحبة، ويجلّه إجلال العارفين والمعجبين، وقد أشار على أبيه على بن أبى طالب بعد مقتل عثمان أن يعتزل الناس إلى حيث شاء من الأرض حتى تثوب إلى العرب عواذب أحلامها، وقال له: لو كنت فى جحر ضبّ لاستخرجوك منها فبايعوك دون أن تعرض نفسك لهم، ولما عزم على قتال أهل الشام، وعزم على التجهّز، وخرج من المدينة وهو عازم على أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه، جاء إليه الحسن بن على وقال: يا أبت دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين ووقوع الاختلاف بينهم^(١)، ولكن علياً لم يقبل ما أشار به الحسن ولم يكن لترك الناس فى فتنه دون أن يؤدى ما يدين الله به من أمر بمعروف ونهى عن منكر، وردّ الأمر إلى نصابه، والحقّ إلى أصحابه ولكلّ وجهة هو موليها^(٢)، وكان على رضى الله عنه مصيباً فى رأيه.

وقد ظهرت المعجزة النبوية، وبلغت ذروتها بتربية الحسن بن على التربية الإسلامية الربانية، من كون هذا الإمام الفذّ سيداً جليلاً، وليست السيادة بالقهر وسفك الدماء، أو إهدار الأموال والحرّات، بل السيادة بصيانتها وإزالة البغضاء والشحناء، فضلحه وحقنه لدماء المسلمين بلغ فيه ذروة السيادة، التى لا يستطيعها من فكر بالقوة وهو يملك طرفاً منها، وقد صالح الحسن معاوية وحوله الألوف فيهم من هو طامع مدسوس ولكن فيهم الكثير الكثير من المخلصين الأوفياء، فما أراد أن تراق بسببه قطرة دم، أو يخدش مسلم فى هذا السبيل، وإن الرئاسة للأقوام إن لم تكن لصيانتها، وحياطتها وحفظها، وترقيتها فهى نوع من الطاغوت

(١) البداية والنهاية (٧/٢٢٩، ٢٣٠) نقلا عن المرتضى للندوى، ص (١٩٨).

(٢) المرتضى للندوى، ص (١٩٨).

الأعمى والتهور الأحق، والمغامرة والمقامرة التى تجلب معها الدمار والخراب، والإذلال والسباب وينتهى أصحابها إلى غضب الله، ولعنة التاريخ، وهل تدافع أمواج الدماء البشرية عبر العصور والقرون إلا من الحرص على الرئاسة والسلطان والتكالب على الدنيا؟! (١).

لقد كان الحسن زاهداً فى الدنيا والملك والرئاسة، ولو أرادها لأدار الحرب الطحون سنين وسنين ولكنه كان ينظر إلى الدار الآخرة، ويريد حفظ دماء أمة محمد ﷺ، قال الحسن البصرى: فلما ولى الحسن ما أهرق فى سببه محجمة دم (٢)، وكان يعلنها صريحة ويفتخر بذلك ويعتز بتنفيذه للوصية النبوية، وسلوكه مسلك التربية الإيمانية (٣)، فقد أصلح الله بالحسن بين أهل العراق والأمة كلها، فجعل النبي ﷺ الإصلاح من فضائل الحسن، مع أن الحسن نزل عن الأمر وسلم الأمر إلى معاوية، فلو كان القتال هو المأمور به دون ترك الخلافة ومصالحة معاوية لم يمدحه النبي ﷺ على ترك ما أمر به وفعل ما لم يؤمر به، ولا مدحه على ترك الأولى وفعل الأدنى، فعلم أن الذى فعله الحسن هو الذى كان يحبه الله ورسوله لا القتال (٤).

المرحلة الثانية:

شرط البيعة الذى وضعه الحسن رضى الله عنه أساساً لقبوله مبايعة أهل العراق له، ذلك الشرط الذى نص على أنهم يسالمون من يسالم ويحاربون من يحارب (٥)، فعن ميمون بن مهران، قال: إن الحسن بن على بن أبى طالب بايع أهل العراق بعد على على بيعتين، بايعهم على الإمرة، وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه ويرضوا بما رضى به (٦)، وفى رواية أخرى، من طريق خالد بن مصرب، قال:

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٩٤).

(٢) دلائل النبوة للبيهقى (٤٤٣/٦)، الدوحة النبوية الشريفة، ص (٩٥).

(٣) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٩٥).

(٤) الفتاوى (٣٠٠ / ٢٨).

(٥) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (١٥٦).

(٦) الطبقات، تحقيق السلمى (٣١٦/١، ٣١٧) إسناده حسن.

سمعت الحسن بن علي يقول: والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم، قالوا: ما هو؟ قال: تسالمون من سالت وتحاربون من حاربت^(١). ويستفاد من الروایتين ابتداء الحسن رضي الله عنه في تبنيته لنية الصلح قبل استخلافه، وذلك تحقيقاً منه لنبوء المصطفى^(٢)، وأدخل الحسن رضي الله عنه بشرطه في عقلية العراقيين بأن خيار السلم قابل للنقاش والأخذ والعطاء، وليس فيه إرادة السلم على الحرب، فهو يشتمل عليهما معاً، وإن كان يوحى بالسلم وهذا دليل على عبقريته وحسن قيادته، ومعرفته بالأمور، كما أنه رضي الله عنه تقدم للخلافة لما كانت مصلحة الإسلام والمسلمين في ذلك.

المرحلة الثالثة:

وقوع المحاولة الأولى لاغتيال الحسن رضي الله عنه بعد أن كشف عن نيته في الصلح مع معاوية رضي الله عنه، وهذه المحاولة يبدو إنها قد جرت بعد استخلافه بقليل، وهو ما أشارت إليه الروايات التالية: ما أخرجه ابن سعد في طبقاته من طريق أبي جميلة^(٣): أن الحسن بن علي لما استخلف حين قتل علي، فبينما هو يصلي إذا وثب عليه رجل فطعنه بخنجر - وزعم حصين بن عبد الرحمن السلمي أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد - والحسن ساجد، قال حصين: وعمي أدرك ذلك، قال: فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه فمرض منها أشهراً ثم برئ، فقعده على المنبر فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا، فإننا أمراؤكم وضيغانكم، أهل البيت الذين قال الله: ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قال: فما زال يقول ذلك حتى ما رُئِيَ أحد من أهل المسجد إلا وهو يخن^(٤) بكاء^(٥). وما أخرجه ابن سعد في طبقاته من طريق هلال بن يساف^(٦)، قال: سمعت الحسن بن علي وهو يخطب وهو

(١) الطبقات، تحقيق السلمي (١/٣٨٦، ٣٨٧) إسناده صحيح.

(٢) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص (١١١).

(٣) مسيرة بن يعقوب، أبو جميلة الطهوي ذكره بن حبان في ثقافته (٥/٤٢٧).

(٤) الحنين: البكاء في الأنف، القاموس المحيط، ص (١٥٤١).

(٥) الطبقات، تحقيق السلمي (١/٣٢٣).

(٦) هلال بن يساف الأشجعي أخرج له البخاري حديثه معلقاً ومسلماً والأربعة، التقريب، ص (٥٧٦).

يقول: يا أهل الكوفة، اتقوا الله فينا، فإننا أمراؤكم وإنا أضيافكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال: فما رأيت يوماً قط أكثر باكياً من يومئذ^(١).

المرحلة الرابعة:

خروج الحسن رضى الله عنه بجيش العراق من الكوفة إلى المدائن، وإرساله للقوة الضاربة من الجيش وهى شرطة الخميس إلى مسكن بقيادة قيس بن سعد بن عباد^(٢)، وقد أشار ابن سعد فى طبقاته إلى ذلك فى الرواية التى أخرجها من طريق الشعبى، قال: بايع أهل العراق بعد على بن أبى طالب الحسن بن على، ثم قالوا له: سر إلى هؤلاء القوم الذين عصوا الله ورسوله، ارتكبوا العظيم وابتزوا^(٣) الناس أمورهم، فإننا نرجو أن يمكن الله منهم، فسار الحسن إلى أهل الشام، وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عباد فى اثنى عشر ألفاً، وكانوا يسمون شرطة الخميس^(٤).

من خلال الرواية السابقة يتضح أن أهل العراق هم الذين دفعوا الحسن رضى الله عنه إلى الخروج لقتال أهل الشام من غير رغبة منه، وهذا الأمر قد أشار إليه ابن كثير رحمه الله بقوله: ولم يكن فى نية الحسن أن يقاتل أحداً، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً لم يُسمع بمثله، فأمر الحسن بن على، قيس بن سعد بن عباد، على المقدمة فى اثنى عشر ألفاً بين يديه، وسار هو بالجيش فى أثره قاصداً بلاد الشام، فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه^(٥)، وقد أشهر الحسن حنكة كبيرة دلت على سعة أفقه ودهائه وبصيرته، عندما لم يشأ أن يواجه أهل العراق من البداية بميله إلى مصالحة معاوية وتسليمه الأمر لأنه يعرف خفتهم وتهورهم، فأراد أن يقيم من مسلكهم الدليل على صدق نظرتهم فيهم،

(١) الطبقات: تحقيق السلمى (١/٣٨١) إسناده صحيح.

(٢) المصدر نفسه (١/٣٢١).

(٣) الابتزاز: أخذ الشيء بجفاء وقهر.

(٤) الطبقات، تحقيق السلمى (١/٣١٩-٣٢١) إسناده لا بأس به.

(٥) البداية والنهاية (١١/١٣٢).

وعلى سلامه ما اتجه إليه، فوافقهم على المسير لحرب معاوية وعبأ جيشه^(١)، وكان خروج الحسن بن علي من الكوفة إلى المدائن على ما رجحه الدكتور خالد الغيث في شهر صفر من السنة التالية وهي سنة ٤١ هـ^(٢).

المرحلة الخامسة:

خروج معاوية رضى الله عنه من الشام وتوجه إلى العراق بعد أن وصل خبر خروج الحسن من الكوفة إلى المدائن بجيوشه، يقول ابن سعد في طبقاته: وأقبل معاوية في أهل الشام يريد الحسن حتى نزل جسر منيح^(٣)، ثم أضاف قائلاً: فأقبل من جسر منيح إلى مسكن في خمسة أيام وقد دخل يوم السادس^(٤)، وقد تأخر خروج معاوية وكان ذلك بعد سماعه لخروج الحسن بجيوشه، وكان معاوية قد أصيب إصابة بليغة من جراء محاولة الاغتيال التي تعرض لها من قبل الخارجي البرك بن عبد الله التميمي، حين خرج لصلاة الفجر، وهي المحاولة التي نفذت في نفس فجر اليوم الذي اغتيل فيه على رضى الله عنه، وهو فجر يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ على الصحيح المشهور من الأقوال^(٥)، وقد أشار الخلال إلى شدة إصابة معاوية رضى الله عنه في الرواية التي أخرجها من طريق جندب قال: كنا مع سعد بن أبي وقاص في ركب فترّل سعد ونزلت واغتمت نزوله قال: فجعلت أمشي إلى جانبه فحمدت الله وأثنت عليه وقلت: إن معاوية طعن طعنًا بينًا لا أراها إلا قاتلته، وإن الناس^(٦) قاتلون بقية أصحاب الشورى، وبقيّة أصحاب رسول الله ﷺ، فأشذك الله إن وليت شيئًا من أمرهم، أو تشق عصاهم وأن تفرق جمعهم، أو تدعوهم إلى أمر مهلكة، فحمد سعد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فوالله لا أشق عصاهم ولا أفرّقهم جمعهم، ولا أدعهم إلى أمر هلكة حتى يأتونني بسيف يقول: يأسعد هذا مؤمن فدعه، وهذا كافر فاقتله^(٧).

(١) العالم الإسلامي في العصر الأموي، د. عبد الشافي محمد، ص (١٠١).

(٢) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص (١٣٠).

(٣) جسر منيح قرية في الجزيرة الفراتية، الطبقات، السلمي (١/٣٢١).

(٤) الطبقات، تحقيق السلمي (١/٣٢٣).

(٥) البداية والنهاية (١١/١٣١).

(٦) يقصد الخوارج.

(٧) السنة للخلال تحقيق د. الزهراني، ص (٤٧٤، ٤٧٥) إسناده صحيح.

وبينما الحسن فى المدائن، إذ نادى مناد من أهل العراق إن قيساً قد قتل فسرت
 الفوضى فى الجيش، وعادت إلى أهل العراق طبيعتهم فى عدم الثبات، فاعتدوا
 على سرادق الحسن ونهبوا متاعه حتى أنهم نازعوه بساطاً كان تحته، وطعنوه
 وجرحوه، وهنا حدثت حادثة لها دلالة كبيرة، فقد كان والى المدائن من قبل
 على، سعد بن مسعود الثقفى، فأتاه ابن أخيه المختار بن أبى عبيد بن مسعود،
 وكان شاباً، فقال له: هل لك فى الغنى والشرف؟ قال: وماذا؟ قال: توثق
 الحسن، وتستأمن به إلى معاوية، فقال له عمه: عليك لعنة الله، أثبت على ابن
 بنت رسول الله ﷺ فأوثقه، بئس الرجل أنت^(١)، فلما رأى الحسن صنع أصحابه
 أيقن أنه لا فائدة منهم، ولانصر يرمى على أيديهم، وهذه كانت قناعته من
 البداية^(٢)، فدفعه ذلك إلى قطع خطوات أوسع والاقتراب أكثر من الصلح.

المرحلة السادسة:

تبادل الرسل بين الحسن ومعاوية، ووقوع الصلح بينهما رضوان الله عليهما،
 فقد سجل الإمام البخارى رحمه الله فى صحيحه تلك اللحظات الحرجة من تاريخ
 الأمة المسلمة حين التقى الجمعان، جمع أهل الشام وجمع أهل العراق، وذلك فى
 الرواية التى أخرجها من طريق الحسن البصرى، قال: استقبل - والله - الحسن بن
 على معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إنى لأرى كتائب لا
 تولى حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية - وكان والله خبر الرجلين: أى عمرو،
 وإن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لى بأمور الناس، من لى بنسائهم، من
 لى بضيعتهم^(٣)؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس - عبد الرحمن
 ابن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز فقال: اذهب إلى هذا الرجل فأعرضا عليه
 وقولا له واطلبا إليه. فأتياه، فدخلنا عليه، فتكلما، وقالوا له، وطلبا إليه، فقال

(١) تاريخ الطبرى (١٥٩/٥) نقلاً عن العالم الإسلامى فى العصر الأموى، ص (١٠١).

(٢) العالم الإسلامى فى العصر الأموى، ص (١٠١).

(٣) قال ابن حجر رحمه الله: يشير - يقصد معاوية - إلى أن رجال العسكرين معظم من فى الإقليمين، فإذا
 قتلوا ضاع أمر الناس وفسد حالهم بعدهم وذرايعهم، والمراد بقوله: ضيعتهم: الأطفال والضعفاء وما
 يؤول إليه أمرهم، لأنهم إذا تركوا ضاعوا لعدم استقلالهم بأمر المعاش.

لهما الحسن بن على: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال^(١)، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالوا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لى بهذا؟^(٢) قالوا: نحن لك به^(٣)، فما سألهما إلا قالوا: نحن لك به، فصالحه، فقال الحسن أى البصرى: ولقد سمعت أبا بكر يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر- والحسن بن على إلى جنبه- وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين^(٤)، وقد تحدث ابن حجر رحمه الله عن الفوائد المستنبطة من رواية الصلح فقال:

- ١- وفى هذه القصة من الفوائد علم من أعلام النبوة.
- ٢- ومنقبة للحسن بن على، فإنه ترك الملك لا لقلّة، ولا لذلة، ولا لعة، بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى مصلحة الأمة.
- ٣- وفيها رد على الخوارج الذين كانوا يكفرون عليًا ومن معه، ومعاوية ومن معه، بشهادة النبى ﷺ بالطائفتين بأنهم من المسلمين.
- ٤- وفيها فضيلة الإصلاح بين الناس، ولاسيما فى حقن دماء المسلمين.
- ٥- ودلالة على رأفة معاوية بالرعية، وشفقته على المسلمين، وقوة نظره فى تدبير الملك، ونظره فى العواقب.
- ٦- وفيه ولاية المفضول الخلافة مع وجود الأفضل، لأن الحسن ومعاوية ولى كل منهما الخلافة، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد فى الحياة وهما بدریان.
- ٧- وفيه جواز خلع الخليفة نفسه، إذا رأى فى ذلك صلاحًا للمسلمين، والتزول عن الوظائف الدينية والدنيوية بالمال، وجواز أخذ المال على ذلك

(١) أى فرقنا منه فى حياة على وبعده ما رأينا فى ذلك صلاحه، فنبه على ذلك خشية أن يرجع عليه بما تصرف فيه، الفتح (١٣/٦٩، ٧٠).

(٢) أى من يضمن لى الوفاء من معاوية، الفتح (١٣/٧٠).

(٣) أى نحن نضمن، لأن معاوية كان فوض لهما ذلك الفتح (١٣/٧٠).

(٤) البخارى، رقم (٧١٠٩).

وإعطائه، بعد استيفاء شرائطه، بأن يكون المنزل له أولى من النازل، وأن يكون المبدول من مال البازل، فإن كان في ولاية عامة وكان المبدول من بيت المال اشترط أن تكون المصلحة في ذلك عامة^(١).

كما أخرج ابن سعد - رحمه الله - رواية لا تقل أهمية عن رواية البخاري في الصلح، وتعد مكملة لها، وهي من طريق عمرو بن دينار^(٢): إن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة، فلما توفي على بعث إلى الحسن، فأصلح الذي بينه وبينه سرًا، وأعطاه معاوية عهدًا إن حدث به حدث والحسن حتى لِيَسْمِيَنَّهُ^(٣)، وليجعلن هذا الأمر إليه، فلما توثق منه الحسن، قال ابن جعفر^(٤)، والله إنني لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم فجذب بشوبي وقال: اقعد يا هنا^(٥)، وأجلس، فجلست قال: إنني قد رأيت رأيًا وأحب أن تتابعني عليه قال: قلت: ما هو؟ قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزله وأخلى بين معاوية، وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسقطت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعُطِلَت الفروج - يعني الثغور - فقال ابن جعفر: جزاك الله عن أمة محمد، فأنا معك على هذا الحديث، فقال الحسن: ادع لي الحسين، فبعث إلى الحسين فأتاه فقال: يا أخى قد رأيت رأيًا وإنني أحب أن تتابعني عليه. قال: ما هو؟ قال: فقص عليه الذي قال لابن جعفر قال الحسين: أعيذك بالله أن تكذب عليًا في قبره وتصدق معاوية. قال الحسن: والله ما أردت أمرًا قط إلا خالفتني إلى غيره، والله لقد هممت أن أفذفك في بيت فاطمينة عليك حتى أقضى أمري. قال: فلما رأى الحسين غضبه قال: أنت أكبر ولد علي، وأنت خليفته، أمرنا لأمرك تبع، فافعل ما بدا لك^(٦).

(١) فتح الباري (١٣/٧١، ٧٢).

(٢) عمرو بن دينار المكي الجمحي مولاهم، ثقة ثبت، من الطبقة الرابعة مات ١٢٦ هـ أخرج له الستة التقريب، ص (٤٢١).

(٣) أى يرشحه للخلافة من بعده، وعندما نتعرض لشروط الصلح، بإذن الله، سوف نبين أن الأمر الذى استقر هو أن يكون بعد وفاة معاوية شورى بين المسلمين.

(٤) أى: عبد الله بن جعفر.

(٥) ياهناه: يارجل.

(٦) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٣٠، ٣٣١).

ويلاحظ على روايتي البخارى وابن سعد اتفاقهما على أن معاوية رضى الله عنه كان صاحب المبادرة فى الاتصال بالحسن رضى الله عنه وعرض الصلح عليه^(١).

من المبادر إلى الصلح الحسن أم معاوية؟

وهنا قد يسأل سائل: من المبادر إلى الصلح، أهو الحسن رضى الله عنه الذى ورد حديث الرسول فى الصلح بحقه، والذى كاد أن يقتل فى المحاولة الأولى لاغتياله بسبب شرط البيعة الذى اشترطه على أهل العراق والذى يفهم منه عزمه على صلح معاوية، أم معاوية رضى الله عنه؟

وجواب ذلك: أن الرغبة فى الصلح كانت موجودة لدى الطرفين، فقد سعى الحسن رضى الله عنه إلى الصلح، وخطط له منذ اللحظات الأولى لمبايعته، ثم جاء معاوية فأكمل ما بدأه الحسن، فكان عمل كل واحد منهما مكماً للآخر رضوان الله عليهم أجمعين^(٢)، والقدر المسمى فى السعى فى نجاح الصلح للحسن.

المرحلة السابعة:

محاولة أخرى لاغتيال الحسن رضى الله عنه:

بعد نجاح مفاوضات الصلح بين الحسن ومعاوية رضى الله عنهما، شرع الحسن رضى الله عنه فى تهيئة نفوس أتباعه على تقبل الصلح الذى تم، فقام فيهم خطيباً ليبين لهم ما تم بينه وبين معاوية، وفيما هو يخطب هجم عليه بعض عسكره محاولين قتله، لكن الله سبحانه وتعالى أنجاه كما أنجاه من قبل. وقد أورد البلاذرى خطبة الحسن التى ألقاها فى أتباعه، ومحاولة قتله رضى الله عنه فقال: إني أرجو أن أكون أنصح خلقه لخلقه، وما أنا محتمل على أحد ضغينة، ولا حقداً، ولا مريداً به غائلة، ولا سوءاً، ألا وإن ما تكرهون فى الجماعة خير لكم مما تحبون فى الفرقة، ألا وإنى ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمرى، ولا تردوا علىّ، غفر الله لى ولكم. فنظر بعض الناس إلى بعض وقالوا: عزم والله

(١) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى؛ ص (١٣٨).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٤١).

على صلح معاوية، وضعف وخار، وشدوا على فسطاطه، فدخلوه، انتزعوا مصلاه من تحته، وانهبوا ثيابه، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي جعال الأزدي، فترع مطرفه^(١) من عاتقه، فبقي متقلداً سيفه فدهش ثم رجع ذهنه، فركب فرسه، وأطاف به الناس، فبعضهم يعجزه ويضعفه، وبعضهم ينحى أولئك منه، ويمنعهم منه، وانطلق رجل من بني أسد بن خزيمة من بني نصر بن قعين الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، يقال له: الجراح بن سنان^(٢)، وكان يرى رأى الخوارج، على مظلم ساباط^(٣)، فقعد له فيه ينتظره فلما مر الحسن، ودنا من دابته فأخذ بلجامها، ثم أخرج معولاً^(٤) كان معه وقال: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل، وطعنه بالمعول في أصل فخذه، فشق في فخذه شقاً كاد يصل إلى العظم، وضرب الحسن وجهه، ثم اعتنقا وخرأ إلى الأرض، ووثب عبد الله بن الخضل الطائي^(٥)، فترع المعول من يد الجراح، وأخذ ظبيان بن عمارة التميمي^(٦) بأنفه فقطعه، وضرب بيده إلى قطعة آجرة فشدخ بها وجهه ورأسه حتى مات، وحمل الحسن إلى المدائن . . ثم إن سعد بن مسعود أتى الحسن بطبيب، وقام عليه حتى برئ وحوّله إلى أبيض^(٧) المدائن^(٨).

وقد يعترض بشأن خطبة الحسن رضى الله عنه أنها وردت عند البلاذرى وأبى حنيفة الدينورى قبل صلح الحسن ومعاوية رضى الله عنهما، وجواب ذلك، أن ما ورد فى رواية البخارى من وصف لجيش الحسن، يفيد قوة جيش الحسن وتماسكه

(١) مطرفه أى: رداءه، الفيروزأبادى القاموس المحيط (١٠٧٥).

(٢) الجراح بن سنان الأسدى له سابقة فى الشر، حيث كان من الذين بهتوا سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، وسعوا فى عزله فى الكوفة أيام خلافة عمر، فدعا عليهم سعد، فكان لهم من سوء الخاتمة نصيب، الطبرى (١٤١/٤).

(٣) ساباط المدائن: موضع على الضفة الغربية لنهر دجلة، ومظلم موضع هناك، معجم البلدان (١٦٦/٣) (١٥٢/٥).

(٤) معولاً: حديدة ينقر بها الصخر، القاموس المحيط، ص (١٣٤٠).

(٥) عبد الله بن الخضل الطائي، قال التوابين الذين طالبوا بدم الحسين ٦٥هـ.

(٦) ظبيان بن عمارة، يروى عن على من تابعى أهل الكوفة.

(٧) يسمى القصر الأبيض، يقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، الروض المعطار، ص (٩).

(٨) أنساب الأشراف للبلاذرى مخطوطة نقلاً عن مرويات خلافة معاوية، ص (١٤٢).

مما يعنى أن جيش العراق قد قابل جيش الشام وهو فى أحسن حالاته المادية والمعنوية، وحيث إن جيش أهل العراق قد اضطرب حاله بعد خطبة الحسن فإن هذا يعنى انتفاء مقابلة جيش العراق لجيش الشام بعد الخطبة، لذا فإن الأقرب للواقع أن خطبة الحسن فى معسكره كانت بعد التقاء الجيشين العراقى والشامى، وبعد وقوع الصلح بين الحسن ومعاوية رضى الله عنهما^(١)، هذا بالإضافة إلى أن خطبة الحسن هذه كانت مدخلاً وتمهيداً منه رضى الله عنه لإخبار أتباعه بالصلح الذى تم بينه وبين معاوية، وهذا ما تبينه الروايات التالية:

ما أخرجه ابن سعد من طريق رياح بن الحارث^(٢): إن الحسن بن على قام بعد وفاة على رضى الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن كل ما هو آت قريب، وإن أمر الله واقع، وإن كره الناس، وإنى والله ما أحببت أن ألى من أمر أمة محمد ما يزن مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما يضرنى مما ينفعنى فالحقوا بطيئكم^(٣) (٤)، وقد يقول قائل: إن هذه الرواية قد قيلت فى الكوفة وليست فى المدائن والجواب على ذلك: أن أحمد بن حنبل أخرج الرواية نفسها من طرق رياح بن الحارث وبإسناد صحيح^(٥)، وفيها: أن الناس اجتمعوا إلى الحسن بن على بالمدائن^(٦).. ثم ذكر بقية رواية ابن سعد، وحيث إن هذه الخطبة قد قيلت فى المدائن فإن الأرجح أنها قيلت بعد صلح الحسن مع معاوية -رضى الله عنهما- حيث يرد شأنها ما ورد بشأن خطبة الحسن التى عند البلاذرى. بل لعلها كانت جزءاً من خطبة الحسن التى أوردها البلاذرى وأسفرت عن اضطراب معسكر الحسن.

وقد بقيت الإشارة إلى موقف الحسن رضى الله عنه تجاه ما حصل له فى معسكره وهو ما أخرجه ابن سعد من طريق هلال بن خباب^(٧)، قال: جمع الحسن ابن على رؤوس أصحابه فى قصر المدائن، فقال: يا أهل العراق، لو لم تذهل

(١) مرويات خلافة معاوية، ص (١٤٢).

(٢) رياح بن الحارث النخفى ثقة، التقريب، ص (٢١١).

(٣) بطيئكم: أى بوجهتكم، لسان العرب (٢/١٥).

(٤) الطبقات، تحقيق السلمى (٣١٧/١).

(٥) فضائل الصحابة (٧٧٣/٢).

(٦) المصدر السابق (٧٧٣/٢) إسناد صحيح.

(٧) هلال بن خباب العبدي، صدوق، التقريب، ص (٥٧٥).

نفسى^(١)، عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: مقتلكم أبى، ومطعنكم بغلتى وانتهابكم ثقلى، أو قال: ردائى عن عاتقى، وإنكم قد بايعتمونى أن تسالموا من سالم وتحاربوا من حاربت، وإنى قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا قال: ثم نزل فدخل القصر^(٢).

١- موقف شرطة الخميس من الصلح:

أما موقف شرطة الخميس- وهم مقدمة جيش العراق إلى مسكن- من الصلح، فقد أخرج الحاكم عن أبى الغريف^(٣)، قال: كنا فى مقدمة الحسن بن على اثنى عشر ألفاً، تقطر أسيفنا من الحدة على قتال أهل الشام، وعلينا أبو العمرطة^(٤)، فلما أتانا صلح الحسن بن على ومعاوية كأنما كسرت ظهورنا من الحرد^(٥) والغيط، فلما قدم الحسن بن على على الكوفة، قام إليه رجل منا يكنى أبا عامر سفيان بن الليل^(٦). فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال الحسن: لا تقل ذلك يا أبا عامر، لم أذل المؤمنين، ولكنى كرهت أن أقتلهم فى طلب الملك^(٧). ويبدو أنا أبا العمرطة كان أميراً على مجموعة من جيش الخميس فى المقدمة، وكان فيهم أبو الغريف، لأنه من الثابت أن جيش الخميس كان عليه قيس بن سعد رضى الله عنه، كما أن الروايات الصحيحة لاتذكر أى وجود لعبيد الله بن العباس على جيش الخميس، مما يثير الشك حول وجود عبيد الله بن العباس فى العراق فى هذه الفترة^(٨)، ولايلتفت إلى الروايات الساقطة والموضوعة التى تزعم أن عبيد الله خان الحسن مقابل رشاوى مالية من معاوية.

أما قيس بن سعد فقد تردد فى الدخول فى الصلح، واعتزل بمن أطاعه ثم شرح الله صدره، ودخل فى الصلح وبايع معاوية رضوان الله عليهم أجمعين، وفى

(١) تذهل نفسى: تسلو نفسى، لسان العرب (٢٥٩/١١).

(٢) الطبقات، تحقيق السُّلمى (٣٢٤/١).

(٣) عبيد الله بن خليفة الهمداني الماردى، صدوق، روى بالتشيع، التقريب، ص (٣٧٠).

(٤) اسمه عمير بن يزيد الكندى، شارك فى حركة حجر بن عدى سنة ٥١هـ، تاريخ الطبرى (٢٥٩/٥)، مرويات معاوية، ص (١٤٦).

(٥) الحرد: الغضب، القاموس المحيط، ص (٣٥٣).

(٦) من الذين شاركوا المختار الثقفى فى الطلب بدم الحسين ٦٦ هـ.

(٧) المستدرك (١٧٥/٣).

(٨) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (١١٤).

الروايات التالية بيان موقف قيس حين جاءه خبر الصلح، أخرج ابن حجر من طريق حبيب بن أبي ثابت^(١)، أنه قال: فبعث الحسن بالبيعة إلى معاوية، فكتب بذلك الحسن إلى قيس بن سعد، فقال قيس بن سعد فى أصحابه فقال: يا أيها الناس، أتاكم أمران، لا بد لكم من أحدهما: دخول فى الفتنة، أو قتل مع غير إمام، فقال الناس: ما هذا؟ فقال: الحسن بن على قد أعطى البيعة معاوية، فرجع الناس، فبايعوا معاوية^(٢).

تشير الرواية السابقة إلى دخول قسم كبير من شرطة الخميس فى الصلح فور سماعهم نبأ وقوع الصلح بين الحسن ومعاوية رضى الله عنهم، ولكنها لا تذكر دخول قائدهم قيس بن سعد فى الصلح، وقد أشار ابن كثير رحمه الله إلى ذلك بقوله: وبعث الحسن بن على إلى أمير المقدمة قيس بن سعد أن يسمع ويطيع، فأبى قيس بن سعد قبول ذلك، وخرج من طاعتهما جميعاً، واعتزل بمن أطاعه، ثم راجع الأمر، فبايع معاوية^(٣)، كما تحدث ابن أبى شيبه عن موقف قيس بن سعد رضى الله عنه - ومن تابعه من شرطة الخميس - من الصلح: فقال: عن هشام ابن عروة عن أبيه، قال: كان قيس بن سعد بن عباد مع الحسن بن على رضى الله عنه على مقدمته، ومعه خمسة آلاف قد حلّقوا رؤوسهم بعدما مات على بن أبى طالب رضى الله عنه، وتبايعوا على الموت، فلما دخل الحسن فى بيعة معاوية أبى قيس أن يدخل، وقال لأصحابه: ما شئتم، إن شئتم جالدت بكم حتى يموت الأعجل منا، وإن شئتم أخذت لكم أماناً، فقالوا: خذ لنا أماناً، فأخذ لهم كذا وكذا، ألا يعاقبوا بشيء، وأنه رجل منهم، ولم يأخذ لنفسه خاصة شيئاً فلما ارتحل نحو المدينة ومضى بأصحابه جعل ينحر لهم كل يوم جزوراً حتى بلغ^(٤)، وفى الرواية السابقة - على ما فيها من تقديم وتأخير فى تسلسل الأحداث - إشارة لعدد الذين تابعوا قيساً من المجموع الكلى لتعداد شرطة الخميس الذى هو اثنا عشر ألفاً^(٥).

(١) حبيب بن أبى ثابت بن دينار الأسدى، التقريب، ص (١٥٠).

(٢) المطالب العلية (٤/٣١٧-٣١٩) هذا الإسناد صحيح.

(٣)، (٤) البداية والنهاية (٨/١٦).

(٥) مصنف ابن أبى شيبه (٧/٤٧٢).

٢- مواقف أمراء على رضى الله عنه من الصلح:

اتسمت مواقف أمراء على رضى الله عنه من الصلح بالتباين والتفاوت، حيث قبله بعضهم وكرهه بعضهم الآخر، وفيما يلي تبيان لتلك المواقف:

أ- موقف القبول والاستحسان، ويأتى فى مقدمة هؤلاء عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه.

ب- موقف الرفض ثم القبول، ويأتى فى مقدمة هؤلاء قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه، وزيد بن أبيه.

ج - وهناك فريق ثالث دخل فى الصلح وهو كاره له، هؤلاء ينقسمون إلى قسمين.

- قسم يرى أن الصلح ملزم له فى ظل حياة الحسن رضى الله عنه فقط، ويمثل هؤلاء حجر بن عدى رضى الله عنه.

- قسم يرى أن الصلح ملزم له فى ظل حياة الحسن ومعاوية رضى الله عنه، أو الآخر موتاً منهما، ويمثل هؤلاء الحسين بن على رضى الله عنهما.

المرحلة الثامنة:

تنازل الحسن بن على عن الخلافة وتسليمه الأمر إلى معاوية رضوان الله عليهم أجمعين.

بعد أن أنجى الله سبحانه وتعالى الحسن بن على من الفتنة التى وقعت فى معسكره، ترك المدائن وسار إلى الكوفة، وقد تحدث البلاذرى عن مسير الحسن إلى الكوفة، فقال : قالوا: ولما أراد الحسن المسير من المدائن إلى الكوفة، حين جاءه ابن عامر^(١)، وابن سمرة^(٢) بكتاب الصلح، وقد أعطاه فيه معاوية ما أراد خطب فقال فى خطبته: وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً، وسار إلى الكوفة^(٣)، بعد ذلك سار معاوية رضى الله عنه من مسكن إلى النخيلة^(٤)، وفى

(١) هو عبد الله بن عامر رضى الله عنه.

(٢) هو عبد الرحمن بن سمرة.

(٣) أنساب الأشراف مخطوط، ص (٤٤٧) نقلاً عن مرويات معاوية، ص (١٥٠).

(٤) النخيلة موضع قرب الكوفة على سمت الشام، معجم البلدان (٥/٢٧٨).

ذلك يقول البلاذري: قالوا: وشخص معاوية من مسكن إلى الكوفة ونزل بين النخيلة ودار الرزق^(١)، ثم خرج الحسن رضى الله عنه من الكوفة إلى النخيلة ليقابل معاوية رضى الله عنه ويسلم الأمر له، فعن مجالد^(٢)، عن الشعبي^(٣)، قال: شهدت الحسن بن علي رضى الله عنه بالنخيلة حين صالحه معاوية رضى الله عنه، فقال معاوية: إذا كان ذا فقم فكلّم وأخبر الناس أنك قد سلمت هذا الأمر لى، وربما قال: أخبر الناس بهذا الأمر الذى تركته لى - فقام فخطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه - قال الشعبي: وأنا أسمع - ثم قال: أما بعد فإن أكيس الكيس التقى، وإن أحقق الحقم الفجور، وإن هذا الأمر الذى اختلفت فيه أنا ومعاوية إما كان حقاً لى تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم، أو يكون حقاً كان لامرئى كان أحق به منى ففعلت ذلك ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٥) [الأنبياء: ١١١]. كما أخرج هذه الرواية ابن سعد^(٦)، والحاكم^(٧)، وأبو نعيم الأصفهاني^(٨)، والبيهقى^(٩)، وابن عبد البر^(١٠)، كلهم بنحو رواية الطبرانى من طريق الشعبي، كذلك أخرج رواية البيعة أحمد بن حنبل من طريق أنس بن سيرين، قال: قال الحسن بن علي يوم كلم معاوية: ما بين جابلص^(١١) وجابلق رجل جده نبي غيرى، وإنى رأيت أن أصلح بين أمة محمد ﷺ، وكنت أحققهم بذلك، ألا إنا قد بايعنا معاوية ولا أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين^(١٢).

(١) أنساب الأشراف نقلاً عن معاوية، ص (١٥٠).

(٢) مجالد بن سعيد الهمداني، فيه كلام.

(٣) عامر الشعبي ثقة.

(٤) أكيس: أعقل، والكيس العقل لسان العرب (٢٠١/١٦).

(٥) المعجم الكبير (٢٦/٣) إسناده حسن.

(٦) الطبقات، تحقيق السلمى (٣٢٩/١).

(٧) المستدرك (١٧٥/٣).

(٨) حلية الأولياء (٣٧/٢).

(٩) دلائل النبوة (٤٤٤/٦).

(١٠) الاستيعاب (٣٨٨/١، ٣٨٩).

(١١) جابلص وجابلق مدينتان، إحداهما بالشرق والأخرى بالمغرب.

(١٢) فضائل الصحابة (٧٦٩/٢) إسناده صحيح.

وجاء فى رواية ابن سعد من طريق عمرو بن دينار، وفيها فقال الحسن: أيها الناس، إني كنت أكره الناس لأول هذا الحديث، وأنا أصلحت آخره لذي حق أدبت إليه حقه أحق به مني، أو حق جدت به لصالح أمة محمد، وإن الله قد ولاك يا معاوية هذا الحديث خير يعلمه عندك أو لشر يعلمه فيك ﴿وَأَنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ثم نزل وأما الرواية التي تشير إلى أن عمرو بن العاص وأبو الأعور السلمى قالوا لمعاوية لما بايع الحسن بن علي معاوية: لو أمرت الحسن فصعد المنبر فتكلم عني^(١) عن المنطق فيزهد فيه الناس، فقال معاوية: لا تفعلوا فوالله لقد رأيت رسول الله ﷺ يمص لسانه وشفته ولن يعي لسان مصه النبي ﷺ أو شفتان، فأبوا على معاوية فصعد الحسن المنبر فحمد الله وأثنى عليه. . . فهذه رواية باطلة من حيث الإسناد والمتن، فإسنادها ضعيف وممتنها منكر،^(٢) وليس معاوية بمن يجهل القدرات البلاغية والخطابية للحسن.

وجاء فى رواية البلاذرى أن الحسن دخل بقيس على معاوية لبايعه، فعن جرير ابن حازم، قال: سمعت محمد بن سيرين يقول: لما بايع الحسن معاوية، ركب الحسن إليه إلى عسكره، وأردف قيس بن سعد بن عبادة خلفه، فلما دخلا المعسكر، قال الناس: جاء قيس، جاء قيس، فلما دخلا على معاوية، بايعه الحسن، ثم قال لقيس: بايع. فقال قيس بيده: هكذا، وجعلها فى حجره ولم يرفعها إلى معاوية، ومعاوية على السرير، فبرك معاوية على ركبتيه، ومدّ يده حتى مسح على يد قيس، وهى فى حجره قال - جرير بن حازم - وحكى لنا محمد بن سيرين صنيعه، وجعل يضحك وكان قيس رجلاً جسيماً^(٣).

وبتنازل الحسن بن علي عن الخلافة ومبايعته رضوان الله عليهم أجمعين تنتهى بذلك فترة خلافة النبوة وهى ثلاثون سنة والحجة فى ذلك قول الرسول ﷺ: خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله الملك، أو ملكه من يشاء^(٤)، وقال ﷺ:

(١) عبي: العى: خلاف البيان، وعبي فى المنطق عيا أى حصر فى الكلام فلم يستطع البيان، لسان العرب (١١٣، ١١٢/٥).

(٢) الطبقات، تحقيق السلمى (٣٢٥/١) إسناده ضعيف ومتمنه منكر.

(٣) أنساب الإشراف نقلاً عن مرويات خلافة معاوية، ص (١٥٤)، إسناده صحيح.

(٤) سنن أبى داود مع شرح عون المعبود (٢٥٩/١٢) صحيح سنن أبى داود، الألبانى (٨٧٩/٣).

الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك^(١)، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على، فإنه نزل على الخلافة لمعاوية فى ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفى فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وتسليماً^(٢)، وبذلك يكون الحسن بن على رضى الله عنه خامس الخلفاء الراشدين^(٣).

- أهم أسباب ودوافع الصلح:

كانت هناك عوامل وأسباب متعددة ساهمت فى دفع أمير المؤمنين الحسن للصلح مع معاوية رضى الله عنه فمنها:

أولاً: الرغبة فيما عند الله وإرادة صلاح هذه الأمة:

قال الحسن بن على رضى الله عنهما ردّاً على نفير الحضرمى عندما قال له: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة. فقال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالت، ويحاربون من حاربت، فتركها ابتغاء وجه الله^(٤)، وقال فى خطبته التى تنازل فيها لمعاوية: .. إما كان حقاً لى تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة^(٥).

إن استحضار الحسن رضى الله عنه وإرادة وجه الله وتقدير ذلك، والحرص على إصلاح ذات البين من أسباب الصلح ودوافعه عند الحسن بن على رضى الله عنه، فمكانة الصلح فى الإسلام عظيمة، وهو من أجل الأخلاق الاجتماعية، إذ به يرفع الخلاف وينهى المنازعة التى تنشأ بين المتعاملين مادياً أو اجتماعياً، ويعود بسببه الود والإخاء بين المتنازعين لكونه يرضى طرفى النزاع ويقطع دابر الخصام، ولذلك كان الصلح من أسمى المطالب الشرعية لتتحقق به الأخوة التى ينشدها لهم ويصفهم بها، كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ﴾

(١) سنن الترمذى مع شرحها تحفة الأحوذى (٦/٣٩٥ - ٣٩٧) قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) البداية والنهاية (٦/٨).

(٣) مآثر الإنافة (١/١٠٥) للقلقشندي مرويَات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (١٥٥).

(٤) البداية والنهاية (١١/٢٠٦).

(٥) المعجم الكبير للطبرانى (٣/٢٦) إسناده حسن.

[الحجرات ١٠] وهى الأخوة التى يذهبها الخلاف والتنازع فيما بينهم^(١) ولذلك اعتنى القرآن الكريم بالصلح كثيراً، أمراً به، وترغيباً فيه، وتنويعاً به وبأهله، وإليك البيان.

١- الأمر بالإصلاح:

ففى مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَاتِلُوا آلَئِى تَبْغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠] فترى أن الله تعالى أمر عباده بأن يصلحوا ذات بينهم لما بينهم من الإخاء كما صرح به فى آية الحجرات حيث قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذ بينت هذه الآية علّة الأمر بالإصلاح بين المؤمنين بصيغة القصر، المفيدة لحصر حالهم فى حال الأخوة، مبالغة فى تقرير هذا الحكم بين المسلمين، لما بينهم من انتساب إلى أصل واحد وهو الإيمان الذى هو منشأ البقاء الأبدى فى الجنات، فأشارت جملة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ إلى وجوب الإصلاح بين المؤمنين ومن هذه الأوامر القرآنية يُعلم أن الإصلاح بين الناس ليس من نافلة القول، بل هو تكليف إلهى للقادرين عليه، حتى لا تفسد أواصر الأخوة الإيمانية بين المؤمنين، وهو مع ذلك من التعاون على البر والتقوى، ومن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذين أمر الله تعالى بهما فى غير آية، ومعلوم أن هذا من الواجبات الشرعية التكليفية على المؤمنين فى علاقتهم الاجتماعية، فكل هذه الأمور تحتم على المسلم القيام بالإصلاح بين المسلمين بل وبين الناس عامة، ولتستقر الحياة الاجتماعية عامرة بالود والإخاء^(٢)، كانت هذه الأوامر دافعة للحسن بن على رضى الله عنه للسعى فى الإصلاح.

(١) أخلاق النبى ﷺ فى القرآن والسنة (٢/ ٩٦٩).

(٢) أخلاق النبى ﷺ فى القرآن والسنة (٢/ ٩٧١).

٢- الترغيب فى القيام بالإصلاح:

ولقد رتب الله تعالى على القيام به فضلاً كبيراً وأجرًا عظيمًا، يناله القائم بذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى كما قال الله جل شأنه: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]. ووعد القائمين به مغفرة ورحمة، كما يفيدته قول الله جل ذكره: ﴿وَإِن تَصْلَحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩] فإن فى هذه الآية إشارة إلى مغفرة الله ورحمته للمصلحين، كما أذن به ختم الآية بصفى المغفرة والرحمة لله سبحانه وتعالى^(١)، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٢]، فإن فيها من الإشارة إلى مغفرته ورحمته سبحانه للمصلح ما فى سابقتها، بدلالة نفى الإثم، وتذليلها بصفى المغفرة والرحمة، وهى إشارة جلية^(٢) وقد وصف سبحانه نفسه بقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

٣- التنويه بالصالح والقائمين عليه:

وتكرار هذا الوعد يدل على علو شأن الإصلاح بين الناس عند الله تعالى، ولذلك أجزل للقائم به تلك المثوبة الكريمة والأجر العظيم، وقد دل على ذلك أيضاً تنويه الله تعالى به بمثل قوله سبحانه: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨] فإن وصفه بالخيرية دليل على علو منزلته عند الله تعالى، وذلك لما له من عظيم الأثر فى إصلاح ذات البين بين الناس، الذى طالما تشوف الشارع الحكيم إليه فى المجتمعات الإنسانية، ولما له من دلالة على كريم أخلاق القائم به أو الراضى عنه، ولهذا كان من أبرز أخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام كما قال الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، كما قال على لسان موسى وهو يخاطب أخاه هارون رضى الله عنه: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] إلى غير ذلك من الآيات، والإصلاح فى

(١)، (٢) أخلاق النبى ﷺ فى القرآن والسنة (٢/ ٩٧١).

مثل هاتين الآيتين عام فيشمل الإصلاح في الدين والدنيا، ومنه الإصلاح بين الناس عند حدوث المقتضى لذلك من نزاع ونحوه لا يخلو منه مجتمع من المجتمعات البشرية^(١). فهذا المقصد القرآني الكريم، كان دافعاً للحسن بن على في الصلح، وقد تتبع خطوات جده ﷺ في الحرص على الصلح، فقد كان النبي ﷺ يجهد نفسه في الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فقد حدث ذات يوم أن أهل قباء اقتتلوا^(٢) حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: اذهبوا بنا نصلح بينهم^(٣)، فانظر كيف أن النبي ﷺ لم يتوان عن الذهاب للإصلاح بين المسلمين حينما بدر الشقاق بينهم ليحسم الخلاف، ويعيد الوئام قبل أن يستفحل الأمر ويتسع الخرق على الرافق^(٤).

ولأهمية الصلح بين الناس وفضله أجاز الإسلام الكذب فيه إذا كان القصد من ذلك الإصلاح بين المتخاصمين، فقد قال ﷺ: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيراً^(٥)، وقال رسول الله ﷺ: لا يحل الكذب إلا في ثلاث: الرجل يحدث امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس^(٦)، وما ذلك إلا لعظم خطر الخلاف بين المسلمين وفساد ذات بينهم كما بينه ﷺ: إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة^(٧) أى: الخصلة التي من شأنها أن تحلق، أراد أنها خصلة سوء تذهب الدين كما تذهب موسى الشعر^(٨)، ولقد بين عليه الصلاة والسلام ما للصلح من أجر عظيم بقوله: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يارسول الله قال: إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة^(٩). ولذلك كان من أملة الكبير ورجائه العظيم في

(١) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (٩٧١/٢).

(٢) أى: فعلوا فعلاً يؤدي بهم إلى القتل من مضاربة بالأيدي والعصى.

(٣) البخارى، ك الصلح، رقم (٢٦٩٠).

(٤) أخلاق النبي ﷺ في ضوء القرآن والسنة (٩٧٩/٢).

(٥) البخارى، ك الأدب، رقم (٤٩٠٠).

(٦) سنن أبى داود مع عون المعبود (٢٦٣/١٣)، رقم (٤٩٠٠).

(٧) سنن الترمذى، رقم (٢٥٠٨) قال عنه الترمذى: صحيح غريب من هذا الوجه.

(٨) جامع الأصول لابن الأثير (٦٦٨/٦).

(٩) سنن الترمذى، رقم (٢٥٠٩) وقال الترمذى: حديث صحيح.

نسله المبارك الحسن السبط - رضى الله عنه - أن يصلح الله به فساد ذات البين الذى أعلمه الله بحدوثه فى أمته بعد وفاته، فمن حديث أبى بكره رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، والحسن بن على إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: إن بنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين^(١)، فرغبة الحسن بن على رضى الله عنه فى الأجر والثوبة وإرادته للإصلاح دفعته لهذا الصلح المبارك.

ثانياً: إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين:

إن دعوة الرسول ﷺ بأن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين دفعت الحسن إلى التخطيط والاستعداد النفسى للصلح والتغلب على العوائق التى فى الطريق، فقد كان هذا الحديث الكلمة الموجهة الرائدة للحسن فى اتجاهاته وتصرفاته ومنهج حياته، فقد حلت فى قرارة نفسه واستولت على مشاعره وأحاسيسه واختلطت بلحمه ودمه، ومن خلال هذا التوجيه واستيعابه وفهمه له بنى مشروعه الإصلاحى، وقسم مراحلها وكان متيقناً من نتائجها، فالحديث النبوى كان دافعاً أساسياً وسبباً مركزياً فى اندفاع الحسن للإصلاح.

ثالثاً: حقن دماء المسلمين:

قال الحسن رضى الله عنه: .. خشيت أن يجرى يوم القيامة سبعون ألفاً، أو أكثر أو أقل، كلهم تنضح أوداجهم دماً، كلهم يستعدى الله فيما هُريق دمه^(٢)؟ وقال رضى الله عنه: ألا إن أمر الله واقع إذ ليس له دافع وإن كره الناس، إني ما أحببت أن لى من أمة محمد مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما ينفعنى مما يضرنى ألحقوا بطيئكم^(٣) (٤)، وقال فى خطبته التى تنازل فيها لمعاوية عن الخلافة وتسليمه الأمر إليه: .. إما كان حقاً لى تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم^(٥).

(١) البخارى، رقم (٧١٠٩).

(٢) البداية والنهاية (٢٠٦/١١).

(٣) بطيئكم: جهنكم ونواحيكم.

(٤) تاريخ دمشق (٨٩/١٤).

(٥) المعجم الكبير للطبرانى (٢٦/٣) إسناده حسن.

تلحظ من كلام سيدنا الحسن رضى الله عنه شدة خوفه من الله تعالى ذلك الخوف الذى دفعه إلى الصلح، وقد مدح الله أنبياءه عليهم السلام وأوليائه بمخافتهم الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١] فالخوف المحمود من الله يحث على العلم، ويكدر جميع الشهوات، ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا، ويدعوه إلى التجافى عن دار الغرور، دون الحديث النفسى الذى لا يؤثر فى الكف عن المعاصى والحث على فعل الطاعات، ودون الوصول إلى اليأس الموجب للقنوط^(١). فالحسن بن على رضى الله عنه أراد أن يحقن دماء المسلمين قربة إلى الله عز وجل، وخشى على نفسه من حساب الله يوم القيامة فى أمر الدماء، ولو أدى به الأمر إلى ترك الخلافة، فكان ذلك دافعاً له نحو الصلح، فالحسن بن على رضى الله عنه يعلم خطورة سفك الدماء بين المسلمين، لأن ذلك من أخطر الأمور التى تهز كيان البشرية، ولذلك ورد تحريمه والوعيد عليه، وتحديد عقوبته فى كثير من نصوص الكتاب والسنة، والقتل أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة مما يدل على عظم شأن قتل النفس والاعتداء على حرمة الإنسان، فقد روى البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: أول ما يقضى بين الناس فى الدماء^(٢)، فأمر الدماء عظيم يوم القيامة، والعمل على حفظها فى الدنيا من مقاصد الشريعة ولذلك حرص الحسن على الصلح حفظاً لدماء المسلمين، لقد عنيت الشريعة الإسلامية التى فهمها واستوعبها الحسن -رضى الله عنه- بالنفس عناية فائقة، فشرعت من الأحكام ما يجلب المصالح لها، ويدفع المفسد عنها، وذلك مبالغة فى حفظها وصيانتها، ودرء الاعتداء عليها لأنه بتعرض الأنفس للضياح والهلاك يُفقد المكلف الذى يتعبد الله سبحانه وتعالى وذلك بدوره يؤدى إلى ضياح الدين، والمقصود من الأنفس التى عنيت الشريعة بحفظها هى الأنفس المعصومة بالإسلام الجزية أو الأمان^(٣)، ولهذا لما قيل للحسن من بعض المعترضين

(١) جامع العلوم والحكم، ص (٣٦٣)، الإيمان أولاً، ص (١١٧).

(٢) البخارى، ك الديات، رقم (٦٨٦٤).

(٣) روضة الطالبين (١٤٨/٩)، مقاصد الشريعة لليوبى، ص (٢١١).

على الصلح: يا عار المؤمنين! قال: للعار خير من النار^(١)، وفي رواية ابن سعد: إنني اخترت العار على النار^(٢)، ونلاحظ أن الحسن بن علي كان يناقش أتباعه ويبين لهم دوافعه ويرتقى بهم نحو قناعته، ولم يكن ممن تقوده الجماهير، وهمه ما يطلبه المستمعون، وإنما شق طريقه وفق تصوراته وفهمه لحقائق الأمور، ونأى بنفسه أن يتأثر بضغط عوام الناس مادامت الخطوات التي يسير بها فيها رضا الله، ومصلحة المسلمين، وهذا درس كبير لكثير من القيادات الإسلامية، في كون القائد هو الذي يقود عامة الناس ويرتقى بهم نحو أهدافهم، وفي مثل ظروف الحسن عادة يكون الزعماء بين أمور:

أ- ما تطلبه الجماهير.

ب- من لا يهتم ولا يرد على أحد.

ج- عمل الصواب والحق والارتقاء بالجماهير. ونرى الحسن بن علي اختار الطريق الثالث وهو عمل الصواب والحق والارتقاء بالجماهير نحو الأهداف السامية التي رسمها، ولذلك قام بتقديم رؤية واضحة وخطوات تنفيذية عبر مراحل وتمهيدات ووضع شروط وتغلب على العوائق، واهتم بإقناع المخالفين لوجهة نظره وهذا هو الصواب والله أعلم.

رابعاً: حرصه على وحدة الأمة:

قام الحسن بن علي خطيباً رضى الله عنه في إحدى مراحل الصلح فقال: أيها الناس، إنني قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضعيفة^(٣)، وإنني ناظر لكم كنظري لنفسى، وأرى رأياً فلا تردوا على رأيي، إن الذي تكرهون من الجماعة أفضل مما تحبون من الفرقة^(٤). وقد تحقق بفضل الله ثم حرص الحسن على وحدة الأمة ذلك المقصد العظيم، فقد ارتأى رضى الله عنه أن يتنازل عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين، وتجنباً للمفاسد العظيمة التي ستلحق الأمة كلها في المال إذا بقى

(١) تاريخ دمشق (١٤/٨٨).

(٢) الطبقات، تحقيق السلمى (١/٣٢٩) إسناده ضعيف جداً.

(٣) الضعيفة: الحقد.

(٤) الأخبار الطوال، ص (٢٠٠).

مصرّاً على موقفه، من استمرار الفتنة، وسفك الدماء، وقطع الأرحام، واضطراب السبل، وتعطيل الثغور وغيرها، وقد تحققت - بحمد الله - وحدة الأمة بتنازله عن عرض زائل من أعراض الدنيا حتى سمي ذلك العام عام الجماعة^(١). وهذا يدل على فقه الحسن في معرفته لاعتبار المآلات ومراعاته نتائج التصرفات، ولهذا الفقه مظهره في كتاب الله وشواهد، فقد رتب المولى عز وجل الحكم على مقتضى النتائج والشواهد ومثال ذلك:

١ - النهي عن سب المشركين:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. رغم أن سب آلهة المشركين أمر جائز لما فيه من إهانة الباطل ونصرة الحق إلا أن الشارع الحكيم لم يقف نظره واعتباره عند هذه الغاية القريبة، بل نظر إلى نتيجة هذا العمل المشروع، وما سينجر عنه من آثار غير مشروعة، ثم قضى بعدم سب آلهة المشركين سداً لذريعة سبهم لله تعالى انتقاماً لآلهتهم، وانتصاراً لباطلهم، إذ إن المصلحة التي ستحصل من إهانة آلهتهم أهون بكثير من مفسدة سبهم لرب العالمين؛ والمفسدة إذا أُرِبت على المصلحة قدم درء المفسدة على جلب المصلحة^(٢).

٢ - النهي عن الجهر والمخافة في القراءة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] حيث نهى المولى عز وجل نبيه ﷺ عن الجهر بالقراءة في الصلاة؛ التفافاً إلى مآل ذلك إذا سمع المشركون قراءته؛ فيحملهم ذلك على سب الله تعالى وشتم دينه وكلامه^(٣)، يقول ابن عباس رضى الله عنهما في سبب نزول هذه الآية: إن الكفار - يعنى بمكة حين كان ﷺ - مختلفياً - كانوا إذا سمعوا القرآن سبوه ومن أنزله، ومن جاء به؛ فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾

(١) اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، ص (١٦٧).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٢٤).

(٣) المصدر نفسه، ص (١٢٥).

أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا يسمعون، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١).

٣- خرق الخضر للسفينة:

قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]. الاعتداء على ملك الغير بغير حق من الأمور المحظورة على وجه القطع فى الشرع، لكننا رأينا الخضر عليه السلام يهوى على السفينة بالخرق الذى هو فى ظاهر الحال تعيب، وإلحاق الخسارة بأهلها، ولما أنكر عليه موسى عليه السلام فعله، وقرره بالجميل الذى أسداه إليهما أهل السفينة حين أركبوهما بغير أجر؛ بين له أن المفسدة لم ترتكب إلا لما فيها من دفع مفسدة أعظم وهى غصب السفينة وذهابها جملة؛ حيث إن وراءهم ملكاً يأخذ كل سفينة سالمة من العيوب غصباً، ولا شك أن ارتكاب ضرر يسير فى الحال إذا كان فيه دفع لمفسدة أعظم فى المال، يعتبر أمراً محموداً، والشرعية جارية على ملاحظة النتائج ودفع المفاسد العظيمة المتوقعة فى الآجل، حتى وإن كان ذلك بارتكاب مفاسد أقل منها فى الحال، ثم إن مفسدة خرق السفينة وتعييبها يمكن تداركها بالإصلاح، بينما ذهاب ذات السفينة إذا تحقق؛ لم يتعلق بعودتها أمل (٢).

٤- ومن مظاهر اعتبار المال فى السنة النبوية وشواهده، دفع أعظم المفسدتين بأدناهما، منها كالامتناع عن قتل المنافقين، فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: كنا فى غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصارى: يا للأنصار وقال المهاجرى: يا للمهاجرين؛ فسمعها رسول الله ﷺ قال: ما هذا؟ فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصارى: يا للأنصار؛ وقال المهاجرى: يا للمهاجرين؛ فقال النبى ﷺ: دعوها فإنها متنتة، قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبى ﷺ أكثر، ثم كثر المهاجرون بعد؛ فقال عبد الله بن أبى: أو قد فعلوا؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال

(١) أسباب النزول للواحدي، ص (٢٢٣، ٢٢٤).

(٢) اعتبار المآلات، ص (١٢٦).

عمر بن الخطاب رضى الله عنه: دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق؛ قال النبى ﷺ: دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه^(١)، إن قتل المنافقين واستئصالهم فيه مصلحة ظاهرة للمسلمين، وتطهير لصفهم من أن تندس إليه عناصر التخذيل والإفساد؛ لكن لما كان فى ذلك هز الثقة بالمسلمين وزرع لقالة السوء عنهم بحيث ينتشر فى الناس أن النبى ﷺ يعامل الذين يعتقدون دينه بالقتل والتصفية الجسدية، فإن الأمر يتغير، وأصبح التغاضى عن قتلهم مصلحة أعلى وأولى من المصالح الأخرى التى تتأتى من استئصالهم، ورغم أن بقاء المنافقين فيه من المفسدات المحققة ما لا ينكره عاقل، إلا أن فى القضاء عليهم مفسدة تفوق مفسدة بقائهم؛ لذا اقتضت حكمة المصطفى ﷺ أن تدفع المفسدة العظمى بالمفسدة الصغرى^(٢).

ومن هدى النبى ﷺ فى اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، ترك تجديد الكعبة على قواعد إبراهيم وهو ما ثبت من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: لولا حدائة عهد قومك بالكفر، لنقضت الكعبة وجعلتها على أساس إبراهيم، فإن قريشاً حين بنت البيت استقصرت؛ وجعلت لها خلفاً^(٣). لما كانت الكعبة المشرفة تمثل مهوى أفئدة المؤمنين، ومجلى تاريخ النبواب الأولى، كان الأصل أن تبقى على ما تركها عليه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، لكن قريشاً حين أرادت تجديد بنائها فى الجاهلية؛ لم يكن معها من المال الحلال ما يكفى لإعادة البناء إلى ما كان عليه، فانتهت لها الاستطاعة إلى تشييدها على النحو الذى كانت عليه فى عهد المصطفى، وقد كانت نفس النبى ﷺ تستشرف إلى تدارك ما قصرت عنه نفقة قريش، غير أنه ترك المصلحة المحققة فى إعادة بناء البيت على قواعده الأصلية التى أسسها إبراهيم عليه السلام، خشية اهتزاز حرمة البيت من النفوس، وخوف نفور الناس من الإسلام لاعتقادهم أن ذلك جرأة على الكعبة واعتداء على حرمتها^(٤).

(١) البخارى، التفسير، رقم (٤٩٠٥).

(٢) اعتبار المآلات، ص (١٣٨، ١٣٩).

(٣) البخارى، ك الحج، رقم (١٥٨٥).

(٤) اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، ص (١٤٨، ١٤٩).

إن الحسن بن علي رضي الله عنه في فهمه العميق لفقه اعتبار المآلات ومراعاة التصرفات، كان نتيجة طبيعة لتربيته على القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين، فقد كان مستوعباً لمقاصد الشريعة قادراً على التطبيق بين هدى الشريعة والواقع الفعلي الذي عاشه، فكانت اجتهاداته فريدة، في مجال السياسة الشرعية، فتحت للمسلمين آفاق رحبة في تحقيق وحدة الأمة وتلاحم صفها، وقوة شوكتها، وإعادة دورها الحضاري، وهذا الفقه الدقيق والفهم العميق نحن في أشد الحاجة لفهمه والعمل به في حياتنا المعاصرة. فالحسن بن علي يعلمنا أصلاً عظيماً من أعظم أصول الإسلام؛ المحافظة على الجماعة؛ وهو الاعتصام بحبل الله جميعاً وأن لا ينفرقوا، وهو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية رسول الله ﷺ في مواطن عامة وخاصة^(١). فقد قام الحسن بن علي بمحاربة التفرق والاختلاف، وعمل بالتوجيهات القرآنية الهادفة لتوحيد الأمة قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون (١٠٣) ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (١٠٤) ولا تكونوا كالألذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم (١٠٥) يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٦].

خامساً: مقتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

ومن الأسباب التي دعت أمير المؤمنين الحسن بن علي إلى الصلح ما رُوع به من مقتل أبيه، فقد ترك ذلك فراغاً كبيراً في جبهة العراق وأثر اغتياله على نفسية الحسن رضي الله عنه فترك فيها حزناً وأسى شديداً، فقد قتل هذا الإمام العظيم بدون وجه حق، ولم يرع الخوارج سابقته في الإسلام ولا فضائله العظيمة، ولا

(٢) رسالة الألفة بين المسلمين، لابن تيمية، ص (٢٧).

خدماته الجليلة التي قدمها للإسلام، فقد كانت حياته حافلة بالقيم والمثل والعمل على تكريس أحكام الشريعة على مستوى الدولة والشعب، لقد كان على رضى الله عنه معلماً من معالم الهدى وفارقاً بين الحق والباطل، فكان من الطبيعي أن يتأثر المسلمون لفقده ويشعروا بالفراغ الكبير الذي تركه، فقد كان وقع مصيبة مقتله على المسلمين عظيماً، فجللهم الحزن، وفاضت مآقيهم بالدموع، ولهجت ألسنتهم بالثناء والترحم عليه رضى الله عليه، وكان مقتله سبباً في تزهيد الحسن في أهل العراق أولئك الذين غمرتهم مكارم أخلاق أمير المؤمنين. وشرف صحبته فأصلتهم الفتن والأطماع، وانحرفوا عن الصراط المستقيم، ونستثنى من أولئك الصادقين المخلصين لدينهم وخليفتهم الراحل العظيم رضى الله عنه وأرضاه، فقد كان مقتله ضربة قوية وجهت لعهد الخلافة الراشدة وكانت من أسباب زوالها فيما بعد.

سادساً: شخصية معاوية رضى الله عنه:

إن تسليم الحسن بن علي الخلافة إلى معاوية مع أن معه أكثر من أربعين ألفاً يبيعوه على الموت، فلو لم يكن أهلاً لها لما سلمها السبط الطيب إليه، ولحاربه^(١)، فمعاوية رضى الله عنه لم يتزعم أهل الشام من فراغ، فقد ذكر المترجمون لهذا الصحابي الكريم فضائل جمّة، وإليك شيئاً منها:

١ - من القرآن الكريم:

اشترك معاوية رضى الله عنه في غزوة حنين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

ومعاوية رضى الله عنه من الذين شهدوا غزوة حنين، وكان من المؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم مع النبي ﷺ^(٢).

٢ - من السنة:

دعاء الرسول ﷺ لمعاوية رضى الله عنه، ومن ذلك قوله ﷺ: اللهم اجعله

(١) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، ص (٥٧).

(٢) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، خالد الغيث، ص (٢٣).

هادياً^(١) مهدياً^(٢)، واهد به^(٣). وقوله ﷺ: اللهم علّم معاوية الكتاب، والحساب، وقه العذاب^(٤). وقال رسول الله ﷺ: أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا^(٥). قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم. ثم قال النبي ﷺ: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر^(٦) مغفور لهم. فقلت - أى أم حرام - : أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا^(٧). قال المهلب^(٨): فى هذا الحديث منقبه لمعاوية؛ لأنه أول من غزا البحر^(٩).

٣- نظرات أهل العلم على معاوية رضى الله عنه:

أ- ثناء عبد الله بن عباس رضى الله عنهما:

قيل لابن عباس رضى الله عنهما: هل لك فى أمير المؤمنين معاوية، فإنه ما أوتر إلا بواحدة، قال: إنه فقيه^(١٠).

ب- ثناء عبد الله بن المبارك على معاوية رضى الله عنه:

قال عبد الله بن المبارك: معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إليه شزراً اتهمناه على القوم، يعنى: الصحابة^(١١).

ج- ثناء أحمد بن حنبل:

سئل الإمام أحمد - رحمه الله: - ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحى، ولا أقول: إنه خال المؤمنين، فإنه أخذها بالسيف

(١) هادياً للناس، أو دالاً على الخير.

(٢) مهدياً: أى مهدياً فى نفسه.

(٣) صحيح سنن الترمذى للألبانى (٣/ ٢٣٦).

(٤) موارد الظمان (٧/ ٢٤٩) إسناده حسن.

(٥) أوجبوا: أى: فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنة، فتح البارى (٦/ ١٢١).

(٦) مدينة قيصر: يعنى القسطنطينية.

(٧) البخارى، رقم (٢٩٢٤).

(٨) المهلب بن أحمد الأندلسى، مصنف شرح صحيح البخارى توفى ٤٣٥هـ.

(٩) فتح البارى (٦/ ١٢٠).

(١٠) المصدر نفسه (٧/ ١٣٠).

(١١) مرويات خلافة معاوية، ص (٢٨).

غصباً؟^(١) قال أبو عبد الله: هذا قول سوء ردى، تجانبون هؤلاء القوم، ولا يجالسون، ونبين أمرهم للناس^(٢).

د- ثناء القاضي ابن العربي على معاوية رضى الله عنه:

تحدث ابن العربي عن الخصال التي اجتمعت في معاوية رضى الله عنه، فذكر منها: قيامه بحماية البيضة، وسد الثغور، وإصلاح الجند، والظهور على العدو، وسياسة الخلق^(٣)، وقد علق محب الدين الخطيب على هذا النص بقوله: وقد بلغ من همته - يعنى معاوية - وعظيم عنايته بذلك أن أرسل يهدد ملك الروم وهو في معمعة القتال مع على في صفين، وقد بلغه: أن ملك الروم اقترب من الحدود في جنود عظيمة^(٤)، وفي ذلك يقول ابن كثير: وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه، وأذله، وقهر جنده، ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب على تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة، وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين، لأصطلحن أنا وابن عمى عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيّقن عليك الأرض بما رحبت؛ فعند ذلك خاف ملك الروم، وبعث يطلب الهدنة^(٥).

هـ- ثناء ابن تيمية على معاوية رضى الله عنه:

قال عنه ابن تيمية: «فإن معاوية ثبت بالتواتر: أنه أمره النبي ﷺ، كما أمر غيره، وجاهد معه، وكان أميناً له بالوحي، وما اتهمه النبي ﷺ في كتابة الوحي، وولاه عمر بن الخطاب الذي كان من أخبر الناس بالرجال، وقد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، ولم يتهمه في ولايته^(٦)».

(١) مرويات خلافة معاوية، ص (٢٨).

(٢) السنة للخلال، تحقيق، عطية الزهراني (٢/ ٤٣٤).

(٣) العواصم من القواصم، ص (٢١٠، ٢١١).

(٤) مرويات خلافة معاوية، ص (٣١).

(٥) البداية والنهاية (٨/ ١١٩).

(٦) الفتاوى (٤/ ٤٧٢)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٩).

و- ثناء ابن كثير عليه:

قال عنه ابن كثير: وأجمعت الرعايا على بيعته فى سنة إحدى وأربعين... فلم يزل مستقلاً بالأمر فى هذه المدة إلى هذه السنة التى كانت فيها وفاته، والجهاد فى بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه فى راحة وعدل، وصفح، وعفو، وقال أيضاً: كان حليماً^(١)، وقوراً، رئيساً، سيداً فى الناس، كريماً، عادلاً، شهماً^(٢). وقال عنه أيضاً: كان جيد السيرة، حسن التجاوز، جميل العفو، كثير السرّ رحمه الله تعالى^(٣).

٤- روايته للحديث:

يعد معاوية رضى الله عنه من الذين نالوا شرف الرواية عن رسول الله ﷺ، ومرد ذلك إلى ملازمته لرسول الله ﷺ بعد فتح مكة، لكونه صهره، وكاتبه، هذا وقد روى معاوية رضى الله عنه مائة وثلاثة وستون حديثاً عن رسول الله، اتفق له البخارى ومسلم على أربعة أحاديث، وانفرد البخارى بأربعة، ومسلم بخمسة^(٤). وكانت سيرة معاوية رضى الله عنه مع الرعية فى ولايته من خير سير الولاة مما جعل الناس يحبونه، وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ قال: خيار أئمتكم - حكامكم - الذين تحبونهم، ويحبونكم وتصلون عليهم - تدعون لهم - ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم، ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم^(٥).

٥- قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب على إمارته:

عن سفيان بن الليل قال: قلت للحسن بن على لما قدم الكوفة إلى المدينة: يا مذل المؤمنين، قال: لا تقل ذلك، فإنى سمعت أبى يقول: لا تذهب الأيام والليالى حتى يملك معاوية، فعلمت أن أمر الله واقع، فكرهت أن تراق بينى وبينه

(١) أفرد ابن الدنيا، وأبو بكر بن أبى عاصم تصنيفاً فى حلم معاوية.

(٢) البداية والنهاية (٨ / ١١٨).

(٣) المصدر نفسه (٨ / ١٢٦).

(٤) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (٢٣).

(٥) مسلم، ك الإمامة، رقم (٦٥).

دماء المسلمين^(١). وفي رواية، عن علي رضي الله عنه، قال: لا تكرهوا إمارة معاوية، فوالله لئن فقدتموه لترون رؤوساً تندر عن كواهلها كأنها الحنظل^(٢).

فهذه آثار تشير إلى قدرة معاوية على الإمارة، كما أن أسلوب معاوية في التفاوض والتعامل مع الحسن أوجد قواسم مشتركة للوصول إلى الإصلاح، وإن كان المهندس الفعلي لمشروع الإصلاح هو الحسن بن علي، إلا أن شخصية معاوية وسعة أفقه ورحابة صدره، وما أبداه من المرونة ساعد على نجاح الصلح، وقد كان رضي الله عنه يتأدب إلى الحسن ويكرمه ويروى فضائل أهل البيت، فهذا يدل على إثارة الحق مع المنازعة والمخاصمة التي سبقت بقدر الحق سبحانه^(٣)، وقد أخرج أحمد في مسنده عن معاوية قال: كان رسول الله يمص لسان الحسن وشفتيه وأنه لن يعذب الله لساناً أو شفة مصها رسول الله ﷺ^(٤).

وكان رضي الله عنه صريحاً مع نفسه معترفاً بذنوبه، طالباً مغفرة ربه، وطامعاً في رحمته وحلمه، فعن ابن شهاب، عن عروة أن المسور أخبره أنه قدم على معاوية، فقال: يا مسور ما فعل طعنك على الأئمة؟ قال: دعنا من هذا، وأحسن فيما جئنا له. قال: لتكلمني بذات نفسك مما تعيب علي؟ قال: فلم أترك شيئاً إلا بيته، فقال: لا أبرأ من الذنب فهل تعد لنا مما نلى من الإصلاح في أمر العامة، أم تعد الذنوب، وتترك الإحسان؟ قلت: نعم. قال: فإننا نعتز بالله بكل ذنب، فهل لك من ذنوب في خاصتك تخشاه؟ قال: نعم. فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحق مني، فوالله ما آلى من الإصلاح أكثر مما تلى، ولا أخير بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على سواه، وإنى لعلى دين يقبل فيه العمل، ويجزى فيه الحسنات، قال: فعرفت أنه قد خصمني، قال عروة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلى عليه^(٥) - أى دعا له - والحديث عن معاوية بالتفصيل سوف يأتي بإذن الله تعالى، إن أعطانا الله القوة ويسر الأسباب بمنه وكرمه وجوده في حديثنا عن

(١)، (٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١٠٥) ..

(٣) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، ص (٥٧) ..

(٤) المسند، رقم (١٦٨٤٨) استاده صحيح.

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٢).

الدولة الأموية، ومع هذه النية المبيتة للحديث عن معاوية رضى الله عنه بالتفصيل، فلا يمنع من ذكر هذه القصة التي تبين خوفه وخشيته من الله تعالى، فعندما كان يروى فى مجلسه حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ فى أن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، من أمة محمد القارئ المرائى، والمنفق المرائى، والمجاهد المرائى، وبين رسول الله ﷺ ذلك وقال لأبى هريرة: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة^(١)، فكان معاوية يقول عندما يسمع الحديث: فقد فعل هؤلاء هذا فكيف بمن بقى من الناس؟ فقال الراوى: ثم بكى معاوية بكاء شديداً، حتى ظننا أنه هالك، ثم أفاق ومسح عن وجهه، وقال: صدق الله، ورسوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦] (٢).

إن شخصية معاوية رضى الله عنه وتاريخه فى خدمة الإسلام كان عاملاً مهماً فى نجاح الصلح، ولا نزعم بأنه من طبقة الخلفاء الراشدين، المهديين، ولكنه من الملوك العادلين، كما أن سيرته غنية بالفقه السياسى والإدارى والعسكرى، والاقتصادى والاجتماعى، وهذا يحتاج إلى دراسة متأنية لعصره ونسأل الله أن يوفقنا إلى ذلك.

سابعاً: اضطراب جيش العراق وأهل الكوفة:

كان لخروج الخوارج أثر فى إضعاف جيش أمير المؤمنين على رضى الله عنه، كما أن الحروب فى الجمل وصفين والنهروان، تسببت فى ملل أهل العراق للحرب ونفورهم منها، وخاصة أهل الشام فى صفين، فإن حربهم ليس كحرب غيرهم، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم، فكم يتمت من الأطفال ورملت من النساء، بدون أن يتحقق مقصودهم ولولا الصلح أو التحكيم الذى رحب به أمير المؤمنين على وكثير من أصحابه لكانت مصيبة على العالم الإسلامى لا يتخيل

(١) رواه الترمذى والحاكم عن أبى هريرة، وصححه الألبانى، رقم (١٧١٣).

(٢) النهاية فى الفتن والملاحم (٢/ ٥٢).

آثارها السيئة، فكان التخاذل عن المسير مع على رضى الله عنه إلى الشام مرة أخرى أحب إلى فريق منهم وتميل إليه نفوسهم، وإن كانوا يعلمون أن علياً على حق^(١).

ومن المعضلات التي أوهنت جانب أمير المؤمنين على رضى الله عنه، خروج فرقة تبغالى في تعظيم أمير المؤمنين على وترفعه إلى مقام الألوهية، حتى بدا للبعض أن هذا رد فعل للخوارج الذين يتبرءون من على ويكفرونه^(٢)، ولكن هؤلاء كان مقصدهم سيئاً وهو إدخال معتقدات فاسدة على المسلمين لهدم الدين وإضعاف المسلمين عامة وليس جيش على فقط^(٣)، ولقد تصدى لهم أمير المؤمنين على رضى الله عنه - كما بينا - بحزم وقوة.

ولا شك أن مباينة الخوارج وقتلهم أضعف جانب على كثيراً، ثم تتابعت الفتوق على على من بعد، فخرج الخريت بن راشد، وقيل اسمه الحارث بن راشد في قومه من بنى ناجية، وكان من ولاية على على الأهواز، فدعا إلى خلع على، فأجابه خلق كثير واحتوى على البلاد وجبى الأموال، فبعث إليه على جيشاً بقيادة معقل بن قيس الرياحى فهزمه وقتله^(٤)، وطمع أهل الخراج في ناحية على في كسر الخراج، وانتفض أهل الأهواز، ولا بد أن علياً واجه من أجل ذلك بعض الصعوبات المالية والعسكرية، وقد روى عن الشعبى في هذا الخصوص قوله: لما قتل على أهل النهروان، خالفه قوم كثير، وانتفضت عليه أطرافه، وخالفه بنو ناجية، وقدم ابن الحضرمي البصرة، وانتفض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج في كسره وأخرجوا سهل بن حنيف عامل على بن أبى طالب من فارس^(٥).

وقد استلم الحسن رضى الله عنه الخلافة، وجيش العراق مضطرب وأهل الكوفة مترددون في أمرهم، وقد جاء في المجتبى لابن دريد: قام الحسن بعد موت أبيه فيقال: والله ما ثننا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتلهم بالسلامة

(١) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (٣٤٥).

(٢) نظام الخلافة في الفكر الإسلامى، ص (١٥، ١٦)، مصطفى حلمي.

(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (٣٥٠).

(٤) تاريخ الطبرى (٦/ ٢٧ - ٤٧).

(٥) تاريخ الطبرى (٦/ ٥٣).

والصبر، فشييت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم فى متدبكم إلى صفين دينكم أمام دنياكم، فأصبحتم وديناكم أمام دينكم، ألا وإنا لكم كما كنا، ولستم لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين؛ قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون ثأره، فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه، وإن أردتم الحياة قبلناه قال: فناداه القوم من كل جانب: التقية التقية، فلما أفردوه أمضى الصلح^(١).

وإني وإن كنت أشك فى صحة نسبة هذه الخطبة ولكنها تصور نفسية سيدنا الحسن وأتباعه، مما عجل بالصلح بينه وبين معاوية^(٢) رضى الله عنه، وقد تحدث الحسن عما فعله به بعض أهل العراق وما قدموا إليه من الإساءات والإهانات وأظهر القول وجهر به فقال: أرى والله معاوية خير لى من هؤلاء يزعمون أنهم لى شيعة، ابتغوا قتلى وأخذوا مالى، والله لأن أخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وأمن به فى أهلى خير من أن يقتلونى فيضيع أهل بيتى وأهلى، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقى حتى يدفعوا بى إليه سلماً، والله لئن أسأله وأنا عزيز خير من أن يقتلنى وأنا أسير، أو يمن على فيكون منه على بنى هاشم آخر الدهر ولمعاوية لا يزال يمن بها وعقبه على الحى منا والميت^(٣). وقال أيضاً: عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لى من كان منهم فاسداً، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمة فى قول ولا فعل، إنهم مختلفون ويقولون لنا إن قلوبهم معنا، وإن سيوفهم لمشهورة علينا^(٤)، فالحسن لم يعد يثق بأهل الكوفة بعد ما فعلوه بأبيه ويعد أن حاولوا قتله ونهبوا متاعه. وقد عبر عن ذلك فى خطبته عندما قال: يا أهل العراق، لو لم تذهل نفسى^(٥) عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: مقتلكم أبى،

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٩).

(٢) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٩٣).

(٣) الشيعة وأهل البيت، ص (٣٧٩) نقلاً عن الاحتجاج للطبرسى، ص (١٤٨).

(٤) المصدر نفسه، ص (٣٧٦) نقلاً عن الاحتجاج للطبرسى، ص (١٤٨).

(٥) تذهل نفسى: تسلو نفسى، لسان العرب (١١/ ٢٥٩).

ومطعنكم بغلتى، وانتهابكم ثقلى، أو قال: ردائى عن عاتقى^(١)، وقيل للحسن: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قومًا لا يثق بهم أحد أبدًا إلا غلب، ليس أحد منهم يوافق آخر فى رأى ولا هوى، مختلفين لانية لهم، فى خير ولا شر، لقد لقي أبى منهم أمورًا عظامًا، فليت شعرى لمن يصلحون بعدى^(٢)، وهذا ليس على إطلاقه فجيش الحسن يمكن تقويته كما أنه هناك فصائل منه على استعداد للقتال على رأسهم قيس بن سعد الخزرجى وغيره من القادة.

ثامنًا: قوة جيش معاوية رضى الله عنه:

وفى الجانب الآخر كان معاوية رضى الله عنه يعمل بشتى الوسائل سرًا وعلانية على إضعاف جانب أهل العراق منذ عهد على رضى الله عنه فاستغل ما أصاب جيشه من تفكك وخلاف، فأرسل جيشًا إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص رضى الله عنه سيطر عليها وضمها إليه، وقد ساعده على ذلك عدة عوامل منها:

١- انشغال أمير المؤمنين على بالخوارج.

٢- عامل أمير المؤمنين على رضى الله عنه على مصر محمد بن أبى بكر لم يكن على قدر من الدهاء كسلفه قيس بن سعد بن عبادة الساعدى الأنصارى، فدخل فى حرب مع المطالبين بدم عثمان ولم يسياسهم كما كان يصنع الوالى السابق فهزموه.

٣- اتفاق معاوية مع المطالبين بدم عثمان فى مصر فى رأى فساعده فى السيطرة عليها^(٣).

٤- بعد مصر عن مركز أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وقربها من الشام.

٥- طبيعتها الجغرافية فهى متصلة بأرض الشام عن طريق سيناء وتمثل امتدادًا طبيعيًا، وقد أضافت مصر قوة كبيرة لمعاوية رضى الله عنه؛ قوة بشرية واقتصادية

(١) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٢٤) إسناده حسن.

(٢) الكامل فى التاريخ (٢/ ٤٤٨).

(٣) الطبقات لابن سعد (٣/ ٨٣٩) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (٣٥١) سنده صحيح.

كبيرة، وكذلك أرسل أمير المؤمنين على من يصدها^(١)، وعمل معاوية رضى الله عنه على استمالة كبار أعيان القبائل وعمال على رضى الله عنه، فقد حاول سحب قيس بن سعد رضى الله عنه عامل على مصر إليه فلم يستطع، ولكنه استطاع أن يثير شك حاشية على ومستشاريه فيه بعزله^(٢)، وكان عزل سعد بن قيس مكسباً كبيراً لمعاوية، كما حاول سحب زياد بن أبيه عامل على رضى الله عنه على فارس ففشل فى ذلك^(٣)، وقد استطاع معاوية رضى الله عنه أن يؤثر على بعض الأعيان والولاة بسبب ما يمينهم ويعدهم، ولما يرونه من علو أمره وتفرق أمر على رضى الله عنه، حتى أنه قال فى إحدى خطبه: ألا أن بسراً قد أطلع من قبل معاوية، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، وبطاعتهم أميرهم ومعصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم، استعملت فلاناً فقتل وغدر وحمل المال إلى معاوية، واستعملت فلاناً فخان وغدر وحمل المال إلى معاوية، حتى لو ائتمنت أحدهم على قدح خشيت على علاقته، اللهم إنى أبغضتهم وأبغضونى، فأرحهم منى وأرحنى منهم^(٤).

واستمر معاوية رضى الله عنه فى الاتصال بالأعيان والزعماء فى العراق حتى بعد مقتل أمير المؤمنين على رضى الله عنه، فقد اجتمعت لمعاوية رضى الله عنه عوامل ساعدت على قوة جبهته منها طاعة الجيش له، اتفاق الكلمة عليه من أهل الشام، خبرته الإدارية فى ولاية الشام، وثبات مصادره المالية، وعدم تخرجه فى دفع الأموال من أجل تحقيق أهدافه التى يراها مصلحة للأمة.

- شروط الصلح:

تحدثت الكتب التاريخية والمصادر الحديثة وأشارت إلى حصول الصلح وفق شروط وضعها الطرفان، وقد تناثرت تلك الشروط بين كتاب التاريخ وحاول بعض العلماء جمعها وترتيبها واستثناساً إلى ما وصلوا إليه نحاول ترتيبها على وفق ما وصل إليه اجتهادى مع التعليق على كل مادة من مواد الصلح بما يناسبها.

(١) تاريخ خليفة، ص (١٩٨) بدون سند.

(٢) الاستيعاب (٢/ ٥٢٥ ، ٥٢٦).

(٣) ولاة مصر، ص (٤٥ ، ٤٦).

(٤) التاريخ الصغير للبخارى (١/ ١٢٥) بسند منقطع وله شواهد.

أولاً: العمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء:

ورواية البخارى ذكرت أن الحسن ما سأل الوفد (عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر) شيئاً إلا قالوا له: نحن لك به، والتذكير بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الراشدين يتناسب مع الحالة التى تم فيها الصلح وهو نوع من التذكير والإلزام لمعاوية بالسير على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين، ولا نوافق ما ذهب إليه بعض المؤرخين ومنهم أستاذى وشيخى الدكتور أحمد بطاينة فى كون إيراد ذلك ضمن شروط الصلح تعريض من الرواية بمعاوية واتهامه بمجافاة ذلك، مما ينفى أن يكون هذا الشرط من شروط الصلح بين الجانبين^(١)، وقد ذكر هذا الشرط مجموعة من العلماء منهم ابن حجر الهيثمي حيث ذكر صورة الصلح بين الحسن ومعاوية وجاء فيها: صالحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين وأن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين^(٢)، وحتى بعض كتب الشيعة ذكرت هذا الشرط وهذا دليل على توقير الحسن بن على لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى إلى حد جعل من أحد الشروط على معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه: أنه يعمل ويحكم فى الناس بكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة الخلفاء الراشدين^(٣) - وفى النسخة الأخرى - الخلفاء الصالحين^(٤)، ففى هذا الشرط ضبط لدولة معاوية فى مرجعيتها ومنهجها فى الحياة ونفهم من هذا الشرط أموراً منها:

١- مصادر التشريع فى عهد الخلافة الراشدة:

أ- القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ [النساء: ١٠٥].

(١) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٨).

(٢) الصواعق المحرقة (٢/ ٣٩٩).

(٣) الشيعة وأهل البيت، ص (٥٤).

(٤) منتهى الآمال (ج ٢/ ٢١٢) نقلاً عن الشيعة وأهل البيت، ص (٥٤).

فهو المصدر الأول الذى يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التى تتعلق بشئون الحياة، كما يتضمن مبادئ أساسية وأحكاماً قاطعة لإصلاح كل شعبة من شعب الحياة، كما بين القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها.

ب- السنة المطهرة:

هى المصدر الثانى الذى يستمد منه الدستور الإسلامى أصوله ومن خلالها يمكن معرفة الصيغ التنفيذية لأحكام القرآن^(١)، وقد أمر المولى عز وجل بطاعة الرسول ﷺ حيث قال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]. وقد بين المولى عز وجل خطورة من يخالف أمر الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ونفى الخيار عن المؤمنين إذا صدر حكم عن رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقد أمر المولى عز وجل بالرد إلى الرسول عند النزاع قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وجعل الرد إلى الرسول ﷺ عند النزاع من موجبات الإيمان ولوازمه قال تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

فكان من الطبيعى أن تكون السنة المطهرة من مصادر التشريع فى عهد الخلافة الراشدة.

إن دولة الخلافة الراشدة خضعت للشرعية، وكانت سيادة الشريعة الإسلامية فيها فوق كل تشريع وفوق كل قانون، وأعطت صورة مضيئة مشرقة على أن الدولة الإسلامية دولة شريعة، خاضعة بكل أجهزتها لأحكام هذه الشريعة،

(١) فقه التمكن فى القرآن الكريم، للصلايى، ص (٤٣٢)

والحاكم فيها مقيد بأحكام لا يتقدم ولا يتأخر عنها^(١). ففي عهد الخلافة الراشدة وفي مجتمع الصحابة، الشريعة فوق الجميع، يخضع لها الحاكم، والمحكوم. ولهذا قيد الصديق طاعته التي طلبها من الأمة بطاعة الله ورسوله فقال: «أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم»^(٢).

٢- أهمية سنة الخلفاء الراشدين:

كان الحسن بن علي رضي الله عنه - كما مر معنا - مستوعباً لعهد الخلافة الراشدة، وقد ذكرنا أهم الدروس والعبر والفوائد التي استفاد منها من عهد الصديق والفاروق وذو النورين، ووالده علي رضي الله عنهم أجمعين، فالعهد الراشدي تتجلى أهميته بصلته بالعهد النبوي وقربه منه، فكان العهد الراشدي امتداداً للعهد النبوي، مع المحافظة الكاملة والتامة على جميع ما ثبت في العهد النبوي، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه، والسير في ركابه والاستمرار في الالتزام به، كما أن العهد الراشدي وضع التنظيمات الجديدة المتعلقة بمؤسسات الدولة لترسيخ دعائمها ومواجهة المستجدات المتنوعة، على أصول قواعد الشورى، وحدثت اجتهادات جديدة في مجالات متعددة استفادت الدولة والأمة الإسلامية منها ويكفي للبرهان على أهمية عهد الخلافة الراشدة للحكام المسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قول رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»^(٣)، وقول رسول الله ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر»^(٤).

٣- من معالم الخلافة الراشدة:

أ- كان خلفاء الرسول ﷺ ينطلقون من حكمهم وتصرفاتهم ورعايتهم لأمر الدولة ومعالجتهم للأحداث من الإسلام وباسم الإسلام وشورى من المسلمين.

(١) نظام الحكم في الإسلام، ص (٢٢٧).

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٦).

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١)، الترمذي (٥/ ٤٤) حسن صحيح.

(٤) صحيح سنن الترمذي للألباني (٣/ ٢٠٠) ..

ب- لم يتول أحد منهم أمر المسلمين بفرض نفسه عليهم أو يفرضه من قبل من سبقه في رئاسة الدولة بدءاً من أبي بكر وانتهاءً بعلی، بل كان كل ذلك بشورى من المسلمين، ولكن هذه الشورى قد اتخذت صوراً متعددة مما يدل على أن الإسلام لم يفرض كيفية معينة لاختيار الخليفة، بل إن ذلك متروك.

ج- بعد الاختيار المنبثق من الشورى تتم مبايعة الخليفة علناً ولا يلتفت لما قد يحصل من مخالفة البعض، فالعبرة بما تراه غالبية الأمة وسوادهم الأعظم، ثم إذا حصلت البيعة لا يجوز نقضها إلا حين يكون كفوراً بواحاً.

د- الأمة مسئولة عن محاسبة الخليفة في كل تصرفاته بدءاً من الشئون المالية وانتهاءً بشئون السياسة والحكم والولاية، ولكن ذلك ضمن أطر حددها الإسلام ويتم ذلك عن طريق أهل الحل والعقد، ولا يجوز للأمة أن تثور بشكل غوغائي لأن ذلك يؤدي إلى الفتنة وانتشار الإشاعات، كما حدث في فتنة عثمان رضى الله عنه^(١)، ومبدأ محاسبة الحاكم وحق الأمة في مراقبته قرره الخلفاء الراشدون بأقوالهم وأفعالهم؛ فأبو بكر رضى الله عنه يقول: فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى^(٢)، وعمر يقول: أحب الناس إلى من رفع إلى عيوبى^(٣)، وقال: إني أخاف أن أخطئ فلا يردنى أحد منكم تهيئاً^(٤)، وما قاله عثمان: إن وجدتم فى كتاب الله أن تضعوا رجلى فى القيد فضعوا رجلى فى القيد^(٥)، وقال على رضى الله عنهم جميعاً: إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم إلا أنه ليس لى أمر دونكم^(٦).

وقد جرى العمل فى عهد الخلفاء الراشدين على التسليم للأمة بحق الرقابة على الحكام ولم ينكره أحد فدل ذلك على الإجماع^(٧)، كما أن إجماع الصحابة -

(١) الخلفاء الراشدون أعمال وأحداث د. أمين القضاة، ص (١٣).

(٢) البداية والنهاية (٣٠٥/٦).

(٣) الشيخان أبو بكر وعمر ومن رواية البلاذرى، ص (٢٣١).

(٤) المصدر نفسه، ص (٢٣١)، نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، ص (١٩٨).

(٥) مسند أحمد الموسوعة الحديثية، رقم (٥٢٤) ثبت إسناده إلى عثمان.

(٦) تاريخ الطبرى (٤٤٩/٥ - ٤٥٧).

(٧) الدولة والسيادة فى الفقه الإسلامى، فتحى عبد الكريم ص ٣٧٨.

حكاًماً ومحكومين - فى عهد الخلافة الراشدة له معنى واحد وهو الفهم الصحيح للكتاب، والطريق السليم للعمل بالسنة^(١).

هـ- للخليفة أن يقوم بما يراه من إجراءات تنظيمية فيما لا نص فيه تحت شعار المصالح المرسله وفى ظلال الشورى حسب ما يراه مناسباً لتحقيق المصلحة العامة. كما فعل أبو بكر فى جمع القرآن، وكما فعل عمر فى أرض السواد وقضاياه التنظيمية، كديوان الجند والخراج، وعثمان فى نسخه للمصحف وتوزيعه على الأمصار.

و- اختلاف علماء الأمة وعظمائها أمر طبيعى، ولكن فى ظلال الأخوة والتناصح والبحث عن مصلحة الأمة، فتفاوت العقول يؤدى إلى تفاوت الآراء واختلاف وجهات النظر، كما حصل فى سقيفة بنى ساعدة، وحروب الردة وجمع القرآن، ويجب أن لا يصل ذلك إلى تفرق الأمة وتنازعها، فذلك مؤد إلى الفشل، لا محالة، والحكم فى ذلك كتاب الله وسنة نبيه ﷺ^(٢).

ز- يمكن اختزال ملامح الخلافة الراشدة فى النظام السياسى إلى: المرجعية العليا للكتاب والسنة، حكم الشريعة - دولة القانون - ولكنه السماوى، والتطبيق الشامل له، الحاكم منتخب، الحاكم أجير، بيت المال للأمة وليس للحاكم، نظام الشورى الشاملة وله آلية تراض بين أفراد المجتمع، الأمة فاعلة ومشاركة فى الأحداث.

وأما فى البناء الاجتماعى: تميز عهد الخلافة الراشدة فى مجمله بالإعداد النفسى الإيمانى، وقوة الوازع الداخلى، ومحاربة العنصرية، والإعداد الشامل للإنسان المسلم، وحماية حقوق الإنسان عموماً، وحماية الوحدة الداخلية، وحماية حدود الدولة، والمسئولية الحضارية على الجميع حكاًماً ومحكومين، فهذه هى المفاهيم الأساسية فى الدولة الإسلامية التى أصبحت نموذجاً ومقياساً لكل العصور، وعبر عنه المسلمون بلفظ الخلافة الراشدة تمييزاً له عن أى شكل آخر من

(١)، (٢) على بن أبى طالب، للصّلىبى (١/٣٤٥).

أشكال الحكم الأخرى^(١)، ولذلك اشترط الحسن بن على فى صلحه مع معاوية رضى الله عنه؛ العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين.

ثانيًا: الأموال:

ذكر البخارى فى صحيحه أن الحسن قال لو فد معاوية وعبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال... فمن لى بهذا؟ قالوا: نحن لك به^(٢). فالحسن يتحدث عن أموال سبق أن أصابها هو وغيره من بنى عبد المطلب يريد الحسن أن لا يطالبهم معاوية، ولا ذكر لأموال يطلب من معاوية أن يدفعها إليه من قادم^(٣)، وذكر ابن أعثم أن الحسن قال: أما المال فليس لمعاوية أن يشترط لى فىء المسلمين^(٤)، وذكر أبو جعفر الطبرى برواية عوانة بن الحكم أن أهل البصرة حالوا بين الحسن وبين خراج داردا بجرد، وقالوا: فيئنا^(٥)، والمعلوم أن جباية الخراج من مهام الدولة، ولا علاقة مباشرة بين الحسن وأهل البصرة فى هذا الجانب، ولكن الرواية أشارت إلى أن خراج داردا بجرد لم يكن فى الأموال التى صيرت إلى الحسن^(٦)، ورؤى أن الحسن قال لمعاوية: إن على عدات ودبونا، فأطلق له من بيت المال نحو أربعمئة ألف أو أكثر^(٧)، وذكر ابن عساکر: يسلّم له بيت المال فيقضى منه ديونه ومواعيده التى عليه، ويتحمل منه هو ومن معه عيال أهل أبيه وولده وأهل بيته^(٨). وذهب بعض المؤرخين إلى أن إبقاءه ما فى بيت المال معه (خمسة ملايين درهم)، استبقاه لأولئك المحاربين الذين كانوا معه، يوزعه بينهم، ويبقى لمعيشته له ولأهل بيته ولأصحابه^(٩)، ولا شك أن توزيع الأموال على بعض الجنود يساعد فى تخفيف شدة التوتر.

(١) الذاكرة التاريخية للأمة د. قاسم محمد، ص (٧٠).

(٢) البخارى، ك الصلح، رقم (٢٧٠٤).

(٣) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٤).

(٤) الفتوح (٢٩٣/٣).

(٥) تاريخ الطبرى (١٦٥/٥).

(٦) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٤).

(٧) تاريخ الإسلام، عهد معاوية، ص (٧).

(٨) تاريخ دمشق (٩٠/١٤).

(٩) فى التاريخ الإسلامى، شوقى أبو خليل، ص (٢٦٨).

إن الذى جاء فى رواية البخارى هو الذى أميل إليه، فالأمر لا يكون تجاوز طلب العفو عن الأموال التى أصابها الحسن وآله فى الأيام الخالية^(١)، وأما الروايات التى تشير بأن يجرى معاوية للحسن كل عام مليون درهم وأن يحمل إلى أخيه الحسين مليونى درهم فى كل عام، ويفضل بنى هاشم فى العطاء والصلوات على بنى عبد شمس^(٢)، وكأن الحسن باع الخلافة لمعاوية، فهذه الروايات، وما قيل حولها من تحليل وتفسير لا تقبل ولا يعتمد عليها، لأنها تصور إحساس الحسن بمصالح الأمة يبدو ضعيفاً أمام مصالحه الخاصة^(٣). وأما حقه من العطاء فليس الحسن فيه بواحد من دون المسلمين، ولا يمنع أن يكون حظه منه أكثر من غيره، ولكنه لا يصل إلى عشر معشار ما ذكرته الروايات^(٤).

ثالثاً: الدماء:

ويتضمن اتفاق الصلح بين الجانبين أن الناس كلهم آمنون لا يؤخذ أحد منهم بهفوة أو إحنة، ومما جاء فى رواية البخارى أن الحسن قال لو قد معاوية: وأن هذه الأمة عاثت فى دمائها، فكفل الوفد للحسن العفو للجميع فيما أصابوا من الدماء^(٥)، ولكن الرواية عن الزهرى ذكرت أن عبيد الله بن عباس قائد جيش الحسن لما علم بما يريد الحسن من معاوية، بعث إلى معاوية يسأله الأمان وشرط لنفسه على الأموال التى قد أصاب، ثم خرج إليهم ليلاً ولحق بهم وأن قيس بن سعد الذى خلفه على الجيش تعاهد والجيش على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة على ولمن كان اتبعه على أموالهم ودمائهم^(٦).

وقد حاول المستشرق فلهوزن أن يلصق هذه التهمة الباطلة بعبد الله بن عباس، وذكر أن قائد الجيش كان عبد الله بن عباس، واستند فلهوزن فى ذلك إلى أن الاسم الذى ورد فى بعض النسخ المخطوطة من تاريخ الطبرى هو عبد الله

(١) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٤).

(٢) الأخبار الطوال، ص (٢١٨).

(٣) ، (٤) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٣).

(٥) البخارى، ك الصلح (٩٦٣/٢).

(٦) تاريخ الطبرى (١٦٣/٥ ، ١٦٤).

ابن عباس، وأن الاختلاف بين المخطوطات في عبد الله وعبيد الله ليس مرجعه إلى النسخ وإنما إلى الرواة الذين لم يريدوا أن يلحق هذا العار بعبد الله بن عباس جد العباسيين، وأما إخوة عبيد الله فلم يروا بأساً من التخلي عن الدفاع عنه^(١)، والحقيقة التاريخية تقول: أن قائد الجيش كان الحسن بن علي، وأن قائد مقدمته كان قيس بن سعد ولا ذكر لعبد الله بن عباس أو أخيه عبيد الله في هذا الجانب^(٢)، إلا في الروايات الضعيفة والتي لا يقوم عليها دليل، كما أنه مما ورد عند أبي حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال^(٣)، وابن حجر في المطالب العلية^(٤)، وابن أعثم في الفتوح^(٥)، أن قطبى الرحى في الجيش كانا الحسن بن علي وقيس بن سعد، ولا ذكر لعبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس^(٦). وتأکید فلهوزن على أن عبد الله بن عباس كان قائداً للجيش لا عبيد الله واحتججه على ذلك بما سبق الإشارة إليه يخالفه ما نقله زياد بن عبد الله البكائي عن عوانة بن الحكم الذى لا يتهم بمحابة العباسيين قال: إن عبيد الله بن عباس كان والياً لعلی علی اليمن، ولما بلغه مسير بسر بن أرطاة إليه استخلف على اليمن عبيد الله بن عبد المدائن الحارثي وهرب إلى على بالكوفة، وذلك عام أربعين للهجرة، وأرسل على بن أبى طالب جيشاً إلى اليمن يتعقب جيش بسر، وقتل على في نفس العام، ولم يرد ما يشير إلى أن عبيد الله بن عباس ترك الكوفة إلى اليمن^(٧)، وسواء كان قائد الجيش عبد الله بن عباس أو عبيد الله أو غيرهما فإن دواعى اتصال قائد جيش الحسن بمعاوية وطلب الأمان منه غير قائمة، فجيش الحسن قوى ومتمتع كما جاء عند البخارى، والاتصالات بين الحسن وقيادته موجودة نقلاً وعقلاً، والحسن ولى الأمر ورأسه، وقد جرت المفاوضات بينه وبين وفد معاوية، وأخذ الأمان لأتباعه ومن كان في جانبه فضلاً عن بنى العباس وغيرهم من بنى

(١) تاريخ الدولة العربية، ص (١٠٣ - ١٠٦).

(٢) تاريخ الطبرى (١٥٩/٥ ، ١٦٠).

(٣) الأخبار الطوال، ص (٢١٧).

(٤) المطالب العلية (٤/٣١٨ ، ٣١٩).

(٥) الفتوح (٣/٢٨٩).

(٦) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٦).

(٧) تاريخ الطبرى (٥/١٣٩ ، ١٤٠)، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٦).

المطلب بشأن الدماء والأموال، وأعلم الحسن قيادته بالصلح وتنازله عن الخلافة لمعاوية، وأمرهم بالدخول في الجماعة ومبايعة معاوية، ولما رأى قيس ومن معه أنهم لم يعدوا مع إمام مفترض الطاعة تركوا القتال وبايعوا معاوية، ودخلوا في الجماعة^(١)، ولكن في رواية الزهرى ثناء على قيس دون الحسن وولدى العباس من غير ما ضرورة^(٢).

إن الحسن بن علي اشترط على معاوية، أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء^(٣)، والذي يلاحظه المؤرخ، أنه من ذلك الوقت ترك الطلب بدم عثمان^(٤)، وقد تم الاتفاق على عدم مطالبة أحد بشيء كان في أيام علي، وهي قاعدة بالغة الأهمية تحول دون الالتفات إلى الماضي وتركز على الحاضر والمستقبل^(٥)، وقد تم التوافق المبني على الالتزام والشرعية حيث تم الصلح على أساس العفو المطلق عن كل ما كان بين الفريقين، قبل إبرام الصلح، وبالفعل لم يعاقب معاوية أحداً بذنوب سابق، وتأسس بذلك صلح الحسن على الإحسان والعفو، تأليفاً لقلوب الجماعة، خاصة أنه كان بالخيار وهذا هو العمل العظيم الذي قام به الحسن حيث أعاد للأمة وحدتها ولحمتها من جديد، وقد تم بسط الأمن وحفظ الدماء في عهد معاوية إلى حد كبير، وقد اجتهد في قضايا سيأتي بيانها وتفصيلها في محله بإذن الله تعالى.

رابعاً: ولاية العهد، أم ترك الأمر شورى بين المسلمين:

قيل: وما اتفق الجانبان عليه من الشروط أن يكون الأمر من بعد معاوية للحسن^(٦)، وإن معاوية وعد إن حدث به حدث والحسن حتى يُسمَّيه وليجعلن الأمر إليه^(٧)، ولكن ابن أعثم روى في هذا الخصوص عن الحسن إنه قال: أما

(١) ، (٢) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٧) ..

(٣) التبيين في أنساب القرشيين، ص (١٢٧).

(٤) الخلفاء الراشدون للنجار، ص (٤٨٢).

(٥) الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، ص (٣٤١).

(٦) فتح الباري (١٣/ ٧٠).

(٧) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٤).

ولاية الأمر من بعده، فما أنا بالراغب في ذلك ولو أردت هذا الأمر لم أسلمه^(١)، وجاء في نص الصلح الذي ذكره ابن حجر الهيثمي: ... بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين^(٢).

وعند التدقيق في روايات طلب الحسن الخلافة بعد معاوية، نجد أنها تتنافى مع أنفة وقوة وكرم الحسن، فكيف يتنازل عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين وابتغاء مرضاة الله ثم يوافق على أن يكون تابعاً يتطلب أسباب الدنيا، ويشرئب عنقه للخلافة مرة أخرى، والدليل على أن هذا غير صحيح ما ذكر جبير بن نصير قال: قلت للحسن بن علي: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالت، ويحاربون من حاربت، فتركها ابتغاء مرضاة الله^(٣). ومن الملاحظ أن أحداً من أبناء الصحابة أو الصحابة لم يذكروا خلال بيعة يزيد شيئاً من ذلك، فلو كان الأمر كما تذكر الروايات عن ولاية عهد الحسن بعد معاوية، لاتخذها الحسين بن علي رضي الله عنه حجة، ولكن لم نسمع شيئاً من ذلك على الإطلاق مما يؤكد على أن مسألة خلافة الحسن لمعاوية لا أساس لها من الصحة، ولو كان الحسن رضي الله عنه أسند إليه منصب ولاية العهد في الشروط لكان قريباً من معاوية في إدارة الدولة أو تولى أحد الأقاليم الكبرى، لا أن يذهب إلى المدينة وينعزل عن إدارة شئون الحكم، كما أن روح ذلك العصر تشير إلى أن مبدأ اختيار الأمة للحاكم عن طريق الشورى هو الأصل.

- سب أمير المؤمنين علي بين معاوية والحسن:

تذكر كتب التاريخ: اشترط الحسن على معاوية ألا يُسبَّ عليٌّ وهو يسمع؛ وكأن الحسن عفا عن سب علي رضي الله عنه وهو لا يسمع، ولذلك قال أستاذي وشيخي الدكتور محمد بطاينة: فقد لا تكون هذه القضية بحثت بين الحسن ومعاوية^(٤). وقد اتهم الشيعة الروافض معاوية رضي الله عنه بحمل الناس على

(١) الفتوح (٣)، ٤/٢٩٣.

(٢) الصواعق المرسلة (٢/٢٩٩).

(٣) البداية والنهاية (١١/٢٠٦).

(٤) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٨).

سب على ولعنه فوق منابر المساجد، فهذه الدعوة لا أساس لها من الصحة، والذي يقصم الظهر أن الباحثين قد التقطوا هذه الفرية على هوانها دون إخضاعها للنقد والتحليل، حيث صارت عند المتأخرين من المسلمين التي لا مجال لمناقشتها ولم يثبت قط في رواية صحيحة، ولا يعول على ما جاء في كتب الدميري واليعقوبي وأبي الفرج الأصفهاني، علماً بأن التاريخ الصحيح يؤكد خلاف ما ذكره هؤلاء^(١) من احترام وتقدير معاوية لأمر المؤمنين على وأهل بيته الأطهار، فحكاية لعن على على منابر بني أمية لا تتفق مع منطق الحوادث، ولا طبيعة المتخاصمين، فإذا رجعنا إلى الكتب التاريخية المعاصرة لبنى أمية، فإننا لا نجد فيها ذكراً لشيء من ذلك أبداً.. وإنما نجده في كتب المتأخرين الذين كتبوا تاريخهم في عصر بني العباس بقصد أن يسيئوا إلى سمعة بني أمية في نظر الجمهور الإسلامي، وقد كتب ذلك المسعودي الشيعي الرافضي، في مروج الذهب وغيره من كُتُب الشيعة الروافض وقد تسربت تلك الأكذوبة إلى كتب تاريخ أهل السنة ولا يوجد فيها رواية صحيحة صريحة، فهذه دعوة مفتقرة إلى صحة النقل، وسلامة السند من الجرح، والمتن من الاعتراض، ومعلوم وزن مثل هذه الدعوى عند المحققين والباحثين، فكيف بها وقد صدرت من الروافض الحاقدين، ومعاوية - رضى الله عنه - منزّه عن مثل هذه التهم، بما ثبت من فضله في الدين، وكان محمود السيرة في الأمة، أثنى عليه بعض الصحابة ومدحه خيار التابعين، وشهدوا له بالدين والعلم، والعدل والحلم، وسائر خصال الخير^(٢).

١- فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما ولّاه الشام: لا تذكرُوا معاوية إلا بخير^(٣).

٢- وعن على رضى الله عنه قال بعد رجوعه من صفين: أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية، فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل^(٤).

(١) الحسن والحسين، محمد رضا، ص (١٨) كلام المحقق د. أحمد أبو الشباب.

(٢) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٦٧) للرحيلي.

(٣) البداية والنهاية (٢٥/٨).

(٤) المصدر نفسه (٨/١٣٤).

٣- وعن ابن عمر أنه قال: ما رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود^(١) من معاوية ف قيل: ولا أبوك؟ قال: أبى عمر - رحمه الله - خير من معاوية، وكان معاوية أسود منه^(٢).

٤- وعن ابن عباس قال: ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية^(٣)، وفي صحيح البخارى أنه قيل لابن عباس: هل لك فى أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة، قال: إنه فقيه^(٤)، وذكر عند ابن عباس معاوية، فقال: لله تلاد ابن هند ما أكرم حسبه، وأكرم مقدرته، والله ما شتمنا على منبر قط، ولا بالأرض ضناً منه بأحسابنا وحسبه^(٥).

٥- وعن عبد الله بن الزبير أنه قال: لله در ابن هند يعنى معاوية إنا كنا لنفرقه^(٦)، وما الليث على برائته بأجراً منه، فيتفارق لنا، وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه فيتخادع لنا، والله لوددت أنا متعنا به ما دام فى هذا الجبل حجر وأثار إلى أبى قبيس.

٦- وعن الزهرى قال: عمل معاوية بسيرة عمر بن الخطاب سنين لا يخرم منها شيئاً، والآثار عن الصحابة والتابعين وأتباعهم كثيرة وإنما ذكرنا جزءاً منها.

كما أثنى على معاوية رضى الله عنه العلماء المحققون فى السير والتاريخ، ونقاد الرجال.

١- يقول ابن تيمية - رحمه الله -: واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة وهو أول الملوك، كان ملكه ملكاً ورحمة^(٧). وقال: فلم يكن من ملوك المسلمين خير من معاوية، ولا كان الناس زمان ملك من الملوك خيراً منهم فى زمان معاوية^(٨).

(١) من السيادة وسمى سيّداً لأنه يسود سواد الناس، من لسان العرب (٣/٢٢٩).

(٢) السنة للخلال (١/٤٤٣)، سير أعلام النبلاء (٢/١٥٢).

(٣) البداية والنهاية (٨/١٣٧).

(٤) البخارى، رقم (٣٧٦٥).

(٥) تاريخ دمشق (٦٢/١٢٨، ١٢٩).

(٦) الفرق: الخوف والفرع.

(٧) مجموع الفتاوى (٤/٤٧٨).

(٨) منهاج السنة (٦/٢٣٢).

٢- وقال ابن كثير فى ترجمة معاوية رضى الله عنه: وأجمعت الرعايا على بيعته فى سنة إحدى وأربعين.. فلم يزل مستقلاً بالأمر فى هذه المدة إلى هذه السنة التى كانت فيها وفاته، والجهاد فى بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه فى راحة وعدل، وصفح وعفو^(١).

٣- وقال ابن العز الحنفى: وأول ملوك المسلمين معاوية وهو خير ملوك المسلمين^(٢).

٤- وقال الذهبى فى ترجمته: أمير المؤمنين ملك الإسلام^(٣). وقال: معاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم^(٤). وإذا ثبت هذا فى حق معاوية رضى الله عنه فإنه من أبعد المحال على من كانت هذه سيرته، أن يحمل الناس على لعن على رضى الله عنه على المناير وهو من هو فى الفضل، وهذا يعنى أن أولئك السلف وأهل العلم من بعدهم الذين أثنوا عليه ذلك الثناء البالغ، قد مالؤوه على الظلم والبغى واتفقوا على الضلال^(٥)، وهذا من البهتان العظيم لأولئك العلماء من الصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم من العلماء الربانيين، ومن علم سيرة معاوية رضى الله عنه فى الملك، وما اشتهر به من الحلم والصفح، وحسن السياسة للرعية ظهر له أن ذلك من أكبر الكذب عليه، فقد بلغ معاوية رضى الله عنه فى الحلم مضرب الأمثال، وقدوة الأجيال^(٦) وإليك بعض الأمثلة:

١- قال عبد الملك بن مروان وقد ذكر عنده معاوية: ما رأيت مثله فى حلمه واحتماله وكرمه^(٧).

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٢٢).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص (٧٢٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٠).

(٤) المصدر نفسه، ص (٣٧١).

(٥) البداية والنهاية (٨/ ١٣٨).

(٦) سير أعلام النبلاء، ص (٣٧١).

(٧) البداية والنهاية (٨/ ١٣٨).

٢- وقال قبيصة بن جابر: ما رأيت أحداً أعظم حلمًا، ولا أكثر سؤددًا، ولا أبعد أناة، ولا ألين مخرجًا، ولا أرحب باعًا بالمعروف من معاوية^(١).

٣- ونقل ابن كثير: أن رجلاً أسمع معاوية كلامًا سيئًا شديدًا، فقليل له: لو سطوت عليه؟ فقال: إني لأستحي من الله أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي^(٢).

٤- وقال رجل لمعاوية: ما رأيت أنذل منك، فقال معاوية: بلى من واجه الرجال بمثل هذا^(٣). فهل يعقل بعد هذا أن يسع حلم معاوية - رضى الله عنه - سفهاء الناس وعامتهم المجاهرين له بالسب والشتائم، وهو أمير المؤمنين، ثم يأمر بعد ذلك بلعن الخليفة الراشد على بن أبى طالب رضى الله عنه على المنابر، ويأمر ولاته بذلك فى سائر الأمصار والبلدان - ويبقى هذا السب إلى أن يأتى عمر بن عبد العزيز رحمه الله فيلغى ذلك - والحكم فى هذا لكل صاحب عقل وفهم^(٤)!

وأما ما استدلل به الروافض على تلك الفرية من صحيح مسلم فليس فيه ما يدل على زعمهم، فعن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبى سفيان سعدًا فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثًا قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لى واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم^(٥). قال النووي: قول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعدًا بسبه، وإنما سأله عن السب المانع له من السب. كأنه يقول: هل امتنعت تورعًا أو خوفًا، أو غير ذلك، فإن كان تورعًا وإجلالًا له عن السب فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعدًا قد كان فى طائفة يسبون فلم يسب معهم، وعجز عن الإنكار، أو أنكر عليهم، فسأله هذا السؤال. قالوا: ويحتمل تأويلًا آخر أن معناه: ما منعك أن تخطئه فى رأيه واجتهاده وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ^(٦)، وقال أبو العباس القرطبى صاحب المفهم معلقًا على

(١)، (٢)، (٣) البداية والنهاية (١٣٨/٨).

(٤) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٧٢).

(٥) مسلم، ك فضائل الصحابة (١٨٧١/٤).

(٦) شرح صحيح مسلم (١٧٥/١٥).

وصف ضرار الصُّدائى لعلى رضى الله عنه وثنائه عليه بحضور معاوية، وبكاء معاوية من ذلك وتصديقه لضرار فيما قال: وهذا الحديث يدل على معرفة معاوية بفضل على رضى الله عنه، ومنزلته، وعظيم حقه، ومكانته، وعند ذلك يبعد عن معاوية أن يصرح بلعنه وسبّه، لما كان معاوية موصوفًا به من العقل والدين، والحلم وكرم الأخلاق، وما يروى عنه من ذلك فأكثره كذب لا يصح، وأصح ما فيها قوله لسعد بن أبى وقاص: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟ وهذا ليس بتصريح بالسب، وإنما هو سؤال عن سبب امتناعه ليستخرج من عنده من ذلك، أو من نقيضه، كما قد ظهر من جوابه، ولما سمع ذلك معاوية، سكن وأذعن، وعرف الحق لمستحقه^(١).

قال الدكتور إبراهيم الرحيلي صاحب الكتاب النفيس القيم الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوى الضال: والذى يظهر لى فى هذا والله أعلم: أن معاوية إنما قال ذلك على سبيل المداعبة لسعد، وأراد من ذلك استظهار بعض فضائل على رضى الله عنه، فإن معاوية رضى الله عنه كان رجلاً فطنًا ذكيًا، يحب مطارحة الرجال واستخراج ما عندهم، فأراد أن يعرف ما عند سعد فى على رضى الله عنه، فألقى سؤاله بهذا الأسلوب المشير. وهذا مثل قوله رضى الله عنه لابن عباس: أنت على ملة على؟ فقال له ابن عباس: ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله ﷺ^(٢). فظاهر أن قول معاوية هنا لابن عباس جاء على سبيل المداعبة، فكذلك قوله لسعد هو من هذا الباب، وأما ما ادعى الروافض من الأمر بالسب فحاشا معاوية رضى الله عنه أن يصدر منه مثل ذلك^(٣)، والمانع من هذا عدة أمور:

١- أن معاوية نفسه ما كان يسب عليًا رضى الله عنه كما تقدم حتى يأمر غيره بسبه، بل كان معظمًا له، معترفًا له بالفضل والسبق إلى الإسلام، كما دلت على ذلك أقواله الثابتة عنه.

(١) المفهم للقرطبي (٦/٢٧٨).

(٢) الإبانة لابن بطة (١/٣٥٥) الكبرى، شرح أصول اعتقاد الألكائى (١/٩٤).

(٣) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٧٤).

أ- قال ابن كثير: وقد ورد من غير وجه: أن أبا مسلم الخولاني وجماعة معه دخلوا على معاوية فقالوا له: هل تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: والله إني لأعلم أنه خير مني وأفضل، وأحق بالأمر مني^(١).

ب- ونقل ابن كثير أيضاً عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال: لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبيكه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدري ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم^(٢). فهل يسوغ في عقل ودين أن يسب معاوية علياً بل ويحمل الناس على سبه وهو يعتقد فيه هذا^(٣)!!

٢- أنه لا يُعرف بنقل صحيح أن معاوية رضى الله عنه تعرض لعلي رضى الله عنه بسب أو شتم أثناء حربه له في حياته، فهل من المعقول أن يسبه بعد انتهاء حربه معه ووفاته، فهذا من أبعد ما يكون عند أهل العقول، وأبعد منه أن يحمل الناس على سبه وشتمه.

٣- أن معاوية رضى الله عنه كان رجلاً ذكياً مشهوراً بالعقل والدهاء، فلو أراد حمل الناس على سب علي - حاشاه ذلك - أفكان يطلب ذلك من مثل سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه، وهو من هو في الشجاعة والفضل والورع، مع عدم دخوله في الفتنة أصلاً؟ فهذا لا يفعله أقل الناس عقلاً وتدبيراً، فكيف بمعاوية.

٤- أن معاوية رضى الله عنه انفرد بالخلافة بعد تنازل الحسن بن علي رضى الله عنه له، واجتمعت عليه الكلمة ودانت له الأمصار بالملك، فأى نفع له في سب علي؟ بل الحكمة وحسن السياسة تقتضى عدم ذلك، لما فيه من تهدئة النفوس، وتسكين الأمور، ومثل هذا لا يخفى على معاوية رضى الله عنه الذى شهدت له الأمة بحسن السياسة والتدبير.

٥- أنه كان بين معاوية رضى الله عنه بعد استقلاله بالخلافة وأبناء علي من الألفة والتقارب، ما هو مشهور في كتب السير، والتاريخ^(٤)، ومن ذلك أن الحسن

(١)، (٢) البداية والنهاية (١٣٣/٨).

(٣) الانتصار للصاحب والآل، ص (٣٧٥).

(٤) نفس المصدر، ص (٣٧٦)...

والحسين وفدا على معاوية فأجازهما بمائتي ألف. وقال لهما: ما أجاز بهما أحد قبلى، فقال له الحسين: ولم تعط أحداً أفضل منا^(١). ودخل مرة الحسن على معاوية فقال له: مرحباً وأهلاً بابن بنت رسول الله ﷺ، وأمر له بثلاثمائة ألف^(٢). وهذا مما يقطع الكذب ما يدعى فى حق معاوية من حمله الناس على سب على، إذ كيف يحصل هذا مع ما بينه وبين أولاده من هذه الألفة والمودة والاحتراف والتكريم. وبهذا يظهر الحق فى هذه المسألة، وتتجلى الحقيقة^(٣)، كما أن ذلك المجتمع فى عمومته مقيد بأحكام الشرع حريص على تنفيذها، ولذلك كانوا أبعد الناس على الطعن واللعان والقول الفاحش والبذى، فعن ابن مسعود - رضى الله عنه - مرفوعاً -: ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا البذى^(٤). وقد نهى رسول الله ﷺ عن سب الأموات المشركين فكيف بمن سب أولياء الله المصلحين، فعن عائشة رضى الله عنها - مرفوعاً - لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا^(٥).

وبعد أن تمّ الصلح تنازل الحسن عن الخلافة، وتمّ بيان ذلك فى حديثنا عن المراحل، وبذلك طويت صفحة من الخلاف والفرقة، واجتمعت الكلمة، وصار معاوية خليفة مجعماً عليه، قيل: عام أربعين للهجرة^(٦)، ولكن ابن إسحاق^(٧) والواقدي^(٨)، وخليفة بن خياط^(٩)، يجعلون ذلك عام واحد وأربعين للهجرة ويختلفون فى الشهر الذى وقع فيه الصلح من ذلك العام أهو ربيع الأول أو ربيع

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٣٩).

(٢) المصدر نفسه (٨/ ١٤٠).

(٣) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٧٧).

(٤) صحيح ابن حبان، رقم (٤٧)، صححه الألبانى فى الصحيحة، رقم (٣٢٠).

(٥) البخارى، رقم (٦٥١٦).

(٦) المعجم الكبير للطبرانى (٣/ ٢٦) دراسة فى الخلفاء الأمويين، ص (٦٩).

(٧) تهذيب التهذيب (٢/ ٢٩٩) ترجمة الحسن بن على.

(٨) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٩).

(٩) تاريخ خليفة، ص (٢٠٣).

الآخر، أو جمادى الأولى، أو جمادى الآخرة^(١)، ومضى معاوية يقود مسيرة الأمة من غير أن يجعل للفتنة وأحداثها سيلاً^(٢).

- موقف معاوية من قتلة عثمان:

وقد يسأل سائل عما فعل معاوية بقتلة عثمان بعد صيرورة الخلافة إليه؟ ويجب ابن قتيبة في عيون الأخبار قائلاً: إن معاوية بن أبي سفيان لما قدم بعد عام الجماعة، دخل دار عثمان بن عفان، فصاحت عائشة بنت عفان بن عثمان وبكت ونادت أباه، فقال معاوية: يا ابنة أخي، إن الناس أعطونا طاعة، وأعطيناهم أماناً، وأظهرنا لهم حلماً تحت غضب، وأظهروا لنا ذلاً تحت حق، ومع كل إنسان سيفه ويرى موضع أصحابه، فإن نكثناهم نكثوا بنا، ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا، لأن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين خيراً من أن تكوني امرأة من عرض الناس^(٣). والذي يعتد به من كلام ابن قتيبة ما جاء عن العهود والمواثيق التي أبرمت بين معاوية والحسن، وقضت بالصلح بين الناس، ووضع الحرب، وحقن الدماء، وعدم تهيج النفوس، وإضافة إلى ذلك فإن السنوات الخمس التي احتضنت المعارك في الجمل وصفين والنهروان ومصر وغيرها ذهبت بأولئك الذين ترددت أسماؤهم بتهمة قتل عثمان، ومع ذلك فإن مسألة قتل عثمان ظلت حاضرة في ذهن الخلفاء من بنى أمية ونوابهم في الأغلب، وأما انتصار بنى أمية لعثمان كان حقيقة لا شبهة فيها^(٤). كما أن الصحابة الذين بايعوا معاوية رضى الله عنه جميعاً يستحال أن يرضوا بسب على على منابر الدولة الأموية ولا يتكلم منهم أحد أو يأمر بالمعروف وينهوا عن المنكر وإليك أسماؤهم:

فقد روى عن الأوزاعي أنه قال: أكدت خلافة معاوية عدة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم سعد، وأسامه وجابر، وابن عمر، وزيد بن ثابت، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، ورافع بن خديج، وأبو أمامة، وأنس بن مالك،

(١)، (٢) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٦٩) ..

(٣) المصدر نفسه، ص (٧٠).

(٤) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص (٧٠).

ورجال أكثر مما سميت أضعاف مضاعفة، كانوا مصاييح الهدى، وأوعية العلم، حضروا من الكتاب تنزيله، وأخذوا عن رسول الله تأويله، ومن التابعين لهم بإحسان إن شاء الله، منهم، عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن محيريز فى أشباه له، لم ينزعوا يده عن مجامعة فى أمة محمد ﷺ^(١).

- من نتائج الصلح:

أولاً: توحد الأمة تحت قيادة واحدة:

سجل فى ذاكرة الأمة عام الجماعة وأصبح هذا الحدث من مفاخرها التى تزهو به على مر العصور، وتوالى الدهور، فقد التقت الأمة على زعامة معاوية، ورضيت به أميراً عليها، وابتهج خيار المسلمين بهذه الوحدة الجامعة، بعد الفرقة المشتتة، وكان الفضل فى ذلك لله ثم للسيد الكبير مهندس المشروع الإصلاحى العظيم الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، ويعد عام الجماعة من علامة نبوة المصطفى ﷺ وفضيلة باهرة من فضائل الحسن، ولا يلتفت إلى ما قاله العقاد فى عام الجماعة فى هجومه الخاطئ على المؤرخين الذين سمو سنة إحدى وأربعين هجرية بعام الجماعة، فقد قال: فليس أضل ضلالاً، ولا أجهل جهلاً من المؤرخين الذين سمو سنة إحدى وأربعين هجرية بعام الجماعة لأنها السنة التى أشتأثر فيها معاوية بالخلافة فلم يشاركه أحد فيها، لأن صدر الإسلام لم يعرف سنة تفرقت فيها الأمة كما تفرقت فى تلك السنة، ووقع فيها الشتات بين كل فئة من فئاتها كما وقع فيها^(٢). والعقاد رحمه الله لم يأت بجديد فى حكمه الخاطئ بل سبقه إليه كثير من مؤرخى الشيعة الرافضة، ويكفى معاوية فخراً أن كل الصحابة الأحياء فى عهده بايعوه، فقد بايع معاوية جم غفير من صحابة رسول الله ﷺ^(٢)، وفى ذلك يقول ابن حزم: فبويع الحسن ثم سلم الأمر إلى

(١) البداية والنهاية (٣٣/٨) نقلاً عن أثر العلماء فى الحياة السياسية فى الدولة الأموية، عبد الله الخرغان ص (٨٣).

(٢) معاوية بن أبى سفيان، ص (١٢٥) للعقاد.

معاوية، وفى بقايا الصحابة من هو أفضل منهما بلا خلاف ممن أنفق قبل الفتح وقاتل، وكلهم؛ أولهم عن آخرهم بايع معاوية، ورأى إمامته^(١)، ونتعلم من فقه الحسن وموقف الصحابة من بيعة معاوية فهمهم العميق لآيات النهى عن الاختلاف، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فالصراط المستقيم هو: القرآن، والإسلام، والفطرة التى فطر الله الناس عليها، والسبيل هى: الأهواء، والفرق، والبدع، والمحدثات، قال مجاهد: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ يعنى: البدع، والشبهات، والضلالات^(٢)، ونهى الله سبحانه وتعالى هذه الأمة عما وقعت فيه الأمم السابقة من الاختلاف والتفرق من بعد ما جاءتهم البينات، وأنزل الله إليهم الكتب، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. ونهى الأمة أن تكون من المشركين، الذين فرقوا دينهم، وكانوا شيعا، فقال عز من قائل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُبِينٍ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠ - ٣٢] وأخبر سبحانه وتعالى: أن الرسول ﷺ برىء من الذين يفرقون دينهم ويكونون شيعا وأحزابا^(٤)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبله قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

لقد تحقق بفضل الله تعالى ثم بنجاح الحسن بن على فى صلحه مع معاوية مقصد عظيم من مقاصد الشريعة من وحدة المسلمين واجتماعهم، وهذا المقصد من أهم أسباب التمكين لدين الله تعالى، ونحن مأمورون بالتواصى بالحق والتواصى،

(١) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (١٦٧).

(٢) الفصل (٦/٥).

(٣) تفسير مجاهد، ص (٢٢٧).

(٤) دراسات فى الأهواء والفرق والبدع، ناصر العقل، ص (٤٩).

بالصبر، فلا بدَّ من تضافر الجهود بين الدُّعاة، وقادة الحركات الإسلامية، وبين علماء المسلمين، وطلبة العلم لإصلاح ذات البين إصلاحًا حقيقيًا لا تلفيقيًا، لأن أنصاف الحلول تفسد أكثر ممَّا تصلح، وقد تحدث الشيخ عبد الرحمن السعدى عن الجهاد المتعلق بالمسلمين بقيام الألفة، واتفاق الكلمة، وبعد أن ذكر الآيات، والأحاديث الدالة على وجوب تعاون المسلمين ووحدتهم قال: فإن من أعظم الجهاد السَّعى فى تأليف قلوب المسلمين، واجتماعهم على دينهم، ومصالحهم الدنيَّة والدنيوية^(١)، إن الأخذ بالأسباب نحو تأليف قلوب المسلمين، وتوحيد صفهم من أعظم الجهاد، لأن هذه الخطوة مهمة جدًّا فى إعزاز المسلمين، وإقامة دولتهم، وتحكيم شرع ربهم، وهذا من فقه الخلفاء الراشدين، ويتجلى فى أبهى صورة فى تنازل الحسن بن على رضى الله عنه لمعاوية رضى الله عنه من أجل وحدة الأمة، وحفظ دمائها، والأجر والمثوبة عند الله.

ثانيًا: عودة الفتوحات إلى ما كانت عليه:

إن دعوة الناس للدخول فى دين الله تعالى من مقاصد الإسلام الكبرى، ومن الوسائل التى استخدمت فى عهد الراشدين حركة الفتوحات المباركة، وتعد الفتنة التى أدت إلى استشهاد عثمان رضى الله عنه أكبر معوق أصاب الدعوة الإسلامية بعد حركة الردة أيام أبى بكر رضى الله عنه، حيث أدى استشهاد عثمان إلى توقف الجهاد، واتجاه سيوف المسلمين إلى بعضهم فى فتنة كادت تعصف بالأمة الإسلامية لولا أن تداركتها رحمة الله سبحانه وتعالى بصلح الحسن بن على رضى الله عنه مع معاوية رضى الله عنه، وقد امتلأت المصادر بالنصوص التى تبين أثر الفتنة فى انحسار حركة الجهاد^(٢) وفيما يلي بعضها:

١- عن الحسن بن على رضى الله عنه أنه قال: قد رأيت أن أعمد على المدينة فأنزله وأخلى بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسقطت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعُطِّلَت الفروج - يعنى الثغور^(٣).

(١) وجوب التعاون بين المسلمين، ص (٥).

(٢) مرويات خلافة معاوية، ص (٣٠٩).

(٣) الطبقات، تحقيق السُّلمى (١/٣٣١).

٢- ما أخرجه أبو زرعة الدمشقي بإسناده، قال: لما قبل عثمان، واختلف الناس، لم تكن للناس غازية، ولا صائفة، حتى اجتمعت الأمة على معاوية^(١).

٣- قول أبي بكر المالكى: فوقعت الفتنة.. واستشهد عثمان رضى الله عنه، وولى بعده على رضى الله عنه، وبقيت إفريقية على حالها إلى ولاية معاوية رضى الله عنه^(٢).

فمن نتائج الصلح عودة حركة الفتوحات إلى ما كانت عليه وأصبحت فى عهد معاوية ثلاث جبهات رئيسية هى:

١- جبهة الروم:

وتعتبر هذه الجبهة من أهم الجبهات، وأخطرها، نظراً لقوة الروم، ومجاورتهم لبلاد المسلمين، هذا فضلاً عن امتلاكهم لجيوش برية وأساطيل بحرية على درجة كبيرة من التنظيم والخبرة، مما دفع المسلمين والروم فى البر والبحر معاً.

٢- جبهة المغرب:

وهذه الجبهة ترتبط بجبهة الروم برباط وثيق، وذلك لوجود مستعمرات رومية على بلاد المغرب كان لها أثر كبير فى عرقلة حركة الفتوحات الإسلامية فى المنطقة.

٣- جبهة سجستان وخراسان وما وراء النهر^(٣):

تعتبر سجستان وخراسان من أوائل البلاد التى انتقضت على المسلمين بعد استشهاد عثمان^(٤) رضى الله عنه. وقد ترك معاوية رضى الله عنه معالم واضحة فى سياسته الجهادية أوردتها خليفة بن خياط فى تاريخه حيث قال: كان آخر ما أوصاهم به معاوية أن شُدوا خناق الروم، فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم^(٥)، وقد سلك معاوية خطوات لتحقيق هذه السياسة فى أثناء خلافته:

(١) مرويات خلافة معاوية، ص (٣١٠).

(٢) رياض النفوس (١/ ٢٧).

(٣) يقصد بمصطلح ما وراء النهر تلك البلاد الواقعة وراء نهر جيحون.

(٤) مرويات خلافة معاوية، ص (٣٤).

(٥) تاريخ خليفة، ص (٢٣٠).

أ- التركيز على عمليات الصوائف والشواتى، من أجل تحقيق عدة أهداف منها:
* استنزاف قوى الروم.

* انتزاع زمام المبادرة من الروم وجعلهم فى حالة دفاع مستمر.
* إرغام الروم على توزيع قواتهم بحيث لا يستطيعون القيام بهجمات حاسمة وقوية ضد الدولة الإسلامية.

ب- مهاجمة الروم فى عقر دارهم ومحاصرة عاصمتهم، وما يترتب على ذلك من إضعاف معنوياتهم، وقذف الرعب فى قلوبهم.

ج- تقليص النفوذ البحرى للروم عن طريق فتح الجزر الواقعة فى بحر الشام، وما يترتب على ذلك من حرمان سفن الروم من قواعدها البحرية، وأما سياسة معاوية رضى الله عنه فى جبهة المغرب فكانت كالتالى:

١- أولى معاوية رضى الله عنه جبهة المغرب اهتماماً خاصاً تمثل بارتباط هذه الجبهة به شخصياً، حيث كان معاوية رضى الله عنه المرجع المباشر لقيادة هذه الجبهة إلى سنة ٤٧ هـ، وهى السنة التى ضمت فيها جبهة المغرب إلى والى مصر.

٢- عمل معاوية رضى الله عنه على إقامة قاعدة جهادية متقدمة فى قلب بلاد المغرب تكون عزاً للإسلام والمسلمين وذلك ببناء مدينة القيروان^(١).

وأما سياسة معاوية رضى الله عنه فى جبهة سجستان وخراسان وما وراء النهر فكانت:

١- استعانة معاوية رضى الله عنه بفاتح سجستان وخراسان أيام عثمان رضى الله عنه، وهو عبدالله بن عامر رضى الله عنه، وتكليفه بإعادة فتحها مرة أخرى.

٢- العمل على تثبيت الحكم الإسلامى، ونشر دعوة الإسلام فى هذه المنطقة عن طريق إسكان خمسين ألفاً من العرب بعيالاتهم فى خراسان^(٢)، فلولاً لله سبحانه وتعالى ثم تنازل الحسن بن على لمعاوية ما عادت حركة الجهاد والفتوحات

(١) مرويات خلافة معاوية، ص (٣٦٣).

(٢) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (٣٦٤، ٣٦٥).

إلى ما كانت عليه، فمن نتائج الصلح تحقيق هذا المقصد الشرعى العظيم، فالوحدة بين المسلمين على كتاب الله وسنة رسوله لها ثمار طيبة فى دنيا المسلمين، فلو استوعبت الأمة عموماً وقيادتها خصوصاً هذا المقصد العظيم وطبقته فى حياتها لكان حالها فى صعود وارتقاء.

ثالثاً: تفرغ الدولة للخوارج:

من نتائج الصلح تفرغ الدولة الإسلامية للخوارج، فقد استطاع معاوية أن يضعف من شوكتهم وقوتهم، وتصدى لحركة فروة بن نوفل الأشجعى، وحركة المستورد بن علف التيمى، وحركة حيان بن ظبيان السلمى، وهذه الحركات ظهرت فى الكوفة^(١)، وأما حركة يزيد الباهلى وسهم الهجيمى، وحركة قريب الأزدى وزحاف الطائى، وغيرهم فكانت بالبصرة^(٢). ولسنا فى محل تفصيل هذا الصراع بين الدولة الإسلامية والخوارج، ولكننا فى محل تقرير نتيجة طبيعية من نتائج الصلح، وهى التضيق والتصدى للخوارج، ولذلك اتسمت حركة الخوارج فى عهد معاوية رضى الله عنه بالعشوائية والارتجال وقلة التنظيم، وكانت أشبه ما يكون بعمليات انتحار جماعى، لأنهم يخرجون بفئات قليلة لا تلبث أن تستأصل، افتقارهم إلى قيادة واعية ومحنكة تستطيع استثمار شجاعتهم وفروسياتهم لتحقيق أهدافهم، تكرارهم لأخطاء بعضهم وعدم استفادة كل حركة من تجربة سابقتها، استبعادهم لأسلوب الحوار والمناظرة فى دعوتهم، ومحاولة فرض فكرهم على المجتمع المسلم بالقوة، اختلاط الدوافع الدينية التى دعتهم للخروج - بزعمهم - مع دوافع العصبية الجاهلية فى حركاتهم، والمتمثلة بخروج بعضهم ثأراً لمن قتل من أصحابهم، شعورهم بالغرابة داخل المجتمع المسلم، ونفورهم منه، واقتناعهم أن قتال أهل القبلة أولى من جهاد الكفار، عدم بحثهم عن أرض جديدة لنشر دعوتهم، واقتصارهم على بعض مدن العراق، وخاصة الكوفة والبصرة^(٣)، فمن نتائج الصلح الملموسة التضيق على حركة الخوارج.

(١) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (١٩٦، ١٩٧).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٩٧ - ٢٠٨).

(٣) مرويات خلافة معاوية، ص (٢٠٩، ٢١٠).

- انتهاء عهد الخلافة الراشدة:

انتهى عهد الخلافة الراشدة على منهاج النبوة بتنازل الحسن بن علي لمعاوية رضى الله عنه، فقد قال رسول الله ﷺ: تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء أن تكون، يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاصياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت^(١). وقد بين رسول الله ﷺ: خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله الملك، أو ملكه من يشاء^(٢)، وقوله ﷺ: الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك^(٣)، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً^(٤)، وبذلك تكون مرحلة خلافة النبوة قد انتهت بتنازل الحسن رضى الله عنه عن الخلافة لمعاوية في شهر ربيع الأول من سنة ٤١ هـ^(٥)، فالحديث النبوي الكريم أشار إلى مراحل تاريخية وهي:

١- عهد النبوة.

٢- عهد الخلافة الراشدة.

٣- عهد الملك العضوض^(٦).

٤- عهد الملك الجبرى.

٥- ثم تكون خلافة على منهاج النبوة.

(١) مسند أحمد (٤/ ٣٧١ ، ٣٧٢)، سلسلة الأحاديث الصحيحة.

(٢) سنن أبي داود شرح عون المعبود (١٢/ ٢٥٩)، صحيح سنن الألبانى (٣/ ٨٧٩).

(٣) سنن الترمذى شرح تحفة الأحوذى (٦/ ٣٩٥ - ٣٩٧) حديث حسن.

(٤) البداية والنهاية (٨/ ١٦).

(٥) مرويات خلافة معاوية، ص (١٦٥).

(٦) العضوض: الشديد فيه عسف وعنف وظلم.

وقد بين رسول الله ﷺ بأنه ستكون خلافة نبوة ورحمة ثم يكون ملك ورحمة^(١)، ويجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين خلفاء وإن كانوا ملوكاً، ولم يكونوا خلفاء الأنبياء بدليل ما رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: كانت بنو إسرائيل يسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدى، وستكون خلفاء فتكثر. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: وفوا ببيعة الأول، فالأول، ثم أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم^(٢)، فقلوه: فتكثر دليل على من سوى الراشدين فإنهم لم يكونوا كثيراً، وأيضاً قوله: وفوا ببيعة الأول فالأول دل على أنهم يختلفون؛ والراشدون لم يختلفوا، وقوله: فأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم دليل على مذهب أهل السنة؛ فى إعطاء الأمراء حقهم من المال والمغنم^(٣)، فمعاوية رضى الله عنه أفضل ملوك هذه الأمة، والذين كانوا قبله خلفاء نبوة، وأما هوفكانت خلافته ملكاً، وكان ملكه ملكاً ورحمة، وكان فى ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين، ما يعلم أنه كان خيراً من ملك غيره^(٤)، ومعاوية رضى الله عنه وإن كان عالماً ورعاً عدلاً، دون الخلفاء الأربعة فى العلم والورع والعدل، كما ترى من التفاوت بين الأولياء؛ بل الملائكة والأنبياء، فإمارته وإن كانت صحيحة بإجماع الصحابة وتسليم الحسن - رضى الله عنه - إلا أنها ليست على منهاج خلافة من قبله، فإنه توسع فى المباحات، وتحرز عنها الخلفاء الأربعة، وأما رجحان الخلفاء الأربعة فى العبادات والمعاملات فظاهر مما لا ستره فيه^(٥). وقد حدد ابن خلدون مدى التغير الذى حدث، فقرر أن الخلافة وإن كانت تحولت إلى ملك، فإن معانى الخلافة قد بقيت - بعضها - وإنما كان التغير فى الوازع فبعد أن كان ديناً انقلب عصبية وسيقاً؛ يقصد بذلك أنه بعد أن كان الناس يتصرفون بوازع الدين، والخلافة شورى، صار الحكم مستنداً إلى العصبية والقوة، ولكن معانى الخلافة أى مقاصدها وأهدافها

(١) سنن الدارمى (٢/ ١١٤)، الأشربة (الفتاوى ٣٥ / ١٤).

(٢) البخارى، رقم (٣٤٥٥).

(٣) الفتاوى (٣٥ / ١٥).

(٤) الفتاوى (٤ / ٢٩٢).

(٥) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، ص (٧٨).

بقيت أى أن غايات هذا الملك كانت لا تزال تحقق مقاصد الدين والحكم وفق الشريعة الإسلامية بالعدل وتنفيذ الواجبات التى يأمر بها الإسلام: أى أن الحكم أو الملك استمر إسلامياً وشرعياً^(١)، ولخص الأدوار التى مرت بها الخلافة فقال: فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك أولاً، ثم التبتت معانيها واختلطت بالملك، ثم انفرد الملك حيث افترقت عصبية الخلافة والله مقدر الليل والنهار^(٢)، فالدور الأول الذى يشير إليه هو عصر الخلفاء الراشدين وهو عصر الخلافة الخالصة أو الكاملة، والدور الثانى هو عصر الخلفاء الأمويين والعباسيين - ولا يمنع كذلك العثمانيين - وهذا عصر الخلافة المختلطة بالملك أو الملك المختلط بالخلافة: أى الذى يحقق فى الوقت نفسه مقاصد الخلافة، أما الدور الثالث فهو عصر الملك المحض الذى صار بقصد لذات الملك والأغراض الدنيوية، وانفصل عن حقيقة الخلافة أو معانيها الدينية، فهذا وصف أو تفسير ابن خلدون المؤرخ الفقيه للتطور الذى حدث والأدوار التى مرت بها الخلافة^(٣).

إن الخلافة الحقيقية أو الكاملة أو خلافة النبوة استمرت ثلاثين عاماً وهو عصر الخلفاء الراشدين، ثم تحولت إلى ملك، ولكن لكى نعبر عن الحقيقة يجب أن يراعى هذا التحديد، وهو أن الخلافة لم تنته أو تذهب كلية، وإنما بقيت معانيها أو مقاصدها، وأن التغيير حصل فى الأساس الذى قامت عليه، أما حقيقتها فقد بقيت، فالتغيير إذن لم يكن كلياً ولكن جزئياً: أى أن الخلافة فى العصر الأول كانت هى الخلافة الكاملة المثالية، ثم نقصت عن المثال من وجه أو بعض الوجوه، لكن معظم عناصرها بقيت، فهى خلافة أقل من الرتبة أو خلافة مختلطة بالملك^(٤)، والرأى العام فى الإسلام يتمسك بالمثال، أو خلافة النبوة، أو الخلافة الكاملة، وهى تلك التى تقوم على الشورى والاختيار التام من الأمة، وأنه إذا كانت الظروف الواقعية والعوامل الاجتماعية قد حتمت أو أدت إلى هذا التطور،

(١) النظريات السياسية للرئيس، ص (١٩٤) نقلاً عن المقدمة.

(٢)، (٣) مقدمة ابن خلدون، النظريات السياسية، ص (١٩٥).

(٤) مقدمة ابن خلدون، ص (١٩٦).

فإن تحمل ذلك أو قبوله لا يكون إلا مؤقتاً أو من باب الضرورة، ولكن يلزم أن يكون المثل الكامل حاضراً دائماً في فكر الرأى العام، وبمجرد أن تزول تلك العوامل والظروف تجب العودة إلى تحقيق المثل الكامل، ولذا فإن الكتابات الإسلامية الأصيلة ظلت ملتزمة ومتشبثة بالمثال الكامل ولا تستخلص مبادئها إلا منه، وتفرق بين الخلافة وهى الخلافة الحقيقية الشرعية، والخلافة الواقعية التى بعدت قليلاً أو كثيراً عن الحقيقة^(١). وقد ذكر ابن تيمية: أن مصير الأمر - أى الخلافة - إلى الملوك ونوابهم من الولاة والقضاة والأمراء ليس لنقص فيهم فقط، بل لنقص فى الراعى والرعية جميعاً، فإنه كما تكونوا يؤل عليكم وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾^(٢) [الأنعام: ١٢٩]. لقد ذهبت دولة الخلفاء الراشدين، وصار ملكاً ظهر النقص فى الأمراء، وكذلك فى أهل العلم والدين وجمهور الصحابة انقراضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة، حتى إنه لم يبق من أهل بدر إلا نفر قليل، وجمهور التابعين بإحسان انقراضوا فى أواخر عصر أصاغر الصحابة فى إمارة الزبير وعبد الملك، وجمهور تابعى التابعين انقراضوا فى أواخر الدولة الأموية، وأوائل الدولة العباسية^(٣).

- هل معاوية رضى الله عنه يعتبر أحد الخلفاء الاثنى عشر؟

عن جابر بن سمرة رضى الله عنه: دخلت مع أبى على النبى ﷺ، فسمعته يقول: إن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلم بكلام خفى علىّ، قال: فقلت لأبى: ما قال، قال: كلهم من قريش^(٤)، وفى رواية أخرى عن جابر: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشرة خليفة.. كلهم من قريش^(٥)، وفى رواية أخرى عنه: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة.. كلهم من قريش^(٦)، زاد أبو داود فى سننه، بإسناده عن جابر رضى الله

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ١٩٧.

(٢) الفتاوى (٣٥ / ١٥).

(٣) الفتاوى (١٠ / ٢٠٧).

(٤)، (٥) صحيح مسلم على شرح النووى (١٢ / ٥٠٢).

(٦) المصدر نفسه (١٢ / ٢٠٣).

عنه قال: فلما رجع إلى منزله أثنى قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج (١) (٢).

وقد شرح ابن كثير هذا الحديث فقال: ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق ويعيدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل قد وجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة، وبعض بني العباس، ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن منهم المهدي المُنْبَشَّرَ به في الأحاديث الواردة بذكره... وليس هذا بالمنتظر الذي تتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامراء (٣)، فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية، بل هو من هوس العقول السخيفة، وتوهم الخيالات الضعيفة - وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الاثني عشر الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد فيهم الاثنا عشرية من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم (٤). وإضافة لمن ذكرهم ابن كثير نضيف خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن رضي الله عنه، وقد ناقشت معتقد أهل السنة والشيعة الأمامية في المهدي المنتظر في كتابي أسامي المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، فمن أراد التفصيل فليرجع إليه مشكوراً، وبالنسبة لمرحلة الخلفاء الاثني عشر فإنه استناداً إلى الوجه الذي ذكره ابن كثير، فإن هذه المرحلة تمتاز بأن مداها الزمني يتخلل المراحل الأخرى كلها، وخلفاء هذه المرحلة يكون ظهورهم في الأمة متتابعاً ومتفرقاً وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة - ويبدأ ظهورهم من وفاة الرسول ﷺ - أي بخلافة أبي بكر رضي الله عنه، وتكتمل هذه المرحلة بظهور آخرهم في آخر الزمان حيث يعقب خلافته الهرج (٥)، وقد ذكر ابن كثير أن من خلفاء هذه المرحلة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ولما كان معاوية رضي الله عنه أفضل من

(١) هرج الناس: وقعوا في فتنة واختلاط وقتل، القاموس المحيط، ص (٢٦٨).

(٢) سنن أبي داود مع شرحها عون المعبود (١١ / ٢٤٩)، صحيح سنن الألباني (٣ / ٨٠٧).

(٣) سامراء: مدينة بين بغداد وتكريت على شرفي دجلة.

(٤) التفسير (٢ / ٣٤).

(٥) مرويات خلافة معاوية، ص (١٦٥).

عمر بن عبد العزيز فهذا يعنى دخول معاوية رضى الله عنه فى خلفاء هذه المرحلة، هذا والله تعالى أعلم. وقد تقدم بيان شىء من فضائل معاوية رضى الله عنه.

- هل الحسن بن على رضى الله عنه تنازل لمعاوية من موقف قوة أو موقف ضعف؟

تنازل الحسن بن على رضى الله عنه لمعاوية من موقف قوة وهناك دلائل تشير إلى ذلك منها:

١- الشرعية التى كان يملكها الحسن:

فقد كانت بيعته فى شهر رمضان من سنة ٤٠ هـ وذلك بعد استشهاد أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وقد اختير الحسن بعده اختياراً شورياً وأصبح الخليفة الشرعى على الحجاز واليمن والعراق، وكل الأماكن التى كانت خاضعة لوالده، وقد استمر فى خلافته ستة أشهر، وتلك المدة تدخل ضمن الخلافة الراشدة التى أخبر عنها رسول الله ﷺ بأن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً، فقد روى الترمذى بإسناده إلى رسول الله ﷺ حيث قال: الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك^(١).

وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن ابن على، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية فى ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفى فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه^(٢)، وبذلك يكون الحسن بن على خامس الخلفاء الراشدين^(٣)، وقد تحدث عن شرعية الحسن بالخلافة كثير من علماء أهل السنة منهم، أبو بكر بن العرين^(٤)، والقاضى

(١) سنن الترمذى مع شرحها تحفة الأحوذى (٦/ ٣٩٥ - ٣٩٧) حديث حسن.

(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).

(٣) مآثر الأنفة (١/ ١٠٥). مرويات خلافة معاوية، ص (١٥٥).

(٤) أحكام القرآن لابن العربى (٤/ ١٧٢٠).

عياض^(١)، وابن كثير^(٢)، وشارح الطحاوية^(٣)، والمناوى^(٤)، وابن حجر الهيثمي^(٥) ولو أراد الحسن أن يتعب معاوية بحكم أن الشرعية معه لأمكن ذلك، ولرتب حملة إعلامية منظمة فى أوساط أهل الشام، لكسب ثقتهم أو على الأقل زعزعة موقف معاوية بينهم، فقد كان يملك قوة معنوية ونفوذاً روحياً لا يستهان به بحكم الشرعية التى يستند إليها، ولكونه حفيد الرسول ﷺ.

٢- تقييم الحسن بن على للموقف وقدراته القيادية:

فعندما قال له نغير بن الحضرمى: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالت ويحاربون من حاربت، فتركها ابتغاء وجه الله^(٦). فهذه شهادة من الحسن رضى الله عنه، بأنه كان فى وضع قوى، وبأن أتباعه على استعداد لمحاربة من يريد أو مسالمتهم، كما كان رضى الله عنه يملك من الملكات الخطابية والفصاحة البيانية، وصدق العاطفة وقوة التأثير، وقرباً من رسول الله ﷺ ما يجعله أكثر قوة وتماسكاً، ودليلنا على ذلك ما قام به من استنفار أهل الكوفة للخروج مع والده، وكان أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه قد ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال والفتنة وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك فى الفتنة^(٧)، فقد أرسل على رضى الله عنه قبل الحسن محمد بن أبى بكر، ومحمد بن جعفر ولكنهما لم ينجحا فى مهمتهما، وأرسل على بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، ففشل فى مهمته لتأثير أبى موسى عليهم^(٨)، وأتبعه على بعبد الله بن عباس، فأبطأوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن^(٩)، وكان للحسن أثر واضح، فقد قام فى

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (١٢ / ٢٠١).

(٢) البداية والنهاية (١١ / ١٣٤).

(٣) شرح الطحاوى، ص (٥٤٥).

(٤) فيض القدير (٢ / ٤٠٩٩).

(٥) الصواعق المحرقة (٢ / ٣٩٧).

(٦) البداية والنهاية (١١ / ٢٠٦).

(٧) تاريخ الطبرى (٥ / ٥١٤) مصنف ابن أبى شيبه (١٥ / ١٢) إسناده حسن.

(٨) خلافة على بن أبى طالب، ص (١٤٤)، عبد الحميد على، سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٨٦).

(٩) فتح البارى (١٣ / ٥٣)، على بن أبى طالب، للصلاوى (٢ / ٦٠).

الناس خطيئاً وقال: أيها الناس، أجيئوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى^(١)، أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيئوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به^(٢) وابتليتكم، ولبي كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى على ما بين الستة إلى سبعة آلاف رجل^(٣)، ولا ننسى أن أبا موسى الأشعري كان والياً على الكوفة، ومن قيادات العراق المحبوبين من عهد عمر وهو من هو في علمه وزهده ومكانته عند الناس، ومع ذلك فقد استطاع الحسن أن يكسب أهل الكوفة لصفه وخرجوا معه.

٣- إن صف الحسن بن على كان يملك من القيادات الكبيرة، كأخيه الحسين، وابن عمه عبد الله بن جعفر، وقيس بن سعد بن عبادة - وهو من دهاة العرب - وعدى بن حاتم وغيرهم، فلو أراد الخلافة لأعطى المجال لقياداته للتحرك نحو تعبئة الناس والدخول في الحرب مع معاوية وعلى الأقل يكون خليفة على دولته إلى حين.

٤- كانت له قدرات خاصة في التعامل مع أهل العراق ومعرفة نفوسهم ولذلك زاد لهم في العطاء منذ بداية خلافته، كما أن مهمته التي قادها في نجاح مشروعه الإصلاحى كانت أصعب من حربه لمعاوية، ومع ذلك تغلب على الكثير من العوائق التي واجهته، فقد حاولوا قتله، ورفض بعض الناس الصلح، وغير ذلك من العوائق إلا أنه تغلب عليها كلها وحقق الأهداف التي رسمها من حقن الدماء، ووحد الأمة، وأمن السبيل، وعودة حركة الفتوح... إلخ مما يدل على قدراته القيادية الفذة.

٥- تقييم عمرو بن العاص، ومعاوية لقوات الحسن عليه السلام: فقد جاء في البخارى: استقبل والله الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو ابن العاص: إنى أرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها. فقال معاوية - وكان خير الرجلين - أى عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء من لى بأمور الناس، من لى بنسائهم،

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٦) أولو النهى أصحاب العقول.

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٦).

(٣) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٦، ٤٥٧) بسند صحيح إلى الزهرى.

من لى بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس - عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز - فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فأعرضا عليه وقولا له، واطلبا إليه^(١).

أ- فعمرو بن العاص رضى الله عنه القائد العسكرى الشهير والسياسى المحنك والذى عركته الحروب يقول: إني أرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها.

ب- وأما معاوية رضى الله عنه، فتقييمه للموقف العسكرى بأنه لا يستطيع أحد أن يتتصر ويحقق حسماً عسكرياً إلا بعد خسائر فادحة للطرفين ولا يستطيع معاوية حتى لو كان هو المنتصر أن يتحمل تركة الحزب من أرامل وأيتام وقتل خير المسلمين، وما يترتب على ذلك من مفساد كبرى اجتماعية وسياسية واقتصادية، وأخلاقية للأمة الإسلامية وغيرها.

ج- ولذلك اختار معاوية رضى الله عنه شخصيتين كبيرتين من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أصحاب النفوذ فى المجتمع الإسلامى ولهم حضور واحترام عند الحسن رضى الله عنه وهما من قريش:

* عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أبو سعيد القرشى العشمى الأمير، أسلم عبد الرحمن يوم الفتح وكان أحد الأشراف، نزل البصرة، وغزا سجستان^(٢)، وهو الذى قال له رسول الله ﷺ: يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها^(٣). وله فى مسند بقى بن مخلد أربعة عشر حديثاً، وحدث عنه: ابن عباس، وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبى ليلى، وحيّان بن عمير، وابن سيرين، والحسن، وأخوه سعيد بن أبى الحسن، وحמיד بن هلال، وقيل: كان اسمه عبد كلال، فغيره رسول الله ﷺ^(٤) إلى عبد الرحمن.

(١) البخارى، ك الصلح، رقم (٢٧٠٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧١).

(٣) مسلم، ك الإيمان، رقم، (١٦٥٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٢).

مات بالبصرة سنة خمسين، وقيل: توفي سنة إحدى وخمسين^(١)، فعبد الرحمن بن سمرة صحابي جليل مجاهد له مكانته في ذلك العهد، وشارك في الفتوحات وتولى إمارة جيوش الفتح في عهد عثمان وفتح سجستان صلحاً ثم افتتح فيما بعد بُست وما يليها، ومضى إلى كابل وزابلستان فافتتحهما جميعاً وبعث بالغنائم إلى ابن عامر رضى الله عنه^(٢).

* عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العبشمي^(٣). ولد في عهد رسول الله ﷺ وذلك في السنة الرابعة من الهجرة^(٤)، وعندما اعتمر الرسول الكريم ﷺ في السنة السابعة للهجرة عمرة القضاء، ودخل مكة، حمل إليه عبدالله بن عامر، قال ابن حجر: ... فتلمظ وتثأب، فتغل رسول الله في فيه، وقال: هذا ابن السُّلَمية؟ قالوا: نعم، فقال: هذا أشبهنا، وجعل يتغل في فيه، ويعودّه فجعل يبتلع ريق النبي ﷺ، فقال: إنه لمسقى، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء^(٥). وقد ترجمت له في كتابي عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عند حديثي عن مؤسسة الولاية في عهد ذي النورين^(٦)، وهو الرجل الذي له من الحسنات والمحبة في قلوب الناس ما لا يُنكر كما يقول ابن تيمية^(٧)، وقال فيه الذهبي: وكان من كبار أمراء العرب، وشجعانهم، وأجوادهم، وكان فيه رفق وحلم^(٨)، وهو ممن اعتزل القتال في الجمل وصفين. فالشخصيتان اللتان أرسلهما معاوية رضى الله عنه تدل على حرصه على نجاح الصلح مع الحسن بأى ثمن ممكن، وقد ظل زمام الموقف بيد الحسن بن علي رضى الله عنه ويد أنصاره، وكانت جبهته العسكرية قوية كما مرّ

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٢).

(٢) تاريخ دمشق (٢٦/ ٢٨٩، ٢٩٠).

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٩١).

(٤) تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٢).

(٥) الطبقات (٥/ ٣١)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٢).

(٦) عثمان بن عفان، للصّلابي، ص (٣٠٢).

(٧) منهاج السنة (٣/ ١٨٩، ١٩٠).

(٨) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١).

معنا فى رواية البخارى والروايات الأخرى، وأما ما تعرض له الحسن رضى الله عنه من محاولة القتل والاعتداء فإنه يعود إلى أسباب تتصل بظروف القتال والصلح مع معاوية، حقيقة أو إشاعة كما مر معنا، وقد هزم المرجفون وقتل الرجل الذى قام بالاعتداء عليه، وتقدم هو من بعد ذلك واجتمع بمعاوية، ولو لم يكن الحسن مرهوب الجانب لما احتاج معاوية إلى أن يفاضه ويوافق على ما طلب من الشروط والضمانات، ولكان عرف ضعف جانب الحسن وانحلال قوته عن طريق عيونه، ولدخل الكوفة من غير أن يكلف نفسه مفاوضة أحد أو ينزل على شروطه ومطالبه^(١)، وقد كان بمقدور الحسن أن يقاتل معاوية، بمن كان معه من الأنصار والأعوان، ولكن الحسن كان ذا خلق يجنح للسلم ويكره الفتنة وينبذ الفرقة، وقد جمع الله به رأب الصدع وجمع الكلمة، وقد كان رسول الله ﷺ أشار^(٢) إلى ذلك فقال: إن ابنى هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين^(٣).

- الحسن والزهد فى الملك:

فالحسن بن على رضى الله عنه قدوة للمسلمين فى الترفع عن حطام الدنيا وطلب ما عند الله تعالى واحتساب الأجر والمثوبة، فالزهد فى المناصب والكراسى من الأمور الثقيلة على النفس البشرية، فالإخوان والأصحاب والأقارب يتقاتلون على الكراسى والمناصب، فانظر إلى التاريخ القديم والحديث ترى العجب العجيب، فالزهد فى الرئاسة أقل ما يكون فى دنيا الناس، وكم من أناس زهدوا فى المال والنساء وغيرها من الأمور، ولكنهم أمام الزعامة والرئاسة والمناصب ينهزمون، فالزهد فى الرئاسة أقل ما يكون فى دنيا الناس وقيل بأنه آخر ما ينزع من صدور الصالحين وتأمل مقولة سفيان الثورى، فقد قال: ما رأيت الزهد فى شىء أقل منه فى الرئاسة ترى الرجل يزهد فى المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع حامى عليها وعادى^(٤).

(١)، (٢) دراسة فى تاريخ خلفاء الدولة الأموية، ص (٦١).

(٣) البخارى، رقم (٧١٠٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٦٢).

إياك وحب الرياسة، فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء، فتفقد نفسك واعمل بنية، واعلم أنه قد دنى من الناس، أمر يشتهي الرجل أن يموت^(١).

فالحسن بن علي يعلمنا كيف نترك المناصب والكراسي إذا كان تركها رضاءً لله، ومصلحة للأمة، وحقناً لدمائها، وعملاً على توحيدها، ومن الأمور التي تساعدنا على الزهد في الدنيا قصر الأمل، وذكر الموت وزيارة القبور، وكان الحسن بن علي مكتوب على خاتمه:

قدم لنفسك ما استطعت من التقى إن المنية نازل بك يا فتي
أصبحت ذا فرح كأنك لا ترى أحباب قلبك في المقابر والبلى^(٢)

لقد كان الحسن بن علي من زهاد عصره، ونال في مقام الزهد القدر المعلى، فقد ترك الدنيا وحظاها واشتغل برضا الله تعالى، وكان له في ذلك شغل عن طلب المنزلة عند الخلق، ومع هذا فقد أعطاه الله المنزلة في قلوب الخلق والشرف عندهم، وإن كان لا يريد ذلك ولا يقف معه، بل يهرب منه أشد الهرب خشية أن يقطعه الخلق عن الحق جل جلاله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]. أى في قلوب عباده، وفي الحديث: «إن الله إذا أحب عبداً نادى: يا جبريل إني أحب فلاناً فيحبه جبريل، ثم يحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض^(٣)»، وبكل حال فطلب شرف الآخرة يحصل معه شرف في الدنيا، وإن لم يرد صاحبه ولم يطلبه، وطلب شرف الدنيا لا يجمع شرف الآخرة، ولا يجتمع معه، والسعيد من آثر الباقي على الفاني، قال أبو الفتح البستي:

أمران مفترقان لست تراهما يتشوقان لخلطة وتلاقى
طلب المعاد مع الرياسة والعلى فدع الذي يفنى لما هو باقى^(٤)

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣٧٦)، فقه الفتن، عبد الله شعبان، ص (١٤٢).

(٢) تاريخ دمشق (١٤/ ٨٦).

(٣) مسلم، رقم (٢٦٣٧).

(٤) أمراض النفس، د. أنس كرزون، ص (٧٧).

إن الحسن بن على رضى الله عنه يعلمنا كيف نزهد فى الجاه والسلطان والملك والشهرة ابتغاء مرضاة الله تعالى، فالحسن رضى الله عنه ازداد رفعة وسيادة بتنازله فى الدنيا وأصبح رمزاً لنكران الذات ومعلماً للإيثار ومدرسة وفخراً للأمة عبر الأجيال فى تقديمه مصلحة الأمة فى وحدتها وحفظ دمائها على أى مصلحة أخرى، ولقد بلغت شهوة حب الجاه فى قلوب الكثيرين مداها وأصبحوا يتنافسون على بلوغها، ويبدلون من أجلها الأموال والطاقات، ويتحايلون على الوصول إليها بالحيل والخداع ويقدمونها على شهوة حب المال وذلك للأسباب التالية:

١- لأن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه، فالعالم أو العابد الذى تقرر له جاه فى القلوب لو أراد اكتساب المال لبذل له الناس من أموالهم وأعمالهم ما يحقق له ذلك.

٢- أن المال معرض للتلف أو الزوال ويتطرق إليه الخطر، أما الجاه فإنه إذا دخل القلوب ملكها واستقر فيها فلا تمتد إليه الأخطار إلا إذا حصل ما يغير نظرة الناس إلى صاحب الجاه.

٣- أن ملك القلوب يسرى ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة، فالناس إذا أعجبوا بشخص أكثروا مدحه والحديث عنه وانتشر صيته بينهم^(١).

وهناك تداخل كبير بين شهوتى حب النفس وحب الجاه، وينتج عن هذا التداخل المعقد أمراض نفسية منها، الرياء، والكبر، والتعالى على الناس والإعجاب بالنفس، وحب المدح بين الناس، الأنانية والشح والحسد، وكثرة الغضب، والذل والمداهنة، وهى فى الحقيقة محرمات قلبية تحتاج لمجاهدة وتربية سلوكية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما أن من يحرص على بلوغ الجاه عند أهل الدنيا، ويجعل من ذلك شغله الشاغل، فإنه سيبدل لهم من دينه وكرامته لكى ينال ما يطمح إليه، ويذل لهم ليكسب رضاهم^(٢)، وفى ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله: وكذلك طالب الرياسة والعلو فى الأرض قلبه رقيق لمن يعينه عليها،

(١) أمراض النفس، ص (٧٧).

(٢) المصدر نفسه، ص (٧٨ - ٩٢).

ولو كان فى الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم، فهو فى الحقيقة يرضوهم ويخافهم فهو فى الظاهر رئيس مطاع، وفى الحقيقة عبد مطيع لهم^(١).

وهذا كلام خطير على القيادات الإسلامية أن تستوعبه وتتحرر من رقة القلب ولىنه أمام مطالب الجماهير، عندما تكون مطالبهم لا تخدم دين الله وشرعه، فالحسن بن على يعلمنا الاستعلاء بالمبادئ والقيم على حظوظ النفس الخفية، فقد تعرض لهجوم كاسح من بعض أتباعه الذين لا يريدون الصلح مع معاوية، ومع هذا رد عليهم ردًا جميلًا وحاول الارتقاء بهم، وبين لهم دوافعه التى دفعته للتنازل لمعاوية، من حفظ الدماء، ووحدة الأمة، وابتغاء ما عند الله تعالى، ونجح فى قيادة الأمة بأسرها لتحقيق مشروعه العظيم، ولم يتأثر بضغوط القواعد الشعبية، ولا بغيرها، وهكذا القادة الربانيون يفعلون، لقد كان الحسن رضى الله عنه فى صلحه مع معاوية مصيبًا بارًا راشدًا ممدوحًا وليس يجد فى نفسه حرجًا ولا تلوّمًا ولا ندمًا، بل هو راض بذلك مستبشر به^(٢)، وكان رضى الله عنه يرد على متقديه بأدب جم وحجة ظاهرة، فعندما قال له أبو عامر سفيان بن الليل: السلام عليك يا مُذل المؤمنين، فقال له الحسن: لا تقل هذا يا أبا عامر لست بمُذل المؤمنين، ولكنى كرهت أن أقتلهم على الملك^(٣). وعندما قال لهم: العار خير من النار^(٤)، فقول الحسن رضى الله عنه: العار خير من النار يفتح لنا آفاقًا واسعة فى فقه القدوم على الله تعالى، فقد كان رضى الله عنه عاملاً به فى حياته مستوعبًا لأبعاده يظهر ذلك فى سكناته وحركاته واختياراته رضى الله عنه وأرضاه.

- من حياة الحسن فى المدينة بعد الصلح:

ترك الحسن الكوفة بعد تنازله لمعاوية ورجع بمن معه من أصحابه وبنى هاشم إلى المدينة واستقر بها، وكان الهاشميون محل الإجلال والتكريم والاحترام من معاوية رضى الله عنه، وكانت زعامتهم عند الحسن بن على رضى الله عنه،

(١) العبودية لابن تيمية، ص (٤٨، ٤٩).

(٢)، (٣) البداية والنهاية (١٢ / ١٤١).

(٤) المصدر نفسه (١٢ / ٢٠٤).

وكانت المدينة فى تلك الفترة يسكنها عدد كبير من علماء الصحابة يضاف إليهم عدد من التابعين ممن تتلمذوا على الصحابة العلماء وساروا بسيرتهم ونهجوا نهجهم، وهؤلاء كانوا خليطاً من المهاجرين والأنصار ومن غير المهاجرين والأنصار، وقد جعل هؤلاء القوم همهم العبادة وتعليم الناس ورواية ما حفظوه من أحاديث رسول ﷺ، وكانوا يدخلون فيما دخلت فيه الأمة ولا ينزعون يداً من جماعة، ومن هؤلاء عبدالله بن عمر، وعبدالله بن العباس، وأبو هريرة وأبو سعيد الخدرى، وجابر بن عبدالله^(١). كانت أجواء المدينة خيراً على الحياة العلمية، حيث تفرغ طلاب العلم فيها لرواية الحديث، وتفسير القرآن، واستنباط الأحكام الفقهية فقصدها الناس من أجل العلم، فقد كان بها الهدوء والاطمئنان الذى يساعد على العلم والبحث^(٢).

١- العلاقة بين الحسن ومعاوية رضى الله عنهما بعد الصلح:

كان الحسن بن على يقدم على معاوية فى خلافته، فقدم عليه ذات مرة فقال له معاوية: لأجيزنك بجائزة ما أجزت بها أحداً قبلك ولا أجيز بها أحداً بعدك، فأعطاه أربع مائة ألف فقبلها^(٣)، وجاء فى رواية: . . . أن الحسن بن على كان يفد كل سنة إلى معاوية فيصله بمائة ألف درهم، فبعد سنة عنة ولم يبعث إليه معاوية بشئ فدعا بدواة ليكتب إليه فأغضى قبل أن يكتب فرأى النبى ﷺ فى منامه كأنه يقول: يا حسن أكتب إلى مخلوق تسأله حاجتك وتدع أن تسأل ربك؟ قال: فما أصنع يا رسول الله وقد كثر دينى؟ قال: قل اللهم إنى أسألك من كل أمر ضعفت عنه قوتى وحيلتى ولم تنته إليه رغبتى، ولم يخطر ببالى ولم يبلغه أملى، ولم يجر على لسانى من اليقين الذى أعطيته أحداً من المخلوقين الأولين والمهاجرين والآخرين إلا خصصتنى يا أرحم الراحمين. قال الحسن: فانتبهت وقد حفظت الدعاء فكنت أدعو به فلم يلبث معاوية أن ذكرنى فقبل له: لم يقدم السنة، فأمر

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٨٠، المدينة فى العصر الأموى، ص (٨٤) شراب.

(٢) المدينة فى العصر الأموى، شراب، ص ص (٦٢).

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٦٩.

(٤) تاريخ دمشق ٨/ ١٤٤.

للحسن فى المنام هو: اللهم اقلد فى قلبى رجاك، واقطع رجائى عما سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك. اللهم وما ضعفت عنه قوتى وقصر عنه عملى، ولم تنته إليه رغبتى، ولم تبلغه مسألتى ولم يجر على لسانى مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين فخصنى به يا رب العالمين، قال: فوالله ما ألححت به أسبوعاً حتى بعث إلى معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف، فقلت: الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاءه، فرأيت النبى ﷺ فى المنام فقال: يا حسن كيف أنت؟ فقلت: بخير يا رسول الله وحدثته حديثى، فقال: يا بنى هكذا من رجا الخالق ولم يرجُ المخلوق^(١).

٢- صلوات معاوية للحسن والحسين وابن الزبير رضى الله عنهم:

أمر معاوية للحسن بن على بمائة ألف فذهب بها إليه فقال لمن حوله: من أخذ شيئاً فهو له، وأمر للحسين بن على بمائة ألف فذهب بها إليه وعنده عشرة فقسمها عليهم عشرة آلاف عشرة آلاف، وأمر لعبد الله بن جعفر بمائة ألف^(٢). وكان معاوية إذا تلقى الحسن بن على قال له: مرحباً وأهلاً بابن رسول الله ﷺ، وإذا تلقى عبد الله بن الزبير قال له: مرحباً بابن عمه رسول الله ﷺ، وأمر للحسن بن على بثلاثمائة ألف وعبد الله بن الزبير بمائة ألف^(٣)، وجاءت بعض الروايات بسند حسن بأن معاوية كان دائم الوصل للحسين ويسارع فى تلبية مطالبه وحاجاته، وكان يغدق عليه العطاء^(٤)، ولقد اعترف الشيعة أنفسهم بعبايا معاوية للحسن والحسين وعبد الله بن جعفر^(٥). ويبدو أن صلوات الحسين بمعاوية كانت طيبة واستمرت العلاقات بين الطرفين تتسم بكل احترام وتقدير، ولم تنقطع علاقة أهل الكوفة بالحسن والحسين بعد خروجهما من الكوفة واستقرارهما فى المدينة، بل

(١) تاريخ دمشق (١٤ / ٨).

(٢)، (٣) المصدر نفسه (٦٢ / ١٣٣).

(٤) مصنف ابن شعبة (١١ / ٩٤) بسند حسن، مواقف المعارضة فى خلافة يزيد بن معاوية، ص (١٧٧).

(٥) انظر جلاء العيون للمجلسى، ص (٣٧٦)، والكافى فى الفروع كتاب الحقيقة باب الأسماء والكنى (٦ / ١٩) الأمالى للطوسى (٢٢ / ٣٣٤)، شرح ابن أبى الحديد (٢ / ٨٢٣). وقد فصل الدكتور محمد

الشيبانى الأمر فى كتابه مواقف المعارضة فى خلافة يزيد حول الحسين، ص (١٧٧).

استمرت العلاقة بين الجانبين عن طريق الرسائل التي يبعث بها الكوفيون باستمرار، ولقد كانت تلك الرسائل - كما يبدو - تحمل دعوة لمعارضة الحكم القائم، كما تحمل تأكيداً بأحقيتها في الخلافة، واستنهاض هممهم إليها، وما كانت تلك الكتب لتؤثر على الحسن بل أعطته انطباعاً وتصوراً واضحاً عن أهل التشيع في الكوفة، وأنهم أهل شر وفتنة، ولا يريدون اجتماع الأمة ووحدة كلمتها^(١)، قال يزيد بن الأصم: جاءت الحسن إضبارة^(٢) من الكتب فقال: يا جارية هات المخضب، فصبت فيه الماء وألقى الكتب في الماء، فلم يفتح منها شيئاً ولم ينظر إليها، فقلت: يا أبا محمد: ممن هذه الكتب؟ قال: من أهل العراق من قوم لا يرجعون إلى حق ولا يقصرون عن باطل، أما إنني لست أخشاهم على نفسي ولكني أخشاهم على ذلك وأشار إلى الحسين^(٣)، ولما توفي الحسن بن علي اجتمعت الشيعة في دار سليمان بن صرد وكتبوا إلى الحسين كتاباً بالتعزية في وفاة الحسن وقالوا في كتابهم: إن الله قد جعل فيك أعظم الخلق ممن مضى، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك، والمسروعة بسرورك، المنتظرة لأمرك^(٤)، فرد الحسين على كتابهم: إنني لأرجو أن يكون رأي أخى رحمه الله في المودعة، ورأيه في جهاد الظلمة رشداً وسداداً، فالصقوا بالأرض وأخفوا الشخص، واكتموا الهوى، واحترسوا في الأضناء ما دام ابن هند حياً، فإن يحدث به حدث وأنا حي يأتكم رأيي إن شاء الله^(٥)، ولقد كانت مكانة الحسين رضي الله عنه من المسلمين بعد وفاة الحسن مكانة لا تنكر، وأصبح هناك شعور قوى بأن المرشح الوحيد بعد وفاة معاوية للخلافة هو الحسين بن علي رضي الله عنه، وقد كان يزوره كبار أهل الحجاز وزعماء الكوفة وهم لا يشكون في أنه سيكون الخليفة

(١) مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص (١٧٨).

(٢) إضبارة: الإضبارة: الحزمة من الصحف، لسان العرب (٤/ ٤٧٩).

(٣) المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٥٦) بإسناد حسن، معجم الطبراني وقال المجمع (٦/ ٢٤٣) ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن الحكم بن أبي زياد وهو ثقة.

(٤) أنساب الأشراف (٣/ ١٥٢) بإسناد جمعي، الأخبار الطوال، ص (٢٢١، ٢٢٢).

(٥) المصدر نفسه (٣/ ١٥٢)، مواقف المعارضة، ص (١٧٩).

بعد معاوية^(١)، ولم تقتصر محاولات الكوفيين على طلب الحسين فقط، بل إنهم طلبوا من محمد بن الحنفية القدوم عليهم فانتبه إلى خطورة أهل الكوفة عليه وعلى آل علي بن أبي طالب رضى الله عنهم، فأخذ يحذر الحسين من الانجرار وراءهم وتصديق مزاعمهم، ومما قاله للحسين: إن القوم يريدون أن يأكلوا بنا ويشيطوا دماءنا^(٢). ولقد أثارت تلك الرسائل المتبادلة بين الحسين وأهل الكوفة، مخاوف بنى أمية في المدينة فكتبوا إلى معاوية يستشيرونه بشأن الحسين؛ فكتب إليهم بأن لا يتعرضوا له مطلقاً^(٣)، ولا يمكن أن تخفى تلك الرسائل على معاوية، ولا العلاقات الوثيقة التي تربط بين الحسين وبين الكوفيين، ولهذا فقد طلب معاوية من الحسين: أن يتقى الله عز وجل وأن لا يشق عصا المسلمين ويذكره بالله في أمر المسلمين^(٤)، ولقد كان الحسن والحسين رضى الله عنهما مخلصين لعهدهما، والتزاماً ببيعتهما لمعاوية، وكان الحسين يرى أن الصلح له ملزم فى ظل حياة الحسن ومعاوية وكذلك بعد وفاة أخيه.

٣- هل يصح اتهام معاوية بسمّ الحسن بن علي رضى الله عنه؟

ذكرت بعض الروايات أن الحسن بن علي توفي متأثراً بالسم الذى وضع له، وقد اتجهت أصابع الاتهام نحو زوجة الحسن: جعدة بنت الأشعث بن قيس أمير كندة، فهذه أم موسى سرية على تتهم جعدة بأنها دست السم للحسن، فاشتكى منه شكاة، فكان يوضع تحته طست^(٥) وترفع أخرى نحوه من أربعين يوماً^(٦)، وهذه رواية إسنادها لا يصح وهى ضعيفة^(٧)، وحاول البعض من الإخباريين والرواة أن يوجد علاقة بين البيعة ليزيد ووفاة الحسن، وزعموا أن يزيد بن معاوية أرسل إلى جعدة بنت قيس أن سُمى حسناً فإنى سأتزوجك، ففعلت، فلما مات

(١) أنساب الأشراف (٣/ ١٥٢) بإسناد جمعى، نقلاً عن مواقف المعارضة فى خلافة يزيد، ص (١٧٩).

(٢) الطبقات ابن سعد (٥/ ٣٥٦) يشيطوا دماءنا: يسفكوا دماءنا.

(٣)، (٤) أنساب الأشراف (٣/ ١٥٢)، مواقف المعارضة، ص (١٨٠) ..

(٥) طست: إناء معلوم.

(٦) الطبقات، تحقيق السلمي (١/ ٣٣٨) إسناده ضعيف.

(٧) المصدر نفسه (١/ ٣٣٨).

الحسن بعثت جعدة إلى يزيد تسأله الوفاء، فقال: إن والله لم نرضك له أفترضاك لأنفسنا^(١). وفي سندها يزيد بن عياض، ابن جعدية كذبه مالك وغيره^(٢)، وقريب من هذه الرواية جاءت في مقاتل الطالبين، بإسناده عن أحمد بن عبد الله بن عمار وهو من رؤوس الشيعة^(٣). وفي أسانيده أيضاً عيسى بن مهران رافضى كذاب، قال عنه الخطيب من شياطين الرافضة^(٤). وذكر البلاذري^(٥) بسند عن الهيثم بن عدي أن الذي بعث لها معاوية بمئة ألف هي هند بنت سهيل بن عمرو زوجة الحسن، والهيثم بن عدي كذاب^(٦)، وقد شربت هذه الروايات في كتب السنة بدون تححيص، مع العلم أن أسانيد تلك الروايات أسانيدها ضعيفة^(٧)، وأما كتب الشيعة الرافضة في اتهام معاوية في قتل الحسن بالسّم فحدث ولا حرج وليس لهم روايات صحيحة يعتمد عليها والقوم متخصصون في الكذب والبهتان وإلصاق التهم الباطلة، والروايات الظالمة في الطعن في الصحابة وخصوصاً معاوية رضى الله عنه، وقد تحدث العلماء المحققون عن هذه التهمة الباطلة فقالوا:

أ- قال ابن العربي: فإن قيل: دس على الحسن من سمّه، قلنا: هذا محال من وجهين:

أحدهما: أنه ما كان ليتقى من الحسن بأساً وقد سلّم الأمر، الثاني: أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله، فكيف تحملونه بغير بينة على أحد من خلقه، في زمن متباعد، ولم تثق فيه بنقل ناقل، بين أيدي قوم ذوى أهواء، وفي حال فتنة وعصبية، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي، فلا يقبل منها إلا الصافى، ولا يسمع فيها إلا من العدل الصميم^(٨).

(١) تهذيب الكمال (٦/ ٤٥٣) وفي السند يزيد بن عياض كذبه مالك وغيره.

(٢) تقريب التهذيب، ص (٦٠٤).

(٣) ميزان الاعتدال (١/ ١١٨).

(٤) لسان الميزان (٤/ ٤٠٦).

(٥) أنساب الأشراف (٣/ ٥٩) فيه الهيثم بن عدي كذاب.

(٦) مواقف المعارضة، ص (١٢٢).

(٧) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص (٣٩٣).

(٨) العواصم من القواصم، ص (٢٢٠، ٢٢١).

ب- وقال ابن تيمية: وأما قوله: معاوية سمّ الحسين، فهذا مما ذكره بعض الناس، ولم يثبت ذلك بينة شرعية، أو إقرار معتبر، ولا نقل يجزم به، وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم^(١). وقد جاء عن ابن تيمية في رده عن اتهام معاوية بسم الحسن وأنه أمر الأشعث بن قيس بتنفيذ هذه الجريمة وكانت ابنته تحت الحسن ما يدل على قدرات ابن تيمية للنقد العلمى القوى للروايات التاريخية حيث قال: وإذا قيل إن معاوية أمر أباهما كان هذا ظناً محضاً، والنبي ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»... ثم إن الأشعث بن قيس مات سنة أربعين وقيل سنة إحدى وأربعين، ولهذا لم يذكر فى الصلح الذى كان بين معاوية والحسن بن على فى العام الذى كان يسمى عام الجماعة وهو عام واحد وأربعين، وكان الأشعث حما الحسن بن على، فلو كان شاهداً لكان يكون له ذكر فى ذلك، وإذا كان قد مات قبل الحسن بنحو عشر سنين فكيف يكون هو الذى أمر ابنته^(٢).

ج- وقال الذهبي: قلت: هذا لا يصلح فمن الذى أطلع عليه^(٣).

د- وقال ابن كثير: روى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث أن سُمى الحسن وأنا أتزوجك بعده، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت إليه فقال: إنا والله لم نرضك للحسن أفرضاك لأنفسنا؟ وعندى أن هذا ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأخرى^(٤).

هـ- وقال ابن خلدون: وما نقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث، فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية من ذلك^(٥).

و- الدكتور جميل المصرى: وقد علق على هذه القضية بقوله: ثم حدث افتعال قضية سم الحسن من قبل معاوية أو يزيد... ويبدو أن افتعال هذه القضية لم يكن شائعاً آنذاك، لأننا نلمس لها أثراً فى قضية قيام الحسين، أو حتى عتاباً من الحسين لمعاوية^(٦).

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٤٦٩).

(٢) المتقى من منهاج الاعتدال، ص (٢٢٦).

(٣) تاريخ الإسلام، عهد معاوية، ص (٤٠).

(٤) البداية والنهاية (٨/ ٤٣).

(٥) تاريخ ابن خلدون (٢/ ٥٢٧).

(٦) أثر أهل الكتاب فى الفتن والحروب الأهلية، ص (٤٨٢)، مرويّات خلافة معاوية، ص (٣٩٥).

وقد ناقش الدكتور خالد الغيث في كتابه مرويّات معاوية في تاريخ الطبرى الجانب الطبى فى المرويّات التى تحدّثت عن وفاة الحسن وفيما يلى النصوص الخاصة بالجانب الطبى فى هذه المسألة، فقد أخرج ابن سعد بإسناده، أن الحسن رضى الله عنه، دخل كنيّفاً له، ثم خرج فقال: ... والله لقد لفظت الساعة طائفة من كبدى قبل، قلبتها بعود كان معى، وإنى سقيت السم مراراً فلم أسق مثل هذا^(١)، وأخرج ابن سعد بإسناده، أن الحسن رضى الله عنه قال: إنى سقيت السم غير مرة وإنى لم أسق مثل هذه، إنى لأضع كبدى^(٢)، وأخرج ابن سعد بإسناده، قال: كان الحسن بن على سقى السم مراراً، كل ذلك يفلت منه، حتى كان المرة الأخيرة التى مات فيها، فإنه كان يختلف^(٣) كبده^(٤)، وقد عرضت النصوص المتعلقة بالجانب الطبى فى هذه المسألة على أ.د كمال الدين حسين الطاهر، أجاب بقوله: لم يشك المريض^(٥) من أى نرف دموى سائل، مما يرجع عدم إعطائه أى مادة كيميائية (أو سم) ذات قدرة على إحداث تثبيط لعوامل تخثر الدم، فمن المعروف أن بعض الكيمائيات، والسموم، تؤدى إلى النزيف الدموى، وذلك لقدرتها على تثبيط التصنيع الكبدى لبعض العوامل المساعدة على تخثر الدم، أو لمضادات تأثيراتها فى عملية التخثر؛ ولذلك فإن تعاطى هذه المواد سيؤدى إلى ظهور نرف دموى فى مناطق متعددة من أعضاء الجسم مثل العين، والأنف، والفم والجهاز المعدى - المعوى - يخرج الدم بشكل نرف دبرى سائل، منفرداً أو مخلوطاً مع البراز، ولا يظهر فى شكل جمادات أو قطع دموية، صلبة كانت أو إسفنجية، أو فى شكل قطع من الكبد، ولذلك يستبعد إعطاء ذلك المريض إحدى المواد الكيميائية، أو السموم ذات القدرة على إحداث نزيف دموى^(٦)، وعن طبيعة قطع الدم المتجمد التى أشارت الروايات إلى أنها قطع من الكبد يقول: أ.د كمال

(١) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٣٥) إسناده ضعيف.

(٢) المصدر نفسه (١/ ٣٣٨) إسناده ضعيف.

(٣) يختلف: المراد - يتردد على الحمام مما به من الألم حتى أن كبده تقطع وتنزل المخرج.

(٤) الطبقات تحقيق السلمى (١/ ٣٣٩) إسناده ضعيف.

(٥) مرويّات خلافة معاوية، ص (٣٩٦) المراد المريض الحسن بن على.

(٦) مرويّات خلافة معاوية، ص (٣٩٦).

الدين حسين الطاهر: هنالك بعض أنواع سرطانات، أو أورام الجهاز المعدي المعوي، الثابتة أو المتنقلة عبر الأمعاء، أو بعض السرطانات المخاطية التي تؤدي إلى النزف الدموي المتجمد، المخلوط مع الخلايا، وبطانات الجهاز المعدي - المعوي - وقد تخرج بشكل جمادات - قطع من الكبد كما في الروايات - ولذلك فإنني أرجح أن ذلك المريض قد يكون مصاباً بأحد سرطانات، أو أورام الأمعاء^(١)، وهذا التحليل الطبي اعتمد روايات ضعيفة، وبالتالي يصعب التسليم بالنتيجة التي وصل إليها.

وبالنسبة لسم الحسن رضى الله عنه، فنحن لا ننكر هذا، فإذا ثبت أنه مات مسموماً فهذه شهادة له وكرامة في حقه^(٢). وأما اتهام معاوية وابنه فهذا لا يثبت من حيث السند، كما مر معنا ومن حيث المتن، وهل جعدة بنت الأشعث بن قيس بحاجة إلى شرف أو مال - كما تذكر الروايات - حتى تسارع لتنفيذ هذه الرغبة من يزيد، وبالتالي تكون زوجة له، أليست جعدة ابنة أمير قبيلة كندة كافة وهو الأشعث بن قيس، ثم أليس زوجها وهو الحسن بن علي أفضل الناس شرقاً ورفعاً بلا منازعة. إن أمه فاطمة وجده الرسول ﷺ وكفى به فخراً، وأبوه علي بن أبي طالب أحد العشرة المبشرين بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين، إذاً ما هو الشيء الذي تسعى إليه جعدة وتحصل عليه حتى تنفذ هذا العمل الخطير^(٣). إن هناك الكثير الذين هم أعداء للوحدة الإسلامية، وزادهم غيظاً وحنقاً ما قام به الحسن بن علي، كما أن قناعتهم قوية بأن وجوده حياً صمام أمان للأمة، فهو إمام ألفتها، وبالتالي حتى تضطرب الأحداث وتعود الفتن إلى ما كانت عليه فلا بد من تصفيته وإزالته، فالمتهم الأول في نظري هم السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الذين وجه لهم الحسن صفقة قوية عندما تنازل لمعاوية ووضع حداً للصراع، ثم الخوارج الذين قتلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهم الذين طعنوه في فخذه، وربما أرادوا الانتقام من قتلهم في النهروان وغيرها^(٤).

(١) مرويات خلافة معاوية، ص (٣٩٧).

(٢) منهاج السنة (٤ / ٤٢).

(٣) مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص (١٢٣).

(٤) المصدر نفسه، ص (١٢٤).

٤- رؤية الحسن بن علي في المنام واقترب أجله:

عن عمران بن عبد الله بن طلحة، قال: رأى الحسن بن علي كأن بين عينيه مكتوباً: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فاستبشر به وأهل بيته، فقصوها على سعيد بن المسيب فقال: إن صدقت رؤياه فقل ما بقي من أجله، فما بقي إلا أياماً^(١).

٥- الأيام الأخيرة من حياة الحسن:

وفي حياته بالمدينة سقى السم مراراً، ثم لما كانت المرة الأخيرة جاء الطبيب فقال: هذا رجل قد قطع السم أمعاءه^(٢)، وقال عمير بن إسحاق: دخلت أنا ورجل من قريش على الحسن بن علي، فقام فدخل المخرج، ثم خرج فقال: لقد لفظت طائفة من كبدى أقلبها بهذا العود، ولقد سقيت السم مراراً وما سقيت السم مرة هي أشد من هذه، قال: وجعل يقول لذلك الرجل: سلني قبل أن لا تسألني، قال: ما أسألك شيئاً يعافيك الله، قال: فخرجنا من عنده، ثم عدنا إليه من غد وقد أخذ في السوق - أي نزع الموت - فجاء الحسين حتى قعد عند رأسه، فقال: أي أخى من صاحبك؟ قال: تريد قتله؟ قال: نعم، قال: لئن كان صاحبي الذي أظن لله أشد لى نعمة، وإن لم يكنه، ما أحب أن تقتل بى بريئاً^(٣).

أ- وصية الحسن للحسين رضي الله عنه:

قال ابن عبد البر: وروينا من وجوه أن الحسن بن علي لما حضرته الوفاة قال: للحسين أخيه: يا أخى، إنا أبانا رحمه الله تعالى لما قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمر، رجا أن يكون صاحبه، فصرفه الله عنه، ووليها أبو بكر، فلما حضرت أبو بكر الوفاة تشوف لها أيضاً، فصرفت عنه، إلى عمر، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم، فلم يشك أنها لا تعدوه، فصرفت عنه إلى عثمان، فلما هلك عثمان بويج، ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها، فما صفى له شيء منها، وإنسى والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت، النبوة

(١) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٣٤) إسناده منقطع، عمران لم يدرك الحسن.

(٢) الدوحة النبوية الشريفة ص، (٩٧، ٩٨).

(٣) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٣٥) إسناده ضعيف.

والخلافة، فلا أعرفنك ما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك^(١)، ولم يذكر ابن عبد البر أسانيده في الرواية، وأما المتن ففيه نكارة، كما أنه يناهى ما ثبت عن على رضى الله عنه في تقديمه لأبى بكر وعمر في الخلافة، وقد بينت ذلك فى كتبى عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهم.

ب- تفكره فى ملكوت السماء واحتسابه نفسه عند الله:

لما حضر الحسن بن على قال: أخرجونى إلى الصحن حتى أنظر فى ملكوت السماوات - يعنى الآيات - فأخرجوا فراشه فرفع رأسه، فنظر فقال: اللهم إنى أحتسب نفسى عندك، فإنها أعز الأنفس على^(٢)، قال: فكان مما صنع الله له أنه أحتسب نفسه عنده^(٣)، وجاء فى رواية: اللهم إنى أحتسب نفسى عندك، فإنى لم أصب بمثلها، غير رسول الله ﷺ^(٣)، ويظهر فى هذا الموقف العظيم والمشهد الرهيب صدق توجه الحسن لله وحده المتفرد بالكبرياء والعظمة والجبروت، وفى هذه العبارات تتفجر معانى الخضوع والتذلل لله عز وجل مع كمال الرجاء وتعلق قلبه بالله وحده فلا ينبغى أن تتعلق قلوبنا بغير الله عز وجل، كما أنه وهو يودع هذه الدنيا لا ينسى عبادة التفكير فى ملكوت السماوات وما فيها من المخلوقات المتنوعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ثم نظر إلى نفسه التى هى أعز الأنفس عليه غير رسول الله، فاحتسبها عند الله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]. فإن التأمل والتفكر فى الكون والنفس وآيات الله المنظورة داع قوى للإيمان، لما فى هذه الموجودات من عظمة الله الخالق الدالة على قدرة خالقها وعظمته؛ وما فيها: من الحسن والانتظام، والإحكام الذى يحير الألباب، الدال على سعة علم الله، وشمول حكمته؛ وما فيها من أصناف المنافع والنعم الكثيرة التى لا تعد ولا تحصى، الدالة على سعة رحمة الله، وجوده وبره، وذلك كله يدعو إلى تعظيم مبدعها، وبارئها وشكره واللهج بذكره؛ وإخلاص الدين له،

(١) الاستيعاب (١/ ٣٩١).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٩).

(٣) صفة الصفوة (١/ ٧٦٢).

وهذا هو روح الإيمان وسره^(١)، وإذا تأملنا في مخلوقات الله كلها، نجد أنها مضطرة ومحتاجة إلى ربها من كل الوجوه، وأنها لا تستغنى عنه طرفة عين خصوصاً ما تشاهده في نفسك من أدلة الافتقار وقوة الاضطراب، وذلك يوجب للعبد كمال الخضوع وكثرة الدعاء والتضرع إلى الله في جلب ما يحتاجه من منافع دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ويوجب له قوة التوكل على ربه، وكمال الثقة بوعده، وشدة الطمع في بره وإحسانه، وبهذا يتحقق الإيمان، ويقوى التعبد فإن الدعاء مخ العبادة وأصلها^(٢)، فالحسن بن علي رضي الله عنه أثنى عبادة التفكير وهو في لحظاته الأخيرة من هذه الحياة الدنيا، وعلمنا معنى عظيماً وكبيراً في المفهوم الشامل للعبادة فقد احتسب نفسه عند ربه، وهكذا يفهم الصحابة معاني الاحتساب عند الله، وكان معاذ رضي الله عنه قد أجاب أبا موسى الأشعري عندما قال له: فكيف تقرأ يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئى من النوم، فأقرأ ما كتب الله، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي^(٣)، فالأكل وجماع الرجل لأهله، إذا احتسبه المسلم عند الله فيه الأجر والثوبة من الله تعالى، والحسن ابن علي يحتسب نفسه عند الله ويودع الدنيا بعبادة التفكير وعبادة الاحتساب في المصائب، فقد كان رضي الله عنه لسان حاله قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ج- يا أخى إنى أدخل فى أمر من أمر الله لم أدخل فى مثله قط، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط^(٤).

قال أبو نعيم^(٥): لما اشتد بالحسن بن علي الوجع جزع فدخل عليه رجل فقال له: يا أبا محمد، ما هذا الجزع؟ ما هو إلا أن تفارق روحك جسدك فتقدم على

(١) شجرة الإيمان للسعدى، ص (٤٩)، والوسطية فى القرآن الكريم، للصلايى ص (٢٣٩).

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ص (٥١)، الوسطية، للصلايى، ص (٢٣٩).

(٣) البخارى، ك المغازى، رقم (٤٣٤٢).

(٤) البداية والنهاية (١١/ ٢١٠).

(٥) هو الفضل بن دكين.

أبوك على وفاطمة، وعلى جدك النبي ﷺ وخديجة، وعلى أعمامك حمزة وجعفر، وعلى أخوالك القاسم والطيب وإبراهيم، وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب، قال: فسُرِّي عنه^(١). وفي رواية أن القائل له ذلك الحسين، وأن الحسن قال له: يا أخى، إنى أدخل فى أمر من أمر الله لم أدخل فى مثله وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط، قال: فبكى الحسين رضى الله عنه^(٢) وفي رواية: يا أخى إنى أقدم على أمر عظيم وهول لم أقدم على مثله قط^(٣)، أى والله وقد بين المولى عز وجل فى كتابه وسنة رسوله تفصيل مسيرة الإنسان منذ خروج روحه إلى أن يستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار، ولذلك كان السلف يخافون من سوء الخاتمة، فلا يدرى أحد بماذا يختم له، فالأعمال بالخواتيم، والمؤمنون يخافون من سوء الخاتمة عند كل خطوة وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، ويخافون من سكرات الموت، وقبض الروح، ومعرفة المصير، وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم هونْ على سكرات الموت»^(٤). ومع الخوف من سكرات الموت يكون أيضاً الخوف من صورة ملك الموت، ودخول الروح والخوف منه على القلب^(٥)، يقول القرطبي: وأما مشاهدة ملك الموت - عليه السلام - وما يدخل على القلب منه من الروح والفرع، فهو أمر لا يعبر عنه لعظم هوله، وفظاعة رؤيته، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الذى يتبدى له، ويطلع عليه^(٦)، ومع الخوف الذى ينبغى أن يلازمنا من سكرات الموت وصورة ملكه فإن الأمر الخطير الذى من شأنه أن يزيدنا خوفاً على خوفنا هو: ظهور نتيجة امتحان الدنيا فى ذلك الوقت فهل سنكون ممن تقول لهم الملائكة: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. أم سنكون... ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]؟.

(١) البداية والنهاية (١١ / ٢١٠).

(٢) تاريخ دمشق (١٤ / ١٠٩).

(٣) تهذيب الكمال (٦ / ٢٥٤)، سبك العبرات (١ / ١٤٨).

(٤) الترمذى، ك الجنائز، رقم (٩٧٨).

(٥) الإيمان أولاً، ص (٩٤).

(٦) التذكرة (١ / ١١٣).

قال النبي ﷺ: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه
 فقالت عائشة: إنا نكره الموت، فقال: ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت
 بُشِّرَ برضوان من الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله،
 وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضره الموت بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته فليس شيء
 أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه^(١). وعن أبي هريرة - رضى الله
 عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان
 يصعدان بها - فذكر من طيب ريحها - ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل
 الأرض صلى الله عليك، وعلى جسد كنت تعمريه فينطلق به إلى ربه ثم يقول: انطلقوا
 به إلى آخر الأجل، وإن الكافر إذا خرجت روحه - فذكر من نتنها - ويقول أهل
 السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض، فيقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل»^(٢).

وللقبر ضمة وضغطة لا ينجو منها أحد كما قال رسول الله ﷺ: «إن للقبر
 ضغطة لو نجا أحد منها لنجا سعد بن معاذ»^(٣)، والقبر - كما قال ﷺ - حفرة من
 حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة^(٤)، وأماننا الحشر ومجئ الساعة وقيام
 القيامة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾
 [الحج: ١]. إنه يوم عصيب: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]
 فالجميع سيحشر بداية من أبى البشر حتى آخر إنسان تقوم عليه الساعة^(٥)، ﴿ذَلِكَ
 يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣] وقد تحدث القرآن الكريم
 والرسول ﷺ عن أهوال يوم القيامة قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا
 (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ
 الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢١ - ٢٤]. وقال ﷺ: «يؤتى

(١) البخارى، رقم (٦٥٠٧).

(٢) صحيح مسلم، صحيح الجامع، رقم (٥٠٤).

(٣) مسند أحمد (٦/ ٥٥) رجاله رجال الصحيح.

(٤) سنن الترمذى، رقم (٢٥٧٨) حديث غريب.

(٥) الإيمان أولاً فكيف نبدأ به؟ ص (٩٦).

بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»^(١) فيا له من مشهد مهيب تنفطر منه القلوب^(٢)، ولذلك قال الحسن بن علي رضي الله عنه: «العار خير من النار»^(٣)، ولذلك خشى على نفسه الزكية أن تحاسب بين يدي الله يوم القيامة، وقد قال ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»^(٤)، ومن مشاهد يوم القيامة المفزعة قول رسول الله ﷺ: «يجئ المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دمًا فيقول: يا رب سل هذا فيما قتلني؟ حتى يُدينه من العرش»^(٥)، نعم إنها أهوال عليها قادمون، فإذا كان سيد شباب أهل الجنة يخشى على نفسه في دخوله على أمر من أمر الله لم يدخل في مثله قط، فكيف بأمثالي وأمثالك يا أيها القارئ الكريم، فيجب أن نعتبر ونعمل لمثل هذا الموقف العصيب، نسأل الله أن يرحمنا ويعفو عنا برحمته وعفوه إنه كريم حلیم وودود رحيم.

٦- دفنه في البقيع:

لما احتضر الحسن بن علي قال للحسين: أدفنوني عند أبي - يعني النبي ﷺ - إلا أن تخافوا الدماء، فإن خفتم الدماء فلا تهريقوا في دمًا، ادفنوني في مقابر المسلمين فلما قبض تسلم الحسن وجمع مواليه، فقال له أبو هريرة: أنشدك الله وصية أخيك فإن القوم لن يدعوك حتى يكون بينكم دماء، وكان مروان بن الحكم قد عارض دفنه في جوار النبي ﷺ وقال: لا يدفن هناك أبدًا، فلم يزل به أبو هريرة وجابر بن عبد الله، وابن عمر، وعبد الله بن جعفر، والمسور بن مخرمة وغيرهم حتى رجع ثم دفنوه في بقيع الغرقد بجانب أمه الزهراء البتول^(٦)، وقد اختلطت الروايات الضعيفة في حادثة دفن الحسن بن علي رضي الله عنه، ووجد أصحاب الأغراض مجالاً للدس والتشويه والتزوير، فقد زعم بعضهم بأن السيدة

(١) مسلم، ك صفة النار، صحيح الجامع، رقم (٨٠٠١).

(٢) رحلة إلى الدار الآخرة، ص (٣٩٠).

(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٢٠٤).

(٤) أخرجه البخاري، ومسلم وأحمد عن مسعود، صحيح الجامع، رقم (٢٥٧٧).

(٥) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٨٠٣١).

(٦) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٩٨).

عائشة رفضت دفن الحسن بجانب رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وقالت: لا يكون لهم رابع أبداً، وإنه لبيتي أعطانيه رسول الله ﷺ في حياته، فإنه هذا لا يثبت وإسناده مظلّم^(١). وقد أثبت ابن تيمية بأن السيدة عائشة أذنت للحسن بأن يدفن في حجرتها، ولكن كره ذلك ناس آخرون، ورأوا أن عثمان - رضى الله عنه - لما لم يدفن فيها فلا يدفن فيه غيره، وكادت تقوم فتنة^(٢)، وما تزعمه كتب التاريخ بأن أبان بن عثمان بن عفان قال: إن هذا لهو العجب العجائب يدفن ابن قاتل عثمان مع رسول الله وأبى بكر وعمر، ويدفن أمير المؤمنين المظلوم الشهيد بقيق الغرقد^(٣)، فهذا إسناده ضعيف جداً، وفي متنه نكارة^(٤)، وهناك روايات ذكرت اعتراض مروان بن الحكم على دفن الحسن بجانب النبي ﷺ إلا أن أسانيداً ضعيفة، وقد ذكرها الدكتور محمد صامل السلمى فى تحقيقه لكتاب الطبقات^(٥)، وإنما الرواية الصحيحة فى هذا المقام هى ما رواه أبو حازم حيث قال: لما حضر الحسن، قال للحسين: ادفنوني عند أبى - يعنى النبي ﷺ - إلا أن تخافوا الدماء، فإن خفتم الدماء فلا تهريقوا فى دماء، ادفنوني عند مقابر المسلمين، قال: فلما قبض تسليح الحسين وجمع مواليه، فقال أبو هريرة: أنشدك الله ووصية أخيك فإن القوم لن يدعوك حتى يكون بينكم دماء، قال: فلم يزل به حتى رجع. قال: ثم دفنوه فى بقيق الغرقد^(٦)، فقال أبو هريرة: أرايتم لو جئ بآبن موسى ليدفن مع أبيه فممنع أكانوا قد ظلموه؟^(٧) قال: فقالوا: نعم، قال: فهذا ابن نبي الله قد جئ به ليدفن مع أبيه^(٨)، وقد صلى على الحسن بن على سعيد بن العاص وكان يبكى، وكان مرضه الذى مات فيه أربعين يوماً^(٩)، وقد قدم الحسين بن على

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٦).

(٢) الفتاوى (٢٧/ ٢٢٢).

(٣) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٣٥) إسناده ضعيف جداً.

(٤) المصدر نفسه (١/ ٣٥٥).

(٥) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٤) فقد بين ضعف أسانيد الروايات.

(٦) الغرقد: مقبرة أهل المدينة، والغرقد كبار العوسج وبه سميت المقبرة.

(٧)، (٨) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣٤٠) إسناده صحيح.

(٩) المستدرک على الصحيحين (٣/ ١٩٠).

سعيد بن العاص للصلاة على الحسن، لأنه كان والياً على المدينة لمعاوية وقد اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع معاوية وقد ولي إمارة الكوفة لعثمان بن عفان وفيه يقول الفرزدق:

تري الغر^(١) الجحاجح^(٢) من قريش إذا ما الأمر ذو الحدثان^(٣) عالا^(٤)
قيامًا ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلال^(٥)

وقد كان سعيد بن العاص أحد من ندبه عثمان لكتابة المصحف لفصاحته، وشبه لهجته بلهجة رسول الله ﷺ^(٦)، ووقف أبو هريرة على مسجد رسول الله ﷺ يبكي وينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله ﷺ فابكوا^(٧)، وقد اجتمع الناس لجنازته، حتى ما كان البقيع يسع أحداً من الزحام^(٨)، ولو طرحت إبرة ما وقعت إلا على رأس إنسان^(٩)، وقد كان الحسن رضى الله عنه، حليماً ورعاً فاضلاً، دعاه ورعه إلى ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله، وقال عنه الذهبي: وكان هذا الإمام سيذاً وسيماً، جميلاً عاقلاً، رزيناً، جواداً، ممدحاً، خيراً، ديناً، ورعاً، محتشماً كبير الشأن^(١٠)، فرحمة الله ورضوانه على هذا السيد الجليل وجمعنا الله به مع النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين. ففي سيرته عبرة لمن اعتبر، وتبصرة لمن أذكر ورحم الله العلامة محمد إقبال إذ قال:

فى روض فاطمة ثما غصنان لم ينجبهما من النيرات سواها
فأمير قافلة الجهاد وقطب دائرة الوثام والاتحاد ابناها

(١) الغر: جمع أغر: وهو الأبيض الغرة.

(٢) الجحاجح جمع جحاجح: السيد الكريم.

(٣) الحدثان: ما يحدث من نواب الدهر.

(٤) عال: أثقل وقبح.

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/٤٤٥).

(٦) المصدر نفسه (٣/٤٤٨، ٤٤٩).

(٧) البداية والنهاية (١٢/٢١١)، الدوحة النبوية الشريفة، ص (٩٨).

(٨) البداية والنهاية (١٢/٢١١).

(٩) الطبقات، تحقيق السلمى (١/٣٥١) إسناده ضعيف.

(١٠) سير أعلام النبلاء (٣/٢٥٣).

حسن الذى صان الجماعة بعدما أمسى تفرقها يحل عُراها
ترك الإمامة ثم أصبح فى الديار إمام ألفتها وحسن علاها^(١)
٧- التحقيق فى سنة وفاته وعمره:

كانت وفاة الحسن بن على على أكثر الآراء فى سنة تسع وأربعين من
الهجرة^(٢)، وقيل: سنة خمسين^(٣)، وقيل: سنة إحدى وخمسين^(٤)، وقد رجح
الدكتور خالد الغيث بأن وفاة الحسن بن على فى سنة ٥١ هـ^(٥) وهو قول
البخارى^(٦)، وإليه أميل وقال جعفر بن الصادق: عاش الحسن سبعاً وأربعين
سنة^(٧)، وعلق الذهبى بقوله: وغلط من نقل عن جعفر أن عمره ثمان وخمسون
سنة^(٨)، وقال الدكتور خالد الغيث: توفى وعمره ثمان وأربعون^(٩)، وأكد ما
ذهب إليه بقول ابن عبد البر: أن ولادة الحسن بن على: فى النصف من شهر
رمضان سنة ثلاث من الهجرة، هذا أصح ما قيل فى ذلك^(١٠)، وبذلك جزم ابن
حجر^(١١)، وبذلك يكون عمر الحسن عند وفاته ثمانى وأربعين سنة، وأنه توفى
سنة ٥١ هـ، والله تعالى أعلم^(١٢).

وهكذا خرج الحسن بن على من الدنيا شهيداً رضى الله عنه بأيدى الغدر
والخيانة بعد أن قدم عملاً جليلاً ومشروعاً إصلاحياً فريداً ساهم فى وحدة الأمة
وأعاد دورها الحضارى فى نشر دين الله فى الآفاق، وستظل الأمة الإسلامية مدينة
لهذا السيد الجليل الذى حمل لواء الوحدة والألفة وحفظ الدماء وساهم فى
الإصلاح بين الناس، وقدم بجهادہ الرائع، وبصبره الجميل، مثلاً يقتدى به على

(١) الدوحة النبوية الشريفة، ص (٩٩).

(٢) تاريخ خليفة، ص (٢٠٩)، أنساب الأشراف (٣/ ٦٤)، تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٦).

(٣) الإنباء بأنباء وتواريخ الخلفاء، فتح البارى (٧/ ١٢٠).

(٤)، (٥) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، ص (٤٠٢).

(٦)، (٧)، (٨) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٧).

(٩) مرويات خلافة معاوية، ص (٤٠٢).

(١٠) الاستيعاب (١/ ٣٨٤).

(١١) الإصابة (٢/ ٦٨).

(١٢) مرويات خلافة معاوية، ص (٤٠٢).

مر العصور، وكر الدهور وتوالى الأزمان، فمواقفه الشامخة واستعلاؤه الكبير على
حطام الدنيا، حفظها لنا التاريخ ولم تهملها الليالي ولم تفصلها عنا حواجز الزمن
ولا أسوار القرون.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب في ٢١ صفر ١٤٢٥ هـ الموافق ١١ / ٤ /
٢٠٠٤ م الساعة العاشرة إلا ربعاً ليلاً.

والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل
المتواضع ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده، قال
تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أبتهل إلى الله وأتضرع إليه بقلب خاشع
منيب، معترفاً بأنعمه وفضله وكرمه وجوده وتوفيقه وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى
وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ولعباده نافعاً، وأن يثيني على كل
حرف كتبت، ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثبت إخواني الذين أعانوني بكل ما،
يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا
الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه،
قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته، ورضوانه

على محمد محمد الصلابي

أهم المصادر والمراجع

- ١- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٢هـ.
- ٢- نسب قريش: أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري دار المعارف القاهرة.
- ٣- الدوحة النبوية الشريفة، د. فاروق حمادة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٤- الذرية الطاهرة النبوية، لمحمد بن أحمد بن حماد الدولابي وأخرج أحاديثه سعد المبارك الحسن، نشر الدار السلفية، الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
- ٥- الطبقات الكبرى، محمد سعد بن منيع الزهري، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- ٦- مسند أحمد، المكتبة الإسلامية، بيروت، لبنان.
- ٧- صحيح ابن حبان، أبو حاتم بن حبان البستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ٨- المستدرک علی الصحيحین، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، دارالكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ٩- معجم الطبراني الكبير، لأبي القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- ١٠- منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، مؤسسة الريان، بيروت لبنان، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ١١- الحسن بن علي ودوره السياسي، فتحيخان كردى، رسالة ماجستير لم تطبع بعد.

- ١٢- صحيح البخارى، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ١٣- تسمية المولود، بكر عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ١٤- تحفة المودود بأحكام المولود، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٥- موسوعة تربية الأجيال، نصر الصنقرى، دار الإيمان، الطبعة الأولى.
- ١٦- صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربى، بيروت- لبنان الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
- ١٧- سنن الترمذى، أبو عيسى، محمد بن عيسى الترمذى، دار الفكر ١٣٩٨هـ.
- ١٨- ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى، لأبى العباس أحمد بن محمد الطبرى المكى، مكتبة الصحابة الإمارات العربية.
- ١٩- المعجم الصغير للطبرانى، لأبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى.
- ٢٠- موسوعة عظماء حول الرسول، خالد العك.
- ٢١- سيرة آل بيت النبى الأطهار، مجدى فتحى السيد، المكتبة التوفيقية.
- ٢٢- الإصابة فى تمييز الصحابة، أحمد بن على بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٢٣- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٤- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، محمد بن عثمان الذهبى تحقيق: على البجاوى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة الطبعة الأولى.
- ٢٥- لسان الميزان، أحمد بن على بن حجر، حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٣١هـ - ١٩١٢م.

- ٢٦- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي دار الريان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٢٧- تقريب التهذيب لابن حجر.
- ٢٨- دائرة المعارف البريطانية.
- ٢٩- جمهرة أنساب العرب، على بن أحمد بن أحمد بن الأندلسي، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٣٨٢ هـ.
- ٣٠- فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار بن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٣١- تحفة الأحوذى لشرح سنن الترمذى، محمد عبد الرحمن المباركفوري، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، مطبعة الاعتماد، نشر محمد عبد المحسن الكتبي.
- ٣٢- منهاج السنة لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة.
- ٣٣- التبيين فى أنساب القرشيين، موفق الدين أبى محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسى، حققه محمد نايف الدليمى، عالم الكتب، الطبعة الثانية.
- ٣٤- الشيعة وأهل البيت، إحسان إلهى ظهير، الناشر إدارة ترجمان السنة، توزيع دار السلام الرياض، الطبعة العاشرة.
- ٣٥- نساء أهل البيت منصور عبد الحكيم، التوفيقية.
- ٣٦- المرتضى أبو الحسن على بن أبى طالب، لأبى الحسن الندوى، دار القلم.
- ٣٧- السيرة النبوية لابن هشام، دار إحياء التراث، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.
- ٣٨- تاريخ الإسلام للذهبي، محمد أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتاب العربى، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٣٩- دلائل النبوة للبيهقى.

- ٤٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي الهيثمي دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
- ٤١- سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني، دار الفكر.
- ٤٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير، أبي الحسن بن علي بن محمد الجزري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- ٤٣- حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٤- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، دار النفائس الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
- ٤٥- صفة الصفوة الإمام أبي الفرج بن الجوزي، دار المعرفة، بيروت.
- ٤٦- التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، د. عبد العزيز عبد الله الحميدي، دار الدعوة، الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ٤٧- من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
- ٤٨- السيرة النبوية، لعلي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٤٩- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- ٥٠- أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، د. علي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٥١- العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط د. سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

- ٥٢- السنن الكبرى للبيهقي، للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي، طبع دار المعارف، بيروت، لبنان، توزيع مكتبة المعارف الرياض.
- ٥٣- الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوى الضال، الدكتور إبراهيم الرحيلي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٥٤- ديوان محمد إقبال، الأعمال الكاملة، سيد عبد الماجد غورى، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م.
- ٥٥- أحاديث بشأن السبطين، عثمان الخميس، رسالة ماجستير لم تطبع حتى الآن.
- ٥٦- الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان، لأبى الحسين الأمير علاء الدين على ابن بلبان، قدم له وضبط نصه كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧ م.
- ٥٧- الشريعة للأجرى، دراسة وتحقيق د. عبد الله الدميحي، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٥٨- النهاية فى غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي.
- ٥٩- فتح البارى، لابن حجر العسقلانى، دار المعرفة بيروت- لبنان.
- ٦٠- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزى، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكى عبد الرحمن المزى، الدار القيمة.
- ٦١- شرح النووى على صحيح مسلم للإمام أبو زكريا محبى الدين يحيى بن شرف، المتوفى ٦٧٦ هـ - ١٣٤٩ م.
- ٦٢- شرح فتح القدير لكمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام مطبعة دار الفكر، بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ.
- ٦٣- الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد: لعلاء الدين أبى الحسن على بن سليمان المرادوى، دار إحياء التراث العربى.

- ٦٤- معالم السنن للخطابي لأبي سليمان بن محمد الخطابي المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ مصور عن الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ.
- ٦٥- الأم للشافعي، لمحمد بن إدريس الشافعي، تصحيح محمد زهري النجار، نشر دار المعرفة، بيروت.
- ٦٦- المجموع شرح المذهب للنووي، الناشر دار الفكر.
- ٦٧- حاشية رد المحتار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابدين، لمحمد أمين عمر الدمشقي الشهير بابن عابدين الطبعة الثانية، مطبعة البابي الحلبي، مصر.
- ٦٨- بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي المالكي، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٨هـ.
- ٦٩- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد أحمد بن عرفة الدسوقي، نشر دار الفكر.
- ٧٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربى، بيروت.
- ٧١- المنتقى: شرح موطأ مالك، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، دار الكتاب العربى الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ، مصور عن الأولى ١٣٢٢هـ.
- ٧٢- الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام، ابن تيمية: لعلاء الدين أبى الحسن على بن محمد البعلى تحقيق محمد حامد الفقى، دار المعرفة بيروت.
- ٧٣- إعلام الموقعين لابن القيم، دار الجيل، بيروت لبنان.
- ٧٤- مختارات من أدب العرب للندوى، دار ابن كثير، دمشق.
- ٧٥- حقبة من التاريخ، عثمان الخميس، دار الإيمان الإسكندرية.
- ٧٦- ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم الحضر، دار الإيمان الإسكندرية طبعة ٢٠٠٣م.
- ٧٧- دراسات في الفرق د. أحمد جلى، شركة الطباعة الغربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- ٧٨- الإمامة والنص، فيصل نور، كتاب لم يطبع حتى الآن.
- ٧٩- وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم محمد باعبد الله، دار الراجعية، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- ٨٠- زاد المعاد فى هدى خير العباد، أبو عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، دار الرسالة.
- ٨١- السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- ٨٢- مقدمة ابن خلدون.
- ٨٣- الإمام الزهرى، محمد شراب، دار القلم دمشق.
- ٨٤- استخلاف أبى بكر الصديق، د. جمال عبد الهادى، د. وفاء محمد رفعت جمعة، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
- ٨٥- أبو بكر رجل الدولة، مجدى حمدى، دار طيبة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٨٦- عصر الخلافة الراشدة د. أكرم ضياء العمرى مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- ٨٧- الأنصار فى العصر الراشدى، حامد محمد الخليفة، دار الصحابة ٢٠٠٣م.
- ٨٨- الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبى بكر الصديق، على محمد الصلابى، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٨٩- الإسلام وأصول الحكم، محمد عمارة.
- ٩٠- عقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام، د. ناصر بن على عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- ٩١- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، د. إبراهيم على شعوط المكتب الإسلامى، الطبعة السادسة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

- ٩٢- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.
- ٩٣- الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الطبعة الثانية، الجامعة الإسلامية ١٤٠٥هـ.
- ٩٤- الإنصاف فيما يجوز اعتقاده ولايجوز الجهل به، لأبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، نشر عالم الكتب، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
- ٩٥- الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، سالم بهنساوي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- ٩٦- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة د. عبد الرحمن الشجاع، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
- ٩٧- صحيح سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي.
- ٩٨- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطبري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- ٩٩- معجم الطبراني الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.
- ١٠٠- أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، د. ناصر القفاري، دار الرضا بمصر الطبعة الثالثة.
- ١٠١- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، أبو المعالي الجويني، تحقيق: محمد يوسف موسى- علي عبد المنعم- بمكتبة الخانجي، مصر.
- ١٠٢- خلافة علي بن أبي طالب وترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية، محمد صامل السلمي، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- ١٠٣- تاريخ يعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر، طبعة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
- ١٠٤- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: علي شيرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

- ١٠٥- الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عز الدين التميمي، دار البشير، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٠٦- تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي، تحقيق: أكرم ضياء العمرى، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ودار القلم، طبعة ١٣٩٧هـ.
- ١٠٧- قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، د. فضل إلهي، دار بن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٠٨- تاريخ الدعوة إلى الإسلام في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، د. جميل عبد الله المصري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٠٩- عبقرية الصديق، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، بيروت.
- ١١٠- الصديق أبو بكر، محمد حسين هيكل، دار المعارف بمصر، الطبعة ١٩٧١م.
- ١١١- حركة الردة. د. علي العتوم، مكتبة الرسالة الحديثة عمان، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.
- ١١٢- مشكاة المصابيح، تحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- ١١٣- فقه التمكين في القرآن الكريم. د. علي محمد الصلابي، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ١١٤- تفسير الطبري، لأبي جعفر الطبري.
- ١١٥- تاريخ دمشق الكبير، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١١٦- الخراج لأبي يوسف، منشورات مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ الطبع.
- ١١٧- مصنف في الأحاديث والآثار لأبي شيبة، دار التاج، بيروت، لبنان.

- ١١٨- عقائد الثلاثة والسبعين فرقة لأبى محمد اليمنى تحقيق ودراسة: محمد عبد الله زربان الغامدى، مكتبة دار العلوم، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ١١٩- تهذيب التهذيب، أحمد بن على بن حجر، دار صادر، بيروت، لبنان.
- ١٢٠- مختصر التحفة الإثني عشرية، لمحمود شكرى الألوسى؛ تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٧٣هـ.
- ١٢١- على بن أبى طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين، د. محمد عمر الحاجى، دار الحافظ بدمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ١٢٢- فقه السيرة للبوطى، محمد سعيد رمضان البوطى، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٩١م، دار الفكر، دمشق.
- ١٢٣- المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحاب للزمخشري، تحقيق سيد إبراهيم صادق، دار الحديث، أمام جامعة الأزهر.
- ١٢٤- النهى عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب لمحمد عبد الواحد المقدسى، تحقيق: عبد الرحمن التركى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
- ١٢٥- النضرة فى مناقب العشرة لأبى جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبرى، المكتبة القيمة القاهرة.
- ١٢٦- أضواء البيان فى تاريخ القرآن، صابر حسن محمد أبو سليمان، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٢٧- تيسير الكريم المئان فى سيرة عثمان بن عفان، د. على محمد الصلابى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٢٨- الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، عبد الرحمن عبد الكريم العانى، د. حسن فاضل زعين، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد طبعة ١٩٨٩م.
- ١٢٩- أوليات الفاروق للقرشى، د. غالب عبد الكافى القرشى، المكتب الإسلامى بيروت، مكتبة الحرمين الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- ١٣٠- الخلفاء الراشدون للخالدي، دار القلم دمشق.
- ١٣١- الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، سالم البهنساوى، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- ١٣٢- أشهر مشاهير الإسلام فى الحرب والسياسة، رفيق العظم، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٣م.
- ١٣٣- مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، يحيى إبراهيم يحيى، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ١٣٤- المدينة النبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدى، محمد حسن شراب، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- ١٣٥- نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى، ظافر القاسمى، دار النفائس- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- ١٣٦- عثمان بن عفان، لصادق عرجون، الدار السعودية الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- ١٣٧- شهيد الدار، عثمان بن عفان، أحمد الخروف، دار البيارق، دار عمار الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- ١٣٨- التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان، محمد بن يحيى بن أبى بكر الملقى الأندلسى د. محمود يوسف زايد، دار الدوحة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- ١٣٩- مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٠).
- ١٤٠- أثر التشيع على الروايات التاريخية، د. عبد العزيز نور ولى، دار الخضرى، المدينة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- ١٤١- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ضمن الرسائل المنبرية، للبهيج إسماعيل الصابونى، نشر محمد أمين رمح ١٩٧٠م.

- ١٤٢- رياض النفوس، للمالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، طبعة عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٤٣- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ١٤٤- ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية للدكتور صالح مصطفى مفتاح المزيني، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.
- ١٤٥- الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي، د. علي محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٤٦- فتنة مقتل عثمان د. محمد عبد الله الغبان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ١٤٧- تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري، والمحدثين، تأليف د. محمد أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ١٤٨- عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، عبد الستار الشيخ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ١٤٩- تاريخ المدينة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري، تحقيق: محمود شلتوت، نشر السيد حبيب محمود أحمد، المدينة ١٣٩٣م.
- ١٥٠- منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين، مخطوط في مكتبة عارف حكمت بالمدينة رقم ٢٥٣.
- ١٥١- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، مكتبة النهضة المصرية.
- ١٥٢- لوامع الأنوار البهية للسفاريني، المكتب الإسلامي.
- ١٥٣- الوصية الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع دار المطبعة السلفية ومكتبتها، نشر قصي محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.

١٥٤- الثقات لابن حبان، محمد بن حبان، مكتبة العلم، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ م.

١٥٥- استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري دراسة نقدية، د. خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء جدة.

١٥٦- أحكام القرآن لابن العربي، دار المعرفة، بيروت لبنان.

١٥٧- شرح الطحاوية، للعلامة محمد بن علي بن محمد الأذرعي، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٥٨- التاريخ الصغير للبخاري.

١٥٩- عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، سلمان بن حمد العودة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٢ هـ.

١٦٠- العواصم من القواصم، القاضي أبو بكر بن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الثقافة، قطر الدوحة- الطبعة الثانية ١٩٨٩ م.

١٦١- تثبيت دلائل النبوة للهمداني.

١٦٢- الفصل في الملل والنحل، لأبي محمد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، مصر.

١٦٣- دول الإسلام، للذهبي.

١٦٤- الوافي بالوفيات للصدفي.

١٦٥- مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ.

١٦٦- سنن سعيد بن منصور، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ.

١٦٧- كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير للماوردي.

١٦٨- المنتقى من منهاج الاعتدال، للحافظ أبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، دار البيان، وحققه وعلق على حواشيه محب الدين الخطيب.

١٦٩- الفتن لنعيم بن حماد.

١٧٠- أحداث وأحاديث فتنة الهرج، د. عبد العزيز دخان، مكتبة الصحابة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٧١- تهذيب ابن عساكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٧٢- عقيدة الإمام ابن قتيبة، على العلياني، مكتبة الصديق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩١م السعودية.

١٧٣- الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، مؤسسة الحلبي، القاهرة.

١٧٤- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لأبي العباس أحمد ابن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٧٥- تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

١٧٦- وقعة صفين لابن مزاحم، تحقيق عبد السلام هارون - الطبعة الثانية- القاهرة ١٣٨٢هـ.

١٧٧- تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان لأبي يعلى محمد الفراء، تحقيق دار النبلاء، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٧٨- دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، د. محمد ضيف الله بطاينة، دار الفرقان، الأردن عمان.

١٧٩- الأخبار الطوال، لأبي حنيفة أحمد بن داود، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة د. جمال الدين الشيال، مكتبة المتنبي بغداد.

١٨٠- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار البلاغة لبنان.

- ١٨١- معاوية بن أبي سفيان، صحابي كبير، وملك مجاهد، منير محمد الغضبان، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١٨٢- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
- ١٨٣- الأساس فى السنة، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة.
- ١٨٤- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى، الناشر، حديث أكاديمى، نشاط أباد فيصل أباد.
- ١٨٥- المحن لابن أبى العرب.
- ١٨٦- بذل المجهود فى إثبات مشابهة الرافضة لليهود، عبد الله الجميلى، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ١٨٧- الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق على ناصر فقيهى.
- ١٨٨- تطور الفكر السياسى الشيعى من الشورى إلى ولاية الفقيه، أحمد الكاتب.
- ١٨٩- الحكومة الإسلامية للخمينى.
- ١٩٠- مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهاني.
- ١٩١- الأغانى لأبى الفرج الأصفهاني.
- ١٩٢- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، لأبى الفرج عبد الرحمن بن على الجوزى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٩٣- كتب حذر منها العلماء، لأبى عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان دار الهيعة السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٩٤- السيف اليمانى فى نحر الأصفهاني، وليد الأعظمى، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ - ١٨٩م، دار الوفاء، مصر.
- ١٩٥- معجم الأدباء، ياقوت الحموى، دار صادر.

- ١٩٦- الأدب فى الإسلام، نايف معروف، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- ١٩٧- وفيات الأعيان وأنباء وأبناء الزمان لابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت.
- ١٩٨- منهج الرسول فى غرس الروح الجهادية فى نفوس أصحابه، السيد محمد نوح، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م جامعة الإمارات العربية المتحدة.
- ١٩٩- التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق ١٤١١هـ- ١٩٩١ الطبعة الأولى.
- ٢٠٠- الإيمان أولاً فكيف نبدأ به، مجدى الهلالى، دار التوزيع والنشر الإسلامية مصر.
- ٢٠١- عيون الأخبار، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
- ٢٠٢- تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم، هذبه عبد المنعم صالح العلى العزى مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
- ٢٠٣- الرقائق، لمحمد أحمد الراشد، دار البشير مصر.
- ٢٠٤- صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألبانى، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، المكتب الإسلامى بيروت- لبنان.
- ٢٠٥- السلسلة الصحيحة، للألبانى، المكتبة الإسلامية.
- ٢٠٦- رهبان الليل، د. سيد بن حسين العفانى، مكتبة معاذ بن جبل، مصر.
- ٢٠٧- ماذنبان جائعان لابن رجب، تحقيق محمد صبحى حلاق، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- ٢٠٨- جواهر الأدب للهاشمى، السيد أحمد الهاشمى، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.

- ٢٠٩- صحيح الترغيب والترهيب، للمنذرى.
- ٢١٠- الأخلاق بين الطبع والتطبع، لأبى عبد الله فيصل بن عبده الحاشدى، دار الإيمان - الإسكندرية.
- ٢١١- صلاح الأمة فى علو الهمة، د. سيد بن حسين العفانى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٢١٢- جهاد النفس، على بن محمد الدهامى، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢١٣- جامع العلوم والحكم، لابن رجب.
- ٢١٤- الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، محمد رضا، المكتبة العصرية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٢١٥- علموا أولادكم حب آل بيت النبى، محمد عبده يمانى، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٢١٦- منهج الإسلام فى تزكية النفس، د. محمد خير فاطمة، دار الخير، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢١٧- مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٩٢هـ.
- ٢١٨- أمراض النفس، دراسة تربوية لأمراض النفوس ومعوقات تركيتها وعلاج ذلك، د. أنس أحمد كرزون، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ.
- ٢١٩- الجواب الكافى، لابن القيم.
- ٢٢٠- جامع بيان العلم وفضله لأبى عمر يوسف بن عبد البر، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٢٢١- المحدث الفاضل للرامهرمزي.
- ٢٢٢- قواعد فى التعامل مع العلماء، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار الوراق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢٢٣- الداء والدواء لابن القيم.

٢٢٤- التعريفات للجرجاني.

٢٢٥- سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن على النسائي، دار الفكر بيروت.

٢٢٦- الزواجر لابن حجر الهيتمي.

٢٢٧- الشهب اللامعة فى السياسة النافعة لعبد الله بن يوسف بن رضوان المالقى، دار المدار الإسلامى، لبنان، الطبعة الأولى.

٢٢٨- أحكام القرآن، أحمد بن على الرازى المعروف بالخصاص، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان.

٢٢٩- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، أبى محمد عبد الحق ابن غالب الأندلسى، تحقيق المجلس العلمى بفاس، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالمغرب.

٢٣٠- التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار الكتب الشرقية تونس.

٢٣١- الفوائد لابن القيم، محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية، دار الريان للتراث، القاهرة مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٣٢- تفسير ابن كثير، دار الفكر، ودار القلم، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية.

٢٣٣- تفسير السعدى.. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان لعبد الرحمن ناصر السعدى، المؤسسة السعدية بالرياض.

٢٣٤- معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين للإمام أبى سعيد أحمد بن محمد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٣٥- محاسن التأويل للقاسمى، محمد جمال الدين القاسمى دار الفكر، بيروت.

٢٣٦- نهاية الأرب فى فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى، مطبعة كوتسا توماسى بالقاهرة.

- ٢٣٧- صور وعبر من الجهاد النبوى فى المدينة، د. محمد فوزى فيض الله، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
- ٢٣٨- قيادة الرسول السياسية والعسكرية، أحمد راتب عرموش دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- ٢٣٩- ولاية مصر، أبو يوسف محمد الكندى، تحقيق د. حسين نصار، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- ٢٤٠- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسين يوسف ابن تغرى بردى، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة بدون تاريخ.
- ٢٤١- المجروحون من المحدثين، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد، تحقيق: إبراهيم محمود زايد، حلب، دار الوعى.
- ٢٤٢- تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، بيروت، دار إحياء التراث.
- ٢٤٣- الكامل فى ضعفاء الرجال، للإمام الحافظ أبى أحمد عبد الله بن عدى الجرجانى، دار الفكر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
- ٢٤٤- المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان الفسوى، تحقيق أكرم ضياء العمرى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
- ٢٤٥- فقه السيرة، منير الغضبان، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث مكة المكرمة.
- ٢٤٦- الصراع مع اليهود لأبى فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
- ٢٤٧- مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، خالد محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- ٢٤٨- مجموعة الفتاوى، تقى الدين أحمد بن تيمية الحرانى، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٤٩- السنة لأبي بكر الخلال، تحقيق عطية الزهراني، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٥٠- المطالب العلية بزوائد المسانيد الثمانية، المطبعة العصرية، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٢٥١- أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، د. أحمد بن عبد العزيز قاسم الحداد، دار الغرب الإسلامي، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

٢٥٢- جامع الأصول من أحاديث الرسول، للإمام مبارك بن الجزري، تحقيق حامد الفقي، إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض ١٣٧٠هـ.

٢٥٣- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، محمد سعد اليوي، دار الهجرة.

٢٥٤- اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، د. عبد الرحمن بن معمر السنوسي، دار بن الجوزي، الطبعة الأولى رجب ١٤٢٤هـ السعودية.

٢٥٥- أسباب النزول للواحدى، على بن أحمد الواحدى، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٢٥٦- رسالة الألفة بين المسلمين، لابن تيمية.

٢٥٧- الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، عبد العزيز بن أحمد بن حامد، غراس للتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى.

٢٥٨- نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى، مصطفى حلمى، دار الدعوة الإسكندرية.

٢٥٩- الشيخان أبو بكر وعمر رواية البلاذرى فى أنساب الأشراف، تحقيق د. إحسان صدقى العمدة، المؤتمن للنشر، السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

- ٢٦٠- الدولة والسيادة فى الفقه الإسلامى، فتحى عبد الكريم، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٢٦١- الذاكرة التاريخية للأمة، د. قاسم محمد.
- ٢٦٢- الدور السياسى للصفوة فى صدر الإسلام، السيد عمر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٦٣- أثر العلماء فى الحياة السياسية فى الدولة الأموية د. عبد الله عبد الرحمن الخرعان مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- ٢٦٤- دراسات فى الأهواء والفرق والبدع، وموقف السلف منها د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مركز دار أشيلىا، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٦٥- وجوب التعاون بين المسلمين، لعبد الرحمن السعدى، دار المعارف، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.
- ٢٦٦- سنن الدارمى، لأبى عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- ٢٦٧- النظريات السياسية محمد ضياء الرئيس.
- ٢٦٨- قضاء الحوائج لأبى بكر بن أبى الدنيا، دار بن حزم، تحقيق محمد خير رمضان يوسف.
- ٢٦٩- فيض التقدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوى، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.
- ٢٧٠- مآثر الأنافة فى معالم الخلافة للقلقشندى، تحقيق عبد الستار أحمد الفرج، عالم الكتب، بيروت.
- ٢٧١- العبودية لابن تيمية.
- ٢٧٢- المدينة فى العصر الأموى، محمد محمد شراب، مؤسسة علوم القرآن دمشق.

٢٧٣- مواقف المعارضة فى خلافة يزيد، محمد الشيبانى، دار البيارق، عمان، الأردن.

٢٧٤- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، للمزى، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت.

٢٧٥- أثر أهل الكتاب فى الفتن والحروب الأهلية فى القرن الأول الهجرى، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٧٦- الوسيطة فى القرآن الكريم، على الصّلابى، دار الصحابة، الإمارات، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٧٧- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن السعدى.

٢٧٨- المرتضى سيرة أمير المؤمنين أبى الحسن على بن أبى طالب لأبى الحسن الندوى، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٧٩- تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى د. على حسن الخربوطلى، دار المعارف بمصر.

٢٨٠- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأبى العباس أحمد عمر القرطبى، تحقيق: محى الدين مستو، يوسف بدوى، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	الإهداء
٥	المقدمة
	الفصل الأول: الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه منذ ولادته
١٥	حتى خلافته
١٧	المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته وصفته وأسرته فى عهد النبوة
١٧	أولاً: اسمه ونسبه وكنيته
١٧	ثانياً: مولده وتسميته ولقبه وفقه النبى فى تسمية المواليد
١٨	١- استحباب التسمية بهذين الاسمين: عبد الله وعبد الرحمن
١٩	٢- التسمية بأسماء أنبياء الله ورسله
١٩	٣- التسمية بأسماء الصالحين من المسلمين
٢٠	ثالثاً: تأذين رسول الله فى أذن الحسن
٢١	رابعاً: تحنيك المولود
٢٣	خامساً: خلق شعر رأس الحسن رضى الله عنه
٢٣	سادساً: العقيقة
٢٤	سابعاً: ختان الحسن بن على رضى الله عنه
٢٥	ثامناً: مرضعة الحسن أم الفضل رضى الله عنهما
٢٧	تاسعاً: زواج الحسن وزوجاته والروايات التى حولهن
٣٣	عاشرًا: أولاده
٣٥	حادى عشر: إخوانه وأخواته
٣٨	ثانى عشر: أعمامه وعماته

٣٩	ثالث عشر: أخواله وخالاته.....
	المبحث الثانى: أم الحسن بن على بن أبى طالب السيدة فاطمة الزهراء رضى
٤٨	الله عنهم:.....
٤٨	أولاً: مهرها وجهازها.....
٤٩	ثانياً: زفافها.....
٤٩	ثالثاً: وليمة العرس.....
٥٠	رابعاً: معيشة على وفاطمة رضى الله عنهما.....
٥١	خامساً: زهد السيدة فاطمة وصبرها.....
٥٢	سادساً: محبة رسول الله ﷺ للسيدة فاطمة وغيرته عليها.....
٥٤	سابعاً: صدق لهجتها.....
٥٤	ثامناً: سيادتها فى الدنيا والآخرة.....
٥٥	تاسعاً: الصديق والسيدة فاطمة وميراث النبى ﷺ.....
٥٦	عاشراً: تسامح السيدة فاطمة مع أبى بكر رضى الله عنه.....
٥٧	حادى عشر: وفاة السيدة فاطمة رضى الله عنها.....
٦١	المبحث الثالث: مكانة الحسن عند جده الحبيب المصطفى ﷺ.....
٦١	أولاً: محبة رسول الله ﷺ ورحمته بالحسن وملاعبته له.....
٦٨	ثانياً: شبه الحسن بن على رضى الله عنه بالنبى ﷺ.....
٧٠	ثالثاً: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.....
٧١	رابعاً: هما ريحائتاى من الدنيا.....
٧٢	خامساً: سيادته فى الدنيا والآخرة.....
٧٤	سادساً: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة
٧٤	سابعاً: الأحاديث التى رواها الحسن بن على عن رسول الله ﷺ.....
٨٢	ثامناً: صفة رسول الله ﷺ كما يرويها الحسن بن على.....
٨٥	تاسعاً: آية التطهير وحديث الكساء.....

- عاشراً: آية المباهلة ووفد نصارى نجران ٩٤
- حادى عشر: أثر التربية الأسرية على الحسن رضى الله عنه ٩٥
- ثانى عشر: أثر الواقع الاجتماعى على تربية الحسن ٩٧
- المبحث الرابع: الحسن بن على فى عهد الخلفاء الراشدين ٩٨
- أولاً: مكانة الحسن بن على فى عهد الصديق ٩٨
- ثانياً: فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ١١٩
- ثالثاً: فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ١٢٦
- رابعاً: الحسن بن على فى عهد والده رضى الله عنهما ١٥٠
- ١- خروج أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى الكوفة ١٥٢
- ٢- نصيحة الحسن بن على لوالده ١٥٣
- ٣- أثر الحسن بن على فى استنفار أهل الكوفة ١٥٥
- ٤- محاولات الصلح ١٥٦
- ٥- دور السبئية فى نشوب القتال فى معركة الجمل ١٥٧
- ٦- عدد القتلى فى الجمل ١٦١
- ٧- نداء أمير المؤمنين بعد الحرب ١٦٢
- ٨- تفقده للقتلى وترحمه عليهم ١٦٢
- ٩- تأثره من مقتل طلحة رضى الله عنه ١٦٢
- ١٠- موقفه من قاتل الزبير رضى الله عنه ١٦٣
- ١١- أمير المؤمنين على يرد عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة ١٦٤
- ١٢- ندمهم على ما حصل منهم ١٦٤
- معركة صفين ١٦٦
- ١- هل خروج معاوية على على رضى الله عنهما بسبب أطماع دنيوية؟ ١٦٨
- ٢- نهى أمير المؤمنين على عن شتم معاوية ولعن أهل الشام بعد معركة صفين ١٧٣

- ٣- مقتل عمّار بن ياسر رضى الله عنه بصفين وأثره على المسلمين ١٧٥
- ٤- فهم العلماء لحديث رسول الله فى عمار: تقتلك الفئة الباغية ١٧٧
- ٥- موقف الحسن بن على من تلك الحروب ١٧٩
- ٦- استشهاد أمير المؤمنين على رضى الله عنه ١٨١
- ٧- وصية أمير المؤمنين للحسن والحسين رضى الله عنهم ١٨٢
- ٨- نهى أمير المؤمنين على عن المثلة بقاتله ١٨٤
- ٩- خطبة الحسن بن على رضى الله عنهما بعد مقتل أبيه ١٨٦
- ١٠- استقبال معاوية خبر مقتل على رضى الله عنهما ١٨٧
- الفصل الثانى: بيعة الحسن بن على بن أبى طالب وأهم صفاته وبعض مواقفه
فى الحياة الاجتماعية ومشروعه الإصلاحى الذى توجّ بوحدة
الأمة ١٨٩
- المبحث الأول: بيعة الحسن بن على رضى الله عنهما ١٩١
- أولاً: بطلان قضية النص على خلافة الحسن ١٩٢
- ثانياً: ما يحتج به الشيعة الاثنا عشرية فى أمر تحديد عدد الأئمة بما جاء
فى كتب السنة ٢٠٠
- ثالثاً: مدة خلافة أمير المؤمنين الحسن ومعتقد أهل السنة فى خلافته ٢٠٢
- رابعاً: خطب لا تصح للحسن بعد مقتل والده ٢٠٥
- ١- الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني ٢٠٦
- ٢- نهج البلاغة ٢١٢
- المبحث الثانى: أهم صفاته وحياته فى المجتمع ٢١٦
- أولاً: أهم صفاته ٢١٦
- ١- العلم ٢١٦
- ٢- عبادته ٢٢٧
- ٣- زهده ٢٣٣

- ٢٣٦ ٤- إنفاقه وكرمه وجوده.
- ٢٤١ ٥- حلمه.
- ٢٤٣ ٦- تواضعه.
- ٢٤٣ ٧- سيادته.
- ٢٤٥ ٨- صفاته الخلقية.
- ٢٤٥ ثانيًا: من حياة الحسن بن على فى المجتمع.
- ٢٤٥ ١- تنفيذ لمعتقد الرجعة.
- ٢٤٨ ٢- قضاء حوائج الناس.
- ٢٤٩ ٣- زواجه من بنت طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم.
- ٢٥٠ ٤- زواجه من خولة بنت منظور.
- ٢٥٠ ٥- لا يرى أمهات المؤمنين.
- ٢٥٠ ٦- الغيرة فى النسب النبوى.
- ٢٥١ ٧- صلاته على الأشعث بن قيس.
- ٢٥٢ ٨- معاملته لمن يسىء إليه.
- ٢٥٢ ٩- من أدبه فى المجالس.
- ٢٥٣ ١٠- حسن خلقه بين الناس.
- ٢٥٣ ١١- ملاعبته بالملاحى.
- ٢٥٣ ١٢- بعده عن فضول الكلام.
- ٢٥٤ ١٣- إكرام الحسن بن على أسامة بن زيد رضى الله عنهما.
- ٢٥٤ ١٤- الحسن بن على واليهودى الفقير.
- ٢٥٥ ١٥- احترام وتقدير ابن عباس للحسن والحسين رضى الله عنهم.
- ٢٥٦ ١٦- ثناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما على الحسن.
- ٢٥٦ ١٧- بين الحسن والحسين رضى الله عنهما.
- ٢٥٦ ١٨- أكرم الناس أبًا وأماً وجدًا وجدة وخالاً وخالة وعمًا وعمة.

١٩- محبة الناس له ولأخيه الحسين وازدحامهم عليهما في البيت

الحرام ٢٥٧

ثالثًا: من أقواله وخطبه ومواعظه التي حفظها عنه الناس مع شرحها

والتعليق عليها ٢٥٧

المبحث الثالث: من أهم الشخصيات في خلافة الحسن بن علي ٣٠٠

أولاً: قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه ٣٠١

ثانيًا: عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب رحمه الله ٣٢٢

ثالثًا: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ٣٣٣

المبحث الرابع: صلح الحسن بن علي مع معاوية رضى الله عنهم ٣٥٢

- أهم مراحل الصلح ٣٥٤

المرحلة الأولى ٣٥٤

المرحلة الثانية ٣٥٦

المرحلة الثالثة ٣٥٧

المرحلة الرابعة ٣٥٨

المرحلة الخامسة ٣٥٩

المرحلة السادسة ٣٦٠

المرحلة السابعة ٣٦٣

١- موقف شرطة الخميس من الصلح ٣٦٦

٢- مواقف أمراء على رضى الله من الصلح ٣٦٨

المرحلة الثامنة: تنازل الحسن بن علي عن الخلافة ٣٦٨

أولاً: الرغبة فيما عند الله وإرادة صلاح هذه الأمة ٣٧١

١- الأمر بالإصلاح ٣٧٢

٢- الترغيب في القيام بالإصلاح ٣٧٣

٣- التنويه بالصلح والقائمين عليه ٣٧٣

٣٧٥	ثانيًا: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين
٣٧٥	ثالثًا: حقن دماء المسلمين
٣٧٧	رابعًا: حرصه على وحدة الأمة
٣٨١	خامسًا: مقتل أمير المؤمنين على رضي الله عنه
٣٨٢	سادسًا: شخصية معاوية رضي الله عنه
٣٨٧	سابعًا: اضطراب جيش العراق وأهل الكوفة
٣٩٠	ثامنًا: قوة جيش معاوية
٣٩١	- شروط الصلح
٣٩٢	أولًا: العمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء
٣٩٧	ثانيًا: الأموال
٣٩٨	ثالثًا: الدماء
٤٠٠	رابعًا: ولاية العهد أم ترك الأمر شورى بين المسلمين
٤٠١	- سب أمير المؤمنين على بين معاوية والحسن
٤٠٩	- موقف معاوية من قتلة عثمان
٤١٠	- من نتائج الصلح
٤١٠	أولًا: توحيد الأمة تحت قيادة واحدة
٤١٢	ثانيًا: عودة الفتوحات إلى ما كانت عليه
٤١٥	ثالثًا: تفرغ الدولة للخوارج
٤١٦	- انتهاء عهد الخلافة الراشدة
٤١٩	- هل معاوية رضي الله عنه يعتبر أحد الخلفاء الاثنى عشر؟
		- هل الحسن بن علي تنازل لمعاوية من موقف قوة أم من موقف
٤٢١	ضعف
٤٢١	١- الشرعية التي كان يملكها الحسن
٤٢٢	٢- تقييم الحسن بن علي للموقف وقدراته القيادية

- ٤٢٦ - الحسن والزهد فى الملك.
- ٤٢٩ - من حياة الحسن فى المدينة بعد الصلح.
- ٤٣٠ ١- العلاقة بين الحسن ومعاوية بعد الصلح.
- ٤٣١ ٢- صلوات معاوية للحسن والحسين وابن الزبير رضى الله عنهم.
- ٤٣٣ ٣- هل يصح اتهام معاوية بسم الحسن بن على؟
- ٤٣٨ ٤- رؤية الحسن بن على فى المنام واقتراب أجله.
- ٤٣٨ ٥- الأيام الأخيرة من حياة الحسن.
- ٤٣٨ أ- وصية الحسن للحسين.
- ٤٣٩ ب- تفكره فى ملكوت السماء واحتسابه نفسه عند الله.
- ٤٤٣ ٦- دفنه فى البقيع.
- ٤٤٦ ٧- التحقيق فى سنة وفاته وعمره.
- ٤٤٩ - أهم المصادر والمراجع.
- ٤٧١ - فهرس الكتاب.
- ٤٧٩ - المؤلف فى سطور.

المؤلف في سطور

على محمد محمد الصلابي

- * ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م
- * حصل على درجة الإجازة العالية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة بتقدير ممتاز وكان الأول على دفعته عام ١٤١٣ / ١٤١٤ هـ الموافق ١٩٩٢ / ١٩٩٣ م.
- * نال درجة الماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن عام ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
- * نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بمؤلفة «فقه التمكين في القرآن الكريم» من جامعة أم درمان الإسلامية.

* صدرت له عدة كتب :

- ١ - من عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين (دار البيارق).
- ٢ - الوسطية في القرآن الكريم (دار البيارق - دار النفائس).
- سلسلة (صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الأفريقي).
- ٣ - صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الأفريقي (دار البيارق).
- ٤ - عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج (دار البيارق).
- ٥ - الدولة العبيدية (الفاطمية) الرافضية (دار البيارق).
- ٦ - فقه التمكين عند دولة المرابطين (دار التوزيع والنشر الإسلامية - دار البيارق).
- ٧ - دولة الموحدين (دار التوزيع والنشر الإسلامية - دار البيارق).
- ٨ - الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط (دار التوزيع والنشر الإسلامية).
- ٩ - الحركة السنوسية في ليبيا (دار البيارق).
- (أ) الإمام محمد بن علي السنوسي ومنهجه في التأسيس.
- (ب) محمد المهدي السنوسي، وأحمد الشريف.
- (ج) إدريس السنوسي، وعمر المختار.
- ١٠ - فقه التمكين في القرآن الكريم (دار الوفاء، دار البيارق).
- ١١ - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (دار التوزيع والنشر الإسلامية).
- ١٢ - الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق (دار التوزيع والنشر الإسلامية).
- ١٣ - فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (دار التوزيع والنشر الإسلامية).
- ١٤ - تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان (دار التوزيع والنشر الإسلامية).
- ١٥ - أسامي المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (دار التوزيع والنشر الإسلامية).

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤

Printed in Egypt by ISLAMIC PRINTING & PUBLISHING Co. Tel.: 015 / 363314 - 362313

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣

